مؤلفات وشروح علوم الحديث لفضيلة الشيخ

تحفة الفالحين
شرح
رياض الصالحين

للشيخ الفاضل

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى الحجوري الأثري

المجلد الثالث
(٣)

تحفة الفالحين
شرح
رياض الصالحين

تحفة الفالحين
شرح
رياض الصالحين

المجلد الثالث

من باب (جواز الأخذ من غير مسألة ولا تطلع إليه)

إلى باب (باب تحريم سفر المرأة وحدها)

للشيخ الفاضل

أبي محمد عبد الحميد بن محيي الجوري الزنغري

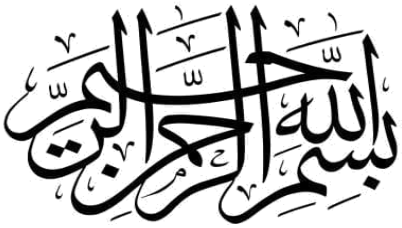

تحفة الفالحين
شرح
رياض الصالحين

للشيخ الفاضل

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى الجوري الزعكري

الطبعة الثانية مصححة

١٤٤٧هـ

روابط قنوات فضيلة الشيخ على منصات التواصل

الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ حفظه الله تعالى

https://alzoukory.com.

https://t.me/A_Izoukory

A_Alzoukorys

https://www.youtube.com/channel

https://www.facebook.com/649918028352367

https://chat.whatsapp.com/FglUKZ0nwzR5EYaguQttSz

٥٨ - باب جواز الأخذ من غير مسألة وَلا تطلع إليه

٥٣٧ - عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه عبد الله بن عمر، عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ يُعْطيني العَطَاءَ، فَأَقُولُ: أعطِهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي. فَقَالَ: «خُذْهُ، إِذَا جَاءكَ مِنْ هَذَا المَال شَيْءٌ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ، فَخُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ، فَإِنْ شِئْتَ كُلْهُ، وَإِنْ شِئْتَ تَصَدَّقْ بِهِ، وَمَا لا، فَلَا تُتبعهُ نَفْسَكَ» قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبدُ الله لَا يَسألُ أَحَدًا شَيْئًا، وَلَا يَرُدُّ شَيْئًا أُعْطِيَه. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

(مُشرف): بالشين المعجمة: أيْ متطلع إِلَيْهِ.

الشرح:

وكثير من البركات يذهبها الاستشراف، فأنا أنصح المتصدق عليه أن لا يستشرف، وما رزقه الله فيه خير، وأنا أنصح المتصدِّق أن يعالج؛ حتى لا يقع الاستشراف؛ لأن بعضهم ربما يعد ويتعلق القلب بعطيته ثم لا يوصلها إلا وقد وقع الاستشراف، فلا يبارك فيها.

وفي هذا الحديث من الفوائد: أن الإنسان إذا أُعطي عطية ممن كان ما لم يكن فيها إثم ولا قطيعة رحم ولا تنازل عن الدين ولا شرط ولا قيد له أن يأخذها، كان شيخنا مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ يكرر مثل هذا الكلام، أن من أعان الدعوة بدون شرط ولا قيد يُقبل منه، ومن قال: لا، افعلوا كذا، ولا تفعلوا كذا، قال له: ما نريد.

وأذكر أن مرة من المرات وصل إليه أحدهم بكيس مليان فلوس فقال له: يا شيخ أريد منك استلام، كان الشيخ لا يعمل لا تسليم ولا استلام، من أعطى لله أخذ منه، ومن أراد غير ذلك ما يجد إلا ذاك، فقال له الشيخ: نكتب لك، ما اسمك؟ قال: لا يا

(١) أخرجه: البخاري (٧١٦٣)، ومسلم (١٠٤٥).

شيخ ما نريد الاستلام لي، الاستلام لمؤسسة أو جمعية كذا؟ قال: ما عندي استلام لهؤلاء، أنا أخذت منك، أنت تحب أن أعمل لك استلاما باسمك عملت لك استلاما، أما هؤلاء لا هم إليَّ ولا أنا إليهم، بمعنى كلامه، فعند ذلك تواصل بهم الرجل ما وجد إلا هذا الكلام، قالوا له: خل المال وارحل.

الشاهد: أن الإنسان قد تأتيه مساعدات من هنا أو من هاهنا، لكن لا يتقصد أنه يذهب إلى الجمعيات، أو يستشرف للجمعيات، أو يستشرف لأصحاب الحزبيات، أو يستشرف لكل هؤلاء، فإن الإنسان إذا أعطاك المال يوشك أن يتحكم فيك، لكن اجعل نفسك فوق ذلك، كما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فإذا أراد دينك فدمك دون دينك، يعني: إذا أعطاك مالا هكذا استعن به على طاعة الله، لكن إذا أراد أن يأخذ من دينه قل له: لا، دمي دون ديني.

قوله: (كَانَ رسول الله ﷺ يُعْطِيني العَطَاءَ) كان يتألف أصحابه، ويعطيهم ويوسع عليهم، يعطي الجميع، ويكرم الجميع، إن كان من الغنائم على الحقوق التي لهم، وإن كان من الصدقات كذلك، وإن كان من الهدايا كل بحسبه.

(فَأَقُولُ: أعطِهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنّي) فيه ما عليه عمر بن الخطاب من العفة، ومحبة الخير للغير، وفيه أنه كان فقيرا، الصحابة كلهم كانوا فقراء، إنما جاءهم الغنى بعد ذلك، وإلا الذين هاجروا من مكة إلى المدينة هاجروا ما معهم إلا ربما ما معهم من الملابس، ثم ذهب بعضهم يتسوق ويبيع ويشتري، وفتح الله عليهم، والأنصار كانت لهم أموال، ومع ذلك عبارة عن منائح، عبارة عن نخل، لذلك كانوا يستسلفون من اليهود كثيرا.

(فَقَالَ) له رسول الله ﷺ: **(خُذْهُ)** أي هذا المال.

(إِذَا جَاءكَ مِنْ هَذَا المَال) زاده نصيحة، أمره بأخذه وزاد نصيحة: **(إِذَا جَاءكَ مِنْ هَذَا المَال)** وهذا حكم عام في جميع الناس، ليس في عمر فقط.

(وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ): مستشرف له، متطلع إليه.

(وَلَا سَائِلٍ)؛ لأن الاستشراف والمسألة هما المذمومان.

(فَخُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ): استفد منه، وتملكه، **(فَإِنْ شِئْتَ كُلْهُ)** أنت وأبناؤك ومن إليك، **(وَإِنْ شِئْتَ تَصَدَّقْ بِهِ)** الأمر إليك.

(وَمَا لا، فَلَا تُتبعهُ نَفْسَكَ) إذا كان مالا لم يعرض عليك لم تعطه لا تتبعه نفسك، ولا تتطلع إلى ما في أيدي الناس، ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [طه:١٣١]، ما أجمل العفة بالعبد! ما أجمل العفة بالعقل! ولذلك كان من الدعاء: **«اللهم إني أسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى»**، قال النبي ﷺ: **«ومن يستعفف يعفه الله»**، وقال النبي ﷺ: **«قد أفلح من أسلم، ورُزق كفافا، وقنَّعه الله بما آتاه»**.

لا تتطلع لا إلى تاجر، ولا إلى مسؤول، ولا إلى غني، ولا إلى شيء، ما جاءك من المال استفد منه، وما لا فلا تتعب نفسك، تتحسر وما تحصل على شيء، وطبيعة الناس: أنك إذا سألته يشح بما لديه، وإذا كررت عليه ربما غضب، ويقول: هذا استغلالي، وربما قال: هذا من أجل مالي، وإذا رآك شامخا عن الدنيا ربما منحك بدون مسألة ولا استشراف.

فهذا السبيل الذي نحن فيه سبيل العلم يحتاج إلى صيانة جدًّا في هذا الباب.

ولو أن أهل العلم صانوه حقًا لصانهم ... ولو عظموه في النفوس لعُظِّمَا

صُن عِلمك، وصن وجهك، وصن سمعتك، والرزق سيأتي به الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الكريم المنان، الرزاق ذو القوة المتين.

وهذا الحديث قاعدة في هذا الباب، ما جاءك من هذا المال سواء كان المال من النقود، أو كان مالا من الطعام، أو كان مالا من اللباس، أو كان مالا من العقار، أي شيء من الأموال يأتيك وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، ويصير ملكا لك، تتصرف فيه على الوجه الذي تريد.

وفيه جواز الصدقة من الصدقات، والهبة من الصدقات، والهبة من الهبات، وقول الناس: الهدية لا تُهدى ولا تباع ولا تشترى كلام ليس بصحيح، الهدية تُهدى والهدية تُباع والهدية يُتصدق منها؛ لأنها صارت ملكا لك.

(وما لا) يعني: ما لم تُعط منه **(فَلَا تُتبعهُ نَفْسَكَ)**، والله ما أبرد هذا على الكبد، لا سيما في هذا الزمان، ما أبرد هذا على الكبد أنك لا تتطلع إلى ما في أيدي الناس، ولا تحسدهم، ترتاح وتسعد، أما إذا شغلت نفسك ما هو إلا قهر بدون فائدة.

٥٩ - باب الحث عَلَى الأكل من عمل يده والتعفف به عن السؤال والتعرض للإعطاء

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:١٠] .

الشرح:

من كانت له مهنة فليعمل، ومن تفرغ لطلب العلم الله رازقه، لا يفهم أحدكم هذا الباب فهما غير صحيح، طلب العلم عمل، التفرغ للعلم عمل، الله عَزَّوَجَلَّ هو الرزاق ذو القوة المتين، طلاب العلم لهم حق في الزكاة، لهم حق في الصدقات، لهم حقوق كثيرة، وبعضهم ربما يعينه أبوه، والآخر يعينه أخوه، وربما يعينه صاحبه، وإن كان له عمل لا يؤدي به إلى الانقطاع فحسن.

قال أحد السلف: لولا المهنة لتمندل بي الناس.

وكان الليث بن سعد له مزرعة تدخل عليه في السنة ثمانية ألف، لا يحول عليها الحول، يقسمها على طلاب العلم والفقراء، وعبد الله بن المبارك كان تاجرا، وقال: لولا طلاب الحديث ما اشتغلت بالتجارة، لكن كان يشتغل بالتجارة من أجل أن يعينهم.

وكثير من طلاب العلم قد يكون على حال حسن، ويقول: أشتري لي مترا أدخل فيه ولو ما يسر الله، وإذا به من الصبح إلى آخر الليل فوق المتر، والآخر فوق التكسي، أو سيارة الأجرة، وهذا يقول: أشتغل ساعتين، يشتغل ساعتين وقبلها ساعتين وبعدها ساعتين وذهب اليوم.

فإذا استطعت أن تتفرغ تفرغ، وإذا عملت اعمل بقدر الحاجة؛ لأن طلب العلم ليس يوازيه شيء.

(قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾) وهذا دليل على العمل بالأسباب الشرعية.

٥٣٨ - وعن أَبي عبد الله الزبير بن العَوَّام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أُحبُلَهُ ثُمَّ يَأْتِيَ الجَبَلَ فَيَأْتِيَ بحُزمَةٍ مِنْ حَطَب عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا فَيَكُفّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ». رواه البخاري[1].

الشرح:

الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمه صفية بنت عبد المطلب، عمة الرسول ﷺ، وأسلم من أعمام النبي ﷺ: العباس، وحمزة، وأسلم من النساء صفية، وزاد بعضهم: أروى، وقال بعضهم: عاتكة، لكن الأكثر على عدم إسلامهن.

والزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة، قال عنه النبي ﷺ: «**لكل نبي حواري وحواري الزبير**»، **والحواري**: الناصر، أرسله عمر بألف، أرسل أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب يطلب أربعة آلاف مقاتل، فأرسل إليه أربعة، منهم الزبير بن العوام، قُتل مظلوما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الجمل.

(**أُحبُلَهُ**) جمع حبل.

(**ثُمَّ يَأتِيَ الجَبَلَ فَيَأْتِيَ بحُزمَةٍ مِنْ حَطَب عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا**) فيه أن الجبل ملك عام، إلا ما كان من الأملاك الخاصة، وإلا ملك عام.

(**فَيَكُفّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ**) أي: عن سؤال الناس.

---

(١) حديث رقم: (١٤٧١).

فيه أن العمل بالسبب من أعظم الأسباب للتكسب، وأنه أفضل من سؤال الناس والتطلع لما في أيديهم، وأسوأ الأموال التي تأتيك من قبل الجمعيات، احذرها، احذرها وحذر منها، أصحاب الجمعيات يصطادون طلاب العلم بأموالهم، كم أفسدوا في اليمن!

الجيل الأول من طلاب الشيخ مقبل كلهم ذهبوا، أين ذهبوا؟ ذهبت بهم الدنانير الكويتية التي كان يرسلها عبد الله السبت، وعبد الرحمن عبد الخالق، وتركوا الشيخ مقبل، وقالوا له: يا شيخ تحب تتبعنا وإلا القافلة تسير، تركوا شيخهم، لولا أن الله يَسر بغيرهم، وإلا محمد المهدي، عقيل المقطري، عبد المجيد الريمي، عبد الله الحميري الشاعر، أحمد المعلم، عبد الله الحاشدي، هذا محمد بن موسى البيضاني زوج ابنة الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، المرفدي.

عدد كبير من مشايخ السنة كانوا انحرفوا إلى الحزبية بسبب الأموال الردية التي كانت تأتيهم من الجمعية، جمعية إحياء التراث الإسلامي، فرقت الدعوة في اليمن، وفرقت الدعوة في مصر، وفي السودان، وفي اندونيسيا، وفي تنزانيا، في كثير من البلدان.

وأول ما جئنا إلى هنا أرسل بعض الجمعيين وكنت مسافرا بعض الأخوة قال: في واحد جاء يقول: يحب يتعاون معكم، قلنا: من أين هو؟ قال: كأنه كذا، قلنا: اتركوه، تركناه، وما تطلعنا له، ثم بعد فترة يراسلني من الكويت ويقول: يا شيخ دعوتنا واحدة، ونحب نتعاون، قلت: عفوا يا أخي ما نحب التعاون من الجمعيات بصراحة.

وكان قد عرضت على بعض من كان يسعى في بناء المساجد أننا نحب أن نوسع هذا المسجد، قال: أكلم لك جمعية كذا؟ قلنا: لا، الجمعيات ما نريد منها، فعلا والله لو يصبوه لنا بالزنبيل دراهم كويتية وريالات سعودية وريالات عمانية من جمعية ما

نريدها، يغنينا الله من فضله، حتى لا يظن الناس أننا نرى الفلوس، الفلوس هذه لا عبرة بها، والله ما نلتفت إليها التفاته بفضل الله.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لقد جئت من بلاد شنقيط بكنز قلَّ أن يوجد في هذه البلاد، يقصد البلاد السعودية في عصره، قال: وهو القناعة.

فنحن عندنا قناعة، والله الذي لا إله غيره لو نأكل التراب أهون علينا من أن نأخذ من الجمعيات ونميل إلى الجمعيات وإلى أربابها، نعوذ بالله، ما يعطوك والله، مع أنهم يأخذونها من أموال الزكاة، ويجب أن توصل إلى أصحابها ومستحقيها، لكن ما يعطوك إلا مقابل تنازل، تتنازل عن دينك، أو عن شيء من دينك.

كان في دماج أخ لنا اسمه عبد العزيز الأفلحي الحجوري، على استفادة عظيمة، وجاؤوا إليه قالوا: الشيخ مقبل يعطيك ثلاثة آلاف ونحن نعطيك ثلاثة آلاف، نعينك على طلب العلم، قال: طيب، بعد فترة بدل ما كانت الثلاثة الألف تكفيه صار يحتاج في الشهر إلى ستة آلاف، يعني طالبوه يا إما أن يتميز عن الشيخ مقبل يا إما سيقطعونها، فما كان منه إلا أن شرد من دماج في ليلة من الليالي، ثم صار معهم، وصار بعد ذلك فيه من مذهب التكفير، وصار سيء الأخلاق في كثير من الأشياء؛ لأنها أموال مقابل دين، كيف تبيع دينك بعرض من الدنيا؟

وهكذا أصحاب الحزبيات يعطوك إذا أنت معهم، إذا أنت حزبي يعطوك، إذا ما أنت حزبي ما يعطوك، ولكن أهل السنة في غنى بالله، السنة التي نحن عليها والله أحب إلينا من الدنيا وما فيها، ونسأل الله أن يرزقنا القناعة والعفة، وأن يكفينا شر هذه الدنيا.

مرة من المرات ذهبت إلى ترينداد دعوة إلى الله، طلبوا مني أجلس عندهم شهر ويعطوني خمسة آلاف دولار، قلت لهم: أنا ما أتيت من أجل الخمسة الآلاف الدولار، أنا أتيت من أجل دعوة، قضيتها وأرجع إلى بلدي، الحمد لله.

بل كان بعضهم يريد أن يذهب بنا إلى التجار فصحت عليه، قلت: أيش معي عند التجار؟ الذي يريد العلم يأتي عندنا، أما نذهب إلى تاجر من أجل يظن أني ما جئته إلا من أجل دولاراته، معاذ الله.

وكثير من الناس لما يرانا نخرج الجزائر، إلى مصر، إلى تنزانيا، إلى أندونيسيا، إلى ماليزيا، إلى كذا للدعوة، يقول: هؤلاء يخرجون من أجل الدعم، والله أحيانا بعض الرحلات ما زالت ديونا إلى الآن، بفضل الله، ولا أبالي بها، من كان يظن أن خروج أهل السنة من أجل الدنيا واهم، والله ما نخرج إلا من أجل تبليغ العلم، والدعوة إليه والعمل به، ما لنا رغبة في دنياهم، ولا نتطلع إلى ما هم عليه.

ونحن نعلم أن الله هو الرزاق، ما قد ردنا في شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، نأكل ونشرب، ونركب ونسكن، بل نحن في خير عظيم أكثر من غيرنا، تفرغنا لطاعة الله ونسأل الله القبول، تفرغنا للعلم ونسأل الله القبول، ويعين الله عَزَّوَجَلَّ.

ومع ذلك العفة مطلوبة، لا بد أن تستعف يا طالب العلم، الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ ألف (ذم المسألة) مع حاجته وحاجة طلابه، ألف كتاب (ذم المسألة)، ذكر فيه أحاديث كثيرة في ذم سؤال الناس والتطلع لما في أيديهم، الذي يعطيك فلوس وهو من أصحاب الأفكار المنحرفة يوشك أن يقول لك: أريد فتوى في كذا، وتعمل له فتوى، وإذا بك تنجر إلى ما هو عليه.

فتعفف يعفك الله، واستغن يغنك الله عَزَّوَجَلَّ، «**واعلم أنها لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها**»، وسيأتي معنا أو لعله أتى: «**لعلك ترزق به**»، فطلب العلم من أسباب الرزق، «**لعلك ترزق به**».

والله قد قلتها لبعضهم: أن قبل طلبي للعلم كنت أهم شراء الكيلو البطاط، وشراء الكيلو الطماط، أنها أثقل علي من شراء اللحم والعسل؛ لقلة ما في اليد، ولما دخلنا في العلم ما ضيق الله علينا، رأينا الخير العظيم، وله الحمد والمنة، ونسأل الله أن يرزقنا

الإخلاص، نسأل الله أن يرزقنا القبول، نسأل الله أن يرزقنا الثبات حتى الممات، هذه هي الغاية التي نسعى لها، أن الله يرزقنا الثبات حتى الممات، ويتقبل منا؛ لأن النبي ﷺ يقول: «رُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ وَالنَّصَبُ، وَرُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ»، نعوذ بالله من هذا الصنف.

٥٣٩ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أحدًا، فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ». متفقٌ عَلَيْهِ[١].

٥٤٠ - وعنه، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَأْكُلُ إِلاَّ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ». رواه البخاري[٢].

الشرح:

وهو نبي كان يعمل.

٥٤١ - وعنه: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «كَانَ زَكَرِيّا عَلَيْهِ السَّلَامُ نَجَّارًا». رواه مسلم[٣].

الشرح:

(كَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَأْكُلُ إِلاَّ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ. رواه البخاري) احفظه، عن أبي هريرة، (كَانَ زَكَرِيّا عَلَيْهِ السَّلَامُ نَجَّارًا. رواه مسلم) عن أبي هريرة، البخاري مقدم رتبة ولفظا، ومسلم كذلك، فداوود متقدم على زكريا، هذا من بابه؛ حتى لا تنسى الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٧٤)، ومسلم (١٠٤٢).

(٢) حديث رقم: (٢٠٧٣).

(٣) حديث رقم: (٢٣٧٩).

(كَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَأْكُلُ إِلاَّ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، كَانَ زَكَرِيّا عَلَيْهِ السَّلَامُ نَجَّارًا) أي: يأكل من عمل يده.

٥٤٢ - وعن المقدام بنِ مَعْدِ يكرِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِه، وَإِنَّ نَبِيَّ الله دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ». رواه البخاري[1].

الشرح:

المقدام بنِ مَعْدِ يكرِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقال: الزُّبَيْدي، أكثرهم يقرؤه الزَّبِيدي، والصواب الزُّبَيْدي.

اختلفوا في أفضل المكاسب، فقال بعضهم: الزراعة، وقال بعضهم: التجارة، وقال بعضهم: الجهاد، وهذا هو الصحيح، أن أفضل المكاسب الغنائم، حيث ارتضاها الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه محمد صل الله عليه وسلم، فكان يأكل من الغنائم، ويأكل من الفيء، من الذي قيل فيه:

يَا جَاعِلَ الْعِلْمِ لَهُ بَازِيَا ... يَصْطَادُ أَمْوَالَ الْمَسَاكِينْ

احْتَلْتَ لِلدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا ... بِحِيلَةٍ تَذْهَبُ بِالدِّينْ

وَصِرْتَ مَجْنُونًا بِهَا بَعْدَمَا ... كُنْتَ دَوَاءً لِلْمَجَانِينْ

أَيْنَ رِوَايَاتُكَ فِيمَا مَضَى ... عَنِ ابْنِ عَوْنٍ وَابْنِ سِيرِينْ

أَيْنَ رِوَايَاتُكَ فِي سَرْدِهَا ... فِي تَرْكِ أَبْوَابِ السَّلاطِينْ

إِنْ قُلْتَ أَكْرِهْتُ فَمَاذَا ... كَذَا زَلَّ حِمَارُ الْعِلْمِ فِي الطِّينْ

أبيات لعبد الله بن مبارك في إسماعيل بن علية، وفي سندها مقال، إلا أنها في الباب، وأما البيحاني فقال في القضاة:

قضاة زماننا أضحوا لصوصا ... عموما في البرية لا خصوصا

---

(١) حديث رقم: (٢٠٧٢).

أبـــاحوا أكـــل أمـــوال اليتـــامى كـــأن لهـــم بـــذا نصوصـــا
ولـــو عنـــد التحيـــة صـــافحونا لســـلو مـــن أصـــابعنا الفصوصـــا

أي والله، خصوصا قضاة الشيعة والصوفية، والله لا يبالي أحدهم بما قضى، أهم شيء أتعاب القاضي.

كان عندنا في حجة قاضي قد اشتهر بالرشوة، ولكن كما قيل:

فويـــل ثـــم ويـــل ثـــم ويـــل لقاضـــي الأرض مـــن قاضـــي الســـماء

المهم حكم على واحد بالإعدام وهو بريء مسكين في قضية قتل، وأُعطي مبلغا من المال، بدأ يبني بيتا، وبينما هم يعملون الحديد في السطح طلع يتفرج ويشرف على المشرفين، فحين أراد أن ينزل أخذ ثوبه حديدة من هذه المنصوبات، فوقع على الأرض، انكسر رأسه هكذا، ومات قبل أن يدخل ذلك البيت.

فالله عَزَّوَجَلَّ حَكَم عدل، «**هلك المرتابون**»، فمن أخذ شيئا بغير حقه يوشك أن يؤخذ منه في الدنيا قبل الآخرة، ولا يستمتع به، كم من إنسان يغصب أموالا ما يستمتع بها! يسرق أموالا ما يستمتع بها، يأكل أموالا من غير حلها ما يستمتع بها، يبتلى في ولده، يبتلى في أهله، يبتلى في نفسه، وكم من إنسان على حال حسن يأكل مما رزقه الله حلالا طيبا ويحفظه الله ويبارك الله له!

فعلينا أن نوطن أنفسنا على العفة عما في أيدي الناس، والتطلع لما في أيدي الناس، والرضا بما قسمه الله وأعطاه، ففيه البركة العظيمة، والله المستعان، والحمد لله رب العالمين.

٦٠ - باب الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقةً بالله تعالى

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ:٣٩] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٢] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٧٣] .

الشرح:

ما أعظم هذه الصفة! الله عَزَّوَجَلَّ كريم، والله عَزَّوَجَلَّ جواد، وما من صفة يتصف الله عَزَّوَجَلَّ بها إلا كانت صفة كمال، والإنسان يتخلق ويتأدب بما يحبه الله ويرضاه، وكان رسولنا صل الله عليه وسلم أكرم البشرية، حتى قيل فيه: ما سئل شيئا فقال: لا، تصور وسيأتي معنا: فُصِّل له ثوب ليس له إلا هو محتاج إليه، فلما لبسه قال له آخر: أعطني هذا الثوب، ما قال: يا أخي أنا محتاج إليه، مباشرة قال: نعم، ثم دخل وخلع الثوب، وأعطاه إياه، وعاد إلى لبسه القديم.

وهكذا يأتيه الرجل فيعطيه الغنم بين الجبلين ما يستكثر، الآن كثير من الناس يستكثر، حتى ولو كان كريما، ولذلك تجد أن الحاجة ما ترفع عن الفقير، ما السبب؟ ربما يستكثر المتصدق ألف ريال، يراها كثيرة، أو يقول: خلني أعطي هذا خمسمائة وهذا مائة، وهذا مائتين، وهذا كذا، بينما لو قضى حاجة واحد منهم لكان أولى، يغنيه على المسألة، لا سيما إذا كان مستطيعا.

والنبي ﷺ كان أجود بالخير من الريح المرسلة، لا سيما في رمضان، انظر الريح المرسلة بالمطر، تكون الأرض جدباء، حارة يابسة، فإذا ما جاءت تلك الريح مع مطرها وإذا بها تصبح خضراء، يانعة، رطبة، ذات بهجة، فرسول الله ﷺ كان على

أحسن الأحوال، في نفسه ومع غيره، انظر لما قسمت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تلك الشاه ما بقي شيء إلا كتفها، قال: «**بقيت كلها إلا كتفها**».

ولما علم من أسماء أنها تحصي ما تنفق: «**أنقي وأنفحي وأنضحي، ولا تحصي؛ فيحصي الله عليك**»، لا تبدأ تبقى تحسب أعمالك، تحسب نفقاتك، «**انفق ينفق عليك**».

(**قَالَ الله تَعَالَى:** ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾) إما أن يخلفه في الدنيا بمثله، أو بأحسن منه، وإما أن يخلف لك في الآخرة بالجزاء الحسن، «**كل امرئ تحت ظل صدقته**».

(﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾) انظر النفقة هي تخرج منك إلى غيرك، لكن في الحقيقة (فلأنفسكم)، أنت الرابح، سيأتي حديث: «**أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟ فماله ما أنفق**».

(﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾) هذه النفقات الحامل لها الإخلاص، وإلا فإن الإنسان شحيح بماله.

(﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾): ما تنفقوا من خير في أوجه البر يوف إليكم أجركم وجزاؤكم، وأنتم لا تظلمون: لا تبخسون.

وكم هي آيات النفقات! لا سيما ما تضمنته سورة البقرة، من بعد قصة إبراهيم إلى قصة الربا وكلها آيات النفقات، وكنت قد عزمت على إفرادها في مصنف لكن لم أستطع، ولما زارنا الشيخ رشاد الضالعي حفظه الله عمل محاضرة في هذه الآيات أو في بعضها في ثلاث آيات منها، فإذا في أحد منكم نشيط يقوم بها، من يقول: أنا؟ تقول: أنا يا عبد الرحيم؟ لكن سأطالبك بها، أما أبو الخير ما زال عنده حديث ما قد كمله إلى الآن، ما هو ذاك الحديث ذكرنا به؟ نعم، حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة

خروج النبي ﷺ جائعا، وآخره: «لتسألن يومئذ عن النعيم»، أكمله بارك الله فيك، عندك يا وضاح هذا البحث.

الآن أخونا أبو مصعب بدأ يدرسكم في البحث، ضروري نريد بحوث، أين عمر؟ يقوم به، عمر تقوم به ولا بد، ولا بد تقوم به إن شاء الله، ونحن نراجع لك يا أخي، خلاص أنتم معي يا إخوة على إلزامه؟ من الليلة تكتب المقدمة بارك الله فيك.

وهو بحث سهل، هذا من حيث بابه الوعظي سهل، من حيث الباب الفقهي يحتاج إلى شيء من المسائل؛ لأن بعض الأبواب قد يكون جانبا وعظيا: الآيات التي فيها الحث على النفقة، ذكر بعض المعاني، الأحاديث التي فيها الحث على النفقة، فضائل النفقة، ومثل هذه الأمور، لكن الجانب الفقهي: النفقات الواجبة، النفقات المستحبة، النفقات المكروهة، النفقات المحرمة، النفقات المباحة؛ لأن باب النفقة يجري فيه الأحكام الخمسة، فاستعن بالله ولا تعجز.

٥٤٣ - وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «لا حَسَدَ إِلاَّ في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ومعناه: يَنْبَغِي أَنْ لَا يُغْبَطَ أَحَدٌ إِلاَّ عَلَى إِحْدَى هَاتَيْنِ الخَصْلَتَيْنِ.

الشرح:

ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اسمه: عبد الله بن مسعود، وكنيته: أبو عبد الرحمن.

هذا الحديث جاء عن ثلاثة بمعناه: حديث عبد الله بن عمر، وحديث ابن مسعود، وحديث أبي هريرة.

(لا حَسَدَ) يعني: لا غبطة، أو: لا حسد مسموح به.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦).

(إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ): في خصلتين، لكن ليس هو الحسد المذموم الذي فيه تمني زوال النعمة عن الغير.

(رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا) كثيرا أو قليلا، لكن المراد به الكثير؛ حتى يوسع على نفسه وعلى أولاده.

(فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقّ) أنفقه في سبيل الله، في طاعة الله، «حتى ما تجعل في في امرأتك»، وسيأتي معنا أن أعظم النفقة دينار ينفقه الرجل على نفسه في سبيل الله، دينار ينفقه على أبنائه، دينار ينفقه على صاحبه.

(وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا): آتاه الله علما، علم القرآن وعلم السنة، فهو يقضي بها بين الناس، وليس بشرط أن تكون قاضيا، حتى ولو في خطبة الجمعة، تحث الناس على كذا وتحذرهم من كذا، ويعلمها.

فانظروا إلى هذين البابين العظيمين، الذَّين هما من أعظم أبواب الأجر والمثوبة، فإذا رزقك الله مالا فسلطه على الحق، أنفقه في أوجهه، وإذا آتاك الله علما فسلطه على الحق.

٥٤٤ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «أَيُّكُم مَالُ وَارِثِهِ أَحبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قالوا: يَا رسول اللهِ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلاَّ مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ: «فإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالَ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ». رواه البخاري[1].

الشرح:

وهذا أيضا حديث عظيم، موعظة على هيئة السؤال: (أَيُّكُم) يا معاشر المسلمين (مَالُ وَارِثِهِ): مال ولده، أو زوجته، أو أبيه وأمه، أو أخوته، (أَحبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟) الذي يتصرف فيه كيف شاء.

(١) حديث رقم: (٦٤٤٢).

الآن لو كان المال مال أبيك سيقول لك: يا ابني ماذا تريد به؟ ولو كان مال الزوجة ربما بعد يوم يومين شهر شهرين إذا غضبت تقول: أكلت حقي، وأخذت مالي، ولو كان مال الابن قال: يا أخي أبي ما أبقى لي شيئا، حتى ولو أخدت منه القليل، كل ما معي شئ قال: هات، لكن مالك تتصرف فيه كيف تشاء، تنفق من يتدخل فيك؟

فهذا يقول: **(أَيُّكُم مَالُ وَارِثِهِ أَحبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟ قالوا: يَا رسول اللهِ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلاَّ مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ)** تتصدق، تهب، تعطي، تمنع، أنت حر في مالك في الأوجه الشرعية.

(قَالَ: فإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ) بين لهم المال الحقيقي، ما قدم أمامه، أي: ما تصدق به وأنفقه في أوجه الخير.

(وَمَالَ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ) ربما ينفقونه في أوجه الشر، نسأل الله السلامة والعافية، عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يبق لأبنائه شيئا، وهشام بن عبد الملك رَحِمَهُ ٱللَّهُ أبقى لأبنائه المال الكثير، فقيل لعمر عند موته: ماذا أبقيت لأبنائك؟ قال: إن كانوا صالحين فالله يتولى الصالحين، وإن كانوا غير ذلك فلا أعينهم على باطل، هو ما عنده شيء أصلا، ليس معناه أنه ذهب بماله، هو لم يكن عنده شيء، بعد أن تولى الخلافة رد المظالم، وأصبح ليس له إلا ما يقوته من بيت المال.

قالوا: فذهبت الليالي والأيام، وإذا بأبناء عمر بن عبد العزيز يسلفون الدولة، خزينة الدولة، وإذا بأبناء عبد الملك بن مروان يستجدون الناس سلفا، أو نحو ذلك، فمن قدم ماله هنيئا له.

٥٤٥ - وعن عَدِيِّ بن حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

أين نحن من هذا الحديث؟ (اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)، وهناك حديث يحسنه بعض أهل العلم: «دينار غلب مائة ألف دينار»، وفي رواية: «دينار غلب ألف دينار»، وبيانه: أن رجلا ليس له إلا دينار، فتصدق بماله كله، وآخر له ملايين، أخرج مائة ألف دينار، أو أخرج ألف دينار على ما جاء في بعض الروايات، كم سيكون هذا الألف؟ ربما خُمْس العشر، أو عُشْر العشر، أو أقل بكثير من ذلك، لا سيما أصحاب الملايين، فذلك وإن كانت صدقته قليلة لكنها عند الله أنه تصدق بجميع ماله، وذلك وإن كانت صدقته كثيرة إلا أنه عند الله تصدق ببعض ماله، ربما لا يكون عنده شيء.

وهنا يقول النبي ﷺ: (اتَّقُوا النَّارَ): اجعلوا بينكم وبين النار وقاية، (وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)، دخلت امرأة الجنة بتمرة شقتها بين ابنتيها، كما سيأتي.

فما أحسن الكرم وما أجود الجود!

٥٤٦ - وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا سُئِلَ رسول الله ﷺ شَيْئًا قَطُّ، فقالَ: لَا. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

الشرح:

وهذا حقيقة، ما سئل شيئا من شأن الدنيا وهو معه فقال: لا، في غزوة حنين أعطى الأقرع من حابس مائة من الإبل، وعيينة بن حصن مائة من الإبل، وأعطى صفوان بن

(١) انظر الحديث (١٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١).

أمية مائة ثم مائة ثم مائة، وأعطى مرداس خمسين، ثم سأله خمسين أخرى فأتم له المائة.

وكان يأتيه الرجل بالإسلام فيعطيه الغنم بين الجبلين، غنم بين جبلين، ما قال: خمسين ولا مائه ولا ثلاثين ولا أربعين ولا مائتين، غنم بين الجبلين، يعني جبل هنا وجبل هنا يرعى غنما، يقول: خذ ما في هذا المكان.

ونفع الله بهذا العطاء، كم من إنسان كان يدخل الإسلام لا يريد إلا الدنيا فما يمسي إلا والإسلام أحب إليه من كل شيء.

٥٤٧ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبحُ العِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

وهذا أيضًا فيه بشارة للمنفقين.

(مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبحُ العِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلانِ) قد وكلهم الله بهذا الأمر، ودعاء الملائكة إن شاء الله أنه مستجاب، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

(فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا) وإن كان إنفاقه قليلا، يا أخي ولو مرقة، **«إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك»**، ما بالك إذا كان غير ذلك؟

(وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا) ممسكا لماله، ممسكا لفضله وعطائه، تلفا لهذا المال الذي بين يديه، وسيأتي معنا: **«أنفق يُنفق عليك»**، فهذا وعد الله، وهذا دعاء الملائكة، وخبر رسول الله ﷺ.

---

(١) انظر الحديث (٤٩٥).

٥٤٨ - وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «قَالَ الله تَعَالَى: أنفِق يَا ابْنَ آدَمَ يُنْفَقْ عَلَيْكَ». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

الشرح:

وفي رواية: «أَنْفِقْ عَلَيْك»، أي: أن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي ينفق.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٧/ ٧٩): هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ فَيَتَضَمَّنُ الْحَثَّ عَلَى الْإِنْفَاقِ مَعْنَى فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ وَالتَّبْشِيرِ بِالْخَلَفِ مِنْ فَضْلِ اللهُ تَعَالَى. اهـ

٥٤٩ - وعن عبد اللهِ بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رسول الله ﷺ: أيُّ الإسلامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ». متفقٌ عَلَيْهِ(٢).

الشرح:

فيه البذل، بذل الطعام، وبذل السلام، والإحسان إلى الجميع؛ لأن بعضهم يحسن إلى من يعرفه من أجل أن يجازيه بالحمد والثناء، لكن أحسن إلى من عرفت ومن لم تعرف.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢/ ٣٦): وَفِيهَا لَطِيفَةٌ أُخْرَى وَهِيَ: أَنَّهَا تَتَضَمَّنُ رَفْعَ التَّقَاطُعِ وَالتَّهَاجُرِ وَالشَّحْنَاءِ وَفَسَادِ ذَاتِ الْبَيْنِ الَّتِي هِيَ الْحَالِقَةُ، وَأَنَّ سَلَامَهُ لِلَّهِ لَا يَتْبَعُ فِيهِ هَوَاهُ وَلَا يَخُصُّ أَصْحَابَهُ وَأَحْبَابَهُ بِهِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ. اهـ

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩).

٥٥٠ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَرْبَعُونَ خَصْلَةً، أَعْلاهَا مَنِيحةُ العَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بخَصْلَةٍ مِنْهَا؛ رَجَاءَ ثَوَابِهَا وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إِلاَّ أَدْخَلَهُ الله تَعَالَى بِهَا الجَنَّةَ». رواه البخاري[1]. وقد سبق بيان هَذَا الحديث في باب بَيَانِ كَثْرَةِ طُرُقِ الخَيْرِ.

الشرح:

(أَرْبَعُونَ خَصْلَةً، أَعْلاهَا مَنِيحةُ العَنْزِ): أعلاها حلبة عنز، وما عسى حلبة العنز؟ لو كثر لبنها ربما تعطي لتر، وهذه أربعون خصلة هذه أعلاها، يعني تسعة وثلاثون خصلة دون هذه الخصلة، ومع ذلك: (مَا مِنْ عَامِلٍ) من المسلمين (يَعْمَلُ بخَصْلَةٍ مِنْهَا) من هذه الأربعين، لكن بشرط: (رَجَاءَ ثَوَابِهَا) من الله، (وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا) الذي وعده بها رسول الله ﷺ (إِلاَّ أَدْخَلَهُ الله تَعَالَى بِهَا الجَنَّةَ) وجازاه بها الجزاء العظيم.

٥٥١ - وعن أَبي أُمَامَة صُدَيِّ بن عَجْلانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ أن تَبْذُلَ الفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَن تُمْسِكَه شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَاليَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى». رواه مسلم[2].

الشرح:

(الفَضْلَ): الزائد.

(يَا ابْنَ آدَمَ) هذا نداء لجميع بني آدم، والمقصود به أهل الإسلام؛ لأنه هو الذي يؤجر على عمله.

---

(١) حديث رقم: (انظر الحديث (١٣٨).

(٢) حديث رقم: (٥٠٩).

(إِنَّكَ أَن تَبْذُلَ الفَضْلَ): الزائد من مالك؛ لأنه لا يجوز لك أن تبذل نفقتك، لا يجوز، ما يكون عندك كرم تنفق طعام أولادك، هذا ما هو كرم، هذا إسراف، هذا مضيعة، الكريم هو الذي يبدأ بنفسه، يبدأ بزوجه، بأبنائه، بأهل بيته، ثم بعد ذلك هكذا وهكذا.

(وَأَن تُمْسِكَه) الزائد (شَرٌّ لَكَ)، وهذا معنى قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، يعني: ما يكلفك أكثر من ذلك.

(وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ): ما أحد يلومك إذا كنت قليل ذات اليد، ولم تنفق لقلة مالك.

(وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ) في حال الانفاق، ابدأ بمن تعول، هذه النفقة الواجبة، النفقة الواجبة على النفس، ثم على الزوجة والأبناء، ثم على الأب والأم، ثم على الأخوة، ثم هكذا وهكذا.

(وَاليَدُ الْعُلْيَا) المنفقة (خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى) السائلة، أو حتى إن لم تكن سائلة الآخذة.

٥٥٢ - وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا سُئِلَ رسول الله ﷺ عَلَى الإِسْلَامِ شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ، وَلَقَدْ جَاءهُ رَجُلٌ، فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ، أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعطِي عَطَاءَ مَن لَا يَخْشَى الفَقْرَ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلاَّ الدُّنْيَا، فَمَا يَلْبَثُ إِلاَّ يَسِيرًا حَتَّى يَكُونَ الإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا. رواه مسلم[(١)].

الشرح:

(١) حديث رقم: (٢٣١٢).

(مَا سُئِلَ رسول الله ﷺ عَلَى الإِسْلَامِ شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ) وينبغي أن يكون أهل السنة هكذا، لكن الواقع أن أهل السنة عندهم قلة، لاسيما طلاب العلم عندهم قلة، وإلا والله النفقة من أسباب التألف على السنة، ربما هذا يأتي محتاجا فتعطيه فيلزمك، وذاك يحتاج إلى بيت تستأجر له، فيلزمك، وهذا يحتاج إلى زواجة تزوجه، فيلزمك، ويطلب علما، ويستفيد ويفيد، لكن الإنسان بقدر ما استطاعته، وإلا فإنه يشق على الإنسان أن يأتيه السائل ولا يجد عنده قضاء حاجته، ثقيلة على النفس.

(وَلَقَدْ جَاءهُ رَجُلٌ) يسأله، (فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ) يعني كثير.

(فَرجَعَ إِلَى قَوْمِهِ) متعجبا من هذا الصنيع.

(فَقَالَ: يَا قَوْمِ، أَسْلِمُوا): ادخلوا في الإسلام حتى تحصلوا على ما حصلت عليه.

(فإِنَّ مُحَمَّدًا يُعطِي عَطَاءَ مَن لَا يَخْشَى الفَقْرَ) وهذا يدل على أنه ليس بتاجر، التاجر مهما بلغ التجارة يمسك، الملك مهما بلغ ملكه تجده ربما بخيلا، أما هذا الرجل يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، «أنفق بلال، ولا تخش من ذي العرش إقلال».

(وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلاَّ الدُّنْيَا) يعني ما: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ما يريد إسلاما، طامع في الدنيا، فيتألف بهذه الدنيا.

(فَمَا يَلْبَثُ إِلاَّ يَسِيرًا حَتَّى يَكُونَ الإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا) وهكذا والله لو أن من يستطيع أن يتألف الناس على الإسلام على السنة على العلم بماله أنه أجر عظيم.

٥٥٣ - وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قسم رسول الله ﷺ قَسْمًا، فَقُلْتُ: يَا رسولَ الله، لَغَيْرُ هؤلَاءِ كَانُوا أَحَقَّ بِهِ مِنْهُمْ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُمْ خَيرُونِي أَنْ يَسألُوني بالفُحْشِ، أَوْ يُبَخِّلُونِي، وَلَسْتُ بِبَاخِلٍ». رواه مسلم[1].

الشرح:

(قال: قسم رسول الله ﷺ قَسْمًا) إما من الفيء، وإما من الصدقات، أو غير ذلك.

(فَقُلْتُ: يَا رسولَ الله، لَغَيْرُ هؤلَاءِ) يعني هؤلاء أغنياء، ربما بعضهم يأتي عند النبي ﷺ ومعه من الإبل، أو معه مائتان أو ثلاث أو أربع، غني، لكن تعلمون صاحب البحر يريد بحرين، وصاحب الوادي يريد واديين، فيتألفهم النبي ﷺ.

(إِنَّهُمْ خَيرُونِي أَنْ يَسألُوني بالفُحْشِ) يعني ربما بعضهم يقول: يا رسول الله أعطنا من مال الله لا من مال أبيك ولا من مال أمك، يشدون عليه في الكلام، فالإنسان يذود عن عرضه بالمال، إذا استطعت أن تذود عن عرضك بالمال ذد، بل جاء حديث عن النبي ﷺ: «ذودوا عن أعراضكم بالمال»، يحسنه الشيخ الألباني.

(أَوْ يُبَخِّلُونِي) يقولون، بخيل، النبي ﷺ ليس ببخيل، كان كريما جوادا.

(وَلَسْتُ بِبَاخِلٍ) يعني مهما كان، والمال مال الله، ننفقه ويخلف الله.

بل إن بعضهم كان يغضب على النبي ﷺ، يعطيه الشيء اليسير فيذهب مغضبا على النبي ﷺ: لماذا لم يزده؟ وبعضهم يعطيه الشيء اليسير، فيخرج من عند النبي ﷺ وقد رضي، «إني لأعطي رجالا وغيرهم أحب إلي منهم، منهم عمرو بن تغلب».

---

(١) حديث رقم: (١٠٥٦).

٥٥٤ - وعن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْن، فَعَلِقَهُ الأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ، حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَة، فَخَطِفَت رِدَاءهُ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ فقال: «أَعْطُونِي رِدَائِي، فَلَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هذِهِ العِضَاهِ نَعَمًا، لَقَسَمْتُهُ بَينكُمْ، ثُمَّ لا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذّابًا وَلَا جَبَانًا». رواه البخاري[1].

(مَقْفَلَهُ) أيْ: حَال رُجُوعِه. وَ(السَّمُرَةُ): شَجَرَةٌ. وَ(العِضَاهُ): شَجَرٌ لَهُ شَوْكٌ.

الشرح:

(فَعَلِقَهُ الأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ) يعني وكانت الغنيمة كثيرة، فعلقه: تعلق به الأعراب يسألونه، أهل البوادي.

(حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَة) يعني: ضيقوا عليه، ما استطاع يمشي.

(أَعْطُونِي رِدَائِي) أي: ردوا علي ردائي.

يقول: (فَلَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هذِهِ العِضَاهِ نَعَمًا) الكثيرة؛ (لَقَسَمْتُهُ بَينكُمْ) وما أدخر شيئا لنفسي ولا لأهل بيتي، (ثُمَّ لا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذّابًا وَلَا جَبَانًا)، كان كريما جوادا، وإذا وعد لا يخلف، وكان شجاعا.

وخذوها فائدة: الشجاعة تكون مع الكرم، والكرم يكون مع الشجاعة، حتى ذكر بعض أهل العلم أظنه الإمام أحمد: أنه يمنع أن يكون الجبان كريما، أو يكون البخيل شجاعا، هذا لا يمكن، الكريم شجاع، والشجاع كريم، النبي ﷺ يقول: (لا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا جَبَانًا) وأيضا الكريم ليس بكذاب، أما البخيل ربما يكذب، يا فلان أريد منك سلفا قال: ما عندي، أريد منك صدقة قال: الحقوق كثيرة، ما عندي فلوس، وهكذا.

---

(١) حديث رقم: (٢٨٢١).

فهذه ثلاثة أمور قالها النبي ﷺ في حال سؤال الناس له، دليل على أن البخيل ربما يكذب وهو جبان، وعلى أن الكريم لا يكون بخيلا ولا كذابا ولا جبانا، تجتمع فيه صفات عظيمة، صفات كريمة في قوله، في فعله، في اعتقاده؛ لأن الجبن خلق قلبي، والكذب خلق قولي، والبخل خلق فعلي، فالكريم يتنزه عن هذه الثلاثة الأخلاق الردية السيئة.

٥٥٥ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لله إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ». رواه مسلم[1].

الشرح:

(مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ) مهما بذلت يخلف الله عَزَّوَجَلَّ وييسر الخير.

(وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لله إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ) تواضع تكن كالنجم لأح لناظر.

(وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا): رفعة.

٥٥٦ - وعن أَبي كبشة عمرو بن سعد الأنماري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ اللهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقرٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ»، قَالَ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهذا بأفضَلِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلتُ بِعَمَلِ فُلانٍ، فَهُوَ بنيَّتِهِ، فأجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ الله مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخبطُ في مَالِهِ بغَيرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ

(١) حديث رقم: (٢٥٨٨).

رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[1].

الشرح:

وهو حديث عظيم، يقول: (ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ) أي أنه واقع كما أقول لكم.

(وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ)؛ لتستفيدوه، وفيه أهمية حفظ العلم، فالعلم إذا حُفظ استفاد منه صاحبه في الوقت الذي يُؤمل، وأما إذا لم يُحفظ ضاع منه.

كل علم ليس في القرطاس ضاع ... كل سر جاوز الاثنين شاع

وكانوا يقولون: علم لا يدخل معك الحمام ليس بعلم.

ويقول بعضهم: العلم ما حواه الصدر.

فالشاهد: أن العلم الحقيقي هو العلم المحفوظ، يلقاه المرء متى أراد، فيستطيع أن يكتب، ويستطيع أن يتكلم، ويستطيع أن ينصح، ويستطيع أن يفتي، أما إذا لم يكن عنده إنما في كتب ربما سئل السؤال يرجع إلى الكتاب، الكتاب ما هو موجود، ما كل مكان تجد فيه الكتاب، ولا كل مكان تستطيع أن تحمل فيه الكتاب، بعض الكتب عشرين مجلد ثلاثين مجلد، كم ستحمل؟

(مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ) فإن البذل سبب للازدياد، «أنفق يُنفق عليك».

(وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ اللهُ عِزًّا) ورِفعةً ومكنةً، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى:٤٠] ، ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى:٤٣] ، أي مظلمة تُظلمها وتصبر زادك الله بها عزا، وإذا أردت الانتقام ما حصل لك إلا ما في نفسك، هذا إذا انتصرت، وربما تهزم.

---

(١) حديث رقم: (٢٣٢٥)، وهو صحيح لغيره.

فالنصيحة لنا جميعا بالبعد عن المظالم، والنصيحة لنا جميعا بحل ما نقع فيه من المظالم، سواء كنت ظالما أو مظلوما، لا تبق على هذا الحال، حاول في رفع الظلم عن نفسك ودفعه، ولو أدى إلى بعض التنازلات مما لا ضرر على دينك فيه.

(وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقرٍ) كلما سأل الناس زاد فقره، وزادت حاجته، وذهبت البركة، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، والذي يشرب ولا يروى، وحاله مع الدنيا كحال الشارب العطشان من ماء البحر، كلما شرب ازداد عطشه.

(أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا) هذه الرواية بالمعنى.

فهذه ثلاثة أشياء أقسم عليهن النبي ﷺ.

(إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ) لم يقل: الآخرة، قال: الدنيا، وأما الآخرة فإنما هي لنفرين منهم، والمراد بالأربعة النفر: أربعة أنواع، ليس أربع أشخاص، أربعة أنواع.

(عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلمًا) عنده مال يعف وجهه عن الناس، يستطيع أن يستخدمه في طاعة الله، وعنده علم يتأدب بآدابه، ويتخلق بأخلاقه.

(فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ) في العلم والمال.

(وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ) المال؛ لأنه يعلم أن صلة الرحم من أسباب عمران الديار.

(وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا) من زكوات، ومن صدقات، ومن نذور، وغير ذلك.

(فَهذا بأفضَلِ المَنَازِلِ): أعلى درجة، علم وعمل، دنيا ودين على ما يقول العامة: عنده دنيا ودين، فرجل عنده دنيا ودين بأفضل المنازل، الدين يطيع الله به، والمال لا يحوجه إلى الغير، وكذلك يستخدمه في طاعة الله.

(وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا) وهذه قسمة طيبة أيضا؛ لأن ما كل الناس يؤتون المال والعلم، ولكن منهم عالم ومعه مال، عالم وليس معه مال، صاحب مال وليس بعالم، فقير وليس بعالم، هذه الأربعة الأقسام التي يتكلم عنها الحديث.

(فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ) يتمنى الخير ويرجوه، يحب أن يكون باذلا في أوجه الخير.

(يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلتُ بِعَمَلِ فُلانٍ، فَهُوَ بنيَّتِهِ) ولا يقول قائل: معناه فهما في الأجر سواء، أن المنفق كهذا الذي ما عنده شيء، الأجر في أصل النية، سواء في أصل النية، أما من حيث الذي يبني مسجدا ما هو مثل الذي يتمنى أنه يبني مسجدا، لكن هذا له أجر لما نواه، «نية المؤمن خير من عمله»، وهذا له أجر البناء، وأجر من يصلي فيه، ويتعلم فيه، وغير ذلك.

(وَعَبْدٍ رَزَقَهُ الله مَالًا وَلَمَ يَرْزُقْهُ عِلْمًا) يعني تخبط فيه خبط عشواء، ربما اغتصب به أموال الناس، ربما أنفقه في الحرام.

(فَهُوَ يَخبطُ فِي مَالِهِ بغَيرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ) يعني: لا يراقب الله.

(وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ): يقطعهم.

(وَلَا يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا) لا يؤدي زكاة ولا صدقة.

بقي في القسمة: عبد آتاه الله علما لكنه لم يعمل به ولم ينقد له، وآتاه الله أيضا مالا فهو ينفقه في سبيل الفساد، فهذا يحاسب على عدم عمله بالعلم، ويحاسب على عدم الإحسان في صرف ماله في أوجه الخير.

٥٥٧ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «مَا بَقِيَ مِنْهَا؟» قالت: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلاَّ كَتِفُها، قَالَ: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرُ كَتِفِهَا». رواه الترمذي، وقال: حديث صحيح[1].

ومعناه: تَصَدَّقُوا بِهَا إِلاَّ كَتِفَها. فَقَالَ: بَقِيَتْ لَنَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ كَتِفَهَا.

الشرح:

والشاهد من هذا: أن ما ينفقه الإنسان في وجه الخير هو الباقي، فالنبي ﷺ أراد أن يضرب مثلا للمنفق والممسك، فقال لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعد أن وزعت الشاة بأمر رسول الله ﷺ ولم يبق منها إلا الكتف قال لها: (مَا بَقِيَ مِنْهَا؟) فهي نظرت إلى الشيء المحسوس، (قالت: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلاَّ كَتِفُها) بينما النبي ﷺ نظر إلى شأن الآخرة، (قَالَ: بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرُ كَتِفِهَا) وهذا دليل على أن للإنسان ما قدم.

٥٥٨ - وعن أسماء بنت أَبي بكرٍ الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالت: قَالَ لي رسول الله ﷺ: «لَا تُوكِي فَيُوكى عَلَيْكِ».

وفي رواية: «أنفقي أَوِ انْفَحِي، أَوْ انْضَحِي، وَلَا تُحصي فَيُحْصِي اللهُ عَلَيْكِ، وَلَا تُوعي فَيُوعي اللهُ عَلَيْكِ». متفقٌ عَلَيْهِ[2].

وَ(انْفَحِي) بالحاء المهملة، وَهُوَ بمعنى (أنفقي) وكذلك (انْضحي).

الشرح:

معنى الحديث: أنك إذا أنفقت في وجه الخير لا تبق متحسرًا على ما أنفقت، وهكذا إياك أن تمسك المال وتشد بعدم الإنفاق، فالجزاء من جنس العمل، إذا قترت

(١) حديث رقم: (٢٤٧٠)، الحديث في (الصحيح المسند)، وهو في (الصحيحة) للشيخ الألباني أيضا.

(٢) أخرجه: البخاري (١٤٣٣)، ومسلم (١٠٢٩).

على غيرك قتر الله عليك، إذا أوكيت على غيرك أوكى الله عليك، فالجزاء من جنس العمل، بينما إذا أنفقت في وجه الخير أنفق الله عليك، وإذا أنفحت وأنضحت كذلك.

(وَلَا تُحصي) يعني: تبقى في عد ما معك من النقود، وإذا أنفقت ألفا نقص ألف وتتألم من ذلك، فيحصى عليك.

٥٥٩ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّه سمع رسول الله ﷺ يَقولُ: «مَثَل البَخِيل وَالمُنْفِق، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِنْ حَديدٍ مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا المُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ إِلاَّ سَبَغَتْ - أَوْ وَفَرَتْ - عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ، وَتَعْفُو أَثَرَهُ، وأَمَّا البَخِيلُ فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلاَّ لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوسِّعُهَا فَلَا تَتَّسِعُ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وَ(الجُنَّةُ): الدِّرْعُ؛ وَمَعناهُ أَنَّ المُنْفِقَ كُلَّمَا أَنْفَقَ سَبَغَتْ، وَطَالَتْ حَتَّى تَجُرَّ وَرَاءهُ، وَتُخْفِيَ رِجْلَيْهِ وَأَثَرَ مَشْيِهِ وَخطُوَاتِهِ.

الشرح:

فهو كذلك، يشتري نفسه من الله، ويسلم نفسه من النار، وهذا مثل ضربه النبي ﷺ، والأمثال إنما يعقلها العالمون، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣].

(مَثَل البَخِيل) في ماله (وَالمُنْفِق) لماله في أوجه الخير (كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ) أي: جنس رجلين، ليس معناه أنهما فقط بخيل واحد ومنفق واحد، بل كل بخيل يدخل تحت هذا المثل، وكل منفق يدخل تحت هذا المثل.

(عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ): درع من حديد، يتقى به ضربات السيوف، ورمي الأسهم، وطعنات الحِرَاب.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٤٣)، ومسلم (١٠٢١).

(مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا) يعني على هذا المكان الحساس؛ حتى لا يدخل فيه سهم يقتله.

(فَأَمَّا المُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ إِلاَّ سَبَغَتْ أَوْ وَفَرَتْ عَلَى جِلْدِهِ) تتسع.

(وأَمَّا البَخِيلُ فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلاَّ لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوسِّعُهَا فَلَا تَتَّسِعُ) يكون في حالة وضيقة لا يعلمها إلا الله، وهو السبب، أنه بخل بحق الله فعاقبه الله بمثل هذا.

٥٦٠ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

(الفَلُوُّ) بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو، ويقال أيضًا: بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو: وَهُوَ المُهْرُ.

الشرح:

يعني: الخيل الصغير يربيه الإنسان وينتبه له من أجل أن يكبر قليلا فقليلا، يرعاه، فهكذا ولله المثل الأعلى ربنا عَزَّوَجَلَّ، (مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ) يعني مثل ثمرة، ما بالك بالذي يوفقه الله لتزويج العزاب، أو كذلك لإيواء النازحين، أو لإعانة الفقراء على بناء البيوت، وشراء المراكب، ونحو ذلك فإذا كانت مثل التمرة لك فيها هذا الأجر العظيم فكيف بغيرها؟

(وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ) معناه أن الصدقة من الخبيث لا ينتفع بها صاحبها، وقد نهى النبي ﷺ عن مهر البغي.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤).

((وفيه: فضل المال الطيب، وأن الله عَزَّوَجَلَّ لا يقبل إلا الطيبات من الأقوال والأفعال والأعمال، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، والله عَزَّوَجَلَّ إنما يتقبل من المتقين، فلا تقبل صدقة من صاحب مكس، ولا من صاحب ريبة، ولا من صاحب ربا، ولا من صاحب ما يسمى بالفوائد الربوية، وغير ذلك، وكما قال بعضهم:

بنـــى مســـجدا لله مـــن غيـــر حلـــهِ فـــتم بحمـــد الله غيـــر موفـــقِ
ككافلـــة الأيتـــام مـــن كـــد فرجهـــا لـــك الويـــل لا تـــزني ولا تتـ ـصدقي

وقد قال رسول الله ﷺ: «**كسب الحجام خبيث، وثمن الكلب خبيث، وحلوان الكاهن خبيث، ومهر البغي خبيث**»، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ﴾ [البقرة: ٢٦٧])). اهـ من "شرحي على صحيح مسلم".

(**فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ**) فيه إثبات صفة اليمين لله، «**وكلتا يدي ربي يمين**».

(**ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا**) يعني حتى تكبر.

(**كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ**) يكون أجرها عظيما.

والْفَلُوُّ: الْمُهْرُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ فُلِّيَ عَنْ أُمِّهِ، أَيْ: فُصِلَ وَعُزِلَ، وَالْفَصِيلُ: وَلَدُ النَّاقَةِ إِذَا فُصِلَ مِنْ إِرْضَاعِ أُمِّهِ، فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٌ.

٥٦١ - وعنه، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِفَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَت ذَلِكَ الماءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ المَاءَ، فإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الماءَ بِمِسَحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، ما اسمُكَ؟ قال: فُلانٌ للاسم الذي سَمِعَ فِي السَّحابةِ، فقال له: يا عبدَ الله، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي

سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ، يقولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لاسمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ فَقَالَ: أمَا إذ قلتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ». رواه مسلم(١).

(الحَرَّةُ) الأَرْضُ المُلَبَّسَةُ حِجَارَةً سَوْدَاءَ.

وَ(الشَّرْجَةُ) بفتح الشين المعجمة وإسكان الراءِ وبالجيم: هي مَسِيلُ الماءِ.

الشرح:

وهذا قصص عظيم، قصه النبي ﷺ من قصص الأمم السابقة، إما من بني إسرائيل أو من غيرهم.

(بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِفَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ) يعني يمشي مسافر.

(فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ) آية وعلامة من الله عَزَّوَجَلَّ أراد أن تصل هذا المتصدق فيزداد إخلاصا لله وإنفاقا في وجه الخير.

(اسقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ) فيه أن السحاب مسير، يسيره الله حيث شاء، وفيه رد على الاشتراكيين الذين يؤممون الأراضي والبيوت، فيقول: (اسقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ)، فهو صاحب ماله، وصاحب أرضه.

(فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ) يعني كأنه سبحان الله والله يفعل ما يشاء كأنه عبارة عن ماصورة توضع في مكان، لا يذهب هاهنا ولا يذهب هاهنا، إنما يسقي الله عَزَّوَجَلَّ ذلك المزارع.

(فَإِذَا شَرْجَةٌ) يعني ساقية، يسميها الناس ساقية، وهي ما تُحفر في عرض الجبل، أو يوضع لها مثل التراب من أجل إذا نزل الماء ينزل إلى المكان الذي يريدونه.

(فَتَتَبَّعَ المَاءَ): يمشي وراء الماء.

---

(١) حديث رقم: (٢٩٨٤).

(فإذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ المـاءَ بِمسَـحَاتِهِ) يعني يسقي هذا الجانب، ثم يسقي هذا الجانب، وهذه آية والله، لتعلم أن الرزق بيد الله، وأن الأمر إلى الله، إن شاء أن يعطي أعطى، وإن شاء أن يمنع منع، وإن شاء أن يبارك بارك، وإن شاء أن يسلب البركة سلب.

(فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ) فيه أن الذي لا تعرفه تقول له: يا عبد الله، أما ما سار عليه الناس في دول الخليج: يا محمد لمن لا يعرفوه هذا لا يصلح؛ لأنه ما اسمه محمد، وأنت: يا محمد يا محمد، وهكذا كل شخص لا يعرفون اسمه ينادونه بـ: يا محمد، هذا ما هو صحيح، لكن: يا عبد الله، وهو عبد الله، إما عبودية الطاعة، وإما عبودية القهر؛ لأن بعضهم كافر، من الفلبين، من الهند، من الصين، من كثير من البلدان، فبدل أن تقول: يا محمد وربما يكون كافرا، أو حتى: يا محمد وما اسمه محمد، لكن: يا عبد الله ينطبق عليه الوصف، عبودية تذلل وخضوع، أو عبودية قهر.

فإذًا ننتبه لهذا، الذي لا نعرفه لا تقل له: يا محمد، عندنا في اليمن الأعلى يقولون: يا عِزِّي، يا جَمَالي، هكذا الذي لا تعرفه قل: يا عبد الله، والذي تعرفه ناده باسمه.

(فقال له: يا عبدَ الله، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟) انظر هذا أيضا ما يعرف اسم صاحبه، قال له: يا عبد الله، وذاك قال: يا عبد الله، فكلهم ينادي الآخر بـ: يا عبد الله.

(فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ، يقولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لاسمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟) فيه أن كثيرا من الأمور تحصل بأسباب، فهذا الرجل يقول: ما السبب الذي أهَّلك لهذا الخير العظيم؟ بحيث أن سحابة من السحاب تُساق إلى مزرعتك دون غيرك، ويأمر الملك الموكل بالسحاب تلك السحابة أن تمضي إليك دون غيرك.

(فَقَالَ: أَمَا إذ قلتَ هَذَا) فيه أن الإنسان كان يكتم عمله، لكن هذا قد ظهر له بعض الدلائل التي تدل على أن الرجل عنده من كرامات الأولياء، وهذا الحديث دليل على إثبات كرامات الأولياء، خلافا للمعتزلة ومن سلك سبيلهم.

(فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا) أي: من ثمر وزرع.

(فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ) للفقراء والمساكين.

(وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا) ويجعل الله فيه بركة، فيه أنه لا يضيع عياله.

(وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ) وهذا من حكمة المزارعين، بعض المزارعين ربما يزرع ويأتي يجني الثمرة جميعا ويبددها، فيأتي المرة الثانية ما عنده ما يزرع به، وهذا غلط، هذا يدل على عدم حنكة في الزراعة.

نحن أدركنا أباءنا لما كانت هناك زراعة الحبوب والذرة والشام والقمح وما إليه كانوا إذا أخذوا الحب يدفنون بعضه في مدافن، هذا المدفن يحفظ الحب من أكل الدود له، فيستمتعون به، ويستخدمونه في أشهر القيض، الأشهر التي ما يجدون شيئا في الأسواق، ولا يجدون شيئا في البيوت، خلاص الناس أصابهم الضرر، فيبقى هذا لا يأكلون منه إلا لضرورة، وإلا يبقى.

فإذا أتى الموسم الحصاد في العام الثاني بدأوا بهذا فأخرجوه، هذا إذا لم تأت عليه السنة، فيخرجونه ويبدؤون في استخدامه أو في بيعه، ثم يأتون بالجديد ويضعوه مكانه، ويبقون مجموعة من هذه الحبوب في شيء يعلقونه في البيوت؛ حتى لا يأكله أيضا الدود الذي يدخل في الحبة، يحافظون عليه هذا للزراعة، وإلا إذا لم تكن لديك هذه الحبوب من أين ستزرع؟ تحتاج تذهب وتشتري، أو تتسلف، لكن كانوا يبقون شيئا للزراعة، يأتي ويحرث، ثم يزرعه في الأرض، ويأكلون شيئا، ويبيعون منه.

فالمهم أن المزارع الذكي يكون عنده خبرة في كيفية التعامل مع زراعته، حتى في الأشجار المثمرة، بعضهم إذا معه شجرة وأتت فيها الفاكهة سواء المانجو أو العنْبرُود الذي يسمى: العنب العادي، أو كذلك التمر، أو كذلك التفاح والبرتقال والعنب، بعضه يحطمها حطما، المرة الثانية ما تأتيه بشيء.

لكن المزارع الذكي يأخذ الحبة، ينتفها بدون أن يؤذي الشجرة، وربما أخذ المقص فيما يُقطع بالمقص دون أن يؤذي الشجرة، فيستمتع بها دهرا وعمرا، أما الذي ما عنده مثل هذه الخبرة يُفسد مزرعته.

فالإنسان يحتاج إلى حكمة في جميع شأنه، في زراعته، في تعليمه، في كذلك صناعته، في تجارته، في جميع شأنه، يكون على المعنى الذي يصلح به الحال، وهكذا إذا كان من باب العبادات، على المعنى الذي يصلح به المآل، النبي ﷺ لما دخل ورأى حبلا لزينب قال: «**لا، حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد**»، «**عليكم من العمل ما تطيقون**».

بعض الناس يشد على نفسه في ليال من الليالي في القيام ويرجع ينام عن صلاة الفجر، ويرجع ربما ترك القيام دهرا، فلا، كن في عبادتك كما كان النبي ﷺ عمله ديمة، ولو كان قليلا، والنبي ﷺ لم يقم ليلة حتى أصبح، وهكذا كن في صومك على هدي النبي ﷺ، وكن في جميع شأنك على الوجه الذي يُرضي الله، ثم على سير رسول الله ﷺ، ومنهج السلف الصالحين، تنجح وتربح بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، والحمد لله رب العالمين.

٦١ - باب النهي عن البخل والشح

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾ [الليل:٨-١١].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر:٩].

الشرح:

يعني: أن البخل من صفة الكافرين، وأن الفلاح باتقاء الشح والبخل.

وقلت في كتابي "القول المؤصل في تفسير الكتاب المنزل":

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ بخل بما أوجب الله عليه، فبخل بالزكاة المفروضة، وبالنفقات الواجبة، وبخل على نفسه بالطاعات فلم يأتي بالصلاة والصيام، وقبل ذلك التوحيد وغير ذلك مما أوجب الله عليه.

﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ أي: كذب بالتوحيد، أو كذب بالوعد، أو كذب بالجنة، أو على المعاني السابقة: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ يجعله الله عَزَّوَجَلَّ في عسر في جميع شأنه.

ثم يقول تعالىٰ مبينا ضعف المتكبرين: ﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ أي: أيها الإنسان لا يغني عنك مالك شيئًا إذا هلكت ومت ولقيت ربك، وإنما الذي ينتفع به العبد يوم القيامه العمل الصالح إذا قبله الله عَزَّوَجَلَّ.

وقبول العمل مبني علىٰ شرطين:

١- الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ.

٢- والمتابعة لرسول الله -ﷺ-.

فانظر لنفسك أيها المسلم قبل أن تتردىٰ، ولا تجد من يُعينك في ذلك الأمر الذي وقعت فيه، قال النبي -ﷺ-: «**يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثٌ؛ فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَىٰ وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَىٰ عَمَلُهُ**»، أخرجه الشيخان عن أنس

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإن تردىٰ لا يبقىٰ معهُ إلا العمل، إن كان صالحًا فنعم هو، وإن كان غير ذلك فبئس ما هو، نسأل الله السلامة. اهـ بتصرف.

وقلت في تفسير سورة الحشر:

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ﴾ حرص ﴿نَفْسِهِۦ﴾ بالبخل وحب المال الذي يتسلط على النفوس في هلكها، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ في الدنيا والآخرة؛ لأن الشح سبب لقطيعة الأرحام، ومنع الفقير مما أوجب الله له، وسبب لحب المال، وسبب للقتل والقتال حتى قال النبي ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ؛ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَىٰ أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**» أخرجه مسلم عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. اهـ

وأما الأحاديث فتقدمت جملة مِنْهَا في الباب السابق.

٥٦٢ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ». رواه مسلم[1].

الشرح:

(**الظُّلْمَ**): جميع أنواع الشرك والبدع المعاصي، وأخذ أموال الناس، والتعدي على أعراضهم.

(**ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ**) ظلمات في القبر، ظلمات على الصراط، ظلمات في ذلك اليوم المشهود، وظلمات في النار.

(**وَاتَّقُوا الشُّحَّ**): أي: شدة البخل.

---

(١) انظر الحديث (٢٥٧٨).

(فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ) حيث منعوا ما أوجب الله عليهم، وبخلو بأموالهم، ولشدة بخلهم سفكوا الدماء، وانتهكوا الأعراض، وقطعوا السبل.

(حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ) وهذا حاصل في كثير من الناس الآن، ربما يأخذ مال أقربائه ويمنعهم ما أوجب الله لهم بسبب البخل والشح، وربما يمنع الزكاة التي شرعها الله.

وقلت في شرحي على "صحيح مسلم":

قَالَ الْقَاضِي: يُحْتَمَلُ أَنَّ هَذَا الْهَلَاكَ هُوَ الْهَلَاكُ الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ فِي الدُّنْيَا بِأَنَّهُمْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ هَلَاكُ الْآخِرَةِ، وَهَذَا الثَّانِي أَظْهَرُ. وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ أَهْلَكَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قَالَ جَمَاعَةُ: الشُّحُّ: أَشَدُّ الْبُخْلِ، وَأَبْلَغُ فِي الْمَنْعِ مِنَ الْبُخْلِ.

وَقِيلَ: هُوَ الْبُخْلُ مَعَ الْحِرْصِ.

وَقِيلَ: الْبُخْلُ فِي أَفْرَادِ الْأُمُورِ، وَالشُّحُّ عَامٌّ.

وَقِيلَ: الْبُخْلُ فِي أَفْرَادِ الْأُمُورِ، وَالشُّحُّ بِالْمَالِ وَالْمَعْرُوفِ.

وَقِيلَ: الشُّحُّ: الْحِرْصُ عَلَى مَا لَيْسَ عِنْدَهُ، وَالْبُخْلُ بِمَا عِنْدَهُ.

المهم أن الشح أشد البخل، وفي هذا أن الأخلاق السيئة تجر إلى السيء من الأخلاق، والسيء من الأفعال، فالشجاعة تجر إلى الكرم، والمروءة، والمعروف، والبذل، والبخل يجر إلى الجبن، والخوف، والحرص، والإساءة.

وقد ذكر أهل العلم: أنه لا يجتمع الشجاعة والبخل في شخص، كما لا يجتمع الكرم والجبن في شخص، والله المستعان. اهـ

٦٢ - باب الإيثاروالمواساة

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان:٨] .

إلى آخر الآيات.

الشرح:

الإيثار: أن تؤثر غيرك ببعض مالك، وربما تقدمه على نفسك.

والمواساة: إذا علمت بصاحب حاجة واسيته، إما بعطية، وإما بكلمة، وإما بهدية، ولذلك كم يفرح المسلم إذا عزاه أحدهم بموت قريبه! وكم يفرح المسلم إذا أُهدي إليه شيء من المتاع! هذه أمور تدخل السرور على النفس.

فعلى المسلم أن يكون من ذوي الإثرة ومن ذوي المواساة، ولو بالسؤال، ولو بالنصيحة بالتصبر.

(﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾) هذا في وصف الأنصار، (﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾) أي: يقدمون كثيرا من شأن المهاجرين على أنفسهم، (﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾): حاجة.

وهذه الآية سيأتي سبب نزولها، وأنها في الضيف الذي أضاف ضيف رسول الله ﷺ، وأطعمه طعام أولاده، وهذا يدل على سماحة نفس، وسعة صدر، وكرم و بذل، ولو سلمنا والله من سوء النفوس في هذا الباب من البخل بالأموال والشح به لرأينا الفتح العظيم من الملك الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾) يطعمون الطعام على حبهم للطعام مسكينا: فقيرا محتاجا، ويتيما: لا أب له، وأسيرا، يكرمون الأسير؛ لأنه عاجز عن الخروج والذهاب والإياب، فكان هذا من أسباب دخولهم الجنة.

٥٦٣ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقالت: وَالَّذي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا عِنْدِي إِلاَّ مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثل ذَلِكَ: لا وَالَّذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ مَا عِنْدِي إِلاَّ مَاءٌ، فَقَالَ النبي ﷺ: «مَنْ يُضيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ؟» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا يَا رسولَ الله، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لامْرَأَتِهِ: أَكرِمِي ضَيْفَ رسول الله ﷺ.

وفي روايةٍ قَالَ لامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فقَالَتْ: لَا، إِلاَّ قُوتَ صِبيَانِي، قَالَ: فَعَلِّليهم بِشَيْءٍ وَإِذَا أَرَادُوا العَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ، وَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ وَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبيِّ ﷺ فَقَالَ: «لَقَدْ عَجِبَ الله مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

هذا حديث عظيم.

قوله: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبيِّ ﷺ) أي: فقير محتاج.

(فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ) أي: قد لحقني الجهد؛ لشدة الجوع والفقر والحاجة.

(فَأَرسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ) لعله أن يجد ما يُطعمه به.

(فقالت: وَالَّذي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا عِنْدِي إِلاَّ مَاءٌ) لا تمر، ولا شعير، ولا شيء من الأطعمة، غير الماء يشربن منه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٩٨)، ومسلم (٢٠٥٤).

(ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثلَ ذَلِكَ) تسع نسوة كل واحدة تقول: ما عندي إلا ماء.

(حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثلَ ذَلِكَ) وهذا يدل على شدة حاجة النبي ﷺ، ومع ذلك كان صابرا، وكانوا يشربون من منائح، يعني بعض الهدايا من الأنصار.

وفيه أن النبي ﷺ مبعوث بالهدى.

(فَقَالَ النبي ﷺ: مَنْ يُضيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ؟) يعني من يأخذه إلى بيته ويعشيه وينومه؟

(فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا يَا رسولَ الله) إيثار ومحبة لإرضاء رسول الله ﷺ، وإدخال السرور عليه.

(فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ): بيته.

(فَقَالَ لامْرَأَتِهِ: أكرِمِي ضَيْفَ رسول الله ﷺ)؛ إكراما لرسول الله ﷺ.

(إِلاَّ قُوتَ صِبيَانِي) وقوت الصبيان ما عساه يكفي؟ لكن مع ذلك لا بد من إكرام الضيف، لا سيما وهو ضيف رسول الله ﷺ، ومجهود.

(قَالَ: فَعَلِّليهم بِشَيْءٍ) يعني ألعاب.

(وَإِذَا أَرَادُوا العَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ)؛ لأن الطفل لكثرة الحركة أول ما يضع نفسه على الأرض ينام، بخلاف الكبير، الكبير إذا أتى إلى الفراش بدأت الوساوس تأتيه والأفكار: اليوم ما عملت كذا، وغدًا سأعمل كذا، وفلان قال لي كذا، المهم ربما ينام وهو متنغص، وهو مشغول، بينما الطفل سبحان الله بمجرد أن يقع على الأرض ينام، إلا إذا شُغل باللعب ما ينام، لكن الذكي من الرجال أو النساء إذا رأى ولده كثير من الحركة وبدأ ينصب وما زال ما يأتيه نوم يضع يده عليه، يعطيه بعض العبارات، وإذا به ينام قرير العين.

فهذا الرجل قال: عليهم، اشغليهم بأشياء، **(وَإِذَا أَرَادُوا العَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ)**.

(وَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ)؛ حتى لا يتحرج.

(وَأُرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ) لعله قبل الحجاب.

(فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ وَبَاتَا طَاوِيَيْنِ) يعني أكرماه.

(لَقَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ) فيه إثبات صفة العجب لله عَزَّوَجَلَّ، وهي من الصفات الفعلية، قال الله عَزَّوَجَلَّ: (بل عجبتُ) في قراءة.

والعجب في حق الله يكون لخروج الشيء عن نظائره، وأما العجب في حق المخلوق فقد يكون مع هذا أيضا لخفاء الأسباب، والله منزه عن ذلك.

٥٦٤ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «طَعَامُ الاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي رواية لمسلمٍ عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قَالَ: «طَعَامُ الوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ».

الشرح:

أما هذه الأيام والله طعام الأربعة، يكفي ربما عشرين، لماذا؟ كان في تلك الأيام يأكلون أكلا خفيفا، ربما تجد مع بعضهم خبزة، قرص، يقسمه بينه وبين صاحبه، مذقة من لبن، شيء من إدام، بينما هذه الأيام تجد صحن رز، وصحن سلته، وصحن فتة، وصحن شفوت، لا سيما عندنا أصحاب المناطق العليا، أما إخواننا في هذه البلدان ربما يعتمدون الرز فقط، أما نحن تبدأ المرأة من الساعة عشرة تجهز: صحن رز، صحن سلته، صحن فتة، صحن عصيد، صحن شفوت، مع ما يلحقه من السلطات، والبسباس، والسحاوق، وربما غير ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٩٢)، ومسلم (٢٠٥٨).

قال لي بعض الأطباء في سيئون قال: احمدوا الله أنتم طعامكم ما شاء الله، يعني السلطة ربما ما تفوته يوم، فلذلك ربما يفيدكم في كثير من الأشياء.

فالشاهد أن الطعام القليل يكفي الكثير، ليلة من الليالي دعوت بعض إخواننا التنزانيين في دماج، وحضر الفطور وما قد جاؤوا، ونحن قد عملنا فطورا كثيرا، قلنا: مشكلة، ذهبت أجري إلى المركز، أخذت لي مجموعة من الإندونيسيين مثلهم، أوصل البيت إلا ودخل التنزانيون، حي الله الجميع، ودخلنا، وسبحان الله تعشينا وكفانا، وفضل فضلة.

الحمد لله، والله أن الله منعم علينا نعما عظيم، نعما في المأكل، نعما في المشرب، نعما في الملبس، ربما كانوا في الزمن الماضي واحد معه ثوب، انظر مصعب بن عمير إن غُطِّي رأسه بدت رجلاه، وإن غطيت رجلاه بدا رأسه، ونحن الحمد لله عندك ثوب عِدة، ربما بألوان، عندك عمامة عِدة، عندك سراويل عدة، عندك فنايل عدة، عندك ربما حتى النعال، هذه نعم يجب أن نشكر الله عَزَّوَجَلَّ عليها، ونثني عليه بها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(طَعَامُ الوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةِ) صدق رسول الله ﷺ، لا سيما إذا ذكروا اسم الله عليه، **«اجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله؛ يبارك لكم فيه»**، يبارك الله في القليل.

٥٦٥ - وعن أَبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ** ﷺ **إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، فَجَعَلَ يَصرِفُ بَصَرَهُ يَمينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رسول الله** ﷺ: **«مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ**

زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ»، فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ المالِ مَا ذكر حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لأحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ. رواه مسلم[1].

الشرح:

(فَجَعَلَ يَصرِفُ بَصَرَهُ يَمينًا وَشِمَالًا) يعني للحاجة، يمشون مع النبي ﷺ وهذا يصرف بصرة للحاجة، يريد أن يقول: من يعطيني؟ من يطعمني؟ من يحملني؟ أنا مجهود، أنا محتاج، إلا أنه لم يقل ذلك بلسان المقال، وإنما قال بلسان الحال.

(مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا ظَهرَ لَهُ) يعني معه جمل آخر، معه بعير، معه حمار، معه بغل، حتى سيارة، لا سيما إذا كنت في سفر، وإلا كل واحد له ملكه.

(حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لا حَقَّ لأحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ) الفضل: هو الزيادة، فانظر إلى الحقوق التي عليه، قال: (حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لا حَقَّ لأحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ) لكن مع ذلك الله عَزَّوَجَلَّ يتجاوز عن عباده، ويعفو ويصفح، وإلا الإنسان ينبغي له أن يكون باذلا في أوجه الخير، راحما لغيره، مشفقا عليهم، محسنا إليهم، والجزاء من جنس العمل، ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن:٦٠] ، «من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة»، ولا سواء.

أسألك بالله أيش من فرجة في الدنيا؟ عساها تطعمه من جوع، تكسوه من عري، تبني له بيتا، تشتري له سيارة، هذا إذا قلنا أنك قد أعطيت كثيرا، فرج الله عنك كربة من كرب يوم القيامة، أهوال، كربة عند الحوض، كربة عند الصراط، كربة عند الميزان، كربة عند المجازاة بين العباد والقصاص، والله عَزَّوَجَلَّ يفرج عن العبد بهذه المكرمة التي عملها في الدنيا كثيرا من الكرب.

---

(١) حديث رقم: (١٧٢٨).

«ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»، وماذا تظن إذا كان الله في حاجتك يعني حاجتك ما ستُقضى؟ ستقضى، «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته».

«ومن كان في عون أخيه كان الله في عونه»، يعينه الله، يمده، يعده، يوفقه، لو تأملنا مثل هذه الأحاديث والله لرأينا التنافس على فعل الخير، ففعل الخير الإنسان ينفع نفسه، ما ينفع غيره، ينفع نفسه أكثر من غيره.

كم من إنسان له أموال كثيرة يموت والله أبناؤه ما ينتظرون أن يوارى جسده الثرى، أن عندنا واحد كثير من الأخوة يعرفه في هذه الحارة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، اختلفت ورثته ولا زال في غرفة العمليات، في غرفة الإنعاش، وهم يختلفون على التركة، ويتهاجرون ويتقاطعون ويتدابرون، والرجل عاده فوق النعش، ربما يعافيه الله ويسلمه الله.

ومثل هذا الموقف ربما يجعل الرجل يزداد مرضا إلى مرضه، يعني حين يرى أنهم لا يبالون به وما زال على قيد الحياة، فيموت لا صدقة جارية، ولا قضاء دين، ولا أداء حقوق، ولا يفعلون عليه شيئا.

فالآن قدم لنفسك يا أخي، قدم لنفسك، إن جاء الأبناء بررة الحمد لله بر على بر، لعل الله عَزَّوَجَلَّ يسر لك ببرهم بسبب برك، بسبب خيرك، وإن جاء الأبناء فَجَرة ما هم حول الدعاء لك ولا الصدقة عنك ولا الإحسان إليك قد قدمت لنفسك.

٥٦٦ - وعن سهل بن سعدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى رسول الله ﷺ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ، فَقَالَتْ: نَسَجْتُها بِيَدَيَّ لأَكْسُوكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ، فَقَالَ فُلانٌ: اكْسُنِيهَا مَا أَحْسَنَهَا! فَقَالَ: «نَعَمْ»، فَجَلَسَ النَّبيُّ ﷺ في المَجْلِسُ، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْقَومُ: مَا أَحْسَنْتَ، لَبِسَهَا النَّبيُّ ﷺ مُحتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لا يَرُدُّ سَائِلًا! فَقَالَ:

إِنِّي وَاللهِ مَا سَأَلْتُهُ لأَلْبِسَهَا، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ؛ لِتَكُونَ كَفَنِي، قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ. رواه البخاري[1].

الشرح:

وهذا حديث عظيم، امرأة حريصة على الخير، امرأة وليست برجل، لتعلم حرص نساء السلف على الخير، صنعت للنبي ﷺ بردة بيديها، أولا: تريد أن تكرمه بهذه الهدية، ثانيا: تريد الإحسان إلى رسول الله ﷺ، فيجازيها الله بإحسان الدنيا والآخرة، وكانوا يحبونه حبا جما، كان أحب إليهم من أنفسهم.

(فَقَالَتْ: نَسَجْتُها بِيَدَيَّ لأَكْسُوكَهَا) ليزداد يعني كما يقال يعرف أنها اعتنت بها من أجل إكرامه ﷺ، مع أنه كان يقبل الكِراع والذراع، لا يبالي، قال: «لو أُهدي إليَّ كِراعٌ أو ذراع لَقَبِلت»، ومع ذلك (قَالَتْ: نَسَجْتُها بِيَدَيَّ لأَكْسُوكَهَا).

(فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ) مستغن عنها؟ عنده عدة أثواب عدة قمص عدة أزر؟ لا، (مُحْتَاجًا إِلَيْهَا)، ما عنده ربما إلا ثوب واحد، بأبي هو وأمي.

(فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ) انظر الآن ربما بعضهم يشتري ثوبا ويخليها أياما، ما يحتاجه أصلا، الأثواب موجودة، هذا مكوي، وهذا معد، لكن النبي ﷺ لحاجته إليها؛ لبسها مباشرة لحاجته إليها.

(فَقَالَ فُلانٌ) أي رجل من الصحابة.

(اكْسُنِيهَا مَا أَحْسَنَهَا!) يعني مدحها وطلبها.

(فَقَالَ: نَعَمْ) أي: سأعطيكها.

(فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فِي المَجْلِسُ) حتى قضى حاجته؛ لأنه إذا قام في ذلك الوقت ربما يُشغل عن جلسائه، وربما يؤدي إلى إحراج حتى للرجل نفسه.

---

(١) حديث رقم: (٦٠٣٦).

(ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا) فيه أنك إذا نمت على فراش قم واطو البطانية التي أنت عليها، وإذا أُهدي لك إزار تنام فيه من الأدب أن تطوي ذلك الإزار وتناوله إلى صاحبه.

وإذا أردت أن تهدي لأحدهم ثوبا أو شيئا أن تهديه له مطوي، ما تأتي به مُعَفَّس كما يقول العامة، أو تأتي به غير مغسول، إذا أردت أن تهدي بطانيه اغسلها يا أخي واعطها لفقير، إذا أردت أن تهدي ثوبا أو عمامة أو أي شيء من ملبوس أو مطعوم فعليك أن تهديه في حلة طيبة.

(فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ) يعني أنَّبُوه.

(ثُمَّ سَأَلْتَهُ وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لا يَرُدُّ سَائِلًا) هذا من مكارم أخلاق النبي ﷺ، **(وَعَلِمْتَ)** قد استفاض عندهم أنه لا يرد سائلا، حتى قال جابر بن عبد الله: ما سئل رسول الله ﷺ شيئا فقال: لا، يعطيه مباشرة، سألوه غنما بين الجبلين: خذ، سأله مائة من الإبل قال: خذ، مائة من الإبل: خذ، مائة من الإبل: خذ، صفوان بن أمية أخذ ثلاثمائة من الإبل، البعير الواحد بقيمة سيارة.

الآن ادخل عند أكبر رئيس في العالم عند أكبر تاجر في العالم، إذا أهدى سيارة يرى نفسه قد فعل ما لا يفعل، والنبي ﷺ يتألف هذا الرجل بثلاثمائة ناقة، لو كان فقيرا لأصبح غنيا، ولو كان غنيا لأصبح ثريا، شيء عظيم، فكان لا يرد سائلا.

وكان ﷺ يجد في نفسه أن لا يستطيع أن يعطيهم، فقد سمع من أحدهم تذمرا فقال: «**يغضب علي ألا أعطيه؟**»، ثم قال: «**لا آخذ هدية إلا من أنصاري أو قرشي**»؛ لأنهم كانوا يهدون للنبي ﷺ وينتظرون منه العطاء، هذا أمر الآن قد يجهله كثير من الناس، الهدية إلى التاجر، الهدية إلى الوزير، الهدية إلى الأمير، الهدية إلى الكبير، ليس المراد أن الرجل يأتي بالدبة العسل من أجل عيون هذا الرجل، هو يأتي بالدبة العسل معه يريد أضعاف الدبة العسل.

فهذه هي مكارم العرب، ربما يأتي إلى النبي ﷺ ويعطيه شيئا حقيرا، ومع ذلك يقبله النبي ﷺ، ويرد له هدية بأضعافه، وهكذا كان الأمراء والوزراء في العهد القديم،

إذا جاءهم أحد بهدية ربما بدوي يأتي بتيس يرجع بناقة، وبعبد، وبجارية، وبحديقة، وبأشياء كثيرة.

فهذه أمور ينبغي للإنسان أن يتفطن لها.

(فَقَالَ: إِنِّي وَاللهِ مَا سَأَلْتُهُ لأُلْبِسَهَا، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي) وهذا دليل على عظم همته، هذا الرجل همته أن يتبرك بآثار النبي ﷺ في قبره، لعل الله أن يقيه شرا في ذلك القبر، وتعلمون أنهم كانوا يضعون في بعض أفواههم من شعر رسول الله ﷺ؛ لأن التبرك بآثار النبي ﷺ جائزة، وربما غسلوا ملابس النبي ﷺ بعد موته ويصبونها على المريض يستشفون بها، الله هو الشافي، لكن فيها بركة وسبب.

ولا يؤخذ من هذا التبرك بآثار الصالحين، أو بأتربتهم، أو بمسحهم، هذا أمر خاص بالنبي ﷺ.

(قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ) فيه أن من صدق الله صدقه الله.

٥٦٧ - وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

(أَرْمَلُوا): فَرَغَ زَادُهُمْ أَوْ قَارَبَ الفَرَاغَ.

الشرح:

أبو موسى هو عبد الله بن قيس، من اليمن.

قول النبي ﷺ: (إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ) نسبة إلى الأشاعرة من وادي رِمَع بزبيد.

(إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ) أي: قلَّ طعامهم في حال غزوتهم؛ لأن كل إنسان طعامه معه.

(جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ) إثرة، مؤاثرة، حتى لا يكون واحد معه كيس والثاني معه كيلو أو اثنين كيلو أو ثلاثة كيلو، لا، يجمعونه في إنا واحد، وربما

(١) أخرجه البخاري (٢٤٨٦)، ومسلم (٢٥٠٠).

وضعوه في بيت واحد، وكل يأتي يأخذ حاجته، أمانة، الآن بعضهم حتى وإن اجتمع طعامهم مع بعضهم ربما هذا يأتي يغرف فوق حاجته، وذاك يأخذ فوق حاجته، يريد أن لا يؤثر غيره، أما هؤلاء عندهم أمانه، قد جمع أحدهم شيئه من بيته، ثم يجعلوه في مكان واحد ويجعل الله فيه بركة.

(فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ) انظر كيف فرح النبي ﷺ بهذا الصنيع، وغَبَّط أصحابه، ودعا لهم، وبرك على صنيعهم.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ فَضِيلَةُ الْأَشْعَرِيِّينَ، وَفَضِيلَةُ الْإِيثَارِ وَالْمُوَاسَاةِ، وَفَضِيلَةُ خَلْطِ الْأَزْوَادِ فِي السَّفَرِ، وَفَضِيلَةُ جَمْعِهَا فِي شَيْءٍ عِنْدَ قِلَّتِهَا فِي الْحَضَرِ، ثُمَّ يَقْسِمُ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهَذَا الْقِسْمَةَ الْمَعْرُوفَةَ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ بِشُرُوطِهَا، وَمَنْعَهَا فِي الرِّبَوِيَّاتِ، وَاشْتِرَاطَ الْمُوَاسَاةِ وَغَيْرِهَا، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ هُنَا إِبَاحَةُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَمُوَاسَاتُهُمْ بِالْمَوْجُودِ. اهـ

فهذا الباب باب مهم، يحتاجه طالب العلم، ويحتاجه غيره من المسلمين؛ لأن هذا من الدعوة إلى الله، وهذا من العمل بالعلم، سخاء النفس، سعة الصدر للبذل والعطاء، هذا من أخلاق المسلمين، من أخلاق النبي الكريم، والله المستعان، والحمد لله رب العالمين.

٦٣ - باب التنافس في أمور الآخرة والاستكثار مما يتبرك بِهِ

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦] .

الشرح:

أي في الخير.

قلت في كتابي "القول المؤصل في تفسير الكتاب المنزل":

﴿وَفِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في هذا النعيم المقيم والخير العميم، ﴿فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ بامتثال أمر رب العالمين، وأهم ما يمتثل هو التوحيد؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ أرسل به الرسل وأنزل به الكتب، ولأن تضييعه تضييع لصلاح الدارين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

وفيه: فضيلة المسابقة إلى الخيرات، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿* وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران:١٣٣]، ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا**»، أخرجه مسلم.

والمذموم هو التنافس في الدنيا؛ لقول النبي -ﷺ-: «**لا تنافسوا**». اهـ

٥٦٨ - وعن سَهْلِ بن سَعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ أُتِيَ بِشَرابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ الأَشْيَاخُ، فَقَالَ لِلغُلَامِ: «أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هؤُلاء؟» فَقَالَ الغُلامُ: لَا وَاللهِ يَا رسولَ الله، لَا أُوْثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا، فَتَلَّهُ رسولُ الله ﷺ في يَدِهِ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

(تَلَّهُ) بالتاءِ المثناة فوق: أَيْ وَضَعَهُ.

وَهذَا الغُلامُ هُوَ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الشرح:

قوله: (أَنَّ رسول الله ﷺ أُتِيَ بِشَرابٍ) إما أن يكون لبنا، وإما أن يكون النبيذ المعهود ليس بالنبيذ المسكر، وإنما كان ينبذ له بالمساء ويشربه بالصباح، وينبذ له في الصباح ويشربه بالمساء.

(وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ) وهو ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والأحق بالمناولة من في اليمين، الأيمنون فالأيمنون.

(وَعَنْ يَسَارِهِ الأَشْيَاخُ) مثل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(فَقَالَ لِلغُلَامِ) مستأذنا منه، معناه أن له حق، فاستأذن.

(فَقَالَ الغُلامُ: لَا وَاللهِ يَا رسولَ الله، لَا أُوْثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا) هذا دليل على فقه الغلام مع صغر سنه، وهذا دليل على التنافس في الخير، فإنهم كانوا يتبركون بآثار رسول الله صل الله عليه وسلم.

((وقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ في رسول الله ﷺ بركات كثيرات عظيمات جليلات، حتى أنا أنس بن مالك أوصى عند موته: أن يوضع في فيه من شعر رسول الله ﷺ، وكان إذا مرض المريض غسلوا ثوب النبي ﷺ أو جبة النبي ﷺ ورشوا عليه؛ تبركا بذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٥١)، ومسلم (٢٠٣٠).

وأما غير النبي ﷺ من الصالحين فلا يجوز أن يتبرك بآثاره، فما أدرانا أن فيها بركة؟ والصحابة گ مع شدة حبهم لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومن إليهم لم يكن منهم التبرك بآثار هؤلاء، ولا من التابعين حصل ذلك، فإذًا خير الهدي هدي النبي ﷺ، والمنهج القويم هو الأخذ بمنهج السلف گ)). اهـ من "شرحي على صحيح مسلم".

(فَتَلَّهُ رسولُ الله ﷺ في يَدِهِ) أي: وضعه في يده؛ لأنه طالب بحق، ما قال: لا، أبو بكر أفضل منك وأعلم منك، لا، طالب بحق يأخذ حقه، وإن تجاوز عن حقه هذا أمر إليه، وتكون ممدوحة، لكن هنا لم يتنازل؛ لما رأى من الفضل والخير من الشرب إثر النبي ﷺ.

٥٦٩ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ عَزَّوَجَلَّ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ وَلَكِنْ لَا غِنى بِي عن بَرَكَتِكَ». رواه البخاري[1].

الشرح:

قوله: (بَيْنَا أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا) فيه جواز الاغتسال عريانا، وقد بوب البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: باب الاغتسال عريانا، وساق في التعليق حديث معاوية بن الحكم عن أبيه عن جده: «الله أحق أن يُسْتَحْيَى منه».

(فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ) يعني شيء من الذهب نزل عليه كثير.

(فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ) أي من الذهب.

(فَنَادَاهُ رَبُّهُ عَزَّوَجَلَّ) فيه إثبات صفة الكلام لله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) حديث رقم: (٢٧٩).

فقال: (يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟) أي: مما أعطيتك من الأموال، ووهبت لك من الأعطية.

(قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ) أعطيتني ووسعت علي، (وَلَكِنْ لَا غِنى بِي عن بَرَكَتِكَ) فالإنسان يتنافس في الخير وعلى الحصول عليه مهما كان، وليس بمذموم، المذموم التنافس من أجل حطام الدنيا الفاني، المذموم التنافس من أجل الشهرة التي لا تغني شيئا، إذا كان الإنسان عنده تفريط في حق الله.

٦٤ - باب فضل الغَنِيّ الشاكر وهو من أخذ المال من وجهه وصرفه في وجوهه المأمور بها

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل:٥-٧].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ [الليل:١٧-٢١].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة:٢٧١].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٩٢].

والآيات في فضلِ الإنفاقِ في الطاعاتِ كثيرة معلومة.

الشرح:

هذه مسألة اختلف فيها العلماء قديما وحديثا، وهو التفضيل بين الغني الشاكر وبين الفقير الصابر، والصحيح: أنهما من حيث العمل الصالح إذا تساووا من حيث الأعمال البدنية من حيث الأعمال القولية من حيث الأعمال القلبية لا تفاضل، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحجرات:١٣] ، لكن إذا كانوا على خير وبر وهدى وتقى وحال واحد في العبادة ثم زاد الغنى ببناء المساجد وإجراء العيون وتجهيز المحتاجين والإنفاق على أهل الفقر والحاجة وغير ذلك فلا شك أنه فاقه بهذا الفضل.

وسيأتي حديث: ذهب أهل الدثور بالأجور، وأخبروا النبي ﷺ: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضل أموالهم، علمهم رسول الله ﷺ

أذكارا ليسبقوا بها أولئك، ففعل أولئك مثلهم، فصاروا سابقين، إذ أنهم فعلوا كل ما يفعله الفقراء، وزادوا عليهم بالإنفاق في المبرات والخيرات.

(﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾): إلى الخير في الدنيا والآخرة، وللحسنى قيل: الجنة، وقيل غير ذلك.

(﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾): سيجنب النار شرها وحرها الأتقى الذي يراقب الله بفعل المأمور وترك المحظور.

ومن صفاته: (﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾) نُقل الإجماع على أن المراد بهذا هو أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾) أي: لا ينفق من أجل ما يعطاه أو ما يُذكر من جميله على الناس، ورد الجميل.

(﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾) لأنه يصرف ذلك ابتغاء وجه ربه الأعلى، أخلص لله عَزَّوَجَلَّ، وفيه إثبات صفة الوجه لله.

(﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾) يوم القيامة.

(﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾) يعني: إبداء الصدقات خير مع الإخلاص.

(﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾) **«والجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة»**.

(﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾) وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾) أي: أن الإنفاق من أسباب تكفير السيئات.

٥٧٠ - وعن عبدِ الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا». متفقٌ عَلَيْهِ[1]. وتقدم شرحه قريبًا.

٥٧١ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قَالَ: «لَا حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ». متفقٌ عَلَيْهِ[2].

(الآناء): السَّاعاتُ.

الشرح:

والمراد بالحسد هنا: الغبطة، لا المراد به تمني زوال النعمة عن الغير، فإن هذا لا يجوز.

٥٧٢ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ فُقَرَاءَ المُهَاجِرِينَ أَتَوْا رسول الله ﷺ فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ العُلَى، وَالنَّعِيمِ المُقِيم، فَقَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» فَقَالوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيَعْتِقُونَ وَلَا نَعْتِقُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «أَفَلا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنكُمْ إِلاَّ مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟» قالوا: بَلَى يَا رسول الله، قَالَ: «تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمِدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً» فَرَجَعَ فُقَرَاء المُهَاجِرِينَ إِلَى رسول الله ﷺ فقالوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ

---

(١) انظر الحديث (٥٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٢٥)، ومسلم (٨١٥).

الأمْوالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثلَهُ؟ فَقَالَ رسول الله ﷺ: «ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ». متفقٌ عَلَيْهِ، وَهَذا لفظ رواية مسلم[1].

(الدُّثُور): الأمْوَالُ الكَثِيرَةُ، وَالله أعلم.

الشرح:

(ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ) أي أهل الأموال.

(بِالدَّرَجَاتِ العُلَى) في الجنة، (وَالنَّعِيمِ المُقيم) في الجنة.

(فَقَالَ: وَمَا ذَاكَ؟) فيه أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب، ولذلك سأل.

(فَقَالوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي) وهذا يشترك فيه الغني والفقير.

(وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ) يشترك فيه الغني والفقير.

(وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ) بسبب فضل أموالهم.

(وَيَعْتِقُونَ وَلَا نَعْتِقُ) هذا مما اختلف فيه أهل الغنى.

(فَقَالَ رسول الله ﷺ: أَفَلا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلاَّ مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟) دلهم على طاعات وقربات إذا فعلوها سبقوا من بعدهم، ولحقوا من قبلهم من أصحاب المبرات والطاعات.

فدلهم قال: (تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمِدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً) هل تقول: سبحان الله ثلاثا وثلاثين والحمد لله ثلاثا وثلاثين والله أكبر ثلاثا وثلاثين أم أنك تقول: سبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاثا وثلاثين؟ قد اختلفت الرواية في ذلك، ولو أتى بها على المائة أحسن.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥).

(فَرَجَعَ فُقَرَاء المُهَاجِرِينَ إِلَى رسول الله ﷺ) أي: بعد أن عملوا بهذه الوصية النبوية المباركة.

(ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) فأخبر النبي صل الله عليه وسلم أن ما هم فيه من الخير هو فضله وزيادته يؤتيها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من يشاء.

بهذا الحديث بعينه يستدل على فضل الغني الشاكر على الفقير الصابر، وهذا إذ نقوله ليس معناه أن الفقير ليس له شأن إن كان طائعا لله عَزَّوَجَلَّ، قد يؤجر على نيته، كما قال النبي ﷺ في حديث أبي كبشه وقد تقدم: «فهما في الأجر سواء».

لكن هناك فرق بين الأجر على النية وبين الأجر على الفعل، الأجر على الفعل يضاعف عشرة أضعاف إلى سبعمائة ضعف، وأما النية، فاكتبوها له حسنة؛ لحديث ابن عباس: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ».

ففرق كبير بين إنسان يريد الخير وأدركه وبين إنسان يريد الخير ولم يدركه، رجل يحب أن يكون عالما له نية طيبة، وله أجر على هذه النية الطيبة، لكن رجل صار عالما بلا شك ولا ريب أن هذا أنفع للإسلام والمسلمين من صاحب النية؛ لأن صاحب النية نيته لنفسه، ولم يتعد نفعه إلى غيره، بينما صاحب العمل قد أجر على النية، وزاد أجره على الفعل، فليتنبه لهذه الدقيقة، والله المستعان.

٦٥ - باب ذكر الموت وقصر الأمل

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ﴾ [لقمان:٣٤] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف:٣٤].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون:٩-١١].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ **إِلَى قَوْله تَعَالَى:** ﴿قَـٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون:١١٢-١١٥].

وقال تعالى: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد:١٦] .

وَالآيات في الباب كَثيرةٌ معلومة.

الشرح:

(باب ذكر الموت وقصر الأمل) وهو من أهم المهمات؛ لأن الإنسان إذا ذكر الموت وقَصُر أمله زاد عمله، وإذا غفل عن الموت قل عمله وزاد طمعه، وربما أخلد إلى الأرض، ولذلك أمر النبي ﷺ بتذكر الموت، وأمر بزيارة القبور؛ لذكر الموت.

(﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾) **(كل)** من ألفاظ العموم، **(نفس)** ممن كتب الله عليها الهلاك، **(ذائقة)** يعني: نائلة لهذه الحقيقة ومفارقة للحياة.

(﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ﴾) أي: بعد البعث والنشور، وتجازون عليها.

(﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾): أُميل وأُبعد عن النار التي تلظى (﴿وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ﴾) ورأى نعيمها، وحصل خيرها (﴿فَقَدْ فَازَ ۗ﴾) فوزا لا بعده؛ لما فيها من عظيم النعيم من رؤية الملك الكريم، وكذلك من رضوانه على عباده المؤمنين، وهكذا من أوجه التنعُّم.

(﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾) الفانية الزائلة (﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾) تغر أصحابها، ثم تتركهم أحوج ما كانوا إليها.

(﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ﴾) هذا فيه إخبار من الله عَزَّوَجَلَّ أن الموت مغيب، فعلي الأنسان أن لا يأمن من الشيء المغيب لعله أن يظهر له بين الليلة وصبيحتها، وبين اليوم والآخر، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ﴾ مهما كان شأنها ﴿مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ﴾ [لقمان:٣٤] من الأعمال، نحن نقول: غدا سنفعل وندرس ونخطب، وربما نسافر، لكن الله أعلم قد يحال بينك وبين هذه الأشياء التي ترجوها، إنما ترجو أن تفعل هذه الأشياء.

(﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ﴾) رب إنسان يكون في بيته، في مدينته، ما يخرج، فجأة يسافر يصل إلى تلك البلدة يقبض الله عَزَّوَجَلَّ روحه.

مشـــيناها خُطًـــى كتبـــت علينـــا ... ومـــن كتبـــت عليـــه خطًـــى مشـــاها

ومـــن كانـــت منيتـــه بـــأرض ... فلـــيس يمـــوت في أرض ســـواها

وفي حديث أبي عَزَّة: «**إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة**».

(﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾) كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد:٣٨] ، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ۗ﴾ [آل عمران:١٤٥] .

(﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ﴾): لا تشغلكم عن طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، فإن ذكر الله يأتي بمعنى طاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

(﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾) أي: يتلهى بماله وولده وزوجه عن طاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: (﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾) إن كانوا من أهل الإسلام فخسارتهم بقدر بعدهم، وإن كانوا من أهل الإجرام فيخلدون في النار وبئس القرار.

(﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾): أنفقوا يا معاشر المسلمين مما رزقكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾) فلا يستطيع أن يقدم أو يؤخر.

(﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾): أخرني ساعة، يوما، شهرا، سنة، لا يؤخر.

(﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾)؛ لعلمه بعظيم شأن الصدقة.

(﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾) يعني: يتمنى هذه الرجعة ويطلبها.

(﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾) هذا هو المراد من رجوعه، الآن هو موجود في الدنيا، ويترك الصالحات ولا يلتفت إليها، وإذا مات يتمنى أن يرجع ليعمل الصالحات، ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ [المنافقون:١٠]، ﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون:١٠٠] ، لكن هيهات.

(﴿كَلَّآ﴾): حقًّا، (﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾) أي: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [المؤمنون:٩٩] جملة مفيدة تسمى كلمة.

(﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾) وهو الحياة البرزخية الطويلة، وما فيها من النعيم للمؤمنين، أو العذاب للكافرين، أو من شاء الله من عصاة المسلمين.

(﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾) هذا يوم القيامة، والصور: القرن.

(﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾) ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لا تنفعهم الأنساب، ولا تنفعهم الأموال، ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ هذا في موطن، وإلا فيأتي مواطن يلقى بعضهم بعضا، ويسأل بعضهم عن بعض، هذا هو الجمع بين الأدلة.

(﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾) بالحسنات، (﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾) وفيه إثبات الميزان يوم القيامة، توزن به الأعمال، **والفلاح هو**: نيل المطلوب، والبعد عن المرهوب.

(﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾) وخفة الموازين بكثرة السيئات.

(﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾) تلفح وجوههم، وهذا دليل على أن الوجه قد يتعرض لكثير من العذاب والمهانة يوم القيامة، كما أنه علامة على المكارم العظيمة التي ينالها المؤمنون في جنات النعيم.

(﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾): ألم تكن آياتي يا معاشر الكافرين تتلى عليكم (﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾) وتزعمون أن هذا سحر يؤثر، وهذا قول البشر؟

(﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾) فالواقع أن الإنسان سيقف بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ، ويحاسب على ذنوبه، ويحاسب على أفعاله.

فعلى الإنسان أن يكون ذاكرا للموت؛ لأنه إذا ذكر الموت قلت معاصيه، وكثرت طاعته، والعكس.

(﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾) قال ابن مسعود: لم يكن بين إسلامنا وبين أن يعاتبنا الله عَزَّوَجَلَّ بهذه الآية إلا أربع سنوات، فكيف بنا نحن؟ الآن قد مضى من ذلك الزمان إلى يومنا هذا أكثر من ألف وأربعمائة وثلاثين عاما، ربما.

(﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾) وهو القرآن والوحي.

(﴿وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾) اليهود والنصارى.

(﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾) أي: تأخر موتهم، وكذلك طال عهدهم.

(﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾) قست؛ لكثرة المعاصي، والبعد عن طاعة الله.

(﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾) معرضون.

٥٧٣ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أخذ رسول الله ﷺ بِمِنْكَبي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يقول: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحتَ فَلَا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. رواه البخاري[1].

الشرح:

وهو حديث عظيم.

(أخذ رسول الله ﷺ بِمِنْكَبي) والمنكب: هو العظم الذي يكون بين الرقبة وبين الكتف، وهذا يدل على العناية بما سيقول له.

(كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ) والغريب لا يتخذ منزلا ولا بيتا ولا مأوى، إنما هو مستعجل.

(أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ) وهو الذي يمكث أقل من الغريب، إذا كان الغريب قد يمكث أياما، يأتي مثلا الغَيْضة من أجل بعض العمل، فيحتاج إلى أن يمكث أسبوعا أو أسبوعين أو ثلاثة، وربما مكث أشهرا وسنين من باب الغربة وتحصيل المتاع، لكن أيضا (أو عابر سبيل) عابر السبيل ربما ساعة بعد ساعة ثم يمضي في طريقه.

(وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول) آخذا بهذه النصيحة، ويزيد:

(إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ) وهذا غاية الزهد، وغاية تقليل الأمل، يعني أنه لا ينتظر أن يصبح، ومعنى ذلك: أن الآمال قد قطعت عن الطمع في الدنيا وعن الطمع في شيء من حطامها، لو كنت تتصور أن الصباح سيأتي وأنت ميت ما الذي ستعمل في هذه الليلة غير التسبيح تحميد استغفار صلاة؟

---

(١) انظر الحديث (٤٧٠).

ثم (إِذَا أَصْبَحتَ فَلَا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ) نفس الأمر، بينما لما نكون عندنا آمال أحدنا أن يعيش ستين سنة، وهذا أن يعيش أكثر من هذا وأقل من هذا تجد أن الفكرة ضعيفة، والآمال عظيمة، ولذلك ربما تسوف الليلة ما ستقيم الليل، يعني سهل إن شاء الله من غد، اليوم يفوتك حفظ وردك أو مراجعة ما يسره الله من غدا، وهكذا تسويفات.

ثم قال: (وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ) وهذا هو الفقه، أنت الآن شباب، أنت الآن صحيح، أنت الآن معافى، خذ من صحتك، سيأتي يوم والله تتمنى تصلي قائما ما تستطيع ربما، تتمنى تحفظ قرآن ما تستطيع، تتمنى تبادر إلى الخيرات ما تستطيع؛ للعجز، فخذ من صحتك لمرضك، بعضهم يتمنى أن يصلي جالسا، ما يستطيع يصلي إلا مضطجعا، والجالس يتمنى أن يصلي قائما، والقائم إلا من رحم الله كثير منهم مضيع.

(وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ) وهذا أيضا من أبلغ الوصايا، خذ من حياتك التي تستطيع أن تحصِّل فيها الحسنات لموتك الذي إذا دخلت في قبرك ما عندك إلا ما قدمت من العمل، ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف:٤٩] ، ﴿۞ يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [النحل:١١١] .

٥٧٤ - وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلاَّ وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ». متفقٌ عَلَيْهِ، هَذَا لفظ البخاري[1].

وفي روايةٍ لمسلمٍ: «يَبِيتُ ثَلَاثَ لَيَالٍ».

قَالَ ابن عمر: مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ قَالَ ذَلِكَ إِلاَّ وَعِنْدِي وَصِيَّتِي.

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٨)، ومسلم (١٦٢٧).

الشرح:

وهذا من المبادرة إلى الأعمال الصالحة، ومن قلة الأمل، يعني أنك تبادر إلى كتابة الوصية، وكتابة الوصية قد تجب وقد تستحب، وقد تحرم، فإذا كانت الوصية لكتابة واجب أو ربما يضيع بعدمها فيجب أن تكتبها، وإذا كانت في أمور مستحبة فيستحب، وإن كانت الوصية لوارث أو بأمر محرم فيحرم أن تكتب، وهكذا تجري عليها الأحكام.

(مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ) بهذا القيد.

(يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلاَّ وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ) وابن عمر طبق هذا.

فكلما قل أمل الإنسان كلما حرص على تقييد ما له وما عليه، التوبة يسارع بها، الإنابة يسارع بها، قضاء الديون، المسامحة، إلى غير ذلك، بينما إذا كان عنده أمل يقول لك: سهل، الحياة سهل، وإن شاء الله بعد أيام، ونحو هذا.

وقلت في "شرحي على صحيح مسلم": وفيه أولًا: الوصية ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾ [النساء: ١١]، وقال النبي ﷺ: «**لا وصية لوارث**»، مفهومه: صحة الوصية لغير الوارث، والإجماع قائم على جواز الوصية.

وتكون الوصية هي الحسيات والمعنويات، فالحسيات كالوصية بعقار أو نقد أو نحو ذلك، والمعنويات كالوصية بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والعلم والاستقامة.

وكم هي وصايا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ووصايا رسوله ﷺ، ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ [النساء: ١١].

وهكذا وصية الأزواج لزوجاتهم بعد مماتهم، فكانت الوصية واجبة للأب والأم، كما في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في البخاري: كان المال للولد والوصية للأب والأم، ثم نسخه الله عَزَّوَجَلَّ فجعل للأم السدس، وللأب السدس، وللزوجة الربع أو الثمن، في حالين، والباقي عصبة للأولاد، حديث ابن عباس بمعناه في البخاري.

ولا يجوز أن يوصي في حرام، فالوصية باطلة إن كانت في حرام، لو أوصى بشراء خمر، أو أوصى ببناء قبة، أو أوصى بمال لتجهيز مولد، هذه وصايا باطلة، وإن كان الرجل من أهل الإسلام فورثته بين خيارين:

الخيار الأول: أن يمضوا وصية أبيهم بعد تحويلها إلى وصية شرعية، فمثلا: لو أوصى لرباط صوفية تحول الوصية على مسجد سنة.

والخيار الثاني: أن يرد المال، ويقسم على الأنصبة بين الورثة.

ولا يجوز تغيير الوصية، إلا على الوجه الذي تقدم، وإلا فقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ١٨١].

اهـ

٥٧٥ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خُطُوطًا، فَقَالَ: «هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ الخَطُّ الأَقْرَبُ». رواه البخاري[1].

الشرح:

فيه ضرب الأمثال، وفيه التعليم بما يسمى بالعملي؛ لأنه أبلغ من النظري.

(١) حديث رقم: (٦٤١٨).

٥٧٦ - وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَط، فَقَالَ: «هَذَا الإِنْسَانُ، وَهذَا أَجَلُهُ مُحِيطًا بِهِ - أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا، نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا، نَهَشَهُ هَذَا». رواه البخاري[1]. وَهذِهِ صُورَتُهُ:

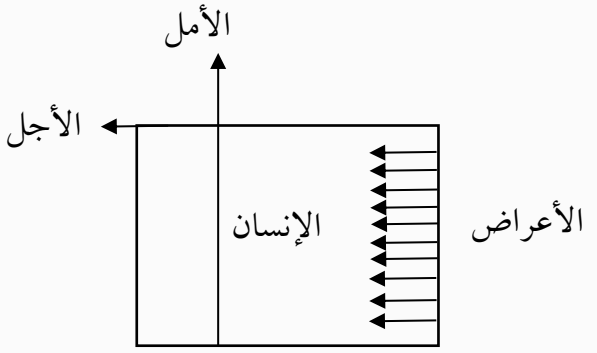

الشرح:

(خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا) يعني هكذا مربع.

(وَخَطَّ خَطًّا فِي الوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ) خارج المربع، مثلا هذه الماسة عندكم هي الخط المربع، ثم خط خطا خارجا عن المربع، فهذا الخط الخارج عن المربع هو الأمل، وهذا الخط المربع هو الأجل، بينما الإنسان أمله بعيد لسنين طويلة وأعوام مديدة إذ جاءه الأجل معترضا، فحال بينه وبين ما يؤمله ويرجوه.

(وَهذِهِ صُورَتُهُ) يعني رسم مستطيلا، ثم جعل داخله خطا طويلا يخرج من ذلك المستطيل، وجعل خطوطا صغارا من هاهنا ومن هاهنا، فهذا الإنسان، وهذا أمله

(١) حديث رقم: (٦٤١٧).

الطويل، وهذا المربع أجله، وهذه الخطوط الصغيرة من هاهنا ومن هاهنا ما يصيبه من الأمراض والأسقام، ونحو ذلك.

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح الباري: وَالْحَاصِلُ: أَنَّ من لم يمت بِالسَّبَبِ مَاتَ بِالْأَجَلِ، وَفِي الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى الْحَضِّ عَلَى قِصَرِ الْأَمَلِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِبَغْتَةِ الْأَجَلِ وَعَبَّرَ بِالنَّهْشِ وَهُوَ لَدْغُ ذَاتِ السُّمِّ مُبَالَغَةً فِي الْإِصَابَة والاهلاك. اهـ

٥٧٧ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلاَّ فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنًى مُطْغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوْ الدَّجّالَ، فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ؟». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

٥٧٨ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ» يَعْنِي: المَوْتَ. رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[2].

الشرح:

(أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ) وهو الموت، إن ذكر على القليل زهَّد فيه، على الكثير زهَّد فيه، على الأمل جعلك صاحب أمل قصير، فالشاهد أنه هاذم اللذات.

قال المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تحفة الأحوذي"(٦/ ٤٨٩): قَالَ مَيْرَكُ صَحَّحَ الطِّيبِيُّ بِالدَّالِ الْمُهْمَلَةِ حَيْثُ قَالَ شَبَّهَ اللَّذَّاتِ الْفَانِيَةَ وَالشَّهَوَاتِ الْعَاجِلَةَ ثُمَّ زَوَالَهَا بِبِنَاءٍ مُرْتَفِعٍ يَنْهَدِمُ بِصَدَمَاتٍ هَائِلَةٍ ثُمَّ أَمَرَ الْمُنْهَمِكَ فِيهَا بِذِكْرِ الْهَادِمِ لِئَلَّا يستمر على الركون إليها ويشتغل عَمَّا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْفِرَارِ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ انْتَهَى كَلَامُهُ. اهـ

(١) انظر الحديث (٩٣)، وهو ضعيف، في سنده محرز بن هارون، وهو ضعيف.

(٢) حديث رقم: (٢٣٠٧)، وهو صحيح لغيره.

٥٧٩ - وعن أُبَيِّ بن كعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ قَامَ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اذْكُرُوا اللهَ، جَاءتِ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ»، قُلْتُ: يَا رسول الله، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «مَا شِئْتَ»، قُلْتُ: الرُّبُع، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: فَالنِّصْف؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: فالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: أجعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: «إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرَ لَكَ ذَنْبُكَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

الشرح:

ساقه المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لبيان قول النبي ﷺ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اذْكُرُوا اللهَ، جَاءتِ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ) الراجفة: القيامة، (تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ): صيحة أخرى، (جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ) من خير أو شر، (جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ) من خير أو شر، فإن كان الإنسان من أصحاب الخير وجد الخير، وإن كان من أصحاب الشر والضير وجد الشر والضير، نسأل الله السلامة والعافية، إلا إن كان من العصاة فهو تحت المشيئة، إن شاء الله عذبه وإن شاء عفا عنه.

أما قوله: (أجعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟) فتقدم أن الحديث ضعيف، ومع ذلك وجهه العلماء قال كما قال ابن القيم في (جِلَاء الأفهام): وسئل شيخنا أبو العباس عن تفسير هذا الحديث فقال: كان لأبي بن كعب دعاء يدعو به لنفسه، فسأل النبي ﷺ: هل يجعل له منه ربعه صلاة عليه ﷺ؟ فقال: «إن زدت فهو خير لك»، فقال له: النصف، فقال: «إن زدت فهو خير لك»، إلى أن قال: أجعل لك صلاتي كلها، أي: أجعل دعائي

---

(١) حديث رقم: (٢٤٥٧)، وهو ضعيف، من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل، وكثير من العلماء ربما حسنوه؛ اعتمادا على أن هذا الرجل حسن الحديث، والصحيح أنه ضعيف.

كله صلاة عليك، قال: «**إذا تكفي همك ويغفر لك ذنبك**»؛ لأن من صلى على النبي ﷺ صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ومن صلى الله عليه كفاه همه وغفر له ذنبه، هذا معنى كلامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورحمه[1].

لكن هذا يكون إذا صح الحديث، فالحديث لم يصح عندنا، والله المستعان.

(١) (جلاء الأفهام) (ص٧٩ت الأرنؤوط).

٦٦ - باب استحباب زيارة القبورللرجال وما يقوله الزائر

بل وللنساء إذا أُمنت الفتنة، وما ذهب إليه جمع من أهل العلم من منع النساء من زيارة القبور استدلالا بحديث «**لعن الله زوَّارات القبور أو زائرات القبور**» فلا يستقيم أولا: الحديث فيه كلام، ثانيا: الحديث قد وجه على القول بصحته أن المراد: اللاتي يحدثن النوح، والتكشف، والاختلاط، وغير ذلك في القبور، وقيل: بمعنى المسبلات اللاتي يأتين إلى القبور ويزعمن أنهن يعلمن ما في القبر من الداخل، وربما تقول لولي الميت: فلان يحتاج كذا ويريد كذا، هذه أقوال لأهل العلم.

والدليل على جواز الزيارة قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يا رسول الله كيف أقول إذا زرت القبور؟ فعلمها، ولو كان لا يجوز لها الزيارة لقال: لا يجوز لك أن تذهبي إلى القبور، تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.

الأمر الثاني: أن النبي ﷺ يقول: «**نهيتكم عن زيارة القبور**»، وهذا نهي للرجال والنساء، ثم قال: «**فزوروها**»، وهذه رخصة للرجال والنساء، وأيضا يقول ﷺ: «**زوروا القبور؛ فإنها تذكركم الموت**»، وهذا عام في الرجال والنساء، والنساء بحاجة إلى أن تذكر بالموت، فهي أشد غفلة من الرجل.

وفي حديث أم حبيبة: نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا، فإذا كان اتباع الجنائز جائزا لها فالزيارة كذلك من باب أولى، أنما الممنوع النوح والتكشف والاختلاط وما في ذلك.

٥٨٠ - عن بُرَيْدَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عن زِيَارَةِ القُبُورِ فَزُوروها». رواه مسلم(١).

وفي رواية(٢): «فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَزُورَ القُبُورَ فَلْيَزُرْ؛ فإنَّهَا تُذَكِّرُنَا الآخِرَةَ».

الشرح:

هذا ناسخ ومنسوخ، (كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عن زِيَارَةِ القُبُورِ) منسوخ، (فَزُوروها) ناسخ، الناسخ والمنسوخ يعرف بالتاريخ، أو يعرف بسياقة الكلام: النهي ثم الإباحة.

٥٨١ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كَانَ رسول الله ﷺ كلَّما كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رسول الله ﷺ يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى البَقِيعِ، فَيقولُ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ، غَدًا مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَهْلِ بَقِيعِ الغَرْقَدِ». رواه مسلم(٣).

الشرح:

وفيه قصة: خرج النبي ﷺ لزيارة القبور وخرجت عائشة تشتد خلفه، تظن أنه ذاهب لبعض أزواجه، فإذا كانت هذه عائشة فما بالك في غير عائشة؟ ما أكثر وما أشد الغيرة عند النساء، ويوسوس لها الشيطان أنه مع غيرها أحسن حالا منها، فيسوء طبعها معه، وربما ساء طبعه معها، وتحصل المنافرة، والمهاجرة، وربما الكلام غير الطيب، من الجانبين، بسبب هذا الأمر.

مع أن الجميع ينبغي لهم أن يتقوا الله عَزَّوَجَلَّ، الزوج يلزم بالعدل، ورقيبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مراقب الله له، والمرأة تلتزم بالسكينة والهدوء، وحتى إن جاءت الغيرة

---

(١) حديث رقم: (٩٧٧).

(٢) هذه ليست في مسلم، وإنما هي عند النسائي، وأحمد، والترمذي، كما أشار المحقق.

(٣) حديث رقم: (٩٧٤).

الغيرة واقعة، ما نقول: ما هناك غيرة في المرأة، المرأة لا بد أن تغتار إلا أن يشاء الله، لكن لا تظهر هذا الأمر على ظنون ليس لها حقائق.

فانظر إلى أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رسول الله ﷺ يذهب لزيارة القبور وهي تذهب خلفه، انتهى النبي ﷺ من شأنه وإذا بسواد يجري، أسرع النبي ﷺ المشي وإذا بها تشتد أكثر، فلما دخل البيت وإذا بها يشتد نفسها، فوضع رسول الله ﷺ يده على صدرها، وعاتبها في ذلك، فقالت له: أوَكل ما كذا يعلمه الله؟ قال لها النبي ﷺ: «**نعم**»، ثم قالت له: يا رسول الله كيف أقول إذا زرت القبور؟ فقال لها: «**قولي: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ، غَدًا مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَهْلِ بَقِيعِ الغَرْقَدِ**».

وفي ليلة من الليالي النبي ﷺ يصلي بجانبها، وهي افتقدته، ظنت أنه ذهب إلى بعض نسائه، فتتحسحس بيديها، وإذا به ساجد يقول: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»، قالت: إنك لفي شأن وأنا في شأن.

فهكذا كثير من النساء يكون زوجها في شأن وهي في شأن، فنسأل الله أن يعين الجميع على طاعته ومرضاته، قلنا لبعض الشيوخ: كيف عندك يا فلان الحرب قد انتهت؟ قال: أما أنها تنتهي ما تنتهي، لكن خفت، نسأل الله أن يعينه.

وفيه (**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**) وليس معنى ذلك أنهم يسمون، وإنما هذا دعاء بالسلامة؛ لأن بعضهم يظن أن الميت يسمع، ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر:٢٢] ، وهذا دليل على أن المقابر بيوتهم، لا يجوز أن يُخرَجوا منها، ولا يجوز أن تؤخذ عليهم، هل يجوز أن تذهب تأخذ بيت واحد؟ ما يجوز، كيف تذهب تأخذ

المقبرة تبني عليها؟ لا يجوز، قال النبي ﷺ: «**حتى يكون البيت بالعبد**»، أي: أن القبر يسمى بيت.

إلا لضرورة، كأن يكون قُبر في طريق وليس إلا هو، ما هي مقبرة، بعضهم الآن يذهب يبني بيتا ويريد منك فتوى، يا أخي أيش أفعل؟ أنا بنيت بيتي فوق مقبرة، هد البيت واخرج، هذه الفتوى الصحيحة، لكن إذا قال: أنا بنيت بيتا وليس إلا قبر واحد، ليست مقبرة، قبر واحد، هنا نقول: خذ القبر وانقله إلى مقابر المسلمين، هذا الحكم الشرعي.

أما بمجرد ما يقول لك: بنيت على مقبرة يأخذ المقبرة؟ أو جاء خط على مقبرة خذ المقبرة؟ غير صحيح، لكن بعض الخطوط الآن تمتهن القبور، والناس في بعد عن طاعة الله عَزَّوَجَلَّ وعن مراقبته، فلو أُزيلت بعض القبور التي من فوقها الخط وتُحول إلى الجانب الذي ما فوقه الخط، والله المستعان.

أهل البدع هم الذين سوغوا للناس هذا الصنيع، هم الذين سوغوا للناس أن يجعلوا الطرق من فوق المقابر، الحي أبقى من الميت، أنت أيها الحي الآن غدا ميت، وكما تمتهن قبور الأموات سيمتهن قبرك، الجزاء من جنس العمل، وفي الموقف على عائشة: كسر عظم الميت ككسره حيا.

كم نحدث من المقابر التي في اليمن وفي غير اليمن وقع عليها من الامتهان ما الله به عليم! بل في بعض المناطق يربطون الحمار عليها، والبقرة عليها، والشاة عليها، بل في بعض المناطق يتغوطون فيها، والنبي ﷺ يقول: «**ما أبالي قضيت حاجتي وسط المقبرة أو وسط السوق**»، في أحد يقضي حاجته وسط السوق والناس حوله من هاهنا ومن هاهنا؟ فكذلك حين تذهب إلى القبور وتقضي حاجتك بينها كأنك تقضيها وسط السوق.

ونهى النبي ﷺ عن وطء القبور، وعن البناء عليها، وعن التجصيص لها، وعن الكتابة عليها، كل هذه الأشياء الآن موجودة، الكتابة موجودة، ويجصصونها ربما بالمرمر وبغير ذلك، ويجلسون عليها، بعضهم حتى للفرجة، يذهب هو وزوجته من أجل يعملوا صور تذكارية فوق القبر، لا سيما في المقابر التي تسمى مقابر الشهداء، وهكذا مقابر الرؤساء والزعماء، نسأل الله السلامة والعافية.

فيا معاشر المسلمين اتقوا الله في بيوت الأموات، إياكم أن تنتهكوها ببناء أو وطء، أو غير ذلك من أنواع الانتهاكات، الحق الشرعي لها أن تسلم عليهم وتدعو لهم، لعل الله عَزَّوَجَلَّ أن يستجيب منك دعوة.

(وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ) أي الموت.

(غَدًا مُؤَجَّلُونَ) أي: سنأتي بعدكم، أو أنكم ستؤجلون إلى ما شاء الله ثم تُبعثون.

(وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ) في هذا دليل لمسألة عقدية وهي الاستثناء في الإيمان، النبي ﷺ يعلم أنه سيموت يقينا، ومع ذلك يقول: **(وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ)**، فيكون الاستثناء من باب التبرك بذكر اسم الله، ونحو ذلك من الأوجه الشرعية، لا على الشك.

(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَهْلِ بَقِيعِ الغَرْقَدِ) وهذه دعوة طيبة، فإن يسر الله لك بالدفن في تلك المقبرة اسع في ذلك؛ لأن النبي ﷺ دعا لأهلها، وهذا على العموم، سواء أهلها الذين كانوا في عهده أو أهلها الذين كانوا بعد عهده.

وسميت بقيع الغرقد؛ لأنها فيها شجرة الغرقد، هذه التي يختفي خلفها اليهود في آخر الزمان ولا تخبر بهم.

٥٨٢ - وعن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النبيُّ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى المَقَابِرِ أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُمْ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أهلَ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُسلمينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ للَاحِقونَ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ العَافِيَةَ». رواه مسلم[1].

الشرح:

ما أحوج الإنسان إلى العافية في الدنيا والآخرة! في الدين والدنيا والأخرة، فسل الله العافية في القبر من عذابه وأليم عقابه، وسل العافية في الآخرة من أهوالها ومن نارها، وسل العافية في الدنيا من الأسقام والبدع والخرافات، وغير ذلك.

٥٨٣ - وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: مرَّ رسول الله ﷺ بِقُبورٍ بالمدِينَةِ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ القُبُورِ، يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ، أَنْتُمْ سَلَفُنَا وَنَحنُ بالأَثَرِ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[2].

الشرح:

وهو ضعيف، في سنده قابوس بن أبي ظبيان، ويشهد له ما قبله من الأحاديث وتغني عنه.

(١) حديث رقم: (٩٧٥).

(٢) حديث رقم: (١٠٥٣).

٦٧ - بابُ كراهة تمنّي الموت بسبب ضُرّنزل بِهِ وَلا بأس بِهِ لخوف الفتنة في الدين

قد يكون في بقائك نفع لك، وفي موتك انقطاع لعملك، وما تدري ربما الآن أنت على أعمال من أسباب دخولك النار، فتتمنى الموت تموت عليها قبل أن تحدث توبة، وتأخرك قد يكون فيه توبة صادقة، يكفر الله به السيئات، ويرفع به الدرجات، ويعظم به المثوبات.

٥٨٤ - عن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «لا يَتَمَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ، إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ». متفقٌ عَلَيْهِ، وهذا لفظ البخاري[1].

وفي رواية لمسلم عن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قَالَ: «لَا يَتَمَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ؛ إِنَّهُ إِذَا مَاتَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ المُؤْمِنَ عُمُرُهُ إِلاَّ خَيْرًا».

الشرح:

(لا يَتَمَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ) «لضر نزل به» كما في رواية.

(إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ) خيرا إلى خيره، وبرا إلى بره، وإحسانا إلى إحسانه، إن كان من العلماء سيؤلف ويصنف ويدرس ويخطب، وإن كان من غيرهم ربما يحج ويعتمر، وإن كان من أهل الأموال ربما يبني مساجد ويجري آبارا، ونحو ذلك من الخير العظيم، وهكذا حتى الفقراء لعله يسبح ويحمد ويذكر الله ويدعو الله.

(وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ) يتوب ويستغفر، ويعود إلى الله عَزَّوَجَلَّ، كم من إنسان لا سيما في حال شبابه ربما تجده ما يلتفت يمنة ولا يسرة إلا كما أراد هواه، تارة مع

(١) أخرجه البخاري (٧٢٣٥)، ومسلم (٢٦٨٢).

الزنا، وتارة مع الخمر، وتارة مع المخدرات، وتارة مع الشرور، فإذا كبر سنه قليلا وإذا به يرى أنه كان في ضلالة وفي انحراف، فيقع منه التوبة والإنابة.

(لَا يَتَمَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ) لا تتمن الموت ولا تدع به قبل أن يأتيك، هو آت آت، لماذا تستعجل؟ وهل استعجالك حتى تلقى الله؟ الواقع أن الذين يسألون الله الموت في الغالب ما يسألونه من أجل يلقوا الله، وإنما يسألونه فرارا من فتن الدنيا، إما أنه فقير، أو مرض، أو أذى جاء عليه، أو غير ذلك، فلا تدع به من قبل أن يأتيك، هو سيأتي سيأتي.

(إِنَّهُ إِذَا مَاتَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ) هذه هي العلة، إذا مات انقطع عمله.

(وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ المُؤْمِنَ عُمُرُهُ إِلاَّ خَيْرًا) وفي حديث عبد الله بن بسر: «خيركم من طال عمره وحسن عمله»، وفي المقابل: «شركم من طال عمره وساء عمله».

٥٨٥ وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ لِضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلًا، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيرًا لِي». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

(لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ) الرجال والنساء.

(لِضُرٍّ أَصَابَهُ) يعني إما مرض أو نحو ذلك.

(اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيرًا لِي) يعني اجعل الأمر في الخيرة إلى الله، إن علم أن في موتك الخير قربه لك، وإن علم في موتك الضرر عليك أخره عليك حتى تتوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) انظر الحديث (٤٠).

وهذا هو الذي جاء عن البخاري أنه دعا على نفسه بالموت حين اشتدت الفتنة، وهجره الناس، وطُرد من البلد، إلى غير ذلك.

٥٨٦ - وعن قيسِ بن أَبي حازم، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى خَبَّاب بن الأَرَتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَعُودُهُ وَقَدِ اكْتَوَى سَبْعَ كَيَّاتٍ، فَقَالَ: إِنَّ أَصْحَابَنَا الَّذِينَ سَلَفُوا مَضَوْا، وَلَمْ تَنْقُصْهُمُ الدُّنْيَا، وَإِنَّا أَصَبْنَا مَا لَا نَجِدُ لَهُ مَوْضِعًا إِلاَّ التُّرَابَ وَلولا أَنَّ النبي ﷺ نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ بِالمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ، ثُمَّ أَتَيْنَاهُ مَرَّةً أُخْرَى وَهُوَ يَبْنِي حَائِطًا لَهُ، فَقَالَ: إِنَّ المُسْلِمَ لَيُؤْجَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ إِلاَّ فِي شَيْءٍ يَجْعَلُهُ فِي هَذَا التُّرَابِ. متفقٌ عَلَيْهِ، وهذا لفظ رواية البخاري[1].

الشرح:

قوله: (دَخَلْنَا عَلَى خَبَّاب بن الأَرَتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) من قدماء الصحابة، وهو الذي قال للنبي ﷺ في مكة: ألا أتستنصر لنا؟ وهناك خبيب، وهو الذي قتله الكفار صبرا في مكة.

(نَعُودُهُ وَقَدِ اكْتَوَى سَبْعَ كَيَّاتٍ) فيه فضل عيادة المريض، اكتوى: استخدام الكي إما بالنار وإما بالثلج، وفي الغالب أنهم يكتوون إما في الرأس وإما في الصدر.

(فَقَالَ: إِنَّ أَصْحَابَنَا الَّذِينَ سَلَفُوا مَضَوْا) يعني الصحابة الذين كان معهم.

(وَلَمْ تَنْقُصْهُمُ الدُّنْيَا)؛ لأنهم عملوا الصالحات، وسلموا من توسع الدنيا، كما قال عبد الرحمن بن عوف لما قُرِّب إليه الطعام وذكر مصعب بن عمير: أنه ذهب ولم يأكل من نصيبه شيئا.

(وَإِنَّا أَصَبْنَا مَا لَا نَجِدُ لَهُ مَوْضِعًا إِلاَّ التُّرَابَ)؛ لكثرة الأموال والضياع.

(وَلولا أَنَّ النبي ﷺ نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ بِالمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ) فيه ما بوب له النووي من النهي عن الدعاء بالموت، وإن كان ولا بد فبالتقييد الذي تقدم.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٢)، ومسلم (٢٦٨١).

(ثُمَّ أَتَيْنَاهُ مَرَّةً أُخْرَى) يعني بعد أن شفاه الله وعافاه مما فيه من المرض.

(وَهُوَ يَبْنِي حَائِطًا لَهُ): مزرعة.

(إِنَّ الْمُسْلِمَ لَيُؤْجَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ إِلاَّ فِي شَيْءٍ يَجْعَلُهُ فِي هَـذَا التُّـرَابِ) الظاهر والله أعلم أن السبب في ذلك: أن هذه الأمور تعلقه بالدنيا، وإلا إذا كان يبني هذا الحائط وهذه المزرعة لحماية مال ولده وللإنفاق على أهله فهو يؤجر لهذا المقصد.

وقلت في "شرحي على صحيح مسلم": في هذه الأحاديث التصريح بالنهي عن تمني الموت، وأن ذلك لا يجوز، وهل ذلك على الكراهة أو على التحريم؟ جمهور أهل العلم على الكراهة؛ لأنه ما سيكون إلا ما قدره الله عَزَّوَجَلَّ وقضاه، ثم إن الإنسان إذا مات انقطع عمله، «والمؤمن لا يزيده عمره إلا خيرا»، ولو عاش يوما بعد أخيه، أو أياما، أو سنة، أو شهرا، يناله الخير العظيم؛ لصلوات صلاها، ولصيام صامه، ولذكر جاء به، ولقرآن قرأه، ولصدقة أمضاها، إلى غير ذلك.

فالمؤمن عمره زيادة في الخير، والكافر عمره زيادة في الشر، فلذلك المؤمن لا يتمنى الموت؛ لأن تمني الموت في الغالب يصدر عن عدم رضى بالواقع الذي هو عليه، فربما يدخله التضجر، وعدم الصبر، والإنسان مأمور بالصبر، ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، ﴿ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

ثم أيضا الآجال مكتوبة ومقدورة، وتمنيها لا يقدم فيها ولا يؤخر، ثم إن الله عَزَّوَجَلَّ جعل مندوحة فلا يبقى الإنسان مع الحياة التي أتعبته، ولا يتمنى ما غُيب عنه ولكن ليجعل الخير إلى الله. اهـ

٦٨ - باب الورع وترك الشبهات

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٥] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر:١٤] .

الشرح:

وهذا باب من أهم الأبواب، **الورع**: ترك ما يضر في الآخرة، والزهد: ترك مالا ينفع في الآخرة، فقد تترك بعض الأشياء المباحة ورعا؛ حتى لا يلحقك التبعات.

(وترك الشبهات) أي: الأمور المشتبهة، سواء علمية أو عملية، تشككت في مسألة هل هي حلال أم حرام حكما تورع، لا تفت بها حتى يفتح الله عليك، وهكذا في الأمور العملية، كأرض تشككت فيها هل هي مغصوبة أو غير مغصوبة لا تشتريها، ما ضيق الله عليك، أو جاءك رجل ببضاعة كجوال أو شيء إلى دكانك يقول لك: أبيع منك هذا، وأنت تشك أنه مسروق، لا تشتر، لا تشتر إلا شيئا ما فيه شبهة، ولا تفت إلا في شيء ما عندك شبة فيه.

(﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾) كم من مسائل ربما تظن أن القول فيها هين سهل وهي عند الله عظيمة! تؤاخذ عليها، وتعاتب عليها.

(﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾) أي: لمتعمد المخالفات الشرعية في المسائل العلمية وفي المسائل العملية.

٥٨٧ - وعن النعمان بن بشيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَت صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ». متفقٌ عَلَيْهِ، ورواياه مِنْ طرقٍ بِأَلْفَاظٍ متقاربةٍ[1].

الشرح:

يقول: (إِنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ) يعني: واضح، ما أحله الله واضح لا إشكال فيه.

(وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ) لا إشكال فيه، فمثلا الخبز واللحم حلال، والبرتقال والتفاح والحبحب، وهكذا اللحوم المذبوحة على طريقة أهل الإسلام.

(وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ) كالميتة والخنزير والخمر.

(وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ) فإذًا حين يقول لك أهل الاستقامة: عليك بالحلال واترك كذا ليس معنى ذلك أنه ضُيق عليك، فعندك الحلال كثير، وعندك الحرام كثير، فالزم الحلال واجتنب الحرام، فإذا أشكل عليك شيء في مسألة (لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ) دليل على أن بعض الناس يعلمهن.

وقلت في "شرحي على الأربعين النووية": هذا حديثٌ عظيم القدر، ورفيع المنزلة يتعلق به بيان الحلال والحرام، وما بين ذلك، **فالأمور تنقسم إلى ثلاثة أقسام:**

القسم الأول: (**الحلال المحض**): الذي يعلم حِلَه العالم والجاهل والحضَري والبَدَوي، كحِل الطعام وحِل الفواكه، وحِل ذبيحة بهيمة الأنعام.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

القسم الثاني: (**حرام محض**): يعلمه من تقدّم كالسرقة والخمر، والزنا، ونحو ذلك، ومنها أمورٌ مشتبهة بين الحِل والحرمة وهذا الاشتباه، لا يكون لجميع الناس وإنما يكون الاشتباه عند أصنافٍ من الناس والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف:٧٦]، **فما أشكل عليك من أمرٍ فارجعهُ إلىٰ أهل العلم العلماء**: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل:٤٣]، وقد حذَّر النبي ﷺ العلماء من كتم العلم: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

القسم الثالث: (**أمور مشتبهة**): وهذه الأمور المشتبهة، إما لعدم قوة الأدلة فيها، في بيان حِلها وحُرمَتِها، وإما لقلة فَهمِ القارئ أو السامع، أو المجيب، وإما لسوء قصدٍ عند بعض الناس، وربما يكون المشتبه فيه "حلال" كالخيل، وعند مالكٍ وغيره من العلماء "حرام" واستدلوا بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل:٨]، **قالوا**: ما خلقها الله للأكل، وإنما خلقها الله للركوب والزينة، ورَدَّ عليه من أباحها بما ثبَتَ من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأسماء وكلاهما في "الصحيح"، قال: «**نَحَرْنَا فَرَسًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَكَلْنَاهُ**»(٢)، فلا يُمنع أن يكون زينة ويؤكل، كما أن البقر للحرث وتؤكل.

ومن المشتبهات: (**الضِبْ**): فبعضهم يراه من الحشرات المستقذرة، حتى أن بعض العلماء جعل من أسباب التحريم الاستقذار، **والصحيح**: أنه ليس من أسباب التحريم، فالحرام ما حرمه الله والحلال ما أحله الله، وإلا لو عدنا إلى مسألة الاستقذار، لرأينا أن كثيرًا من الناس في المناطق الجبلية يألفون أشياءً وكثيرًا من

---

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (**٣٦٥٨**)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء عند أحمد وابن ماجه وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (**٥٥١٩**)، ومسلم حديث رقم: (**١٩٤٢**).

الناس في المناطق الساحلية، يألفون أشياءً، وتجد العكس، فهل نقول هذا الأمر المستقذر عند من استقذره حرام؟ وعند من استطابه حلال؟

الجواب: فالمسائل التي اختلف فيها الناس الحق واحد، وهو ما دل عليه الدليل فعلى المسلم، أن يلازم الحلال في المأكل، والمشرب، والملبس، والمنكَح وغير ذلك، والحلال هو المأذون فيه من الله عَزَّوَجَلَّ، والحرام هو الذي منعه الله عَزَّوَجَلَّ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء:٣٢]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة:٩٠]، **فالمشتبهات ينبغي للإنسان أن يكون حذرًا منها، مبتعدًا عنها حتىٰ يسأل؛ لأنه إذا سأل من هو أعلم منه، فأفتاه بالدليل انشرح صدره لِمَا أفتاه به، فإن كان حلالًا أكله واستخدمه بطمأنينة نفس، وإن كان حرامًا تركه علىٰ ذلك، وهو منشرح الصدر، أما فِعل المُشتبَه فهو حرج، ولذلك تجد كثيرًا من الناس يسألون في هذه الأمور المشتبهه، فيفعلونها ثم يتحرجون، لو تَرَكُوها حتىٰ يأتيهم العلم لسَلِم لهم دينهم، وعقيدتهم. اهـ من "الأربعين النووية".**

(فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ) جعل بينه وبينها وقاية، لم يأكلها، لم يشربها، لم يلبسها، لم يشترها، أي شيء فيه شبهة.

(اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ) سلم له دينه من النقص، من الذهاب.

(وَعِرْضِهِ) سلم من السب والثلب والشتم؛ لأن الإنسان حين يفعل الشبهات الأمور المشتبهة ستجد أن دينه ينقص، وستجد الناس يتكلمون فيه: أنت ما عندك ورع، أنت ما عندك زهد، تأكل هذا وتشرب هذا.

((**وهكذا** المشتبهات ربما الذي يراها من المحرمات يتكلم فيه، ويقول هذا يفعل، ويفعل، فيكون عِرضَه عُرْضَةٌ للكلام، والتحذير، والسخرية، وغير ذلك، بينما

إذا استبرأ وتركها وابتعد عنها، حصل له البراءة في دينه والبراءة في عِرضِه والنبي ﷺ لما قلب صفيةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في ليلةٍ مُظلمة من المسجد، إلى بيته، ثم رأى رجلين من الأنصار يسرعان في الخُطى فقال: «على رُسْلِكُما، إنها صفية بِنْتُ حُيَيٍّ» فَقَالاَ سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا، أَوْ قَالَ: شَيْئًا»[1].

- **وقد قال مَن قال من أهل العلم**: ينبغي للداعي إلى الله وللعالم، إذا تُكُلِمَ في عرضه أن يُبَيّن، استدلالًا بهذا الحديث.

وقد حرم عَزَّوَجَلَّ علينا الوقيعة في الأعراض: قال رسول الله ﷺ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»[2].)). اهـ من "شرحي علىٰ الأربعين النووية".

(وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ): قارب الوقوع في الحرام؛ لأنه لو كان وقع في الحرام كان الحكم ظاهرا، لكن المعنى **(وَقَعَ فِي الحَرَامِ)** أي: قارب الوقوع في الحرام؛ لما يأتي من ضرب المثل.

(كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى) راعي إبل، أو راعي بقر، أو راعي غنم، يرعى حول مزرعة قد حماها صاحبها.

(يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ) ربما تدخل هذه البقرة، وهذا الإبل، أو هذه الغنمة، بدون أن ينتبه لها، فاجعل نفسك بعيدا عن أموال الناس؛ حتى لا تؤاخذ وبعد ذلك تقول: والله الإبل دخلت بدون قصد مني، دخلت بدون قصد منك وأفسدت تضمن، على تفصيل لأهل العلم في ليلها أو نهارها.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٢٨١)، ومسلم حديث رقم: (٢١٧٥).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٦٧٩).

(أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى) في الدنيا تجد ملوك الدنيا لهم محميات، أليس عندنا هنا في المهرة يقولون: محمية حَوْف، وربما في البحر يقولون: هذه الفترة لا تصطادوا الزواحف، لا تصطادوا الشروخ، هذا حمى.

(أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ) ما حرمه الله فهو محمي، لا يجوز لك أن تلج فيه.

(أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَت صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ) لصلاحها.

(وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ) لفسادها.

(أَلَا وَهِيَ القَلْبُ) وقد قال النبي ﷺ: «أفضل الناس صدوق اللسان، مخموم القلب»، قالوا: يا رسول الله صدوق اللسان عرفناه، فما مخموم القلب؟ قال: «التقي النقي الذي، لا غل فيه ولا حقد ولا حسد».

٥٨٨ - وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ وَجَدَ تَمْرَةً فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ: «لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لأَكَلْتُهَا». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

انظر إلى شدة ورع النبي ﷺ، ترك التمرة خشية أن تكون من الصدقة؛ لما فيها من الاشتباه.

بهذا الحديث استدل أهل العلم على أن اللقطة اليسيرة يجوز للإنسان أن يستمتع بها، ولا يلزم فيها التعريف.

وهكذا كلمة (لولا) إنما تذم إذا كانت في الاعتراض على القدر، وإلا فقد جاء بها النبي ﷺ، وقد بوب البخاري في صحيحه: باب القول في اللو.

وهكذا الصدقة محرمة على محمد صل الله عليه وسلم، وعلى آل بيت محمد صل الله عليه وسلم على الصحيح من أقوال أهل العلم، لا تجوز لهم لا الصدقة التي

(١) أخرجه البخاري (٢٠٥٥)، ومسلم (١٠٧١).

هي الزكاة، ولا الصدقة التي هي النافلة، وذكر شيخ الاسلام وهكذا ابن باز وبعض العلماء مسألة، وهي: إذا كانوا لا يُعطون من الخمس ونزل بهم الضرر فلا بأس أن يعطوا منها بقدر رفع الحاج عنهم.

ونرى والله أعلم أنه ينبغي للناس إذا علم برجل من آل البيت من الفقراء أن يحسن إليه بالهدية، وبالهبة، ليس القصد فقط أنك ما تؤجر إلا على الصدقة، قد تكون الهدية والهبة فيها من تفريج الكرب ما الله به عليم، وربما تؤجر عليها أكثر من أجرك على الصدقة، لا سيما في مثل هذا الموطن، إذا عُلم أن هناك من صالحي آل البيت من هو في فقر وحاجة فلا بأس أن يُعطى هبة أو عطية أو هدية.

والنبي ﷺ يقول: «**تهادوا تحابوا**»، وقد كان الأنصار يهدون للنبي ﷺ، ويهدون لآل بيته، فليست القضية فقط قضية أن الإنسان يحسب على الله، يحسب على الله؛ لأنه سمع أجر الصدقة فأصبح لا يريد يعطي شيئا إلا قد علم أجره، لا يا أخي، التزم شرع الله وفرج عن المسلمين.

وأما بالنسبة لطلاب العلم الذين من آل البيت ويطلبون العلم في دور الحديث فكان شيخنا مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ يستدل بحديث بَريرة: «**هي لها صدقة، ولنا هدية**»؛ لأن الصدقة تكون قد بلغت محلها عند شيخ الدار، أو المسؤول القائم على الدار، ثم بعد ذلك تخرج منه لمن كان من أهل البيت على أنها هدية وهبة وعطية، ونحو ذلك، والله المستعان.

٥٨٩ - وعن النَّواسِ بن سمعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «البِرُّ: حُسْنُ الخُلُقِ، وَالإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ». رواه مسلم[1].

(حَاكَ) بِالحاءِ المهملةِ والكافِ: أَيْ تَرَدَّدَ فِيهِ.

الشرح:

(١) حديث رقم: (٢٥٥٣).

(البِرُّ) يعني: الأعمال المرضية عند الله عَزَّوَجَلَّ يجمعها حسن الخلق، والبر والتقوى إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، فالبر حسن الخلق، ولا يقول قائل: أين التوحيد؟ أين السنة؟ من حسن الخلق أن تكون موحدا، غير مشرك ولا مندد، ومن حسن الخلق أن تكون من أهل السنة والجماعة، ملتزما لهدي النبي ﷺ، ومن حسن الخلق أن تعمل بالإسلام ظاهرا باطنا، ومن حسن الخلق ما يتعلق بحسن الخلق مع الناس، بكف الأذى، وبذل الندى، وطلاقة الوجه.

(وَالإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ) يعني: الذنب هو الشيء الذي تجد في نفسك التضمر منه، عدم الراحة إليه، عدم السكون، **«الصدق طمأنينة، والكذب ريبة»**.

(وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ) لو كان خيرًا ما باليت، إن كنت من المخلصين لله عَزَّوَجَلَّ اطلعوا أو لم يطلعوا ما هناك تأثير عليك، وإن كنت من المرائين ربما بحثت على إطلاعهم عليه، أما الإثم الكل يحاول يخفيه.

وقلت في "شرحي على صحيح مسلم": وفي هذا أيضا رد المشتبهات، وأن الإنسان لا يقدم إلا على الحلال الواضح البين، لأن الأمور ثلاثة حلال: حلال واضح بين فتعاطيه لا محظور فيه، وحرام واضح بينا، فتعاطيه من الممنوعات، وأمر مشتبه بين الحل والحرمة، فمن تمام الإيمان أن تتقي الشبهات، **«فمن أتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام»**، معناه: كاد أن يقع في الحرام، ليس معناه أنه وقع في الحرام حقيقة، لكن لقربه من الحرام كان كالواقع فيه، الإنسان يستبرئ لدينه.

وفي هذا الحديث من الفوائد على ما تقدم: أهمية سؤال أهل العلم فيما يشكل والعودة إليهم، فما لحق الأمم الضرر إلا حين تركوا سؤال أهل العلم، وربما أقبلوا على المبتدعة والجهال يسألونهم، فأفتوهم بغير علم، فضلوا وأضلوا.

وفي هذا الحديث أيضا من الفوائد: أن الناس يختلفون من حيث المعاملة فالأعرابي يحتاج إلى رفق، وحسن خطاب، ورد جواب، وتجاوز، بخلاف الحضري

خلاف المهاجري، فإن النبي ﷺ حين غضب من شأن الأسئلة وجعل يقول: «سلوني سلوني» قام عمر وبرك على ركبتيه فقال: نتوب إلى الله وإلى رسوله؛ لأنه قد جاء في حديث أنس: نهينا - والنهي يفيد التحريم - أن نسأل النبي ﷺ، وكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل يسأل ونحن نسمع.

والسبب في النهي: حتى لا يُحرم الشي بسبب سؤال أحدهم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ [المائدة: ١٠١]؛ لأنهم في زمن تشريع، ربما سألوا عن الشيء فحرم، والنبي ﷺ يقول: «أعظم الناس إثما الرجل يسأل عن الشيء ثم يحرم بسببه».

قال الشعبي: لو كان الصحابة رائيون لكان أكثر القرآن: ويسألونك ويسألونك، لكن ليس في القرآن إلا العدد اليسير من الآي التي فيها: ويسألونك؛ لأنهم كانوا يستجيبون أكثر مما يسألون. اهـ

٥٩٠ - وعن وَابِصَةَ بن مَعبدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُول الله ﷺ فَقَالَ: «جئتَ تَسْأَلُ عَنِ البِرِّ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، البِرُّ: مَا اطْمَأَنَّت إِلَيْهِ النَّفسُ، وَاطْمأنَّ إِلَيْهِ القَلْبُ، وَالإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتُوكَ» حديث حسن، رواه أحمد والدَّارِمِيُّ فِي مُسْنَدَيْهِمَا[(١)].

الشرح:

(جئتَ تَسْأَلُ عَنِ البِرِّ؟) هذا من دلائل نبوة النبي ﷺ، حيث أخبره بما جاء يسأل عنه قبل أن يسأل.

---

(١) أخرجه: أحمد (١٨٠٠٦)، والدارمي (٢٥٣٦)، قال المحقق: بل ضعيف، في سنده الزبير أبو عبد السلام ضعيف، ضعفه الدولابي في (الكنى)، ولم يسمع من أيوب بن عبد الله بن مُكْرِز كما نص عليه الإمام أحمد، ويشهد له حديث النواس الذي قبله، وحسن إسناده الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (صحيح الترغيب والترهيب).

(اسْتَفْتِ قَلْبَكَ) لكن ليس القلب المنكوس، ما تجد واحدا يبحث عن الزنا، عن الأغاني، عن اللواط، عن المخدرات، وتقول له: استفت قلبك، إذا استفتى قلبه سيقول له قلبه: لا يدخل المسجد، ما يريد مسجدا، ما يريد قرآنا، ما يريد سنة، هذا الاستفتاء للقلب قلب الرجل الصالح، قلب من يعلم مراد الله ومراد رسوله ﷺ، يستفتي قلبه، سيجد أن قلبه ينكر عليه المعاصي، ينكر عليه السيئات، ينكر عليه ربما المشتبهات فضلا عن الشيء الحرام.

أما تذهب إلى واحد قد تاع في المعاصي والبعد عن الله وعن كتاب الله وسنة رسوله صل الله عليه وسلم ثم تقول: والله استفت قلبك، سيقول لك: قلبي يقول: المطاوعة ما فيهم خير، قلبي يقول: المسجد هذا كذا كذا، ومن هذا الكلام.

(البرُّ: مَا اطْمَأَنَّت إِلَيْهِ النَّفسُ) نفس المؤمن، الموحد، الطائع.

(وَاطْمأنَّ إِلَيْهِ القَلْبُ) قلب المؤمن الموحد الطائع، ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

(وَالإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ) تبقى محتارا بين فعله وتركه، بين حله وحرمته.

(وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتُوكَ) والآن بعضهم يقول: أبحث عن مفتي يبحث عن الفتوى التي توافق ما في نفسه، هذا ما هو صحيح، والإثم على من أفتى، يأخذ بهذا الإطلاق، وهذا أيضا ليس بصحيح، لابد أنك تحتاط لدينك، تنظر عمن تأخذ دينك ومن تستفتي.

٥٩١ - وعن أَبي سِرْوَعَةَ - بكسر السين المهملة وفتحها - عُقبَةَ بنِ الحارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ تَزَوَّجَ ابنَةً لأبي إهَابِ بن عزيزٍ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: إنِّي قَدْ أَرضَعْتُ عُقْبَةَ وَالَّتِي قَدْ تَزَوَّجَ بِهَا، فَقَالَ لَهَا عُقْبَةُ: مَا أَعْلَمُ أَنَّك أَرضَعْتِنِي وَلَا أَخْبَرْتِنِي، فَرَكِبَ إِلَى رسول الله ﷺ بِالمَدِينَةِ، فَسَأَلَهُ: فَقَالَ رسول الله ﷺ: «كَيْفَ وَقَد قِيلَ؟» فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ وَنَكَحَتْ زَوْجًا غَيْرَهُ. رواه البخاري[1].

(إهَابٌ) بكسر الهمزة، وَ(عَزِيزٌ) بفتح العين وبزاي مكررة.

الشرح:

هذا الحديث فيه عدة فوائد: ما بوب له المصنف، وهو الورع وترك الشبهات.

مع أن هذا الحديث بعينه قد استدل به على أن النبي ﷺ لم يفرق بينه وبينها بمجرد خبر المرأة؛ لأن بعض النساء قد تقول: أرضعته من باب دنيا، لو تريده يصافحها تقول: أرضعته، أو يدخل عليها.

وبعضها من باب الحسد والمكابرة، كما حصل في عهدهم: أن رجلا تزوج امرأة، فلما ذهب إلى شأنه قامت زوجته الأولى وأرضعت الصغرى، فلما رجع قالت له: قد أرضعتها حتى تحرم عليك، فلما ذهب عند عمر بن الخطاب لم يباله بهذه الرضاعة، قد تكون مصيبة أرضعتها ومع ذلك ليس لها حكم؛ لأنها ليست في الحولين، وقد تكون إنما تحيلت عليه.

فالشاهد أن الحديث ليس بنص على أن النبي ﷺ أخذ بقولها مطلقا، وإن كان بعض أهل العلم قد قال بأنه أخذ بقولها، لكن قد جاءت في بعض الروايات أنه أعرض عنه في الأولى، وأعرض عنه في الثانية، فلما كرر السؤال قال: «فارقها»، أو: «كيف وقد قيل؟»، يعني من باب دفع الشبهات واتقاء للعرض ونحو ذلك.

---

(١) حديث رقم: (٨٨).

وبوب عليه البخاري: باب الرحلة في المسألة النازلة، إذ أن عُقبة بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ركب راحلته وذهب إلى المدينة، وعقبة له حدث عظيم هو الذي قتل خُبيبا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(فَقَالَ لَهَا عُقْبَةُ: مَا أَعْلَمُ أَنَّك أرضَعْتِنِي وَلَا أَخْبَرْتِنِي) فيه أنه ينبغي إشاعة الرضاع، لا سيما أصحاب البوادي ينبغي لهم أن يشيعوا مسائل الرضاع؛ لأن كثيرا من الناس يتزوج وتبقى زوجته معه سنين، ثم بعد ذلك تظهر امرأة وتقول: أرضعته، فيقع مفاسد عظيمة، إما أن يفارقها إن كان من أهل الصلاح ومحبي الخير، وبعضهم يقول: والله أنها كذابة، وما يبالي بالأخبار، ولا يبحث في المسألة.

٥٩٢ - وعن الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: حَفِظْتُ من رسول الله ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[1].
معناه: اتْرُكْ مَا تَشُكُّ فِيهِ، وَخُذْ مَا لَا تَشُكُّ فِيهِ.

الشرح:

الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هو أبو محمد.

(دَعْ) أي: اترك.

(مَا يَرِيبُكَ): ما يسبب لك الريب، وهو الشك، ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة:١-٢] أي: لا شك فيه، وتأتي أيضا الريب يأتي بمعنى الحاجة:

قضينا من تهامة كل ريبٍ ... وخيبر، ثم أجمعنا الفلولا

وتأتي أيضا بمعنى التهمة:

بثينة قالت: يا جميل أربتني ... فقال: كلانا يا بُثَين مريبُ

أي: كلانا متهم.

---

(١) انظر الحديث (٥٥).

وهذا من باب الفائدة: جميل بثينة رافضي، ما هو البيت الذي ينسب إليه؟ أنه قال في محمد بن الحنفية: برضوى عنده عسل وماء، يعتقد أن محمد بن الحنفية في جبل رضوى، ما بين مكة والمدينة، عنده عسل وماء من الله، وما يزال في ذلك المكان حتى يخرج مهديا منتظرا في آخر عصرهم.

فاترك ما يريبك إلى ما لا يريبك، الحلال واضح، والحرام واضح، والمشتبهات إن كانت عندك في حال الاشتباه اتركها.

٥٩٣ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كَانَ لأبي بَكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيءٍ، فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الغُلامُ: تَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بكر: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لإِنْسَانٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَمَا أُحْسِنُ الكَهَانَةَ، إِلاَّ أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي فَأَعْطَانِي لِذلِكَ هَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ. رواه البخاري[1].

(الخَرَاجُ): شَيْءٌ يَجْعَلُهُ السَّيِّدُ عَلَى عَبْدِهِ يُؤَدِّيهِ كُلَّ يَومٍ، وَبَاقِي كَسْبِهِ يَكُونُ لِلْعَبْدِ.

الشرح:

(كَانَ لأبي بَكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الخَرَاجَ) ما فسره به النووي، بمعنى: أنه يعمل فيأخذ لسيدهم ما اتفقا عليه، ثم يأخذ الباقي له، ويفعلونه الآن في بعض السيارات، ربما يعطيك سيارة يقول لك: أعطني خمسة آلاف في اليوم والباقي لك، أو في البلاد السعودية يتفقون على مائة وخمسين ريال والباقي لك، ففي بعض أيام ربما لا يحصل هذا المبلغ، وفي بعض الأيام يحصله مضاعفا.

ثم أتى أبا بكر بشيء فأكل منه لاعتقاده بأنه حلال، وأنه من كسب اليد.

---

(١) حديث رقم: (٣٨٤٢).

فقال: (كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لإِنْسَانٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ) التكهن: هو ادعاء علم الغيب في البحث عن الأمور الضائعة، والأمور المستقبلية، ونحو ذلك، العرافة على الأمور الضائعة، والكهانة عن الأمور المستقبلية، وقد يدل بعضهما على بعض.

(وَمَا أُحْسِنُ الكَهَانَةَ، إِلاَّ أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي فَأَعْطَانِي لِذلِكَ هَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ) ربما حصل له ما خدعه به، لكن مع ذلك:

(فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ) لو أتينا إلى الحكم الشرعي هل يجب على أبي بكر أن يفعل ذلك؟ لا يجب، لكن لعظيم إيمانه وعظيم مراقبته أخرج ما في بطنه؛ حتى لا ينبت في جسمه من هذا الطعام شيء.

٥٩٤ - وعن نافِع: أن عُمَرَ بن الخَطّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ فَرَضَ لِلمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ أَرْبَعَةَ الآفٍ وَفَرَضَ لابْنِهِ ثَلَاثَة آلافٍ وَخَمْسمئَةٍ، فَقيلَ لَهُ: هُوَ مِنَ المُهَاجِرِينَ فَلِمَ نَقَصْتَهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا هَاجَرَ بِهِ أَبُوهُ، يقول: لَيْسَ هُوَ كَمَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ. رواه البخاري[1].

الشرح:

أراد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يذهب حظ النفس، وإلا لو أعطاه أربعة آلاف كما يعطي بقيتهم، فإن عبد الله بن عمر كان من المهاجرين الأولين، وحكمه حكم أبيه في فضيلة الهجرة، لكن مع ذلك كان عمر كما تعلمون شديد الورع، وأين لنا مثل عمر؟ أين لنا مثل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ يموت وكنوز كسرى وقيصر تجبى إلى المدينة، ومع ذلك يقول لولده: اقض عني الدين، فإن وفى ديني وإلا سل في بني عدي، إن وفى ديني وإلا سل في قريش ولا تجاوزهم.

---

(١) حديث رقم: (٣٩١٤).

ما كان عنده تلاعب بالأموال العامة، وإلا فإن الناس في عهد عمر كثرت أموالهم جدًّا من الذهب والفضة، من البيضاء والحمراء، حتى قال: لإن أحياني الله لا أدع أرامل العراق تحتاج لأحد غيري، ومع ذلك انظر كيف يعطي ولده.

الآن المسؤول ما هو في الولد، بمجرد ما يطلع وزير الليلة، وإذا به مسكين من الغد، أول شيء فلَّه، سيارة، البنت تحتاج حارسا، والولد يحتاج مرافقين، وقال لك: الأسعار ليش تهبط؟ بسبب عدم طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، بسبب الإعراض، وزادها الطين بلة يعملون لنا ما يسمى بحكومة أطفال، ما قد حصلت في العالم، موجودة في فرنسا يا أخي حكومة أطفال؟ في أمريكا حكومة أطفال؟

ما هناك حكومة أطفال إلا عندنا في اليمن، الناس في حالة يرثى لها ويأتوك بحكومة أطفال، يعني رئيس الوزراء الأطفال يحتاج آلاف الدولارات كل شهر، ربما عشر آلاف دولار أقل تقدير، نائب رئيس الوزراء، وزير الداخلية، وزير المالية، وزير النفط، وزير التجارة، وزير الدفاع، عليهم أن يتقوا الله عَزَّوَجَلَّ في هذا الشعب المسكين، والله عليهم جميعا أن يتقوا الله عَزَّوَجَلَّ في هذا الشعب المسكين.

يعلموا الأطفال العقيدة، يبدؤون بتعليمهم أين الله؟ من خلقك؟ هل يرى الله يوم القيامة؟ ما الدليل؟ من نبيك؟ ما اسمه؟ أفضل الأمة بعد النبي ﷺ، هذا الذي يحتاج إلى أن يُعلَّم الطفل، ما يركب مسكين من أول يوم يجعلونه خلف السلطة يجري، النبي ﷺ يقول: «**إنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة**»، نسأل الله أن يهديهم ويصلح شأنهم.

نحن والله إذْ نقول هذا الآن لا ننافسهم في دنيا، ولا نريد منهم شيئا، لكن نريد أن يستقيم الحال، ليس بعقل أن الأمه في حالة يرثى لها وتذهب تشكل حكومة أطفال، هذه دسيسة أمريكية، دسيسة غربية على المسلمين، على إضعاف اليمن؛ لأنني ما

أعرف دولة في العالم فيها حكومة أطفال إلا اليمن، فهذه دسيسة، الشعب في حالة يرثى لها وهم يشغلون الشعب بحكومة الأطفال، ومجلس نواب للأطفال، ورئاسة وزراء للأطفال، شيء نسأل الله السلامة والعافية.

٥٩٥ - وعن عَطِيَّةَ بن عُروة السَّعْدِيِّ الصحابيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لَا يَبْلُغُ الْعَبدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأسَ بِهِ حَذَرًا مِمَّا بِهِ بَأْسٌ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[(١)].

الشرح:

(لَا يَبْلُغُ الْعَبدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأسَ بِهِ) يعني ليس بحرام، لكن يتركه من باب الورع.

(حَذَرًا مِمَّا بِهِ بَأْسٌ) حذرا أن يقع في الشيء المحرم الذي لا يرضاه الله عَزَّوَجَلَّ، ولم يشرعه رسوله ﷺ.

(١) حديث رقم: (٢٤٥١)، في سنده عبد الله بن يزيد الدمشقي ضعيف، وضعفه الألباني في (ضعيف السنن).

٦٩ - باب استحباب العزلة عند فساد الناس والزمان أو الخوف من فتنة في الدين ووقوع في حرام وشبهات ونحوها

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الذاريات:٥٠] .

الشرح:

وإلا فالأصل المجالسة للناس والنصيحة، لكن إذا خشيت على نفسك الفتنة فعليك برؤوس الجبال، وبطون الأودية، «**وفر من المجذوم فرارك من الأسد**».

وقد كثر في هذا الزمان القيل والقال، وكثير من المجالس قد لا تخلو من هذه الفتنة، فالإنسان كل ما انعزل ومن أحسن ما ينعزل به ملازمة البيوت التي بنيت لله عَزَّوَجَلَّ، ويقام فيها العلم والتعليم، هذه تعتبر عزلة الآن، وإن كنا أصحاب عدد إلا أننا في معزل عن كثير من الباطل، الحمد لله، ونسأل الله أن يعافينا من البلاء والفتن.

فبدل أن تبقي في السوق تسمع الزور وتنظر الزور وتجالس أهل الزور في وقت الفراغ توجه إلى العزلة في بيت من بيوت الله، والله أن هذه الساعة سيذكر الإنسان بركتها يوم يقف بين يدي الله، جالس أمام شيخه، أمام مدرسه، لا يغتاب، لا ينم، لا يكذب، لا يبهت، لا شيء، بينما لو هو في السوق إن لم يغتب بنفسه ربما سمع الغيبة، إن لم يكذب بنفسه ربما نشر الكذب، «**كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع**».

فأهل السنة بفضل الله عَزَّوَجَلَّ في عزلة، وإن لم تكن عزلة حسية فهي عزلة معنوية، انعزلوا الباطل وأهل الباطل، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا﴾ [الفرقان:٧٢] ، فشهود الأغاني التلافز الدشوش وقبل ذلك أماكن البدع والشركيات زور، وملازمة المساجد التي فيها قال الله قال رسول الله ﷺ بُعْد عن الزور.

(﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾) كل شيء إذا خيف منه فر إلى غيره إلا الله فإن الفرار منه إليه، ففروا إلى الله من الله؛ لأنك إذا فررت إلى غيره كنت ظالما لنفسك، وربما ظالما لغيرك، ويوشك أن يأخذك أخذ عزيز مقتدر.

(﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ﴾) أي: من الله، (﴿نَذِيرٞ﴾) بالنذارة، (﴿مُّبِينٞ﴾) ببيان واضح.

٥٩٦ - وعن سعد بن أَبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الله يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الغَنِيَّ الْخَفِيَّ». رواه مسلم[1].

والمُرَادُ بـ(الغَنِيّ) غَنِيُّ النَّفْسِ، كَمَا سَبَقَ في الحديث الصحيح.

الشرح:

سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو سعد بن مالك، أحد العشرة المبشرين بالجنة.

«**ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس**»، الحديث فيه: أن الله عَزَّوَجَلَّ موصوف بصفة المحبة، وأنه يحب العبد التقي الذي يفعل المأمور، ويترك المحظور، ويصبر على المقدور.

والغني: غنى النفس، وغير متطلع لما في أيدي الناس.

الخفي: الذي يعمل الطاعات متخفيًا بها، غير مجاهر بها.

والدليل على العزلة قوله: (**الخفي**).

---

(١) حديث رقم: (٢٩٦٥).

٥٩٧ - وعن أَبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: أيُّ النَّاسِ أفْضَلُ يَا رسولَ الله؟ قَالَ: «مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ».

وفي رواية: «يَتَّقِي اللهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

أبو سعيد الخدري هو سعد بن مالك.

والفرق بين الحالين: أن ذاك مشغول بالجهاد، مشغول بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ، خائف من الموت ومترقب له، ربما ما تجد عنده غيبة ولا نميمة ولا كذب ولا بهت، مشغول إما بتجهيز سلاحه، وإما بتجهيز مركوبه، وإما بالانتظار والتمارين، وإما بغير ذلك مما يفعله المجاهدون في سبيل الله.

وأيضا اجتمع في هذا جهاد النفس، وجهاد المال، يجاهد بنفسه، يتعب وينصب، ويبذل ماله في سبيل الله.

(ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ) مكان خالي عن الناس.

(يَعْبُدُ رَبَّهُ) يصلي الصلاة في وقتها، ويصوم ما أوجب الله عليه، ويؤدي الزكاة المفروضة، وربما أذن، وله فضل عظيم.

(وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ) وهذا من أعظم الصدقات، من أعظم الصدقات إن لم تجد ما تتصدق به على الناس من الأموال والأطعمة والألبسة فكف شرك عن الناس، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فإنه صدقة منك على نفسك».

(فيه فضيلة المسلمين، وأنهم يتفاضلون أيضا فيما بينهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨٦)، ومسلم (١٨٨٨).

وفي فضيلة الجهاد في سبيل الله، لا سيما إذا كان الجهاد مقترنا بالمال والنفس فهذا أكمل أنواع الجهاد، فإن لم يكن فبالنفس، فإن لم يكن فبالمال، وكلما بذل الإنسان نفسه في طاعة الله كلما كان أقرب إلى الله، وفيه: فضيلة العزلة، لا سيما في أيام الفتن وكثرتها). اهـ من شرحي على "صحيح مسلم".

٥٩٨ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ، وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ». رواه البخاري[1].

و(شَعَفُ الْجِبَالِ): أَعْلَاهَا.

الشرح:

(وعنه) أي: أبو سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تقدم معناه.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في فتح الباري (١٣/ ٤٢-٤٣):

وَالْخَبَرُ دَالٌّ عَلَى فَضِيلَةِ الْعُزْلَةِ لِمَنْ خَافَ عَلَى دِينِهِ وَقَدِ اخْتَلَفَ السَّلَفُ فِي أَصْلِ الْعُزْلَةِ فَقَالَ الْجُمْهُورُ الِاخْتِلَاطُ أَوْلَى لِمَا فِيهِ مِنَ اكْتِسَابِ الْفَوَائِدِ الدِّينِيَّةِ لِلْقِيَامِ بِشَعَائِرِ الْإِسْلَامِ وَتَكْثِيرِ سَوَادِ الْمُسْلِمِينَ وَإِيصَالِ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ إِلَيْهِمْ مِنْ إِعَانَةٍ وَإِغَاثَةٍ وَعِيَادَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَقَالَ قَوْمٌ الْعُزْلَةُ أَوْلَى لِتَحَقُّقِ السَّلَامَةِ بِشَرْطِ مَعْرِفَةِ مَا يَتَعَيَّنُ وَقَدْ مَضَى طَرَفٌ مِنْ ذَلِكَ فِي بَابِ الْعُزْلَةِ مِنْ كِتَابِ الرِّقَاقِ وَقَالَ النَّوَوِيُّ الْمُخْتَارُ تَفْضِيلُ الْمُخَالَطَةِ لِمَنْ لَا يَغْلِبُ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُ يَقَعُ فِي مَعْصِيَةٍ فَإِنْ أَشْكَلَ الْأَمْرُ فَالْعُزْلَةُ أَوْلَى وَقَالَ غَيْرُهُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَشْخَاصِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَحَتَّمُ عَلَيْهِ أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَرَجَّحُ وَلَيْسَ الْكَلَامُ فِيهِ بَلْ إِذَا تَسَاوَيَا فَيَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ فَإِنْ تَعَارَضَا اخْتَلَفَ بِاخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ فَمَنْ يَتَحَتَّمُ عَلَيْهِ الْمُخَالَطَةُ مَنْ كَانَتْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى إِزَالَةِ

---

(١) حديث رقم: (١٩).

الْمُنْكَرِ فَيَجِبُ عَلَيْهِ إِمَّا عَيْنًا وَإِمَّا كِفَايَةً بِحَسَبِ الْحَالِ وَالْإِمْكَانِ وَمِمَّنْ يَتَرَجَّحُ مَنْ يَغْلِبُ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُ يَسْلَمُ فِي نَفْسِهِ إِذَا قَامَ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَمِمَّنْ يَسْتَوِي مَنْ يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ وَلَكِنَّهُ يَتَحَقَّقُ أَنَّهُ لَا يُطَاعُ وَهَذَا حَيْثُ لَا يَكُونُ هُنَاكَ فِتْنَةٌ عَامَّةٌ فَإِنْ وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ تَرَجَّحَتِ الْعُزْلَةُ لِمَا يَنْشَأُ فِيهَا غَالِبًا مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمَحْذُورِ وَقَدْ تَقَعُ الْعُقُوبَةُ بِأَصْحَابِ الْفِتْنَةِ فَتَعُمُّ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهلهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُم خَاصَّة وَيُؤَيِّدُ التَّفْصِيلَ الْمَذْكُورَ حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ أَيْضًا خَيْرُ النَّاسِ رَجُلٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ وَرَجُلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي بَابِ الْعُزْلَةِ مِنْ كِتَابِ الرِّقَاقِ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ الَّذِي أَشَرْتُ إِلَيْهِ آنِفًا فَإِنَّ أَوَّلَهُ عِنْدَ مُسْلِمٍ خَيْرُ مَعَاشِرِ النَّاسِ رَجُلٌ مُمْسِكٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ الْحَدِيثَ وَفِيهِ وَرَجُلٌ فِي غَنِيمَةٍ الْحَدِيثَ وَكَأَنَّهُ وَرَدَ فِي أَيِّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ فَإِنْ أُخِذَ عَلَى عُمُومِهِ دَلَّ عَلَى فَضِيلَةِ الْعُزْلَةِ لِمَنْ لَا يَتَأَتَّى لَهُ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ قيد بِزَمَان وُقُوع الْفِتَن وَالله أعلم. اهـ

٥٩٩ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قَالَ: «مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلاَّ رَعَى الْغَنَمَ» فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وأَنْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ». رواه البخاري[1].

الشرح:

هذا قد لا يكون فيه شاهد، لكن اختار الله عَزَّوَجَلَّ لأنبيائه رعاية الغنم؛ حتى لا يبقوا بين الناس ويتأثرون ببعض أفعالهم، فيكن مشغولا، لا سيما في الزمن الماضي صاحب الغنم مشغول، يخرج بها الصباح الباكر ما يرجع بها إلا المغرب، يصل أول

(١) حديث رقم: (٢٢٦٢).

ما يدخل البيت نوم، ثم إذا قام صباح اليوم الثاني هكذا، إذا وجد فرصة في يوم عيد يخلفه بعض الناس أو في يوم مرض يخلفه بعض الناس، وإلا على هذا الحال.

وذكر أهل العلم الحكمة من رعاية الأنبياء للغنم: حتى يسهل عليهم سوس أتباعهم، أن يسوسوا أتباعهم، لأن الغنم إذا شددت عليها حطمتها، فلذلك تحتاج أن ترفق للضعيفة، وأن ترد القوية، وأن تمشي على الوسط، فلربما ينبل طبعه بسبب تصبره مع الغنم يصبح متصبرا على أمته.

وانظر إلى موسى رعى الغنم عشر سنين، وهكذا محمد ﷺ رعى الغنم.

قال: (كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ) قال بعضهم: قراريط أي: منطقة، والصحيح أنه كان يرعاها على أجرة عبارة عن قراريط أموال يسيرة لأهل مكة، لعله كان يجمع بين غنم رجلين، أو ثلاثة، وأربعة، يعطونه ما يقوم بشأنه.

٦٠٠ - وعنه، عن رسول الله ﷺ أَنَّه قَالَ: «مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لهم رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ الله، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزعَةً، طَارَ عَلَيْهِ، يَبْتَغِي القَتْلَ، أَوْ المَوْتَ مَظَانَّه، أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيمَةٍ فِي رَأسِ شَعَفَةٍ مِنْ هذِهِ الشَّعَفِ، أَوْ بَطنِ وَادٍ مِنْ هذِهِ الأَوْدِيَةِ، يُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يأتِيَهُ اليَقِينُ، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلاَّ فِي خَيْرٍ». رواه مسلم[1].

(يَطِير): أيْ يُسْرِعُ، وَ(مَتْنُهُ): ظَهْرُهُ، وَ(الهَيْعَةُ): الصوتُ للحربِ، وَ(الفَزعَةُ) نحوه، وَ(مَظَانُّ الشَيْءِ): المواضعُ الَّتي يُظَنُّ وجودُهُ فِيهَا، وَ(الغُنَيْمَة) بضم الغين: تصغير الغنم، وَ(الشَّعَفَةُ) بفتح الشين والعين: هي أعلى الجَبَل.

الشرح:

(وعنه) أي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) حديث رقم: (١٨٨٩).

يقول: (مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لهم) أي عند حدوث الفتن والبلايا والمحن.

(رَجُلٌ) من المسلمين، (مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبيلِ الله) أي أنه راكب لفرسه يشد عنانه؛ حتى لا ينفر منه، وفيه: أن المعاش في الدنيا يتفاوت، وخيره ما كان إلى الله أقرب.

(يَطيرُ عَلَى مَتْنِهِ) أي: يسرع راكبا عليه، فيه فضيلة المسارعة للخروج في سبيل الله.

(كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزعَةً) فيه الدفاع عن المسلمين، أو لنصرة دين المسلمين.

والهيعة: الصوت عنده حضور العدو، والفزعة: النهوض إلى العدو.

(طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي القَتْلَ) يعني الشهادة في سبيل الله.

(أَوْ المَوْتَ مَظَانَّه) قد يسلم وقد لا يسلم.

فإن لم يكن هكذا، فـ(أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيمَةٍ فِي رَأسِ شَعَفَةٍ): في رأس جبل، (أَوْ بَطنِ وَادٍ) يتتبع الرعي، (يُقِيمُ الصَّلَاةَ) في وقتها، (وَيُؤتِي الزَّكَاةَ) في حولها، (وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يأتِيَهُ اليَقِينُ): الموت، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩].

(لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إلاَّ فِي خَيْرٍ) كفى الناس شره، وكُفي شر الناس.

٧٠ - باب فضل الاختلاط بالناس وحضور جُمَعِهم وجماعاتهم، ومشاهد الخير، ومجالس الذكر معهم، وعيادة مريضهم، وحضور جنائزهم، ومواساة محتاجهم، وإرشاد جاهلهم، وغير ذلك من مصالحهم لمن قدر عَلَى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقمع نفسه عن الإيذاء، وصبر عَلَى الأذى

اعْلم أنَّ الاختلاط بالنَّاسِ عَلَى الوجهِ الَّذِي ذَكَرْتُهُ هُوَ المختارُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ رسول الله ﷺ، وسائر الأنبياء صلواتُ اللهِ وسلامه عَلَيْهِمْ، وكذلك الخُلفاءُ الرَّاشدون، ومن بعدَهُم مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، ومن بَعدَهُم من عُلَمَاءِ المُسلمين وأَخْيَارِهم، وَهُوَ مَذْهَبُ أكثَرِ التَّابِعينَ وَمَنْ بَعدَهُمْ، وبه قَالَ الشافعيُّ وأحمدُ وأكثَرُ الفقهاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أجمعين.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٢] .

والآيات في معنى مَا ذكرته كثيرة معلومة.

الشرح:

(باب فضل الاختلاط بالناس وحضور جُمَعِهم وجماعاتهم) هذا إذا كان في اجتماعه بهم خير.

لأن مجالسة الناس مع نصحهم وتوجيههم والصبر عليهم أحسن من البعد عنهم، فبعض الناس إذا ابتعد عن الناس يصاب بالماخولياء، يصاب بالوسوسة، يصاب بالأمراض، بالتوحد، بينما لو بقي مع الناس يسمع منهم، ويستفيد، ويأمر، وينهى، يتغير شأنه.

٧١ - باب التواضع وخفض الجناح للمؤمنين

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء:٢١٥] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات:١٣] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم:٣٢] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأعراف:٤٨-٤٩].

الشرح:

(﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾) كناية عن الصبر والتؤدة، وعدم الأذى لهم.

(﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾) يتواضع لهم، عزيز على الكافرين، لا يبالي بهم ولا يلتفت إليهم، وفيه إثبات صفة المحبة لله، وفيه إثبات الردة، وينكرها بعض المبتدعة الضلال، وهي ثابتة بالقرآن والسنة والإجماع.

(﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾) آدم وحواء.

(﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ﴾) الشعوب في العجم، والقبائل في العرب.

(﴿لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾): يعرف بعضكم بعضا، وهذا دليل على اختلاط بعضهم ببعض.

وهكذا (﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾) بملازمة التقوى لله عَزَّوَجَلَّ، وكذلك الرفق بالناس.

(﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾) قد ترى نفسك خيرا من غيرك وربما ذاك عند الله أخير منك، فلا تزك نفسك، وليس معنى هذا لا تزك نفسك بالعمل الصالح ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى:١٤] ، المراد بذلك بالعمل الصالح، وهذا المراد به أنك تمدح نفسك وتطريها، إلا إذا احتيج إلى ذلك، فيوسف يقول: إني عليه لحفيظ أمين، والنبي ﷺ يقول: «**أنا سيد الناس**».

(﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ﴾) الصحيح أن أصحاب الأعراف قوم من أهل الجنة تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فحبسوا على الأعراف، ثم عفا الله عنهم ودخلوا الجنة.

(﴿قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾) فيه أن أصحاب الكبر في النار.

(﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾) الذين دخلوا الجنة.

(﴿ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ﴾): بعفو وصفح.

(﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾) هذا خطاب لأصحاب الأعراف.

٦٠١ - وعن عِيَاضِ بنِ حمارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ». رواه مسلم[(١)].

الشرح:

فيه دليل أن ما بلغه النبي ﷺ قد أُمر به.

وعياض بن حمار ليس له في مسلم إلا حديث واحد.

---

(١) حديث رقم: (٢٨٦٥).

٦٠٢ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زادَ اللهُ عَبْدًا بعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ». رواه مسلم(١).

الشرح:

(مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ) حتى وإن نقص في الظاهر فهو ينمو في الباطن، وتُدَّخر له حسنته إلى يوم القيامة.

(وَمَا زادَ اللهُ عَبْدًا بعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا) حين تعفو عمن ظلمك لا تظن أنك تنقص بل أنت ترفع عند الله عَزَّوَجَلَّ، ثم عند الصالحين من عباده.

((تواضَعْ تكُنْ كالنجم لاح لناظرٍ ... على صفحاتِ الماءِ وهو رفيعُ
ولا تكُ كالدُّخَّانِ يعلو بنفسِه ... إلى طبقاتِ الجوِّ وهو وضيعُ

والنبي ﷺ كان يحب العفو، ومن صفات الله عَزَّوَجَلَّ قبل ذلك أنه يعفو ويصفح، فالإنسان يتخلق بهذا الخلق العظيم، وما رُفع إلى النبي ﷺ شيء لا أمر فيه بالعفو، فهذا خلق نبيل، وخلق عظيم، اغفروا يغفروا الله لكم، واعفوا، يعفو الله عنكم وتجاوزوا، يتجاوز الله عنكم، وهكذا)). اهـ من "شرحي على صحيح مسلم".

(وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ) يتواضع لله بفعل أوامره، واجتناب نواهيه، ويتواضع للخلق امتثالا لأمر الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾ [لقمان:١٨] ، فيجازيه الله عَزَّوَجَلَّ برفعة الدارين، وهذا دليل على أن الجزاء من جنس العمل، وأن الله عَزَّوَجَلَّ كريم عظيم، يكرم أولياءه.

---

(١) انظر الحديث (٥٥٥).

٦٠٣ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صبيَانٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وقال: كَانَ النبيُّ ﷺ يفعله. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

الشرح:

مع أنهم صبيان، كثير من الناس ربما ينظر إليهم بالازدراء، مع ذلك رسول الله ﷺ مع جلالته وعظيم شأنه يسلم عليهم.

٦٠٤ - وعنه، قَالَ: إن كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إمَاءِ المَدينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ النَّبيِّ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءتْ. رواه البخاري[٢].

الشرح:

يعني الأمة الجارية صغيرة السن تأخذ بيد النبي ﷺ، تستفتيه، أو تشكو عليه، أو تطلب منه المضي في حاجتها، ومع ذلك يتواضع لها.

٦٠٥ - وعن الأَسْوَدِ بن يَزيدَ، قَالَ: سُئِلَتْ عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَا كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قالت: كَانَ يَكُون في مِهْنَةِ أَهْلِهِ - يعني: خِدمَة أهلِه - فإذا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ. رواه البخاري[٣].

الشرح:

وهذا أيضا دليل على تواضع النبي ﷺ، يكون في مهنة أهله، ربما يساعدهم في بعض شأنهم، بل جاء: أنه كان يفلي ثوبه، ويخصف نعله، ويخيط نعله، ويحلب شاته، ويركب الحمار، ولا يأنف أن يمشي مع المسكين، كل هذه أدلة على تواضع النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨).

(٢) حديث رقم: (٦٠٧٢)، معلقا.

(٣) حديث رقم: (٦٧٦).

(فإذا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ) كأنه لا يعرفهم.

٦٠٦ - وعن أَبي رِفَاعَةَ تَميم بن أُسَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى رَسولِ الله ﷺ وَهُوَ يخطب، فقلت: يَا رسول الله، رَجُلٌ غَرِيبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عن دِينِهِ لا يَدْرِي مَا دِينُهُ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رسولُ اللهِ ﷺ وتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا. رواه مسلم[1].

الشرح:

قوله: (انْتَهَيْتُ إِلَى رَسولِ الله ﷺ وَهُوَ يخطب) أي يوم الجمعة.

(فقلت: يَا رسول الله، رَجُلٌ غَرِيبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عن دِينِهِ لا يَدْرِي مَا دِينُهُ) أي أنه حديث عهد بالإسلام، جاهل بأحكام الدين.

(فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رسولُ اللهِ ﷺ) نزل من منبره.

(وتَرَكَ خُطْبَتَهُ) التي كان يحدث بها الناس، هم ينتظرون، لكنه قدم هذا المحتاج، دليل على تواضعه.

وفي هذا دليل على أن التعليم مقدم على كل شيء، فانظر إلى هذا الرجل ربما احتاج إلى تعلم مهمات الدين، فلم يؤخره حتى تنتهي الخطبة، وإنما نزل يعلمه مما علمه الله.

وقلت في "شرحي على صحيح مسلم":

فيه استحباب تلطف السائل في عبارته، وسؤال العالم، وفيه تواضع النبي ﷺ، ورفقه بالمسلمين، وشفقته عليهم، وخفض جناحه لهم، وفيه المبادرة إلى جواب المستفتي وتقديم أهم الأمور فأهمها، ولعله كان سأل عن الإيمان وقواعده المهمة، وقد اتفق العلماء على أن من جاء يسأل عن الإيمان وكيفية الدخول في الإسلام وجب

(١) حديث رقم: (٨٧٦).

إجابته وتعليمه على الفور، وقعوده ﷺ على الكرسي؛ ليسمع الباقون كلامه ويروا شخصه الكريم، ويقال: كُرسي بضم الكاف وكسرها والضم أشهر، ويحتمل أن هذه الخطبة التي كان النبي ﷺ فيها خطبة أمر غير الجمعة، ولهذا قطعها بهذا الفصل الطويل، ويحتمل أنها كانت الجمعة واستأنفها، ويحتمل أنه لم يحصل فصل طويل، ويحتمل أن كلامه لهذا الغريب كان متعلقا بالخطبة فيكون منها ولا يضر المشي في أثنائها.

الذي يظهر أنها خطبة جمعة؛ لأنهم إذا ذكروا هذا أطلقوه عليها.

بهذا الحديث استدل الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أن القاعد على الكرسي لا يلزمه تحيه المسجد، فإن النبي ﷺ معلوم أنه يدخل لخطبة الجمعة وخطيب الجمعة لا يصلي قبل الجمعة، إنما يتجه إلى المنبر مباشرة، ثم نزل من المنبر وطلع على الكرسي.

وفي هذا الحديث أهمية العلم من جهتين: الأولى: حرص الصحابي على التعلم مما علم الله رسوله ﷺ، **الثاني**: عدم تأخير النبي ﷺ للتعليم حتى ينتهي من خطبته.

وفيه: أن المعلم ينبغي أن يقبل على تلميذه، وفيه أن العلم هبة من الله، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، وفيها أن الخطبة الشرعية تتم. اهـ

٦٠٧ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ كَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا، لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ. قَالَ: وقال: «إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِط عنها الأَذى، وليَأْكُلْها وَلَا يَدَعْها لِلشَّيْطان» وأمرَ أن تُسلَتَ القَصْعَةُ، قَالَ: «فإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ البَرَكَة». رواه مسلم(١).

الشرح:

وهذا تواضع عجيب، أي أنه يتناول اللقمة من الأرض.

وفيه آداب الطعام، وأن اللقمة إذا سقطت لا تترك للشيطان، إلا إذا تغيرت بسبب الحصى أو نحو ذلك فلك أن تتركها، أما إذا كنت تستطيع أن تنظفها وتأكلها فهذا أمر حسن.

وفيه إرغام للشيطان.

وفيه أيضًا من تواضعه: أنه كان يسلت القصعة ويلعقها، ربما هذا الأمر لا يقوم به إلا بعض الأطفال الآن.

٦٠٨ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَا بَعَثَ الله نَبِيًّا إِلاَّ رَعَى الغَنَمَ» قَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ». رواه البخاري(٢).

الشرح:

الشاهد: أنه كان متواضعا، حتى أنه رعى الغنم، مع أنه من خيرة قريش، بل خيرة قريش نسبا وأصلا.

---

(١) حديث رقم: (٢٠٣٤).

(٢) انظر الحديث (٥٩٩).

٦٠٩ - وعنه، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ لأَجَبْتُ، ولو أُهْدِيَ إِلَيَّ ذراعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ». رواه البخاري[1].

الشرح:

وهذا دليل على تواضعه، ربما إذا وصلت على بعض المسؤولين أو التجار وتريد أن تهدي له هدية يسيرة احتقرك، فتجد أن كثيرا من الناس إذا أراد أن يدخل على هؤلاء يحتاج أن يأخذ دبة عسل ربما بألفين ريال سعودي، أو غير ذلك.

قالوا: بعض الإخوة أرسل إلى بعض من يحبه وبينه وبينه معاملة هكذا باثنين كيلو زبيب يمني وباثنين كيلو عسل، هدية على قدره، فوصل صورها له بالجوال وأرسلها له واتساب يقول له: أيش تظنني شحات عندك؟ ترسل لي بهذه الرسالة؟ وجعل يتهكم فيه، مع إنه ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ﴾ [التوبة:٩١].

حتى أن العلماء يذكرون: إذا جاء رجل عند مسؤول وأهدى له هدية هذه الهدية في مقابل عطية، ينبغي له أن يعطيه، يعطي المهدي، فربما تدخل عند مسؤول أو عند تاجر أو عند كذا بدبة عسل بألف ريال سعودي يلزمه أن يعطيك خمسة عشرة عشرين، ما يجازيك يعطيك قيمة الدبة، أو يرد لك دبة زيتون، لكن كثير من الناس الآن لا يفقهون كيفية التعامل.

فالنبي ﷺ يقول: (لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ لأَجَبْتُ) يعني كراع: بعض العظام التي في اليد، ما يطلب ذبيحة كاملة، الآن في بعض الأماكن لا بد أن يقدم لك المفطح، وإذا لم تأت ذبيحه كامله يعتبر نقصا في حقه، فيتعب نفسه مسكين، ثم أيضا يتحرج الضيف، ثم أيضا هو يتحرج من الضيوف، بينما لو كان الناس على السلامة وعلى اليسرية ما أحلا هذا الحال.

---

(١) حديث رقم: (٢٥٦٨).

٦١٠ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتْ ناقةُ رسول الله ﷺ العضْبَاءُ لَا تُسْبَقُ، أَوْ لَا تَكَادُ تُسْبَقُ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعودٍ لَهُ، فَسَبَقَهَا، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَتَّى عَرَفَهُ، فَقَالَ: «حَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ وَضَعَهُ». رواه البخاري[1].

الشرح:

(حَتَّى عَرَفَهُ) أي رسول الله ﷺ.

(كَانَتْ ناقةُ رسول الله ﷺ العضْبَاءُ) ويقال لها: القصواء.

(لَا تُسْبَقُ) أي لقوتها وبراعتها.

(فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعودٍ لَهُ) يعني ما زال في سن قوية.

(فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ) كيف تسبق ناقة النبي صل الله عليه وسلم؟

وهذا الحديث مستثنى منه العلم وأهل العلم، فإن العالم إذا ثبت على دين الله عَزَّوَجَلَّ وثبت على العلم الذي تعلمه يبقى مرفوعا في الدنيا والآخرة، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١].

الشاهد من هذه الأحاديث جميعًا: على أن الأنسان يبقى متواضعا لله عَزَّوَجَلَّ، فإذا فعل ذلك أكرمه الله عَزَّوَجَلَّ بأنواع الكرامات، وأعطاه عظيم الهبات، بينما إذا كان متكبرا جبارا يُخشى عليه من انتقام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإن الكبر لا يأتي على الإنسان بخير، لا يثبت على دين، ولا كذلك يُكرم، ولا يُثنى عليه، بل هو مذموم في الدنيا والآخرة.

ومن ذلك: حديث عبد الله بن عمرو: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطؤهم كل شيء من الصغار**»، كل شيء يطأ المتكبر يوم القيامة من صغارهم، أي من

---

(١) حديث رقم: (٦٥٠١).

صغار المتكبرين، كانوا في الدنيا يتعاظمون، وفي الآخرة صاروا أمثال الذر، يطؤهم كل شيء من الصغار، «**يسجنون في سجن يقال له: بُولَس، تعلوه نار الأنيار، يشربون من عصارة أهل النار**»، نسأل الله نسأل الله السلام والعافية.

عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: قال النبي ﷺ: «**مَنْ تَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ، وَاخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**».

وإن شاء الله في الباب القادم يكون الكلام على هذه المسألة تحريم الكبر والإعجاب، والله المستعان، وإليه المرجع والمآب، ونسأل الله أن يغفر لنا ولكم ولوالدينا ووالديكم ولجميع المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

٧٢ - باب تحريم الكبر والإعجاب

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ﴾ [الإسراء:٣٧].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان:١٨] .

ومعنى ﴿تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان:١٨] : **أيْ تُمِيلُهُ وتُعرِضُ بِهِ عَنِ النَّاسِ تَكَبُّرًا عَلَيْهِمْ.**

وَ(المَرَحُ): التَّبَخْتُرُ.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص:٧٦] ، **إِلَى قَوْله تَعَالَى:** ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص:٨١] **الآيات.**

الشرح:

(﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾) هذه الآية ذكرها الله عَزَّوَجَلَّ بعد أن قص علينا خبر قارون في تعاليه وتعاظمه وفرحه وأشره وبطره، ﴿لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص:٧٦] ، ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ﴾ [القصص:٧٨] ، فأهلكه الله عَزَّوَجَلَّ ودمر عليه.

(﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ﴾) تبخترا وتعاليا وتعاظما.

(﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾): تعرض بخدك للناس.

(﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾) كبرا وعلوا.

(﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾): إن الله لا يحب كل مختال في مشيته فخور في فعلته وقولته.

(﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾) الأشرين البطرين.

٦١١ - وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ونَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ». رواه مسلم[1].

(بَطَرُ الحَقِّ): دَفْعُهُ وَرَدُّهُ عَلَى قَائِلِهِ، وَ(غَمْطُ النَّاسِ): احْتِقَارُهُمْ.

الشرح:

عبد الله بن مسعود هو أبو عبد الرحمن الهذلي، وقد تقدم.

قوله: (لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ) إن كان يريد الشرك الأكبر فالدخول منفيا مطلقا؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف:٥٠] ، وإن كان كبر المعصية بالتعالي على الناس هذا معصية من المعاصي، صاحبها قد يعذب في النار ثم يكون مآله إلى الجنة.

(فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا) يتجمل.

(ونَعْلُهُ حَسَنَةً): نعاله فاخرة.

(إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ) بمعنى أن الزينة غير داخلة في الكبر، الكبر مرض قلبي لا دخل للزينه فيه، فكونك تركب سيارة فارهة أو تسكن بيتا طيبا أو تشتري لبيتك أثاثا طيبا أو غير ذلك هذا ليس من الكبر في شيء.

---

(١) حديث رقم: (٩١).

(الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ): رد الحق ودفعه.

(وَغَمْطُ النَّاسِ): احتقار الناس، هذا هو الكبر، أما أن يكون عليك الثوب الحسن هذا مأمور به، قال النبي ﷺ: «ألا تحب أن يُرى أثر نعمة الله عليك؟»، وهكذا تأكل الطعام الطيب، ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف:٣١]، وهكذا المركب الطيب، «أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ»، أو كما قال النبي ﷺ.

وفي الحديث إثبات اسم الجميل لله عَزَّوَجَلَّ، وهو من الأسماء الحسنى بالسنة.

(يُحِبُّ الجَمَالَ) إثبات صفة المحبة لله عَزَّوَجَلَّ، وهي من الصفات الفعلية.

قال: (الكِبْرُ) أي الكبر المذموم، أو الفعلة المذمومة: (بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ).

هناك كلمة بين العوام يقولون: المتكبر على المتكبر صدقة، هذه الكلمة غير صحيحة، لا يجوز الكبر لا على المتكبر ولا على المتواضع، فالكبر كما قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: «والكبرياء ردائي، فمن ينازعني عذبته».

٦١٢ - وعن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رسول الله ﷺ بشمالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بيَمِينِكَ» قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ»، مَا مَنَعَهُ إِلاَّ الكِبْرُ، قَالَ: فما رفَعها إِلَى فِيهِ. رواه مسلم[(١)].

الشرح:

سلمة بن الأكوع هو أبو مسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رسول الله ﷺ) هذا مبهم، ولا يضر؛ لأنه في المتن.

(بشمالِهِ) فيه أن الأكل باليمين واجب، (كُلْ بيَمِينِكَ)، والدليل على الوجوب: أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم دعا عليه وشلت يده.

---

(١) انظر الحديث (١٥٩).

(قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ) وهو كاذب في هذا القول، وإلا فإن العاجز معفو عنه، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ [البقرة:٢٨٦] ، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَآ﴾ [الطلاق:٧] .

(فما رفَعها إِلَى فِيهِ) وهذا من دلائل نبوة النبي ﷺ إذ استجاب الله عَزَّوَجَلَّ له سريعا.

وقلت في "شرحي على صحيح مسلم":

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَأَمَّا قَوْلُ الْقَاضِي عِيَاضٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ قَوْلَهُ: مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مُنَافِقًا، فَلَيْسَ بِصَحِيحٍ، فَإِنَّ مُجَرَّدَ الْكِبْرِ وَالْمُخَالَفَةِ لَا يَقْتَضِي النِّفَاقَ وَالْكُفْرَ، لَكِنَّهُ مَعْصِيَةٌ إِنْ كَانَ الْأَمْرُ أَمْرَ إِيجَابٍ.

وقال: هَذَا الرَّجُلُ هُوَ (بُسْرٌ) بِضَمِّ الْبَاءِ وَبِالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ، ابْنُ رَاعِي الْعَيْرِ، بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَبِالْمُثَنَّاةِ، الْأَشْجَعِيُّ، كَذَا ذَكَرَ ابْنُ مَنْدَهْ وَأَبُو نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ، وَابْنُ مَاكُولَا، وَآخَرُونَ، وَهُوَ صَحَابِيٌّ مَشْهُورٌ، عَدَّهُ هَؤُلَاءِ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

إذًا نعود إلى ما قاله النووي، والقول الأول قد قال به القاضي، لكن بما أنه قد عُد من الصحابة وذكر بالخير يذكر بالخير والجميل، ولا يذكر بغيره.

وأيضا في الباب أن من صنع الخير يدعى له، لا سيما من الأطفال؛ حتى يشجع إذا كان النبي ﷺ قد دعا على من خالف الأمر مع قدرته على عدم المخالفة فكذلك من استجاب للأمر يُدعى له بالبركة والخير. اهـ

٦١٣ - وعن حارثة بن وهْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «ألا أُخْبِرُكُمْ بأهْلِ النَّار: كلُّ عُتُلٍ جَوّاظٍ مُسْتكْبِرٍ». متفقٌ عَلَيْهِ[1]، وتقدم شرحه في بابِ ضعفةِ المسلمين.

٦١٤ - وعن أَبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قَالَ: «احْتَجّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَت النَّارُ: فِيَّ الْجَبَّارُونَ والمُتَكَبِّرُونَ، وقالتِ الجَنَّةُ: فِيَّ ضُعفاءُ الناس ومساكينُهُم، فقضى اللهُ بَينهُما: إنكِ الجنّةُ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِك مَنْ أَشَاءُ، وَإِنَّكِ النَّارُ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكِلَيْكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا». رواه مسلم[2].

الشرح:

قوله: (عن أَبي سعيد) هو سعد بن مالك الخدري.

قوله: (احْتَجّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ) فيه أن الجنة والنار تتكلم إذْ شاء الله عَزَّوَجَلَّ، وفيه أن الجنة والنار موجودة الآن، وهي عقيدة أهل السنة والجماعة، الجنة في السماء السابعة، والنار في الأرض السفلى.

(فَقَالَت النَّارُ: فِيَّ الْجَبَّارُونَ والمُتَكَبِّرُونَ) بمعنى: أصحاب العلو والتفاخر.

(وقالتِ الجَنَّةُ: فِيَّ ضُعفاءُ الناس ومساكينُهُم) بمعنى: أهل التواضع، وإن كانوا من أصحاب الأموال، فلا يلزم من وجود الكبر أن يكون صاحبه ذو مال، ولا يلزم من وجود التواضع أن يكون صاحبه على غير المال، فإن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم»، وذكر منهم: «العائل المستكبر»، عائل، ما عنده شيء ولا يملك شيء، إلا ربما ما يقوم به، ومع ذلك متكبر ومتعال.

---

(١) انظر الحديث (٢٥٢).

(٢) انظر الحديث (٢٥٤).

فلا يلزم من وجود المال الكبر، كم من أصحاب النبي ﷺ من كان من أصحاب الأموال الكثيرة وعنده من التواضع ما الله به عليم!

(فقضى اللهُ بَينهُما) أي: حكم.

(وَإِنَّكِ النَّارُ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ) أي: من الكافرين أو من عصاة المؤمنين، ثم يخرجون منها.

(وَلِكِلَيْكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا) أي للجنة ملؤها وللنار ملؤها.

جاء في رواية: **«أما النار فلا يزال يلقى فيها وهي تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع الرب** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **رجله عليها»** وفي رواية: **«فيها، فتقول قط قط»**.

وجاء في النار: **«فينشئ الله لها نشأ»**، هذه الرواية شاذة بل منكرة، النار ما ينشئ الله لها نشأ، وإنما يدخل فيها الكفار، ويدخل فيها المنافقين، ومن شاء من عصاة المسلمين ثم يخرجهم منها، أما الجنة ينشئ الله لها نشأ؛ لأنها دار رحمة، فيخلق الله خلقا يتنعمون فيها ويتنعمون في أرجائها، بخلاف النار لو أنشأ لها نشأ ودخلوها بغير ذنب وبغير كفرا وبغير شرك هذا لا يتأتى إلا على مذهب الجبرية الذين يقولون:

وجاز للمولى يعذب الورى ... من غير إسراف ولا جرم جرى

٦١٥ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **أَنَّ رسول الله** ﷺ **قَالَ: «لَا يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا». متفقٌ عَلَيْهِ**[1].

الشرح:

أي: كبرًا.

(١) أخرجه البخاري (٥٧٨٨)، ومسلم (٢٠٨٧).

وفيه إثبات صفة النظر لله عَزَّوَجَلَّ، ينظر بعينين حقيقيتين، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

(إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا): كبرا، وهذا هو المذموم، «بينما رجل يختال في مشيته إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»، سيأتي.

٦١٦ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَة، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ». رواه مسلم[1].

(العَائِلُ): الفَقِيرُ.

الشرح:

قوله: (ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَة) هذا ليس على إطلاقه، فهناك أصناف أخرى لا يكلمهم الله، لكن هؤلاء في هذا الحديث، وإلا فقد جاءت عدة آيات وعدة أحاديث في أصناف أخرى لا يكلمها الله يوم القيامة.

والمراد: لا يكلمهم الله كلام رحمة، وإلا فإن الله يخاطب كل من في الموقف، يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب.

(وَلَا يُزَكِّيهِمْ) أي: لا ينالهم زكاة ورحمة.

(وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ): شديد.

(شَيْخٌ زَانٍ)؛ لأن دواعي الزنا قد ذهبت من نفسه، جسمه رقيق، وجوارحه ضعيفة، وشهوته ربما لا تأتي إلا بتكلف، بخلاف الشاب تكون دواعي الشر عنده قوية، فإذا حافظ على نفسه كان أجره عظيما، ولذلك قال النبي ﷺ: «سبعة يظلهم في

(١) حديث رقم: (١٠٧).

ظله يوم لا ظل إلا ظله»، وذكر منهم: «**ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله**»، فيتفطن لهذا، الشاب عند إقباله على الطاعة والعبادة يرجى له أجر طيب، ووعد طيب، بخلاف الشيخ.

أما آخر الزمان يكون الشيخ يقول لك: ما بقي لي إلا القليل، أتعبد لربي، أصلي، أصوم، لكن ذاك الشاب الذي هو مع عنفوان الشباب، عنفوان الشهوة، كثرة المجالسين له، كثرة الملبسين عليه، وهو يبادر إلى الطاعة والقربة، فهذا مأجور، وأجره إن شاء الله عظيم عند الله.

(**شَيْخٌ زَانٍ**) أي: زاني.

(**وَمَلِكٌ كَذَّابٌ**) لا يحتاج إلى أن يكذب، الملك لا يحتاج إلى الكذب، وهكذا الرؤساء ما يحتاجون إلى الكذب والوزراء في حكمهم؛ لأنه يستطيع أن يقول قولا ويفعله، أو يقول قولا ويخبرهم أنه لن يفعله، هو المتصرف فيهم لا هم المتصرفون فيه، ومع ذلك يكذب عليهم، هذه مذمة، ويلحقه السوء.

فالمتعين على الحكام والأمراء أن يصدقوا مع رعيتهم، يصدقوا مع رعيتهم في تعليمهم، في تفهيمهم، في الإحسان إليهم، في دفع الشر عنهم.

أغلب الحكام الآن الله يهدينا وإياهم ما عندهم هذا الفقه، «**إنما الإمام جنة يُتقى به**»، الجنة هي ما يوضع أمام المقاتل يتقي به السهام، وطعن الحراب، وضرب السيوف، يُتقى به، الآن الإمام ما هو حول الناس، إلا من رحم الله.

فلهذا لحقهم العناء والشدة، هذه الثورات وهذه الانقلابات وإن كانت محرمة لكن سبب حصولها الشدة على الناس، «**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فشق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به**»، هكذا يقول النبي ﷺ.

فينبغي لمن تولى الولاية أن يحسن، مسؤول كهرباء يحاول في إيصال الكهرباء إلى البيوت، مسؤول مجاري يحاول في تحسين وسائل الصرف الصحي، مسؤول أوقاف يسعى في إقامة الكتاب والسنة في المساجد، مسؤول اتصالات يسعى في أن تكون الاتصالات على الوجه الشرعي، بهذا والله سيرفع الله عنهم البلاء، وسيجازيهم عظيم الجزاء، وربما دعا له الصالحون، فكفاهم الله الشر.

النجاشي رد الله له الملك بعد أن ذهب منه بسبب عدله، النجاشي كان ملكا للحبشة، وكان له ابن واحد، فاجتمع الوزراء مع أخيه، وقالوا: أنت لك إحدى عشر ولدا، والملك ليس له إلا ولد واحد، فنخشى إذا مات أن يذهب الملك، قال: فما تفعلون؟ قالوا: تقتله، طلب منهم عدم ذلك، فأبوا إلا أن يقتله، فقام بقتل أخيه، ثم عمدوا إلى أبنائه لتنصيب أحدهم ملكا عليهم، فوجدوهم بُلْه، إحدى عشر ولدا أبله.

وقبل ذلك طلبوا منه أن يقتل أصحمة النجاشي، الولد، فقال لهم: قتلت أخي والآن تطلبون أن أقتل ولد أخي؟ قالوا: نخشى إن تملك أن يقتلنا، فقال: أوغير ذاك؟ قال: وما هو؟ قال: نبيعه للعرب، فجاء تجار من العرب واشتروا أصحمة النجاشي على أنه عبد مولى، ولم يتكلم بشيء، ماذا يفعل؟ إما أن يقتل وإما أن يباع، فأخذوه.

فلما جاؤوا لتنصيب الملك عليهم ما وجدوا من يصلح للولاية والإمارة عليهم، فقال لهم ذلك الرجل وهو الأخ: لقد بعتم ملككم بأيديكم، فذهبوا يبحثون عنه، وجدوهم في الساحل يريدون أن يحملوه في السفينة، فأخذوا بيده وردوه إلى المُلْك، فطلب منهم التجار أن يعطوهم عبدهم أو يعطوهم مالهم، فأبوا.

فتجهزوا ودخلوا عند الملك يشكون التُّجار، والملك هو العبد حقهم، لكن ما عرفوه لما دخلوا وعليه الأبهة، أبهة الملك، ما عرفوه، فقالوا له: يا أيها الملك جئنا إلى هذه البلدة واشترينا عبدا لنا، فلما كدنا أن نركب في السفينة جاء من باعه منا

فأخذه، فقلنا لهم: اعطونا حقنا وخذوا عبدكم، فأبوا، فالتفت إليهم قال: اعطوهم حقهم، قالوا: والله ما نعطيهم، قال: والله لتعطوهم حقهم أو ليأخذن عبدهم، فعند أن قال هذه المقولة علموا أنه سيمشي معهم.

فرد الله عليه ملكه، ولذلك لما جاءه عمرو بن العاص يريد أن يسلمه المسلمين وأعطاه الرشوة من الجلود ومن طيب مكة ونحو ذلك قال: والله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فكيف أقبل الرشوة في تسليمهم إليكم؟ الحديث في مسند أحمد فيه هذه الإشارة: ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، لكن القصة هي ما تقدم.

فالشاهد: أن الملك ينبغي أن يكون عادلا، أن يكون صادقا، أن يكون طائعا لربه الذي أعطاه الله الملك، ربما يحول الله عَزَّوَجَلَّ الملك عنه بسبب معصيته لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، انظر إلى سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ من الملك ما لم يعط غيره، ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ [ص:٣٥] ، أيش هي ملك الملوك؟ الآن الملك الكبير معه طائرة، ذاك سخر الله له الريح، تحمله حيث أراد، رخاء، لا فيها عاصف، ولا فيها برودة، ولا فيها صر، ولا فيها شيء.

وهكذا سخر الله له الشياطين والمردة، ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص:٣٧] ، الآن إذا صنعوا غواصة يخشون من ضياعها في المحيط، وأجهزة، وأشياء كثيرة، وسليمان كان يرسل الجن فيغوصون له إلى أعماق البحار ويأتونه بما أراد، وبنوا له التماثيل وكثيرا من الأمور، كلم الطير، وأعطاه الله ملكا عظيما، ومع ذلك كان في غاية التواضع، قال الله عَزَّوَجَلَّ عنه: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠﴾ [ص:٣٠]: رجاع إلى الله، تائب، مع أنه نبي رسول.

لكن الواقع نحن الآن عندنا ما أحد يبالي بهذه الأمور، والله أن كثيرا من الناس يؤخر الصلاة التي هي حق الله من أجل شراء سلعة، أو من أجل عزومة، ربما يؤخرها، وربما يتركها، فهذا هو السبب الذي جعل الأمة في هذا الحال الذي تشكو فيه من القلة، وتشكو فيه من الضِّعَة، وتشكو فيه من تسلط الأعداء، وتشكو فيه من كل شر.

(وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ) وهذا الآن كثير، العائل المستكبر كثير، لو تأملتم قاطعوا الصلاة تجدوه هذا العائل المستكبر، وربما ما يملك قوت يومه، يذهب يشتغل ويكدح وينصب ويروح يرجم بنفسه على الفرش كأنه حلس بالي، لا يبالي بصلاة فجر ولا بقيام ليل، ومع الدخان والشمة، وفي بعض البلدان كاليمن القات.

فمثل هذا كيف ينصر؟ وكيف يمكن؟ وكيف يرفع وهو على هذا الحال السيء؟ في الزمن الأول كان مثل هذا هو العابد المتنسك المتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

انظروا إلى أصحاب الصفة كانوا يعملون بالنهار ويحفظون القرآن بالليل، ما عندهم كبر، ولا تعالي، ولا ترفع، عمل من أجل أن يعفوا أنفسهم، ويكفوا أنفسهم بلقمة العيش، ثم بالليل صلاة وقيام وقراءة قرآن.

لكن كما قلت لكم الآن أغلب الأمة الذين هم يتركون الصلاة الفقراء، وهذا من تسلط الشيطان عليهم، وإلا ما هناك داعي لأن يترك الصلاة، ما هناك داعي لأن يتطاول على الناس، ما هناك داعي بأن يتعاظم في نفسه، هو في حال قلة وضعف وحاجة، والله المستعان، **«كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره»**، ضعيف ويتضعف أيضا، هؤلاء أهل الإيمان.

بل ربما يكون غنيا ويتضعف، كان أبو بكر إذا صلى بكى وسمع الناس بكاءه مع أنه كان غنيا، ومما يدل على أنه كان غنيا أنه أعتق كثيرا من العبيد والإماء، وأنفق على

النبي ﷺ كثيرا، ولما سأل أبوه عن المال الذي معه وضعت له أسماء شيئا في الكُوَّة ووضع يده فظن أنه ما زال هناك مال كثير، لعلمه أن أبا بكر كان تاجرا.

وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع أنه مبشر بالجنة عند موته يقول: يا ليت كفافا لا لي ولا علي.

هذا هو التواضع، نحن الآن إن من الله علينا بالصلاة جماعة نتعاظم في أنفسنا، ونرى أنفسنا أحسن من غيرنا، نسأل الله السلامة والعافية، وذاك قد أخبره نبيه أنه من أهل الجنة، وأخبره بقصره الذي رآه في الجنة، وأخبره بالمرأة التي رآها له في الجنة، وما هناك تخوف عليه من عذاب قبر، ولا من شيء من ذلك، وكان عادلا، والفتوحات في عهده، وكم أسلم على يدي قواده وهم في صحيفته؟ مع ذلك يقول: يا ليت أنها لا لي ولا علي، هذا هو أهل الإسلام حقا وصدقا.

أما الآن الكبر موجود في كثير من الناس، **«الكبر بطر الحق وغمط الناس»**، أهل البدع عندهم كبر، فلذلك نفروا من السنة، عُبَّاد القبور عندهم كبر، وإلا كم قد سمعوا من الآيات والأحاديث في التحذير من ذلك، فأبوا، السحرة والمشعوذون عندهم كبر، المتبرجات عندهن كبر، كم قد سمعن من الوعظ في عدم الخروج بالتبرج، لكن ما يبالون.

كثير من أصحاب الأغاني عندهم كبر، إذا سمع خطبة جمعة وأنت تحذر من الأغاني يمشي من عندك ويرفع الصوت، كبر، وإلا الأولى أن يتواضع، وإذا عصى الله عَزَّوَجَلَّ ألا يجاهر بمعصيته، لكن لشدة الكبر الذي في الناس يجاهر بالمعصية ولا يبالي.

فهذا داء مستحكم في القلوب، داء قلبي يتسلط به الشيطان على الناس؛ لأنه إذا غرس فيك الكبر، كان عندنا شيخ قبيلة يقولون له: صل يا فلان، يقول: والله ما أجعل دبري إلى السماء، كبر إلى هذا الحد؟ حتى ذُكر في السير: أن السبب الذي منع أبا

جهل من الإسلام هذه المسألة، قال: والله لا أرفع دبري إلى السماء، ومات موتة الكلاب، والله مات موتة الكلاب.

فعلى الناس جميعا أن يتقوا الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يعالجوا أنفسهم من الكبر، الكبر أحيانا يجعلك تظلم الناس وما تستعفي منهم، ولا تعتذر منهم، ولا تطلب منهم المسامحة، الكبر ربما جعلك تسرق مال الناس، تتعالى عليهم، والنبي ﷺ يقول: **«ولا ينتهب نُهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد»**.

فالكبر داء عضال، عصى إبليس ربه به، لو لم يكن إلا هذا، قد يصح التعبير أن تقول: أول ذنب عُصي الله به الكبر، وهكذا الحسد، نسأل الله السلامة والعافية.

٦١٧ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: العِزُّ إزَاري، والكبرياءُ رِدائي، فَمَنْ يُنَازِعُنِي في وَاحِدٍ منهما فَقَد عَذَّبْتُهُ». رواه مسلم[1].

الشرح:

هو ذو العزة، وهو ذو الكبرياء والعظمة، والحديث على ظاهره.

(فَمَنْ يُنَازِعُنِي في وَاحِدٍ منهما فَقَد عَذَّبْتُهُ) أي أن الكبر والعز من خصائصه؛ لأنه الكبير العظيم، القوي، القاهر، الجبار، الذي لا يعجزه شيء، الملك ملكه، والأمر أمره، فله الحق أن يتكبر، وله الحق بالعزة، وله الحق بكل صفة عظيمة وجليلة؛ لأنه أهل لها.

أما أنت يا ضعيف لا يجوز لك الكبر، أولك نطفة مَذِرَة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت بين ذلك تحمل العَذِرة، والله لو تأملنا في أنفسنا ما يقع لنا نتكبر، كم نعاني من أذية البول والغائط! يقومك من نومك إلى الحمام، ويقومك من بين الناس إلى

---

(١) حديث رقم: (٢٦٢٠).

الحمام، وينزلك من السيارة، فإذا كان هذا حالك لماذا تتكبر؟ ولا تستطيع أن تبقى يوما وليلة بدون طعام، فالتواضع ليس مثله في رفعة العبد، «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا».

٦١٨ - وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ رَأْسَهُ، يَخْتَالُ فِي مَشْيَتِهِ، إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرضِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

(مُرَجِّلٌ رَأْسَهُ): أيْ مُمَشِّطُهُ، (يَتَجَلْجَلُ) بالجيمين: أيْ يَغُوصُ وَيَنْزِلُ.

الشرح:

(تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ رَأْسَهُ) يعني: ينظر إلى نفسه أنه أحسن من غيره، ورأسه قد مشطه ونظفه.

(يَخْتَالُ فِي مَشْيَتِهِ): يتعاظم.

انظر إلى أن الكبر وعدم التواضع من أسباب عذاب القبر، هذا التجلجل من عذاب الحياة البرزخية.

٦١٩ - وعن سَلَمَةَ بنِ الأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ فِي الجَبَّارِين، فَيُصِيبَهُ مَا أَصَابَهُمْ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[2].

(يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ) أيْ: يَرْتَفِعُ وَيَتَكَبَّرُ.

الشرح:

(١) أخرجه البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).

(٢) حديث رقم: (٢٠٠٠)، في سنده عمر بن راشد بن شَجَرة اليمامي ضعيف جدًّا، يعني بمعنى أنه لا يصلح في الشواهد المتابعات.

فهذا باب عظيم، ينبغي لطلاب العلم أن يقوموا بحفظه، تم التحذير من هذه الآفة التي أصابت الأمة في مقتلها، وهي صفة الكفار وصفة المنافقين، تجد في القرآن كثيرا من الآيات: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ﴾ [الأعراف:٧٦]، وهكذا صفة إبليس اللعين، وصفة كل معارض لدين رب العالمين، ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف:١٤٦] ، يُصرفون من الله، ولا يوفقون أبدا، وهذا وعيد عظيم أن يُصرف قلبك إلى معصية الرحمن، وإلى الشرك والإلحاد، وإلى البدعة والعناد، تسوء دنياك وتسوء أخراك.

٧٣ - باب حسن الخلق

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٣٤] **الآية.**

الشرح:

(﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾) قالت عائشة: كان خلقه القرآن، والنبي ﷺ يقول: «**إنما بعثت لأتم صالح الأخلاق**».

وحسن الخلق ليس فقط مع الناس بالابتسامة والرفق والإحسان، هذا منه، لكن أعلى حسن الخلق: التوحيد، فكم من إنسان مع الناس رفق ابتسامه لين إحسان وهو مشرك، هذا قليل أدب مع الله، ولو كان من أصحاب الأخلاق الحسنة ظاهرا وباطنا لأخذ بدين الله عَزَّوَجَلَّ.

(﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾) أي: من حسن خلقهم أنهم يكظمون الغيظ، والغضب والحنق، ويعفون عن الناس إذا علموا في أن في العفو إصلاحا؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:٤٠] .

٦٢٠ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَانَ رسولُ الله ﷺ أَحْسَنَ النَّاس خُلُقًا. متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

الشرح:

كان أحسنهم خُلُقا وخَلْقًا، فكان جميل المنظر، وجميل المخبر، ما سئل شيئا فقال: لا، وما رُفع إليه شيء إلا أمر فيه بالعفو، وكان من خير الناس مع أهله، «**خيركم**

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٢٣١٠).

خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»، وكان خيرهم للقريب والبعيد، والعدو والصديق، كان حريصا على هدايتهم.

فلو لم يكن من فضيلة حسن الخلق إلا هذا الحديث، أن تتأسى بالنبي ﷺ، فكيف إذا جاءت فضائل أخرى تدل على عظيم شأنه وعلو منزلته.

انظر إلى نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ قالوا: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾ [الأعراف:٦٠]، هذه سبة ما هي سهلة، ماذا رد عليهم؟ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٦١] ، يعني لم يزد على دفع كلامهم، ما قال: أنتم الضلال، أنتم المفتونون، أنتم كذا وأنتم، ﴿لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٦١] .

وهكذا قالوا: يا هود إنا لنراك في سفاهة، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ [الأعراف:٦٧] ، فالأنبياء من أصحاب الأخلاق الحسنة الحميدة، فينبغي أن نتأسى بهم، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام:٩٠] .

لا سيما في هذا الزمن الذي ساءت فيه الأخلاق والعقائد، والمبادئ والقيم، تجد تداخلات حتى من الأطفال، كان في الزمن الماضي الطفل لا يتدخل فيما لا يعنيه، الآن تجد الطفل يتناقش مع أبيه كأنه واحد من الشارع، وربما يمزح معه بمزح ما هو طيب، بينما في الزمن الماضي تجد الابن يتهيب أن يتكلم مع أبيه، أو يرفع رأسه إلى أبيه، أو يعاند أباه أو أمه، وهذا لقلة وضعف الأخلاق، يخرج الشارع ويأخذ أخلاقه من أصحاب الشارع، ويأخذون الجوالات ويأخذون أخلاقهم من الجوالات.

وهذا والله من البلاء العظيم، إذا لم يعرف الصغير الحق للكبير هذه فتنة، وإذا لم يرحم الكبير الصغير هذه فتنة، فلا بد أن يعلم الصغير مقدار نفسه، ويتخاطب مع الكبار على قدرهم.

الصحابة كانوا يقولون لمن هو أكبر منهم: يا عم، ونحو هذا من الكلام الطيب، احترام في القول، واحترام في الفعل.

٦٢١ - وعنه، قَالَ: مَا مَسِسْتُ دِيبَاجًا وَلَا حَرِيرًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رسولِ اللهِ ﷺ وَلَا شَمَمْتُ رَائِحَةً قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رسولِ اللهِ ﷺ وَلَقَدْ خَدمتُ رسول اللهِ ﷺ عَشْرَ سنين، فما قَالَ لي قَطُّ: أُفٍّ، وَلَا قَالَ لِشَيءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَه؟ وَلَا لشَيءٍ لَمْ أفعله: أَلَا فَعَلْتَ كَذا؟ متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

الشرح:

(مَا مَسِسْتُ دِيبَاجًا وَلَا حَرِيرًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رسولِ اللهِ ﷺ) لا إله إلا الله، وهو صادق، مس الديباج ومس الحرير لكن ليس هناك ألين من يد النبي ﷺ.

(وَلَا شَمَمْتُ رَائِحَةً قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رسولِ اللهِ ﷺ) مع أنهم عندهم الطيب الأصلي من العود ومن غير ذلك، ليس مثل الآن يعمل لك قليلا زيت وقليلا رِيحة ويناولك على أنه مسك أو طيب، بل كان عندهم أطيب الطيب، ومع ذلك كانت رائحة النبي ﷺ وعرق النبي ﷺ أطيب من ذلك الطيب.

قالت أم سليم: نجعله في طيبنا، فلو كان دون طيبهم ما أدخلوه في طيبهم، بل جاء في بعض الأحاديث: كأنما أخرج يده من جونية عطار، الجونية: الكيس، يعني إذا شُمَّت يده كأنه أخرجها من جونية عطار، قال أبو بكر: ما أطيبك حيا وميتا، كان يكره الروائح الكريهة، حتى أنه عند موته حين دخل عليه عبد الرحمن بن أبي بكر ورأى في يده سواكا أخضر أبَّدَه بصره، وشعرت عائشة أنه يريده، فأخذته وقضمته وطيبته، ثم ناولته، فاستن استنانا لم يستن قبله مثله؛ ليلقى الله برائحة فم طيبة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٢٩).

(وَلَقَدْ خَدمتُ رسول اللهِ ﷺ عَشْرَ سنين، فما قَالَ لي قَطُّ: أُفٍّ) ونحن ما من يوم إلا ونحن نصيح، تارة على الولد، وتارة على الزوجة، وتارة على الابن، وتارة على الصاحب، ما عندنا صبر، والنبي ﷺ عشر سنين ما قال له يوما: أف، أو أرسله في أمر ورجع دون أن يقضيه وقال له: أنت وأنت.

(وَلَا قَالَ لِشَيءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَه؟ وَلَا لشَيءٍ لَمْ أفعله: ألا فَعَلْتَ كَذا؟) انظروا إلى هذه الأخلاق العظيمة الكريمة، من أعظم رجل خلقه الله، ومن أكرم رجل وأزكاه، ومع ذلك تواضع حتى للأطفال، فأنس بن مالك كان يخدمه وهو ابن عشر سنين إلى عشرين سنة خدمه، يعني عشر سنوات.

٦٢٢ - وعن الصعب بن جَثَّامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أهديتُ رسولَ الله ﷺ حِمَارًا وَحْشِيًّا، فَرَدَّهُ عَلَيَّ، فَلَمَّا رأى مَا في وجهي، قَالَ: «إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلاَّ لأَنَّا حُرُمٌ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

فيه أن النبي ﷺ كان يقبل الهدية، بل ويثيب عليها.

وفيه حل الحمار الوحشي، وإنما الذي حرمه الله ورسوله الحمار الإنسي.

(فَرَدَّهُ عَلَيَّ)؛ لأنه كان محرما ولا يجوز له أن يأكل منه، لكن هنا إشكال: لماذا قبل من أبي قتادة ولم يقبل من الصعب بن جثامة؟ أبو قتادة صاد لنفسه، والصعب بن جثامة صاد للنبي ﷺ، وفي الحديث: «صيد الحل حلال ما لم تصيدوه أو يُصد لكم»، الحديث بمعناه، وفيه كلام.

(فَلَمَّا رأى مَا في وجهي) أي من التغير، فإن الإنسان كسرة الوجه ثقيلة عليه، فإذا أهداك أحدهم هدية حتى وإن رأيتها ما تليق أو لا تصلح اقبل يا أخي، قد تكون

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٢٥)، ومسلم (١١٩٣).

الهدية علامة على حبه، علامة على احترامه، وعود ابنك دفع الهدايا، وإعطاء الهدايا، وإن استطعت أن تثيب على الهدية فليكن ديدنك الإثابة.

مرة من المرات وصلت إلى جزيرة زنجبار، وبعد المحاضرة جاءني بعضهم ببعض هدايا من بعض فواكه، وهذا من بعض طعام، المهم أنه يريد يهدي، ما هو ضروري يهدي لك قلم بِرْكال، أو كتاب كذا كذا، أو يعني جبة أو شال، أو أشياء كبيرة، جزاه الله خيرا.

وأنت إن أعجبتك الهدية وإلا أخذتها منه وأهديتها لغيرك، سيجد المهدى له أثرا بليغا من هذه الهدية، يقول: والله أني مشيت مع فلان وأهدوا له وأهدى لي، ستعتبر في ميزان مآثرك.

والشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان لا يؤتى بهدية إلا ويوزعها على من إليه، وربما أعطاها لمن أتى بها، كل بحسبه، والله المستعان.

ذكر لي بعض العساكر: أن الشيخ لما كان مريضا في مستشفى الثورة جاء إليه زوار من السعودية، فأعطوا له طيبا، وكان بجانبه عسكري، فأخذ الطيب وناوله، فخرج ذلك العسكري وقد تطيب، وزملاؤه يشمون، والضباط يشمون، قالوا: من أعطاك هذا الطيب؟ قال: الشيخ مقبل، دخل الضابط إلى الشيخ مقبل قال: يا شيخ أشتي طيب، أعطاه طيبا، والثاني، قال: ما أريد إلا مثل حق صاحبي، وإلا الطيب كثير، المهم قال لهم الشيخ: خذوه إلى السوق، وانظروا له الطيب الذي يعجبه.

فالشاهد أن الرجل قال: ما وجد الطيب الذي يعجبه، لكن في الأخير أعطوه علبة من العلب، والله المستعان.

سؤال: ما هو الحمار الوحشي؟ حمار يعيش في الصحراء، هيئته هيئة الحمار سواء، إلا أنه مخطط، ذاك الحمار المخطط، ليس بالحمار الإنسي.

٦٢٣ - وعن النَّوَّاس بنِ سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن البِرِّ وَالإثم، فَقَالَ: «البِرُّ: حُسْنُ الخُلُقِ، والإثمُ: مَا حَاك في صدرِك، وكَرِهْتَ أن يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ». رواه مسلم[1].

الشرح:

النواس بن سمعان الكلاعي، له حديث الدجال الطويل.

(قَالَ: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن البِرِّ) البر إذا أُفرد دل على فعل الخيرات وترك المنهيات، وإذا قُرن مع التقوى فالبر: فعل المأمور، والتقوى: ترك المحظور.

(وَالإثم) الذي يتأثم به الإنسان، فالإنسان قد يتحرج من أفعال أو أقوال.

(البِرُّ: حُسْنُ الخُلُقِ) هذا هو البر، الرفق من البر، الابتسامة من البر، الهدية من البر، الصدقة من البر، صدق الحديث من البر، اجتناب الكذب من البر، كل فعل صالح تفعله وكل فعل سيء تتركه من البر، ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟﴾ [البقرة:١٧٧].

(والإثمُ: مَا حَاك في صدرِك) يعني: تخوفت من اطلاع الناس عليه، تحرجت من فعله، أي أنك تتأثم، لو كان حلالا صِرفا ما كان هناك إثم، ولو كان حراما صرفا ما جاز لك أن تأتيه، لكن فيه أشياء متشابهات، يحك في صدرك أنه حرام، أو أنه غير طيب، اتركه.

(وكَرِهْتَ أن يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ) جاء في حديث آخر: «وإن أفتاك المفتون».

---

(١) انظر الحديث (٥٨٩).

٦٢٤ - عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمْ يكن رسولُ الله ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وكان يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

(لَمْ يكن رسولُ الله ﷺ فَاحِشًا) في قوله، (وَلَا مُتَفَحِّشًا) في فعله، بحيث يجلب الفحش على نفسه، بل كانت أخلاقه على أحسن الأخلاق وأجملها.

(إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا): أعظمكم خلقا مع الله، ومع رسوله ﷺ، ومع دين الإسلام.

وقلت في "شرحي على صحيح مسلم":

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: فِيهِ الْحَثُّ عَلَى حُسْنِ الْخُلُقِ، وَبَيَانُ فَضِيلَةِ صَاحِبِهِ، وَهُوَ صِفَةُ أَنْبِيَاءِ اللهِ تَعَالَى وَأَوْلِيَائِهِ.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: حَقِيقَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ بَذْلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَطَلَاقَةُ الْوَجْهِ.

أما من حيث الإسناد أعلى ما عرفته في ذلك عن عبد الله بن مبارك، أخرجه الترمذي في سننه[2]، وهذا النوع من حسن الخلق هو الذي يكون بين المخلوقين يكون على ثلاثة أنحاء:

(**بذل الندى**): العطاء، والهبة، والهدية، والصدقة، والعون.

(**وكف الأذى**) القولي أو الفعلي، أو حتى الاعتقادي، كسوء الظن.

(**وطلاقة الوجه**): الابتسامة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٥٩)، ومسلم (٢٣٢١).

(٢) برقم: (٢٠٠٥).

وأما حسن الخلق الآخر فهو الذي يكون بين العبد وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ في وصف نبيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وقد تقدم حديث أنس: كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقا.

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: هُوَ مُخَالَطَةُ النَّاسِ بِالْجَمِيلِ وَالْبِشْرِ، وَالتَّوَدُّدُ لَهُمْ، وَالْإِشْفَاقُ عَلَيْهِمْ، وَاحْتِمَالُهُمْ، وَالْحِلْمُ عَنْهُمْ، وَالصَّبْرُ عَلَيْهِمْ فِي الْمَكَارِهِ، وَتَرْكُ الْكِبْرِ وَالِاسْتِطَالَةِ عَلَيْهِمْ. وَمُجَانَبَةُ الْغِلَظِ وَالْغَضَبِ وَالْمُؤَاخَذَةِ.

وقد يكون مكتسبا وقد يكون جبليا. اهـ

٦٢٥ - وعن أَبي الدرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ العبدِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وَإِنَّ الله يُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيَّ».

رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[(١)].

(البَذِيُّ): هُوَ الَّذِي يتكلَّمُ بِالفُحْشِ ورديء الكلامِ.

الشرح:

أبو الدرداء عويمر الأنصاري.

(مَا مِنْ شَيْءٍ) أي من الأعمال.

(أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ العبدِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ) ميزان حسي، له لسان وكفتان، توضع فيه أعمال العباد، فتثقله الحسنات، ويطيش بالسيئات.

(مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ) أثقل شيء تثقل به ميزانك.

(وَإِنَّ الله يُبْغِضُ) البغض صفة فعلية ثابتة لله.

(الفَاحِشَ) في قوله، و**(البَذِيَّ)** الذي يتكلم بالكلام السيء الفاحش.

---

(١) حديث رقم: (٢٠٠٢).

٦٢٦ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عَنْ أكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، قَالَ: «تَقْوَى اللهِ وَحُسنُ الْخُلُقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الفَمُ وَالفَرْجُ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[1].

الشرح:

(قَالَ: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عَنْ أكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ) وقد كان النبي ﷺ يُسأل كثيرا من الصحابة عن أسباب دخول الجنة، وعن أسباب السلامة من النار، إذ همهم دخول الجنة والسلامة من النار، بخلافنا في هذا الزمان، ربما يبقى الرجل يدرس دهرا ويفتي دهرا ما يأتيه أحد يقول: يا أخي دلني على عمل يدخلني الله به الجنة، لا نقول أنه قد علم بحيث أنه سيعمل، ما قد علم بشيء، لكن ما هو حول الجنة، ولا حول السلامة من النار.

كل الأسئلة التي يُسأل عنها أهل الزمان إلا ما رحم الله: كيف كذا؟ كيف يفعل كذا؟ كيف أتخلص من كذا؟ أشياء؛ لأن عندهم إما معاصي أو تفريطات في الطاعات، أما أولئك كانوا على طاعة، وعلى بر، فيسألون أقرب الطرق لدخول الجنة.

(قَالَ: تَقْوَى اللهِ وَحُسنُ الْخُلُقِ) تقوى الله بفعل المأمور، وترك المحظور، وحسن الخلق: التخلق بالأخلاق الحسنة في توحيدك وفي غير ذلك، وقد فُسِّر حسن الخلق بأنه بذل الندى، وكف الأذى، وطلاقة الوجه، فسره عبد الله بن المبارك كما عند الترمذي، هذا حسن الخلق مع الناس.

(وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: الفَمُ وَالفَرْجُ) الفم بأكل الحرام، بالغيبة، بالنميمة، بالكذب، بالأمر بالمنكر، إلى غير ذلك، والفرج بالزنا واللواط،

(١) حديث رقم: (٢٠٠٤)، وهو حديث ثابت..

والعادة السرية، ونحو ذلك من الأفعال القبيحة التي يتعاطاها الناس فيما بينهم، نسأل الله السلامة والعافية.

٦٢٧ - وعنه، قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَكْمَلُ المُؤمنينَ إيمَانًا أحسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[1].

الشرح:

(أَكْمَلُ المُؤمنينَ إيمَانًا) أي أنهم أعلى درجة من غيرهم.

(أحسَنُهُمْ خُلُقًا) مع ربهم، ومع أمثالهم، ومن يخالطوهم.

(وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ) يقولون: لو كان فيه خير أنه لأهله، فبعض الناس تجده صاحب خلق حسن مع الغير، يبتسم، يمزح، ويهدي، وإذا دخل عند أهله كأنه وحش، ما يحسن إليها، ولا يبتسم معها، ولا يؤانسها، ويفسد على نفسه، وما يعلم أنه كان مفسدا على نفسه إلا وقد ذهب من عمره الوقت الكثير.

والمجتمع قد لا يعين على هذا الأمر، يقولون: لا بد تذبح القطة، عندهم حكمة: لا بد أنك تذبح القطة، يعني حين تصل المرأة تواجهها بشدة؛ حتى تكون تسمع لك وتطيع، ما هو صحيح، أحسن إلى زوجك، وتحسن هي إليك، والجزاء من جنس العمل، وأما إذا أردت ذبح القطة أخشى أنها هي تذبح القطة، ونبقى في كل واحد يريد ينتصر، حياة ضنكة حياة الانتصار بين الزوجين، كل ينتظر الغلبة.

فينبغي أن يكون بينهم الألفة والمحبة والتصافي.

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد ... جاءت محاسنه بألف شفيعِ

---

(١) انظر الحديث (٢٧٨).

«لا يفرق مؤمن مؤمنة إن كره منها خُلُقا رضي منها الآخر»، حتى وإن اختلفوا يعاجل هو وهي إلى الصلح، والله المستعان؛ لأن الشيطان يفرح بخراب البيوت، والمرأة مثل الزجاجة إذا طُلِّقت انكسرت، «طلاقها كسرها» يقول النبي ﷺ.

٦٢٨ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ» رواه أَبُو داود[1].

الشرح:

انظر (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ) واحد يصوم بالنهار ويقوم بالليل وأنت من أصحاب الأخلاق الحميدة مع ربك ومع من إليك من المسلمين فتدرك درجته، وترتفع منزلتك، ومع ذلك ما هو إلا أن الإنسان يصبر نفسه، «إنما الصبر بالتصبر، والحلم بالتحلم».

وحسن الخلق منه الجبلي ومنه المكتسب، فعود نفسك، ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤].

وكلما طال عمر الإنسان ينبغي أن يكون رزينا أكثر من ذي قبل؛ لأن الشباب يقارنه الطيش، كما قال عمر: إياك وعثرات الشباب، ما تستمر معك، أما بعضهم سبحان الله ابن خمسين سنة وكأنه ابن عشرين، ابن ستين وهو كأنه ابن خمسة عشر، ما زال طائشا، عود نفسك الصبر والتؤدة، والسكينة، والعفو والصفح، والتجاوز، والإحسان.

---

(١) حديث رقم: (٤٧٩٨)، وهو ثابت بشواهده.

٦٢٩ - وعن أَبي أُمَامَة الباهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ ببَيتٍ في ربَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ، وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ في وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ، وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ في أَعلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ». حديث صحيح، رواه أَبُو داود بإسناد صحيح[1].

(الزَّعِيمُ): الضَّامِنُ.

الشرح:

أبو أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الباهلي، صدي بن عجلان.

يقول: (أَنَا زَعِيمٌ) أي: كفيل وضامن.

(ببَيتٍ في ربَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ): الجدال الخصومة.

(وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا) لكن يتركه لما يولد من ضيق الصدور، وجفاء النفوس والتنافر.

(وَبِبَيْتٍ في وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ، وَإِنْ كَانَ مَازِحًا) وما أكثر الذين يكذبون في هذا الزمان بالمزح، بالنكات، التي يسمونها النُّكَت، فتجد أنهم يهرجون، وتخصص أناس فيها، يخرجون في التلفزيونات وفي الإذاعات، وفي وسائل التواصل، عندهم تخصص في الكذب.

مرة من المرات كنا مع واحد في سيارة ثلاث ساعات وهو يتكلم ويتكلم، ويأتي بقصص عجيبة، وأشياء خارج النطاق، لكن سبحان الله قد يقع هذا الكلام، فلما انتهينا قال: والله أن كل ما حدثتكم به كذب، قلنا: سبحان الله! ويأتي بها على سياقة كأنها حقيقة، يذكر لنا كيف سافر من البيت، ووصل إلى منطقة فلان، ووجد كذا وكاد يهلك من الجوع، وما أدري أيش من هذا الكلام، لكن سبحان الله.

---

(١) حديث رقم: (٤٨٠٠)، ثابت بشواهده.

(وَبِبَيْتٍ فِي أَعلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ) وهذا دليل على أن حسن الخلق أكمل الأعمال، أعلى الجنة، والنبي ﷺ يقول: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة، وسقفه عرش الرحمن».

فهذا الحديث تضمن ثلاثة أمور:

الأمر الأول: يُترك، وهو المراء.

الأمر الثاني: يُترك، وهو الكذب.

الأمر الثالث: يُطَبَّق، وهو حسن الخلق.

٦٣٠ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ، أَحَاسِنَكُم أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ القِيَامَةِ، الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ» قالوا: يَا رسول الله، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ، فمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: «المُتَكَبِّرُونَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

(الثَّرْثَارُ): هُوَ كَثِيرُ الكَلَامِ تَكَلُّفًا.

وَ(المُتَشَدِّقُ): المُتَطَاوِلُ عَلَى النَّاسِ بِكَلَامِهِ، وَيَتَكَلَّمُ بِمَلءِ فِيهِ تَفَاصُحًا وَتَعْظِيمًا لِكَلَامِهِ.

وَ(المُتَفَيْهِقُ): أصلُهُ مِنَ الفَهْقِ، وَهُوَ الامْتِلَاءُ، وَهُوَ الَّذِي يَمْلأُ فَمَهُ بِالكَلَامِ وَيَتَوَسَّعُ فِيهِ، ويُغْرِبُ بِهِ تَكَبُّرًا وَارْتِفَاعًا، وَإِظْهَارًا للفَضِيلَةِ عَلَى غَيْرِهِ.

وروى الترمذي[2] عن عبد الله بن المباركِ رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير حُسْنِ الخُلُقِ، قَالَ: هُوَ طَلَاقَةُ الوَجه، وَبَذْلُ المَعروف، وَكَفُّ الأذَى.

الشرح:

(١) حديث رقم: (٢٠١٨).

(٢) في جامعه (٢٠٠٥)، وعند الترمذي: بسط الوجه.

(قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ) على الحكاية.

بقي الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة، وهذا الآن موجود، أكثر الذين يعملون معهم المقابلات التلفزيونية والإذاعية يبقى: آه آه، ما أدري لماذا تعلموا هذه الطبيعة، وإلا الإنسان يتكلم بما فتح الله، لكن يبقى يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة.

يقول: (إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ) أي إلى رسول الله ﷺ.

(وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ) وأنت تعلم أن الناس يتمايزون يوم القيامة، أهل الجنة في جهة، وأهل النار في جهة، فأنت حين تكون قريبا من النبي ﷺ معناه أنك إلى أهل الإسلام، ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [يس:٥٩].

الأمر الثاني: معناه أنك ستكون قريبا من شفاعته، من كثير من خيره.

(أَحَاسِنَكُم أَخْلَاقًا) كما تقدم.

(وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ القِيَامَةِ، الثَّرْثَارُونَ)؛ لأن كثرة الكلام لا خير فيه، النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (الأذكار) يذكر: أن الكلام إن كان واجبا تأتي به، إن كان محرما تتركه، وأن كان مباحا فيتعين السكوت، إلا إذا وُجدت مصلحة راجحة.

فالشاهد أن الثرثرة ما فيها خير، انظروا سبحان الله لما نسجل الآن درس عشرين دقيقة يفرغونه في قريب من ثلاثين صفحة، فكيف إذا كنت ليل نهار تتكلم كلاما باطلا كله محسوب عليه، كم ستكون؟ نسأل الله السلامة والعافية، ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق:١٨].

(وَالمُتَشَدِّقُونَ): المتكلف المتطاول على غيره بالكلام، تواضع يا أخي في كلامك كما تتواضع في مشيك، كما تتواضع في جميع شأنك.

(وَالمُتَفَيْهِقُونَ): التوسع في الكلام، والإتيان بما لا ينبغي.

وانظر في هذا الحديث رد على المعتزلة والجهمية والأشاعرة ومن إليهم والمفوضة، فإن السلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كانوا إذا أشكل عليهم شيء سألوا النبي ﷺ: ما المتفيهقون؟ ولما سئل النبي ﷺ: من أفضل الناس؟ قال: «**كل مخموم القلب**

صدوق اللسان»، قالوا: قد عرفنا صدوق اللسان، فما مخموم القلب؟ ولما قال: **«الهرج»** قالوا: ما الهرج؟ أشياء كثيرة.

فلو كانوا لا يعلمون معنى الصفات لما قال لهم ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٢٧] ، ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:٦]، ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة:٤٦] ، ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء:١٤٢] ، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال:٣٠] ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة:١٩٥]، لقالوا: يا رسول الله ما معنى يحب؟ ما معنى يبغض؟ ما معنى يكره؟ ما معنى يغضب؟ ما معنى الوجه؟ لكن هذه أمور معلومة لديهم، فلذلك لم يسألوا عنها.

لأنهم يتشبثون بعدم وجود النقل، يقول: أين السلف ما سألوا عن هذه الأمور؟ نقول: ما سألوا عنها؛ لعلمهم بها، فينبغي لك أن تكون قابلا لكل ما نُقل عن الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه، أو في صحيح سنة نبيه، وهكذا عن رسول الله ﷺ في صحيح السنة، بدون تكلف، وبدون كذلك تنطع ورد.

فالشاهد أن هذا الباب تضمن الدعوة إلى حسن الخلق، سواء حسن الخلق القولي، أو حسن الخلق الفعلي، أو حسن الخلق الاعتقادي، ثم إن حسن الخلق القولي والفعلي لا يكون إلا مع حسن الخلق الاعتقادي، أما إذا كان الإنسان فاسد القلب ستكون جوارحه فاسدة، **«ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»**، فكلما كان صدر الإنسان منشرحا محبا للخير متنزها عن الحسد والغل وغير ذلك من الآثام كلما كانت أخلاقه صادرة على هذا، والله المستعان.

٧٤ - باب الحلم والأناة والرفق

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [المنافقون:٩-٣٥].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى:٤٣] .

الشرح:

الحلم: الصبر والهدوء، والسكينة.

والأناة: عدم العجلة.

والرفق: الترفق، وعدم الطيشان.

(﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾) الكاظم للغيظ الذي يستطيع أن ينتقم لنفسه، ومع ذلك يكتم لله، (﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾): المتجاوز، (﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾) فإن هذا من الإحسان.

(﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾) الجهل المراد به هنا الطيش.

(﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾) أكيد أن الحسنة أفضل وأحسن وأريح للنفس، وأطمن للقلب.

(﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾) حتى وإن أرادك أحدهم بسوء ادفع بالتي هي أحسن.

(﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾): صاحب محب لك، بعد أن كان يخالفك.

(﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾) أي: العفو والصفح والتجاوز.

(﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾) على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وعلى أقدار الله.

(﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾): صاحب نصيب وافر، هو الذي يجازي السيئة بالحسنة.

(﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾) مع أنه يجوز له أن يأخذ حقه، ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:٤٠] ، ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الشورى:٤٢] ، لكن مع ذلك، ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى:٤٣] .

٦٣١ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ لأَشَجِّ عَبْدِ القَيْسِ: «إِنَّ فيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ». رواه مسلم[1].

الشرح:

انظر (**يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ**) والتجاوز والصفح.

(**وَالأَنَاةُ**): التؤدة والسكينة.

خارج الصحيح قال: يا رسول الله أُجُبلت عليهما؟ قال: «**نعم**»، قال: الحمد لله الذي جبلني على ما يحب.

فالشاهد: أن مثل هذه الأخلاق منها المُكْتَسَب، الذي يتحصل عليه الإنسان بالتحلم، الحلم بالتحلم، والعلم بالتعلم، ومنها الجبلي، جعلك الله منذ خلقك على هذا الأمر.

---

(١) حديث رقم: (١٧).

٦٣٢ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّه». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

هذا دليل على أن من أسماء الله الرفيق، يحب الرفق بالناس، وعدم الشدة عليهم، وعدم التثقيل عليهم، وفي الحديث: «اللهم من وُلِيَ من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليه فشق عليه».

(يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّه) سواء في أمر الإنسان مع نفسه، أو أمر الإنسان مع غيره.

٦٣٣ - وعنها: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، وَيُعْطي عَلَى الرِّفق مَا لَا يُعْطِي عَلَى العُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ». رواه مسلم[2].

الشرح:

أي من الأجر والمثوبة، والرافق يفيد أحسن مما يفيد العنيف، العنيف يقول: أمي ما قبلتني في البيت، وأبي تنكر لي، وأخي يفعل بي، والمجتمع ما قبل مني الخطبة، ولا المحاضرة ولا الدرس، وإذا أتيت للسبب تجده هو لم يرفق معهم، ولم يلتزم الطريق الشرعي معهم.

(فيه دليل أن من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ الرفيق، وأسماء الله عَزَّوَجَلَّ تتضمن صفات عظيمات جليلات، فهذا الاسم يتضمن صفة الرفق لله عَزَّوَجَلَّ على ما يليق بجلاله ويظهر ذلك في أوامره ونواهيه، وإقامة الحجة على عباده، وأنه حرم الظلم على نفسه وجعله محرمًا بينهم، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٧)، ومسلم (٢١٦٥).

(٢) حديث رقم: (٢٥٩٣).

وفيه صفة المحبة لله عَزَّوَجَلَّ، والصفات المحبوبة يتعين على العباد أن يأتوا بها، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧٦﴾ [آل عمران: ٧٦]، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، يحب الصادقين، يحب المؤمنين، ﴿يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، «يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ»). اهـ من "شرحي على صحيح مسلم".

٦٣٤ - وعنها: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ». رواه مسلم(١).

الشرح:

الناس يمتدحون صاحب الرفق، صاحب التؤدة، صاحب السكينة، ويبغضون صاحب العنف، صاحب الشدة، حتى أبناءه ربما يهربون منه، صاحب الشدة والعنف حتى الأبناء يهربون منه، بينما صاحب الهدوء والسكينة يرتاحون له، ويمزحون معه، ويلعبون معه، ويضحكون له، ويستأنس بهم، هو نفسه يستأنس بهم.

فـ(الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ)، صار جميلا، محبوبا.

(وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ): صار سيئا مذموما.

٦٣٥ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَال أَعْرَابِيٌّ في المسجدِ، فَقَامَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِيَقَعُوا فِيهِ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «دَعُوهُ وَأَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ». رواه البخاري(٢).

(السَّجْلُ) بفتح السين المهملة وإسكان الجيم: وَهِيَ الدَّلو الْمُمْتَلِئَةُ مَاءً، وَكَذلِكَ الذَّنُوبُ.

---

(١) حديث رقم: (٢٥٩٤).

(٢) حديث رقم: (٢٢٠).

الشرح:

(فَقَامَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِيَقَعُوا فِيهِ) يعني كيف يبول في المسجد؟ هذا أمر عظيم ما يصلح.

(فَقَالَ النبيُّ ﷺ: دَعُوهُ): اتركوه حتى ينتهي من بوله تماما.

(وَأَرِيقُوا): صبوا.

(سَجْلًا مِنْ مَاءٍ): سطل، أو دلو، أو إناء.

قد يكون جاهلا، لو لم يكن جاهلا ما بال في المسجد، أو قد يكون مريضا يسبقه البول، لو لم يكن مريضا ما بال في المسجد، فالذي يتعين عليك أن تصب ما يطهر هذا البول، وأن تزيله.

وفي هذا دليل على الانتباه؛ لأن الإنسان قالوا: ربما إذا قام يلوث أكثر، أو ربما حجز البول يؤدي إلى ضرر نفسه.

٦٣٦ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

(يَسِّرُوا) دعوة إلى التيسير في الدعوة، في العبادة، في الأخلاق والمعاملات، حتى في البيع والشراء، كثير من الناس تجده شديدا في بيعه وشرائه، في قضائه، في جميع شأنه، بينما التيسير هو المطلوب.

(وَلَا تُعَسِّرُوا): لا تشددوا على الناس، لا تثقلوا عليهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩)، ومسلم (١٧٣٤).

(وَبَشِّرُوا) بالخير، (وَلَا تُنَفِّرُوا) بحيث تشد عليه حتى ينفر منك ويذهب من عندك، النبي ﷺ ترك قتل ذي الخويصرة التميمي؛ حتى لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه، ينظر الإنسان إلى المصالح البعيدة.

٦٣٧ - وعن جريرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «مَنْ يُحْرَمِ الرِفْقَ يُحْرَمِ الخَيْرَ كلَّهُ». رواه مسلم[1].

الشرح:

انظر (مَنْ يُحْرَمِ الرِفْقَ، يُحْرَمِ الخَيْرَ) فعلينا أن نتحلى بالرفق في جميع شأننا ما كان الأمر مُوَاتيا بذلك، إلا إذا تعين الشدة فكل شيء من حينه.

وقلت في "شرحي على صحيح مسلم":

وفيه أن الرفق مفتاح خير، بينما الشدة مفتاح شر، إلا فيما لا بد منه، من قوله ﷺ: (مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ).

والرفق قد يكون بالنفس وقد يكون بالغير، فالرفق بالنفس: أن لا تحمل ما لا تطيق، فالإنسان يأتي من العمل الصالح بما يطيق، والنفقات على قدر الإطاقة، وعندنا في المثل اليمني يقول: على قدر فراشك مد رجليك، فهكذا الإنسان يرفق بنفسه، فإن المُنَبِّت لا ظهرا أبقى، ولا أرضا قطع.

والرفق أيضا بالحيوان، وبالآلة التي تركبها وتستخدمها، والرفق حتى بالكتاب الذي تقرؤه، فإنك إن لم ترفق في حال القراءة والتعليق عليه وتقليب الصفحات ربما أدى ذلك إلى تقطعه وتهتكه، والرفق في الدرس، فلا تطل إطالة تتعب الطالب وهكذا لا تأت بكلام يعجز عن فهمه الطالب.

---

(١) حديث رقم: (٢٥٩٢)، لفظة «كله» عند أبي داوود.

والرفق كذلك بين الأزواج، من الزوجة لزوجها ومن الزوج لزوجته، فإن العنف يولد العنف، والشدة تولد الشدة، والتحدي يواجه بالتحدي، وفي الأخير يقع عن الانقطاع، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ، فَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عِوَجٌ، وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا وَكَسْرُهَا طَلَاقُهَا».

والرفق كذلك بالأبناء، سواء لا يكلف ما لا يطيق، ولا يعنف فيما لا يصلح فيه التعنيف، ويُترفق به في حال التعليم، بالرفق القولي، وبالرفق الفعلي.

والرفق كذلك بالخدم والإماء، وهكذا الحكام يرفقون برعيتهم، قال النبي ﷺ: «اللهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا، فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ»، الحديث عام، ويدخل فيه أولياء الأمور دخولا أوليا. اهـ

٦٣٨ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ للنبيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ». رواه البخاري[1].

الشرح:

لأنه إذا وُجد الغضب حصل الطيش، وحصل التجاوز، انظر إلى ذلك الذي قال له النبي ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد، قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، فأبى أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: أبي جنون؟ أبى أن يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فإذا غضب الإنسان ربما يقتل، ربما يكسر، ربما يصاب بجلطة، يضر نفسه، ويضر غيره.

(فَرَدَّدَ مِرَارًا) الرجل يقول: يا رسول الله أوصني، قال: «لا تغضب»، يا رسول الله أوصني قال: «لا تغضب».

---

(١) انظر الحديث (٤٨).

والنبي صلى الله عليه وسلم كان يتخير الوصايا، ربما رأى من حال الرجل الحاجة إلى الوصية بعدم الغضب.

وفيه طلب الوصية من الرجل الصالح، يكون لها نفع عظيم، جاء في بعض الروايات قال: فنظرت فإذا كل الشر مصدره الغضب.

حتى أهل الباطل، الدجال يخرج بسبب غضبة، إبليس انحرف عن دين الله بسبب الغضب، غَضِب لنفسه، وغضب لشأنه مما خُلق وذاك خلق من طين وهو أفضل، فوقع بعد ذلك الحسد، ووقع الكبر، والإنسان يستطيع أن يتعود الحلم والأناة بتصبير نفسه يوما بعد يوم.

وقلت في "شرحي على الأربعين النووية":

فيه: تكرار الوصية؛ لبيان أهميتها ولتحفظ عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

- **وقد اختلف العلماء**: هل نهاه النبي ﷺ **عن** مجرد الغضب؟

الجواب: لا، فإن هذا الأمر قد يخرج عن طبيعة الإنسان فقد يغضب الحليم، ويغضب الزوج من زوجته، أو من أبناءه، والصاحب من صاحبه، والرئيس مِن مَن تحته، والمسؤول مِمَن يليه، والتابع من المتبوع، ولا قدرة للإنسان على دفعه.

والمنهي عنه: هو العمل بمقتضى الغضب، أي إذا حصل عليك الغضب لا تُنْفِذ ما غضبت من أجله، الممدوح، وهذا هو المستطاع أما ترك الغضب، فقد لا يستطيعه الإنسان، إذ قد تقع بعض ما يخرجه عن الاعتدال، لا سيما مع كثرة المخالطة، والمخالفة، لكن أن لا يعمل بمقتضى الغضب هذا هو الذي عليه أكثر الناس، ولذلك قال النبي ﷺ: «لَّا يَقْضِي القَاضِي بين اثنين وَهُوَ غَضْبَانُ»[1].

---

[1] أخرجه البخاري حديث رقم: (٧١٥٨) بنحوه، ومسلم حديث رقم: (١٧١٧) بنحوه أيضًا، واللفظ هنا لأحمد حديث رقم: (٢٠٣٨٩)، وجاء عند ابن حبان وغيره.

فقد يأتي القاضي خصمان، فيقع من أحدهما الإغضاب له، فلا يقضي وهو غضبان، بل يبقى حتى تذهب فورة الغضب، ثم يقضي بينهما بالعدل، وقال النبي ﷺ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنَفِّذَهُ دَعَاهُ اللهُ عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الحُورِ شَاء»[(١)]؛ لأنه كتم الغضب، ولم ينفذ ما يقدر عليه ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبابا فقال عيينة لابن أخيه يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه قال سأستأذن لك عليه قال ابن عباس فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر فلما دخل عليه قال: هِيْ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، فَوَاللهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ عُيَيْنَةَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف:١٩٩]، قال: **فَوَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ**»[(٢)].

ويأتي أحدهم إلى النبي ﷺ كما في الحديث: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: " كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ، مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ[(٣)].

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٤٩٣)، وأبي داود حديث رقم: (٤٧٧٧) عن معاذ بن أنس، وجاء عند أحمد بنحوه.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٦٤٢).

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٠٨٨)، ومسلم حديث رقم: (١٠٥٧).

والغضب ليس مذمومًا مطلقًا، فإن كان لدين الله عَزَّوَجَلَّ فقد غضب النبي ﷺ، كما في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ مُعَاذٌ، يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يَأْتِي فَيَؤُمُّ قَوْمَهُ، فَصَلَّى لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الْعِشَاءَ ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ فَأَمَّهُمْ فَافْتَتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ فَانْحَرَفَ رَجُلٌ فَسَلَّمَ ثُمَّ صَلَّى وَحْدَهُ وَانْصَرَفَ فَقَالُوا لَهُ: أَنَافَقْتَ؟ يَا فُلَانُ، قَالَ: لَا. وَاللهِ وَلَآتِيَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلَأُخْبِرَنَّهُ. فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا أَصْحَابُ نَوَاضِحَ نَعْمَلُ بِالنَّهَارِ وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّى مَعَكَ الْعِشَاءَ، ثُمَّ أَتَى فَافْتَتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى مُعَاذٍ فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أَنْتَ؟ اقْرَأْ بِكَذَا وَاقْرَأْ بِكَذَا»، قَالَ سُفْيَانُ: فَقُلْتُ لِعَمْرٍو، إِنَّ أَبَا الزُّبَيْرِ، حَدَّثَنَا عَنْ جَابِرٍ، أَنَّهُ قَالَ: اقْرَأْ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالضُّحَى، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى فَقَالَ عَمْرٌو نَحْوَ هَذَا[1].

وهكذا غضب ﷺ، من أجل الدين لا من أجل نفسه وغضب على نسائه وهجرهن شهرًا، حين ألححنَ عليه بالنفقة.

- **ومما يُذهِب الغضب الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم**: ففي حديث سليمان ابن صُرَدٍ رضى الله عنه في "مسلم" اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا تَحْمَرُّ عَيْنَاهُ وَتَنْتَفِخُ أَوْدَاجُهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَهَلْ تَرَى بِي مِنْ جُنُونٍ؟[2].

---

[1] أخرجه مسلم حديث رقم: (٤٦٥).

[2] أخرجه البخاري حديث رقم: (٦١١٥)، ومسلم حديث رقم: (٢٦١٠).

فالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم من أسباب ذهاب جاء في بعض الأحاديث: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ»[١]، وكذلك يذهب من المكان الذي هو فيه -الحديث لا يصح-.

ولو أراد أحد أن ينتقم لنفسه بمجرد حصول الغضب، ما بقيت أخوة، ولا بنوة ولا أُلفه نسأل الله السلامة.

والقوي حقًا هو الذي يملك نفسه عند الغضب، كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ليسَ الشَّديدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّديدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ..»[٢]، يستطيع أن يتحكم في نفسه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وما نهى النبي ﷺ عن الغضب إلا لأضراره الدينية، الدنيوية، فمن أضراره الدينية أنه يُخرِج الإنسان عن حد الاعتدال، وربما تلفظ بألفاظٍ غير مرضية، من سبٍ، أو شتمٍ، أو غير ذلك ومعلوم أن الألفاظ إذا خرجت لا تُعاد، والقلوب إذا تنافر ودها مثل الزجاجة كسرها لا يُجبر، فالإنسان يحافظ على كلامه، لا سيما عند الغضب، ولذلك جاء عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعاءِهِ: «وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ»[٣]، **فعند الرضا قد يتجاوز الإنسان:**

وعينُ الرِّضا عن كلِّ عيبٍ كليلة ... وَلَكِنَّ عَينَ السُّخْطِ تُبْدي المَسَاوِيَا

وعند الغضب لا يرعى لمن يتكلم عليه حُرْمَة وللمؤمنين حقوق، فينبغي للإنسان أن يحفظ نفسه عند الغضب، ومن أضراره الدينية أيضًا أنه يؤدي إلى زعزعة الأخوة.

---

[١] أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٧٨٢)، وجاء عند أحمد وابن حبان.

[٢] أخرجه البخاري حديث رقم: (٦١١٤)، ومسلم حديث رقم: (٢٦٠٩).

[٣] أخرجه النسائي حديث رقم: (١٣٠٥)، عن عطاء بن السائب عن أبيه.

وفي حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»، ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ[١].

- **ومن أضراره الدينية أيضًا**: أنه مُفْرِح للشيطان، بل أصله من الشيطان، إلى غير ذلك من الأضرار.

- **ومن أضراره الجسمية**: أن كثير من الجلطات، ومن الأمراض التي تلحق الناس بسبب الغضب بينما لو تصَبَّر لصبره الله ففي حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ»[٢].

- **وفي هذا الحديث**: ما كان عليه رسول الله ﷺ، من الدعوة إلى مكارم الأخلاق وقد جاء في حديث أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»[٣].

وكان من دُعَائِهِ ﷺ كما في حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند "مسلم": «.. وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِينِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ»[٤].

- **وفي الحديث أيضًا من الفوائد**: أن الإسلام دين شامل، كامل، فيه الدلالة على ما يُصلح دين الإنسان، ودنياه، وفي الحديث أن الدين ليس فيه قُشُور ولُباب، فقد يقول قائل النهي عن الغضب من القشور هذا قول ترده الأدلة.

فالنبي ﷺ أوصى هذا الرجل بترك ما يكون سببًا في ضرره الديني، والدنيوي، لم يقل الرجل يا رسول الله: أوصني بغير ذلك جئتك من مكان بعيد واستنصحتك

---

[١] أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٠٢٦)، عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[٢] أخرجه البخاري حديث رقم: (١٤٦٩)، ومسلم حديث رقم: (٤٠٥٣).

[٣] أخرجه أحمد حديث رقم: (٨٩٥٢).

[٤] أخرجه مسلم حديث رقم: (٧٧١).

ونهيتني عن الغضب؟ بل كان في نهي النبي ﷺ عن الغضب منفعة لهذا الرجل ولغيره، حتى قال الراوي: فنظرتُ فإذا أغلب الشر من الغضب، أو بمعنى الحديث.

وفي قصه وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ قَالَ: «إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ، الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمُ اللهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ: «بَلِ اللهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا»، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ[1].

فعلى الإنسان أن يتعلم ففي الحديث: «وإنَّما الحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ»، وقال تعالى ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. اهـ

٦٣٩ - وعن أَبي يعلى شَدَّاد بن أوسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُم فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَه، وَلْيُرِح ذَبِيحَتَهُ». رواه مسلم[2].

الشرح:

شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليس له في مسلم إلا هذا الحديث، وله في البخاري حديث سيد الاستغفار.

(إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ) الإحسان: الرفق، التؤدة، الإصلاح.

(فَإِذَا قَتَلْتُم فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ) قتلت حيوانا أو حتى ابتُليت بقتل إنسان ما تُمَثِّل به، نهى النبي ﷺ على المثلة.

(وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ) انظر القِتلة والذِّبحة يراد به الفعل، فعل الشيء.

(وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَه، وَلْيُرِح ذَبِيحَتَهُ) حتى أنه لا يحد الشفرة أمام بقية الشاة، وحتى الشاة التي يريد أن يذبحها لا يحد الشفرة أمامها، يسبب لها قلقا وخوفا وفزعا،

---

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٥٢٢٥).

(٢) حديث رقم: (١٩٥٥).

فاذا كان الشاة «**إن رحمتها رحمك الله**» كما في حديث أبي رَمْثَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكيف بغير ذلك؟

إذا كان الإحسان مطلوبا في قتل شاة ستأكلها أو تبيعها كيف بغير ذلك؟ فالرفق، مطلوب في الأمور جميعها، ووالله لو تعامل الناس بالإحسان لعاملهم الله عَزَّوَجَلَّ بالإحسان، لكن يشقون على أنفسهم وعلى آحاد الأمة فيشق الله عَزَّوَجَلَّ عليهم، ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن:٦٠] ، ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥] ، «**والجزاء من جنس العمل**»، تقدم الحديث: «**والشاة إن رحمتها رحمك الله**»، أنت ترحمها في حالة الذبح، لا تكسر عظمها، لا تؤدي إلى تعذيبها وإطالة أمد موتها، يرحمك الله بمغفرة ذنبك، بستر عيبك، بحفظك من أهل الشر.

٦٤٠ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: مَا خُيِّرَ رسول الله ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رسول الله ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ، إِلاَّ أَن تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ الله فَيَنْتَقِمَ للهِ تَعَالَى. متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

الشرح:

انظروا هذا الحديث العظيم: (**مَا خُيِّرَ رسول الله ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا**) يعني في أمرين مباحين، أو في أمرين كلاهما في مرتبة واحدة من الشرع، أما إذا كان أحدهما واجبا ما يصلح أنك تترك الواجب من أجل المستحب.

(**مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا**) أو يؤدي إلى الإثم، قطيعة رحم، هجر جار، إفساد.

(**وَمَا انْتَقَمَ رسول الله ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ**) ذلك الرجل الذي رفع عليه السيف قال: من يمنعك مني يا محمد؟ قال: «**الله**»، ثم أخذ الرسول ﷺ السيف وقال: «**من يمنعك مني؟**» قال: كن خير آخذ، فقال له: عفا الله عنك، وأرسله.

---

(١) أخرجه البخاري (**٣٥٦٠**)، ومسلم (**٢٣٢٧**).

(وَمَا انْتَقَمَ رسول الله ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ) مع أنه أُوذي وعُودي وأُخرج، ولما دخل إلى مكة عفا عنهم، وصفح عنهم، وتجاوز عنهم.

وهكذا أهل حنين رشقوه بالنبل، وآذوه وأتعبوه، ومع ذلك بعد أن تمكن منهم قال: «**إن شئتم الذراري وإن شئتم الأموال**»، قالوا: يا رسول الله الذراري والأموال، قال: «**ليس لكم إلا أحدهما**»، فاختاروا الذراري.

وهكذا قريش مع شدة عداوتهم له، وقتلوا من خيرة أصحابه، وآذوه قولا وفعلا، تصور يمشي من عندهم وإذا بهم يتغامزون ويتمايلون ويضحكون، حتى النساء: جاء مذمم، ورأيت مذمما، ما يسمونه محمد، وكانوا يسمونه بالصابئ، ومجنون، انظروا إلى ألفاظ كلها شديدة، ومع ذلك يأتيه ملك الجبال بعد رجوعه من الطائف، وقد آذوه، ملك الجبال، لو قال له: أطبق عليهم الجبلين ينتهي قريش وتنتهي الطائف ومن إليها، ومع ذلك قال: «**إني أحب أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئا**»، ودعا لهم: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**».

هل تجد مثل هذا العفو عند أحد؟ أبدا، لا سيما يأتيك وأنت في شدة الغيظ، في شدة التألم، في غزوة أحد الدم يسيل من وجهه وهو: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»، هذا هو، أما في وقت الدعة والراحة ربما ما تغضب، ربما تعفو وتصفح.

لكن النبي ﷺ في حال الشدة وهو يعفو ويصفح ويتجاوز، امتثالا لأمر الله: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ [الطور:٤٨] ، ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [المزمل:١٠] ، ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل:١٢٧] .

(إِلاَّ أن تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ الله، فَيَنْتَقِمَ للهِ تَعَالَى) كما فعل بالعرنيين الذين قتلوا الرُّعاة وارتدو وسمَّلُوهم، فعل بهم كهذا، سمل أعينهم، وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف،

وتركهم يستسقون فلا يسقون، انتقاما لله، انتقاما لحرمة الله؛ لأنهم انتهكوا حرمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وابن خطل لما كان منتهكا لحرمة الله قال: «**اقتلوه ولو وجدتموه متعلقا بأستار الكعبة**»، ما أخذته به رحمة.

وأيضا من رجمه من الزناة، سواء من زناة المسلمين أو من زناة اليهود، يُرجم ويموت لشدة الرجم، وهو من أشد أنواع القتل، حتى قال قوم نوح: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء:١١٦] ؛ لأنه من أشد أنواع القتل، ومع ذلك كان يقيم الحدود، ونهى عن طلب العفو والصفح والتجاوز بعد أن يُرفع الحد إلى السلطان.

فهكذا هذا الأمر الذي تقوم به السماوات والأرضين، العدل، النضير عفا عنهم، وإنما أُخذت أموالهم، خيبر تركهم يعملون بعد أن تمكن منهم، قريظة لما كان العفو فيهم لا يصلح العفو في حقهم إفساد أمره الله بقتلهم.

فلو أن الآن من يقوم بشأن المسلمين غضبه لله وانتقامه لله لا يغضب لنفسه لصلح الحال، لكن الواقع أن الكثير غضبهم لغير الله، وانتقامهم لغير الله، بل إن حرمات الله تُنتهك ما يرفع لذلك رأسا، ولا يبالي.

قد أكون من مقصريكم في هذه الأبواب، لكن علينا أن نتعود الحلم والأناة والرفق والتؤدة، نصلح من أنفسنا، مع أزواجنا، مع أبنائنا، مع طلابنا، مع زملائنا، مع إخواننا، بعض الأخوة يقع بينهم التهاجر وهم في مجلس واحد، هذا ما يصلح، لا بد أن يكون في قلبك سعة لأخيك، حتى وإن أغضبك.

قد رخص الله بالهجر ثلاثة أيام؛ حتى تذهب وحر الصدر، أما أن تبقى على الهجر أكثر من ذلك «**من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه**»، مصيبة والله، انظر يتورع عن القتل، يتورع عن الزنا، يتورع عن اللواط، يتورع عن السرقة، يتورع عن كثير من

المحرمات، لكن وقع بينه وبين أخيه شيء فهجره فوق الثلاثة أيام «من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه»، يلقى الله عَزَّوَجَلَّ كأنه سفك دما، مصيبه والله.

وهكذا «لعن المؤمن كقتله»، فعلينا أن نعود أنفسنا الرفق والتؤدة والسكينة، ولنبشر من الله عَزَّوَجَلَّ، «ارحموا تُرحموا، واغفروا يُغفر لكم»، «الجزاء من جنس العمل»، «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»، «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء».

٦٤١ - وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّار؟ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّار؟ تَحْرُمُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ، هَيِّنٍ، لَيِّنٍ، سَهْلٍ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

الشرح:

قال: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ): أعلمكم (بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّار؟) أي من أهل الإسلام.

(تَحْرُمُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ) لإخوانه، لأهله، لمجتمعه المسلم.

---

(١) حديث رقم: (٢٤٨٨)، حسن لغيره، وهذا فيه ضعف، في سنده عبد الله بن عمرو الأودي، الراوي عن ابن مسعود، مجهول.

ورواه أبو يعلى من طريق رجل من بني عبد الله بن مسعود عن ابن مسعود به، وفي سنده إبهام هذا الراوي عن عبد الله بن مسعود.

وله شاهد من حديث مُعَيْقِيل، رواه الطبراني، وفي إسناده أبو أمية إسماعيل بن يعلى الثقفي، متروك، كما في (اللسان).

وجاء من حديث أبي هريرة، رواه الحاكم، ومن طريق المطلب بن عبد الله بن حنطب، وروايته عن أبي هريرة مرسلة، كما في (تحفة التحصيل).

فالحديث بشواهده حسن، وقد صححه الألباني.

الذي يظهر أن الحديث لا يصل إلى الحُسْن، لكن كما ترى قد حسنه الشيخ الألباني، لأن عندنا طريق مجهول عين، وطريق مبهم، وطريق متروك، لا يستقيم الأمر، أحسنها حالا الطريق المرسلة التي أخرجها الحاكم، أما هذه الأولات لا تصلح في الشواهد والمتابعات.

(هَيِّنٍ) يعني ما هو شديد، أصحاب شدة وغلظة.

(لَيِّنٍ) يعني سهل في معاملته، (سَهْلٍ) في معاملته.

هذه الصفات يتحلى بها الإنسان إما اكتسابا كما قلت لكم، وإما أن الله عَزَّوَجَلَّ يمن عليه بذلك ابتداء، ومع ذلك هذه الصفات يحبها الله، فينبغي للمسلم أن يتحلى بها، لعل الله عَزَّوَجَلَّ أن يكرمه، والله المستعان، والحمد لله رب العالمين.

٧٥ - باب العفو والإعراض عن الجاهلين

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩]

.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر:٨٥] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور:٢٢] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى:٤٣].

والآيات في الباب كثيرة معلومة.

الشرح:

وهذا باب مهم؛ لأن ما من أحد من الناس إلا ويتعرض للأذى ممن قرب أو ممن بعد، فأنت تنظر إذا أُوذيت وظُلمت إذا كنت تستطيع الانتصار وكان المؤذي لك لا ينفع فيه العفو فانتصر، وإذا كنت تستطيع الانتصار والمؤذي لك ينفع فيه العفو والصفح فاعف واصفح، فهو أحب إلى الله وأقرب.

وإن كنت ممن ظُلمت ولا تستطيع الانتصار أصلا فلك أن ترفع مظلمتك إلى الله، تصبر حتى يأتي الله عَزَّوَجَلَّ بالفتح؛ لأنك إذا قمت في مثل هذا الحال ربما تُغَيَّب في السجون، أو يسفك دمك، أو يؤخذ مالك، وما تستطيع تصنع شيئا.

والله عَزَّوَجَلَّ في مبدئ الرسالة يأمر نبيه بالصبر: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [المزمل:١٠] ، ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الطور:٤٨] ، ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل:١٢٧] ، ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم:٦٠] ، أوامر بالصبر.

حتى لما جاء أصحابه: يا رسول الله استنصر لنا، قال: «**إنكم قوم تستعجلون**»، ولما شكو عليه بعض شي قال: «**اصبروا حتى تلقوني على الحوض**».

والإعراض عن الجاهلين أيضا، قد يجهل عليك سفيه من السفهاء، فإذا قمت ترد عليه صرت مثله، ويتغلب عليك، والله أن السفيه يتغلب على العالم، ويتغلب على الشجاع، ويتغلب على الكريم، أنت تعطيه كلمة يرد بعشر، ربما أذا قلت له: اسكت يا سفيه يقول لك: سفيه أنت وأبوك وأمك وجدك وأصلك، وهو السفيه أصلا، لكن الكلام قد يؤدي إلى ما هو أكثر منه، أو قد ترفع صوتك عليه: اسكت يردك بملطام، وإذا بوجهك ماذا تقوم تلطمه؟ تتقاتل أنت وسفيه؟

فبعض تحتاج إلى إعراض، انظروا إلى النبي ﷺ لما دخل المجلس الذي فيه عبد الله بن أبي بن سلول ومجموعة يقول عبد الله بن أبي: أبعد عنا نتن حمارك، لا تغشنا في مجالسنا، ويصبر عليه النبي ﷺ ولم يرد عليه، لو قال: سأغشاك؛ سيأتي بكلمه أشد منها، لكن سكت وصبر، قام بعض الصحابة قال: إنك منافق قام بعض الصحابة يرد على هذا.

لأن مثل هذه الاجتماعات في أوقات المشاكل قد يقع فيها ما لا يحمد، يتعصب هذا لهذا وهذا لهذا وتكبر القضية، فالذي قال لعبد الله بن أبي بن سلول: والله لنتن حمار رسول الله ﷺ أحسن منك أو نحو ذلك صحابي جليل، والذي قام عليه ورد عليه صحابي جليل، ما هو حول عبد الله بن أبي بن سلول، لكن الحمية أخذته، ثم الوقت ليس وقت رد.

فبعض أحيان يحتاج الإنسان إلى أن يحمل بدال الدَّعْمَمة، كان عندنا شيبة الله يرحمه إذا أعجبته الكلمة سمعها، وإذا لم تعجبه الكلمة لم يسمعها، حتى عُرف بهذا،

يقولون: فلان إذا أعجبته الكلمة يسمعها، وإذا ما أعجبته الكلمة كأنه ما يسمعها، ما يسمعها، قد يكون يسمعها لكن لا تؤثر فيه ولا يلتفت ولا يتمعر.

فهكذا يا أخي نعود أنفسنا إلى هذا، بالذات نحن الدعاة، أحيانا تدخل مسجدا تريد أن تتكلم يقوم واحد يقول لك: والله ما تتكلم، عند ذلك لا يصلح لك أن تقول: والله لأتكلم، سيقوم معك أناس وسيقوم معه أناس، وتكبر القضية.

بالذات أصحاب الحزبيات يعجبهم أن يجدوا السني الذي يُثار، فإياك والثوران، لا سيما وأنت في موطن القوم وأنت مستضعف، أو بين العوام.

قال شيخنا مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنا ننزل منطقة فيقولون: هذا يحذر من تدريس القرآن، لأن الشيخ يتكلم في مراكزهم، قال: أعطي محاضرة في تعلم القرآن، هذا يتكلم في آل البيت قال: أعطي محاضرة في آل البيت، فضائل آل البيت، فيرجع مذموما مخذولا.

لأن هذا الذي يتعرض لك هو يريدك أن تثار من أجل أن يقولوا: انظروا أصحاب شغب، نحن قد قلنا لكم: هؤلاء ما هم حول دعوة، هؤلاء يسبون الناس ويتكلمون في الناس، وهؤلاء كذا وهؤلاء كذا، فأن أخمده بالسكوت، أو إذا أعطيت محاضرة محاضرة علمية قال الله قال رسول الله ﷺ، بحيث إذا أراد أن يتنكر لك قل له: يا أخي ما الحديث الذي قلته وهو ضعيف، ما الآية الذي تلوتها وأخطأت فيها؟ علمني، فعند ذلك العامة سيقولون له: والله صحيح، الرجل ما قال إلا قال الله قال رسوله ﷺ.

فما أحوج أهل السنة لا سيما طلاب العلم إلى العفو والإعراض عن الجاهلين، العفو فيما بينهم، العفو على نسائهم، العفو على أبنائهم، العفو على طلابهم، أحيانا طالب يقوم لك خصما، ربما يقع بينك وبينه شيء من طرد أو نحو ذلك، يا أخي إذا أبدا العذر وجاء يتسامح يقول لك: اعف عني واصفح اعف عنه واصفح، لمن يترك؟

يذهب إلى المخزنين أو إلى المغنيين؟ لا سيما بعض مسائل، لأن عند أهل السنة إذا طُرد أحدهم من مركز يتنكرون له في بقية المراكز، فالصلح خير.

وإن كان لا يستحق العفو لتجرئه على بعض الأمور المستقبحة مثلا أو لضرره عند ذلك تتعامل معه بعدم العفو.

(﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾) سيأتي في هذا إن شاء الله، قد تقدم حديث ابن عباس في قصة عمر.

(﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾) يعني: الصفح الذي لا عتب فيه، إذا قلت له: عفا الله عنك عفا الله عنك، ما تبقى بعد شهرين بعد ثلاثة بعد أربعة: أنت قد سويت وأنت قد فعلت، لا، اصفح الصفح الجميل، صفح لا عتب فيه.

(﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾) انظروا إلى هذه نزلت في أبي بكر، مسطح تكلم في عائشة بأمر عظيم مستقبح، ما سبها سبة عادية، قذفها في عرضها بما استوجب عليه ثمانين جلدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال أبو بكر: والله لا أنفق عليك، لأنه كان هو الذي ينفق عليه، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾ [النور:٢٢] ، فقال: بلى نحب، وأجرى عليه نفقته، وعفا عنه، كأنه لم يعمل عليه شيء.

أيضا حسان بن ثابت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ تكلم في عائشة، ومع ذلك لما قال فيها:

حَ َصانٌ رَزَانٌ مَـــا تُـــزَنُّ بِرِيبَـــةٍ وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

لم تزد على أن قالت: ولكنك لست كذلك، بمعنى أنه وقع فيها، وإلا لم يكن بينهم العتب ولا المشادة، ولا شيء، لأن المماحكات تقع، والله تقع بين القريب وبين البعيد، وبين الصاحب، وبين العدو، ولا يسلم منها إلا من سلمه الله.

(﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾) أي: اعف عن الناس واصفح.

(﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾) بعد أن ذكر: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثْلُهَاۖ﴾ [الشورى:٤٠]، لكن ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى:٤٣].

٦٤٢ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنها قالت للنبي ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيْلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأنا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، وَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ الله تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَد بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِع قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأنا مَلَكُ الجِبال، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّي إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ»، فَقَالَ النبي ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

(الأَخْشَبَان): الجَبَلان المُحيطان بمكَّة. وَالأخشبُ: هُوَ الجبل الغليظ.

الشرح:

انظروا إلى هذا، سبحان الله! في شدة حزنه وشدة تغيظه عليهم يأتيه النصر الذي لا بعده ولا قبله، ملك الجبال، وقد أوكل الله عَزَّوَجَلَّ إليه أن يفعل ما أمره محمد ﷺ، فإذا به يقول: (بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)، هذا درس للدعاة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، لا يكن غضبك لنفسك، ولكن الغضب لله، والفرح لله، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

وإذا رُددت من مسجد ما رُددت من الجنة، النبي ﷺ يرجع من الطائف وقد رُجم بالحجارة، وأُدميت رجلاه، وسُلط عليه السفهاء، كما يقول أهل السير، ومع ذلك صبر.

وناله بعد ذلك الظفر، انتصر، وأغلبهم دخل في الإسلام، الذين استأنا بهم في مكة والذين استأنا بهم في الطائف دخلوا في الإسلام، والذين استأنا بهم في بدر دخلوا في الإسلام.

وقد كتبت في كتابي (الوسائل الجلية لنصر الدعوة السلفية): بُعْد النظر سببٌ للظفر، يعني: لا تستعجل شيئا مما تحتاج فيه إلى الهدوء والسكينة، ولا تتأخر عن شيء فيه المبادرة إلى الخير.

٦٤٣ - وعنها، قالت: مَا ضَرَبَ رسولُ الله ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا، إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلاَّ أَن يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ تَعَالَى، فَيَنْتَقِمُ للهِ تَعَالَى. رواه مسلم(١).

الشرح:

وهذا يضاف إلى ما تقدم، ما انتقم لنفسه.

٦٤٤ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أمشي مَعَ رسول الله ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فأدْرَكَهُ أعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَديدةً، فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ أثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ. متفقٌ عَلَيْهِ(٢).

---

(١) حديث رقم: (٢٣٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٠٩)، ومسلم (١٠٥٧).

الشرح:

أيضا النظر إلى حال الإنسان الذي أنت وهو في محاورة أو في خصام، أو في غير ذلك، بعضهم ربما يكون أعرابيا، عنده من الجفاء، وعنده من الغلظة، وعنده من البعد، فيحتاج أن تصبر عليه أكثر من غيره.

وفي الحديث السابق: عظيم الصبر على الغضب؛ لأن الغضب قد قال النبي ﷺ: «**لا تغضب**»، فردد مرارا، قال: «**لا تغضب**»، شديدٌ وقعه، شديدٌ ضرره، ومع ذلك عوِّد نفسك على عدمه، وإن جاء عود نفسك على عدم المعاجلة بالانتقام.

سمعنا مرة من بعض المسؤولين - وهذا عن تجربة - قال: إذا جاءك خبر أخر الرد إلى ساعة، أو أخر الرد إلى ساعتين، تجد عند ذلك أن الأمر يتغير، وفعلا والله أحيانا يأتي أمر من طرف إنسان أو من كذا فإذا رددت عليه في الحال تُغلظ عليه وترجع تندم؛ لأن الشيطان ينفخك أول الأمر حتى تنتقم، ولو تركته وذهبت نام، أو ذهبت تأكل، أو ذهبت تتفسح، أو إذا أنت من طلاب العلم شُغلت بالبحث أو القراءة أو الدرس ما تنتهي إلا وأنت تحمد ذلك الموقف الذي صدر منك، تقول: الحمد لله، والله لو كنت تكلمت بهذا الكلام لربما وقع كذا وكذا، وفعلا.

فما أحوج الإنسان إلى عدم التسرع في الانتقام، يقولون: واحد وجد شَوْحَطَة قد زُرعت بين حجارة، فقام يسقيها ويزرعها ويقوم عليها حتى كبرت، فصنع له منها قوسا وخمسة أسهم، ثم مر بالليل من عنده الحمر الوحش، قال: الليلة أجرب هذا القوس، فرمى بالأول وإذا به يقع في الحجرة، ويظهر منه ذاك الشعاع، قال: ما أصبت، يأتي الحمار الثاني يرمي بالثاني في الحجرة، يرمي بالثالث، حتى أصبح الصباح وإذا بخمسة حمر وحشية مجندلة، والرجل قد غضب وكسر القوس وتخلص منه، لكن ما في فائدة.

فانظر إلى العجلة، لو خلَّى القوس يقول: لعله بسبب عدم النظر، لعله بكذا، والصباح يجد الحمر الوحشية أمامه، يأكل ويشرب هو ومن إليه من القرية، وفي ذلك نظم أحدهم:

ندمت ندامة الكسعي لما غدت مني مطلقة نوار

يعني لما طلق امرأته رجع ندم قال: ندامة الكسعي، صاحب القوس هذا.

فوالله أحيانا الإنسان قد يغضب ويرد على الإنسان بكلمة شديدة، أو ربما بينه وبين زوجته، يغضب ويفعل فعلا يرجع يندم عليه، فما أحرج الجميع - أنا المخاطب بهذا قبلكم - إلى عدم التسرع في الانتقام، إلا أمر لا بد منه، يعني لا بد منه لا بد منه عند ذلك سيكون فيه مصلحة، أما إذا برَّدت على قلبك وكما يقول المصارية: اجعل عليه بطيخة صيفي، أو كما يقول الآخر: اشرب ليمون.

كنت مرة في معبر في أيام زمان، وكانت هناك فتنة، واتصلت بالشيخ يحيى قال: يا أخي اشرب ليمون، يعني برد على قلبك، وأيش عليك؟

فالشاهد أحيانا يحتاج الإنسان يشرب ليمون، ويحتاج يأكل حبحب، ويحتاج يأكل من هذا، اسم الحبحب دَلَّح عند الجزائريين وعند الليبين المغاربة، وعند المصريين بَطِّيخ، وعندنا حبحب، وعند الصوماليين؟ الأصل واللهجة واللغة قَرَا، وكان الشيخ مقبل يقول: خرا، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

كان يقع بينه وبين بعض الصوماليين يقول: يقرأ الأعاجم، ما يقوم الصوماليون: يا شيخ نحن ما نحن أعاجم، يقول له: أيش اسم الحبحب؟ ويضحك، وفي الأخير كان يقول: الحديث عند الأعاجم والصوماليين، إذا لم يقل: عند الأعاجم والصوماليين ما يقرأون، الحمد لله إخواننا على خير، لكن من باب النكتة.

وله أسماء في العراق، وله أسماء في كثير من الدول، مثل الهِر، قالوا: واحد وجد هرا وما قد عرف الهر، أخذه وأدخله السوق، وجده أول واحد قال له: بكم هذا البِسْ؟ قال بكذا، والثاني قال له: بكم هذا الهر؟ قال بكذا، الثالث يقول له: بكم هذا الدِّم؟ قال بكذا، وذاك يقول: بكم هذا السّعْم، أو هذا يقول: القط.

المهم كثرت الأسماء، والرجل يظن أن المال سيكثر على كثرة الأسماء، وإذا به في آخر المطاف ما أعطوه فيه شيء، قال: ما أكثر أسمائك وما أقل قيمتك! ورماه.

هناك حبحب في اندونيسيا من داخل أصفر، والطعم طعم حبحب، لكنه في الداخل أصفر، كالدباء، الدباء يختلف من بلاد إلى بلاد، وأيضا الكُوسَة، والباذنجان والخيار، وكثير من الثمار، كثير من الثمار تختلف من بلاد إلى بلاد.

التفاح كنا نأكله في بلاد إندونيسيا ما تحتاج لك إلا مَبزَغا؛ من كثرة الماء الذي يخرج منه، بينما التفاح الذي يكون في هذه البلدان التي هي ليست ببلدان مياه يكون يابسا، ما شاء الله طعم.

حتى الرمان، الرمان في البلاد التي فيها الماء الكثير ما له طعم، بينما في البلدان التي الماء فيها قليل وبعضه يكون عثري، حتى النبي ﷺ يقول: **«ما كان عثريا»**، يعني زراعة تنتج على المطر.

في دماج العنب الذي ينتج على المطر ألذ العنب، والزبيب منه أحسن زبيب، والذي يُسقى بالسانية يأتي الماء فيه كثير، أحيانا إذا سقاهم الله الغيث وقد خرجت الحبة حق العنب يصبح وهو مفطر، ما يستفيدون منه، ما عاد يصلح إلا للأكل السريع وإلا يفسد.

المهم جرنا إلى هذا الكلام وهو خارج درسنا أن الإنسان إذا غضب يستخدم بعض الأشياء التي تُذهب الغضب.

٦٤٥ - وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كأني أنظر إِلَى رسول الله ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأنبياءِ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُه عَلَيْهِمْ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، ويقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

يحكي نفسه، النبي الذي يقول هكذا هو محمد ﷺ في غزوة أحد، ضربه قومه حتى كسروا البيضة على رأسه، وكُسرت رباعيته، ومع ذلك يقول: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)، لا يعلمون الجرم الذي وقعوا فيه، ولا يعلمون الفضل الذي لمحمد ﷺ عليه.

ومع ذلك تغير الحال، انظر بين إسلام خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبين مقاتلة خالد بن الوليد للنبي ﷺ مدة سنتين أو ثلاث، قاتله في أحد وأسلم بعد الحديبية، وصار من سيوف الله.

ومن جهل شيئا عاداه، كثير من الناس ما يعرفون قيمة الداعي السلفي؛ لكثرة المغرضين والملبسين والطاعنين، انتبهوا لهؤلاء، هؤلاء عملاء للسعودية، والثاني يقول: هؤلاء وهابية، والخبيث منهم يقول: هؤلاء عملاء لأمريكا وإسرائيل، كما أقسم بعض الحزبيين، مرة نزل صعدة وقال: والله أن هؤلاء أصحاب اللحى عملاء لأمريكا وإسرائيل من داخل المساجد.

سبحان الله! والله ما يبين عوار أمريكا وإسرائيل في الفساد العقدي مثل أهل السنة، وعملاء أمريكا وإسرائيل هم الذين أخذوا منها المظاهرات، وأخذوا منها التفجيرات، وأخذوا منها التكفيرات.

---

(١) انظر الحديث (٣٦).

أهل سنه والله ما هم عملاء لا لأمريكا ولا لإسرائيل، ولا للسعودية، ولا للإمارات، ولا لأي واحد، هم مع الله، يأخذون بالكتاب والسنة، صحيح السعودية نحبها فقط؛ لأنها بلد توحيد، بلد السنة فيها ظاهرة، بلد العلماء فيها كثير، والخير فيها أحسن من غيرها، لكن أننا نسير بما تأمرنا وتوجهنا ما بيننا وبينهم أي تواصل لهذا الغرض، وما يوم من الأيام قد قالوا: نريد منك خطبة في كذا، ولا درسا في كذا، ولا فتوى في كذا.

عندهم علماء الذي يكفي وزيادة، اللهم بارك، عندهم هيئة كبار العلماء، وعندهم لجنة الإفتاء، وعندهم خير عظيم، لكن الناس هذا ظنهم، والذي يقول: عملاء للسعودية ما قصده؟ قصده التنفير منا، هذا قصده، وإلا ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠] ، ما هناك فرق بين يمني أو سعودي، أو عربي أو عجمي، ما دام على الاستقامة، وما دام على السنة.

ولما بُعث النبي ﷺ كانوا يقولون فيه: مُذَمَّم، صابئ، مجنون، وهكذا استمرت التهم، فنحن نقول: **(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)**، مع أننا بفضل الله والله ما قد وقع علينا كثير ضرر، لا قد ضُربنا، ولا قد شُتمنا، ربما بعضهم في السر ما هو عندنا، الحمد لله، ولا قد طُردنا، ولا قد ضُيق علينا إلا من الحوثي نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعاجله بسخطه وانتقامه، نسأل الله أن يعاجله بما يشفي قلوب المؤمنين، وبما يغيظ الكافرين.

٦٤٦ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

يعني: ليس الشديد الذي يصرعك تقول له: هيا نتصارع فيصرعك في الأرض، هذا قوي بدن، لكنه ليس الشديد الممدوح، الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب، وسيحمد هذا الأمر.

يذكرون هذه من قصص الناس: أن أحدهم دخل سوقا، فقام بعض الناس الذين هم في السوق مما يُعلم حالهم، كثير منهم يكون قليل أدب ونحو ذلك، جاء وعمل معه حركة لا تليق، فابن ذلك الشيخ أراد أن يقتل هذا الرجل، فقال له أبوه: لا، لا، لا، اتركه، لا تعترضه، ثم ذهب لعمله.

حتى هدأ الناس وتفرق الناس، فأرسل إلى هذا الرجل قال له: يا فلان لماذا فعلت معي هذه الحركة الغير طيبة؟ قال: والله الشيخ فلان أعطاني كذا وكذا على أن أعمل معك هذه الحركة، قال: خلاص وأنا أعطيك مثلَيْها واذهب اعمل معه هذه الحركة.

في اليوم الثاني أو الأسبوع الثاني للسوق جاء ذلك الشيخ، دخل يتسوق وإذا بصاحبه يعمل معه هذه الحركة، التفت إليه وقتله، فذلك بصبره سلم من معرة المشكلة، وهذا لغضبه وقع في المشكلة التي كان يرجوها لصاحبه، فالصبر الصبر، والتؤدة التؤدة، والسكينة السكينة، والتواضع التواضع.

النبي ﷺ يقول: «لا تغضب»، لا أسوأ من الغضب، حتى قال راوي الحديث: فنظرنا في الأمر فإذا أغلبه من الغضب.

---

(١) انظر الحديث (٤٥).

يا أخي الرسول ﷺ يقول لواحد قد غضب: «**قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**»، قالوا له: الرسول ﷺ يقول: «**قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**»، قال أبي جنون؟ لو كان غير غاضب سمعا وطاعة لرسول الله ﷺ.

فأغلب المشاكل في المجتمع سببها الغضب، حتى الدجال يخرج بسبب الغضب، يغضب غضبة فيخرج في فتنته، فالغضب شأنه عظيم، والتجاوز وتعود الصفح، «**إنما الحلم بالتحلم**».

وإذا عودت نفسك الحلم والصفح والتجاوز ستجد نفسك تصفح وتتجاوز وتحسن، وتتعود عليها، «**إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**»، قال: يا رسول الله جُبِلت عليهما أم تخلقت بهما؟ قال: «**بل جبلت عليهما**»، قال: الحمد لله الذي وفقني لما يحب.

الحلم والأناة، والصفح والتجاوز، والإحسان، وستجد أثر ذلك والله مع الأقارب مع الأباعد، لا سيما مع الأبناء، كثير من الناس فسد أبناؤهم، ذهبوا مع المخدرات، ذهبوا مع المومسات، ذهبوا مع السكارى، صاروا مع الحيارى، ما السبب؟ تجد الأب يُخَزِّن ويطرد ولده، يخرج الولد يلقى له واحدا في الحارة، من هاهنا ومن هاهنا، شممه من هذا الشبو – ما أدري ما يسموه – ويعطيه من هذه المخدرات، وإذا بالرجل قد ذهب، وأبوه يريد أن يخزن، ما يريد واحدا يزعجه.

اجعل ولدك عندك، انتبه لولدك لا تتسلط عليه المخدرات، يَفسُد ويُفسِد، يَفسد في نفسه ويُفسد غيره، وهكذا كثير من طلاب العلم ولده بجانبه في المركز وإذا به يغلظ عليه يهرب منه، بعد أيام يلقاه مع الضائعين ومع الصايعين، يا ولدي، ما عاد يستطيع يقنعه، حافظ على ولدك، حتى وإن عصاك حافظ عليه، واصبر عليه، وتجاوز عنه، وإذا احتاج إلى تأديب بالتي هي أحسن.

هذه أمور مجربة، نحن قد جربنا، أنا أحدثكم عن واقع، كان معي الولد محمد الله يرحمه: احفظ ضَرْب، يهرب عند أمه ضرب، يصل عند المدرس ضرب، المهم سلخ العبيد أو أشد، في آخر الأمر أخذ نفسه وروح عند جده في البلاد، قال: والله ما أرجع عندكم، جلس عند جده، وتعلمون أهل البلاد ما يبالون تخزينة والدخان، وهذه الأشياء.

المهم جاء له أصحاب خَزَّن، دَخَّن، وصلت البلاد إلا وولدي شبه ضائع، يا ولدي قال: ولا شيء، ما أشتي أرجع معك، والله ما أرجع معك، ثم أرسلت له واحدا بينه وبينه جلس معه، قال له: خلاص ترجع مع أبيك، وأنا أضمن إن شاء الله ما عاد يضربك ولا عاد يتعرض لك، وأنت رجل شجاع، وأنت رجل كريم، مثلك ما يحصل منه هذا الشيء.

المهم رجع معنا إلى دماج، وصل دماج، أحيانا ما يقوم يصلي الفجر إلا قرب الشروق، نصبر عليه، أمه تصحيه، وإلا بعد ما أرجع من المسجد: يا ابني قم صل، يقوم يصلي، ويرجع يرقد، يأتي الظهر أحيانا يلحق الركعة الأخيرة، وأحيانا ما يلحق الجماعة الثانية، وأحيانا يصلي الظهر مع العصر، قلنا: اصبروا عليه.

المهم صبرنا عليه أظن شهرين أو ثلاثة أشهر، وإذا به رجع إلى القرآن، رجع إلى السنة، ورجع إلى الصلاة والصلاح، ورجع لحراسة الشيخ، وكان على أمر طيب حتى توفاه الله وهو من أحب الناس إلينا، بل أحب الناس إليَّ بعد مشايخي ومن إليهم، ولدي، فلذة كبد.

فالشاهد أنك قد تشد على ولدك، أنت نعم تريد له الصلاح لكن ما يصلح، هب نفسك مكان ولدك، أما أن تبقى معه تسلخه سلخ الحمير هذا ما يصلح، هذه من الأمور التي نفرت الأبناء عن كثير من المكارم.

فعلينا أن نحسن إلى أبنائنا، وأن ننتبه لأبنائنا، لا سيما الآن الدولة تصيح والمجتمع يصيح من هذه المخدرات التي تسمى الشَّبْو، منتشرة في الغيضة، وولدك يذهب ما تدري أين هو، وأيضا الأولاد ينتبهون، ما كل من يعطيهم شيئا يقبلون، وأيضا ينتبهوا لا يجالسوا من لا يعرفونه.

احذروا بارك الله فيكم، لا تأخذ شيئا ممن لا تعرفه وتثق فيه، أو يقول لك: اطعم، أو يقول لك: شم، أو يقول لك: افعل كذا، كن على حذر، فإنهم يجرجرونك إلى الباطل ثم يتركونك بعد ذلك، ويستخدمونك في الباطل العظيم، نسأل الله أن يهدينا ويهدي أبناءنا، ويجنبنا الفواحش، ويجنبنا المخدرات، ويجنبنا الشرور والآثام، والله المستعان.

٧٦ - باب احتمال الأذى

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى:٤٣].

وفي الباب: الأحاديث السابقة في الباب قبله.

٦٤٧ - وعن أَبي هريرة رضي الله تَعَالَى عنه: أَنَّ رَجُلًا، قَالَ: يَا رسول الله، إنّ لي قَرَابةً أصِلُهم وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنهم وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ! فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فكأنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ تَعَالَى ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ». رواه مسلم(١).

وقد سَبَقَ شَرْحُهُ في بَابِ صلة الأرحام.

الشرح:

هذا باب واسع، إذا تأملت حياة الأنبياء وحياة الصالحين وحياة العلماء في كل زمن وحين وجدت أنهم كانوا يصبرون على الأذى، سواء كان الأذى القولي أو الأذى الفعلي، فإنهم يتعرضون لذلك ولذلك.

حتى قال الله عَزَّوَجَلَّ في شأن نبيه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر:٩٧] ، يضيق صدره، هذا يقول: ساحر، وهذا يقول: كاهن، وهذا يقول عن القرآن: كذب، وهذا يقول عن القرآن: قول البشر، وهذا يقول: أساطير الأولين، أقوال كثيرة.

---

(١) انظر الحديث (٣١٨).

بل يقول الله عَزَّوَجَلَّ عن نفسه وله المثل الأعلى: «**لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله، يرزقهم ويعافيهم ثم يجعلون له الصاحبة والولد**».

ولن ينجح الداعي إلى الله إلا إذا كان صابرا على الأذى، أما كل من خالفك تقوم تضاربه هذا ما هي دعوة، ما دام الضرر فقط في أنفسنا هذا يتكلم وهذا يلمز لا تبال، وإذا كان الأذى يلحق الدعوة لا بد أن نغضب للدعوة، وندافع عن الدعوة.

الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ قالوا: يحرم حلب البقرة، ويحرم شراء الجزر، ويحرم الخيار، ويحرم الملاعق، وذكروا كتابا بعنوان: (الصواعق والبوارق في تحريم الأكل بالملاعق)، وإذا دخلت بيوت أهل السنة تجد فيها الملاعق، وتجد فيها الخيار، وتجد فيها الجزر، بل ربما بعضهم يقول: الجزر يقوي النظر، ويستخدمون الخيار لإزالة الحرقة التي في المعدة، وإذا كان معهم مزارع عندهم أبقار ليس بقرة واحدة، لكن طريق الأذى، طريق الصد عن سبيل الله.

٧٧ - باب الغضب إِذَا انتهكت حرمات الشّرع والانتصارلدين الله تعالى

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج:٣٠] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧] .

وفي الباب حديث عائشة السابق في باب العفو(١).

الشرح:

يعني: إلا أن تنتهك حرمة الله فيغضب لله.

٦٤٨ - وعن أَبي مسعود عقبة بن عمرو البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي لأَتَأَخَّرُ عَن صَلاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فلانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ غَضِبَ في مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ؛ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ وَذَا الحَاجَةِ». متفقٌ عَلَيْهِ(٢).

الشرح:

غضب النبي ﷺ على رجل أطال في الصلاة، لم يغضب على رجل وقع منه نوع تقصير في شأن أهله، في شأن كذا، في شأن كذا، يصبر ﷺ، ويعظهم بالتي هي أحسن، لكن هذا لما طول في الصلاة ربما شق على من بعده، ربما أدى إلى نفورهم، وإلى غير ذلك، فغضب.

---

(١) انظر الحديث (٦٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٤)، ومسلم (٤٦٦).

قال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ) أي عن الدين، وعن السنة، وعن الاستقامة.

(فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ): يخفف.

(فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الكَبِيرَ) كبير السن، قد لا تحمله عظامه.

(وَالصَّغِيرَ) التي ما زالت عظامه رقيقة تتعبه، ونفسه تسوقه.

(وَذَا الحَاجَةِ) ربما يكون له زوجة مريضة، أو يكون مستعجلا، أو يكون هو نفسه في مرض، إلى غير ذلك.

٦٤٩ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قَدِمَ رسولُ الله ﷺ مِنْ سَفرٍ، وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرَامٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ، فَلَمَّا رَآهُ رسول الله ﷺ هتكَهُ وَتَلَوَّنَ وَجهُهُ، وقال: «يَا عائِشَةُ، أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

(السَّهْوَةُ): كَالصُّفَّةِ تَكُونُ بَيْنَ يدي البيت.

وَ(القِرام) بكسر القاف: سِتر رقيق.

وَ(هَتَكَه): أَفْسَدَ الصُّورَةَ الَّتِي فِيهِ.

الشرح:

هذا أيضا من إنكار المنكر.

(كَالصُّفَّةِ تَكُونُ بَيْنَ يدي البيت) يعني مثل مقدمة.

وهذا دليل على وجوب إزالة الصور، سواء كانت الصورة التي يسمونها بالفوتوغرافية أو الصورة المنحوتة، هذا من أقوى الأدلة في إزالة الصور الفوتوغرافية؛ لأن الصورة كانت في القرام، والقرام لا هو جدر ولا هو صنم، القرام معروف،

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧).

يسموها مقرمة عند كثير من الناس، ربما سموها شِيلَة، بعضهم يسميها غير هذه التسميات، ما يوضع على رأس المرأة، فهتكه وقطع الصورة.

(فَلَمَّا رَآهُ رسول الله ﷺ هتكَهُ وَتَلَوَّنَ وَجهُهُ) للمنكر، وغضب لذلك، تلون الوجه دليل على الغضب.

(أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بخَلْقِ اللهِ) يعني يصورون الصور، وسيأتي تحريم الصور.

٦٥٠ - وعنها: أن قريشًا أهَمَّهُمْ شَأنُ المَرأَةِ المخزومِيَّةِ الَّتي سَرَقَتْ، فقالوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رسول الله ﷺ؟ فقالوا: مَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إلاَّ أُسَامَةُ بنُ زَيْدٍ حِبُّ رسول الله ﷺ؟ فكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «أَتَشْفَعُ في حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله تَعَالَى؟» ثُمَّ قامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: «إنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أقامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ الله، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعتُ يَدَهَا». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

الشاهد: أن النبي ﷺ غضب ممن شفع في حد من حدود الله.

قوله: (أن قريشًا أهَمَّهُمْ شَأنُ المَرأَةِ المخزومِيَّةِ)؛ لأنها امرأة ذات حسب ونسب.

(الَّتي سَرَقَتْ) جاء في بعض الروايات: أنها كانت تأخذ العارية وتجحدها، والصحيح أن الجحد لا يُقطع فيه، من أخذ منك مثلا شيئا من المتاع ثم قال: ما عندي لك شيء هذا لا يُقطع فيه على الصحيح، إنما يؤدب بغير ذلك.

وأما السرقة فهي: أن يأخذ من مال محرَّز، يعني مثلا مال قد وُضع في الخزانة، أو غنم قد أُحيط عليه بالسياج، مال محرز، أما من سيب ماله فيؤدب السارق ولا يقطع.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨).

(فقالوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رسول الله ﷺ؟) أي: يشفع فيها حتى لا يقطع يدها، وربما مستعدون أن يعطوا المال مقابل ما أخذت وسرقت.

(فقالوا: مَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ بنُ زَيْدٍ)؛ لأنه كان يحبه، وكان يحب أباه، وكان يحب أمه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فهي ممن أرضعت النبي ﷺ.

(أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله تَعَالَى؟) كالمغضب عليه، وهذا استفهام إنكار.

(إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ) كما كان أيضا بنو إسرائيل في مسألة الرجم، فإذا زنا الشريف تركوه، وإذا زنا الضعيف رجموه، ثم جعلوا بعد ذلك التحميم.

(لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحمّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعتُ يَدَهَا) دين الإسلام دين عدل.

٦٥١ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ رَأى نُخَامَةً في القبلَةِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى رُؤِيَ في وَجْهِهِ، فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ: «إِن أَحدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ، وَإِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ القِبلَةِ، فَلَا يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ قِبَلَ الْقِبْلَةِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ» ثُمَّ أَخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ، ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ: «أَوْ يَفْعَلُ هكذا». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وَالأمرُ بالبُصَاقِ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ هُوَ فِيما إِذَا كَانَ في غَيْرِ المسجِدِ، فَأَمَّا فِي المَسجِدِ فَلَا يَبصُقُ إِلاَّ في ثَوْبِهِ.

الشرح:

وإن كان معه منديل فهو أحسن.

(١) أخرجه البخاري (٤١٧)، ومسلم (٥٥١).

قوله: (أَنَّ النبيَّ ﷺ رَأى نُخَامَةً فِي القبلَةِ) مخاطة أو نخامة، والنُّخام: ما يخرج من الفم، والمخاط: ما يخرج من الأنف، والنخامة والمخاط شيء واحد، مادتها واحدة، إلا أن النخامة تخرج من الفم.

(فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى رُؤِيَ فِي وَجْهِهِ)؛ لما أن المسجد لُوِّث بما لا يجوز.

(فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ) يعني لم يوكل أحدا حتى يحكه؛ لأن هذا أمر عظيم يحتاج إلى إزالة، بل جاء في بعض الروايات: أنه عزل ذلك الإمام، عزله عن الإمامة.

ثم قال: (إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ) أي كالذي يتكلم مع ربه، هو يتكلم مع ربه، والمناجاة تكون بصوت خافت، أليس يقول إذا قال: «﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ **يَقُولُ اللهُ ﷻ: حَمِدَنِي عَبْدِي، فإذا قال:** ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ **يَقُولُ اللهُ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَيَقُولُ الْعَبْدُ:** ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ **يَقُولُ اللهُ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وإذا قال العبد:** ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ **قال: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»**، هذه مناجاة.

(وَإِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ القِبْلَةِ) نؤمن بهذا على ظاهره، مع اعتقادنا أن الله عَزَّوَجَلَّ على عرشه، بائن من خلقه، لا يتحد بشيء من مخلوقاته، ولا يتحد به شيء من مخلوقاته.

ومن زعم بأن الله في كل مكان بذاته فهذا اعتقاد كفري، يخالف قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦] ، ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى:١] ، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البقرة:٢٥٥]، والنبي ﷺ يقول للجارية: **«أين الله؟»** قالت: في السماء، والنبي ﷺ كان يخطبهم ويقول: **«اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد»**، فيشير حين يقول: **«اللهم»** إلى السماء، ويشير حين يقصد الصحابة إليهم.

ولما عُرج بالنبي ﷺ إلى أين عُرج به؟ إلى السماوات العلا، وتجاوز السماء السابعة إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام، كما في حديث أبي حِبَّة وابن عباس،

ثم تعجب من هؤلاء الذين يحتفلون بليلة السابع والعشرين من رجب على أنها ليلة الإسراء والمعراج، وإذا قلت له: أين الله؟ قال: الله في كل مكان.

يا قليل الفهم النبي ﷺ إلى أين عُرج به؟ عُرج به إلى السماء، وفرض الله عليه الصلوات، ثم في الحديث الذي ربما يكررونه ويقرؤونه: فنزل إلى السماء السادسة فوجد موسى، فقال: كم فرض الله عليك؟ قال: «**فرض علي خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فرجع**»، رجع من السماء السادسة إلى أن يتجاوز السابعة، ثم نزل، ثم رجع، ثم نزل، ثم رجع، حديث واضح، فالقول بأن الله في كل مكان ليس بقول أهل الإسلام.

وأيضا من باب التنبيه ذلك الدرس الذي كان في صف ثالث ابتدائي - ما أدري عاده إلى الآن أم لا - قصة هايل ومروان، وفي الأخير يقول هايل أو مروان: الله معنا في كل مكان، هذه عقيدة يغرسونها في قلوب الطلاب الصغار.

الله معنا بعلمه، بقهره، بسلطانه، وهو على عرشه، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، بائن من خلقه، لا يجوز أن يحل فيه شيء من مخلوقاته، ولا يحل هو في شيء من مخلوقاته.

فنحن نؤمن أن الله يكون بين المصلي وبين القبلة، ونؤمن بما دل عليه الحديث الآخر: «**ينصب وجهه قبل وجه المصلي**»، وهو على عرشه، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

هذا باب مهم، باب الأسماء والصفات، باب العقيدة الصحيحة، هذا الباب لا بد أن تتلقاه من كتاب الله، ومن سنة رسول الله ﷺ، ومن منهج السلف الكرام.

(فَلَا يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ قِبَلَ الْقِبْلَةِ) في الصلاة، وبعضهم عمم في الصلاة وفي غير الصلاة.

(وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ) حتى ولو كان في ثوبه، لو انحرف يسيرا فأمر حسن، وإن بصق في ثوبه أو في منديله كذاك.

(ثُمَّ أَخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ)؛ ليريهم كيف يفعل، التعليم بالفعل؛ لأنه أبلغ من التعليم بالقول.

٧٨ - باب أمر وُلاة الأمور بالرفق برعاياهم ونصيحتهم والشفقة عليهم والنهي عن غشهم والتشديد عليهم وإهمال مصالحهم والغفلة عنهم وعن حوائجهم

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء:٢١٥] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠] .

الشرح:

هذا الباب يحتاج أن يسمعه المسؤولون، وأن يعملوا به، وأن ينقادوا، فهم مخاطبون بأوامر الله وأوامر رسوله ﷺ، وكثير من الشر الذي يلحقهم بسبب مخالفتهم لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، لا سيما الحديث الذي سيأتي عن عائشة: من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم من شق على أمتي فاشقق عليه**»، من شق عليهم في البترول، في الديزل، في الغاز، من شق عليهم في الكهرباء، من شق عليهم في طرقهم، من شق عليهم في جميع شأنهم.

ينبغي لكل مسؤول أن يجعل هذا الحديث نصب عينيه: «**اللهم من ولي من عمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه**»، ودعاء النبي ﷺ غالبه مستجاب.

وفي المقابل: «**من ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به**»، رفق بهم في مياههم، في غازهم، في بترولهم، في علاجاتهم، في سيرهم، في جميع شأنهم، يرفق الله به، وإذا رافق الله عَزَّوَجَلَّ به سهل له كل عسير، ويسر له كل صعب، وقرب له كل بعيد، وأعانه على خصومه، ووفقه لطاعته ومرضاته.

إذًا هذا الضرر الذي نراه فيه ولاة الأمر بسبب تفريطهم في أداء الحقوق التي عليهم.

(﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾) هذا أمر سببه خاص بالنبي ﷺ، وهو عام في جميع من وُلِيَ من أمر المسلمين شيئا، حتى الأستاذ مع طلابه، وحتى الشيخ مع طلابه، كلنا مأمور بهذا الأمر، بالرفق في موطن الرفق، ولا بأس بالغضب إذا احتيج إلى ذلك، أو التأديب إذا احتيج إلى ذلك، لكن الأصل هو الرفق.

(﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾) يأمر بالعدل بين الرعية، ويأمر بالإحسان إليهم، ويأمر بإيتاء ذي القربى حقوقهم.

(﴿وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ﴾): ما فحش من الأفعال والأقوال.

(﴿وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾): الظلم والتجاوز.

(﴿يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾): تتعظون وتنزجرون.

٦٥٢ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ في أَهلِهِ وَمَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ في بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ في مال سيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

٦٥٣ - وعن أَبي يعلى مَعْقِل بن يَسارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسترْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّة». متفقٌ عليه[2].

وفي رواية: «فَلَمْ يَحُطْهَا بِنُصْحِهِ لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّة».

---

(١) انظر الحديث (٤٨٣)، وقد تقدم.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٥١)، ومسلم (١٤٢).

وفي رواية لمسلم: «مَا مِنْ أميرٍ يلي أمور المُسْلِمينَ ثُمَّ لا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ لَهُمْ إِلاَّ لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ».

الشرح:

وهذه النصيحة وهذا الحديث ذكره معقل بن يسار حين دخل على عبيد الله بن زياد أو دخل عليه عبيد الله بن زياد، فنصحه بهذا.

(مَا مِنْ عَبْدٍ) من الرجال أو النساء، من أولياء الأمور أو من غيرهم.

(يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ) لم يحثهم على الخير، لم يدلهم عليه.

(إِلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّة) ضياع ولدك خلف كرة القدم، ضياع ولدك خلف المخدرات، ضياع ولدك مع الألعاب وأنت لا تنتبه له، هذا غش له، يوشك أن تجد مغبته في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إدخال التلافز في البيوت غش للأبناء، غش للبنات، غش للزوجات؛ لأنه من أسباب الفساد.

(فَلَمْ يَحُطْهَا بِنُصْحِهِ لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّة) هذا على الوعيد، وإلا لو كان من المسلمين فإن مآله إلى الجنة، طال الزمن أو قصر.

(إِلاَّ لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ) ربما يتأخر عنهم حتى يجازى عن تقصيره.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح على مسلم (٢/ ١٦٦): قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَعْنَاهُ بَيِّنٌ فِي التَّحْذِيرِ مِنْ غِشِّ الْمُسْلِمِينَ لِمَنْ قَلَّدَهُ اللهُ تَعَالَى شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِمْ وَاسْتَرْعَاهُ عَلَيْهِمْ وَنَصَبَهُ لِمَصْلَحَتِهِمْ فِي دِينِهِمْ أَوْ دُنْيَاهُمْ فَإِذَا خَانَ فِيمَا اؤْتُمِنَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَنْصَحْ فِيمَا قُلِّدَهُ إِمَّا بِتَضْيِيعِهِ تَعْرِيفَهُمْ مَا يَلْزَمُهُمْ مِنْ دِينِهِمْ وَأَخْذَهُمْ بِهِ وَإِمَّا بِالْقِيَامِ بِمَا يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ مِنْ حِفْظِ شَرَائِعِهِمْ وَالذَّبِّ عَنْهَا لكل متصد لا دخال دَاخِلَةٍ فِيهَا أَوْ تَحْرِيفٍ لِمَعَانِيهَا أَوْ إِهْمَالِ حُدُودِهِمْ أَوْ تَضْيِيعِ حُقُوقِهِمْ أَوْ تَرْكِ حِمَايَةِ حَوْزَتِهِمْ

وَمُجَاهَدَةِ عَدُوِّهِمْ أَوْ تَرْكِ سِيرَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ فَقَدْ غَشَّهُمْ قَالَ الْقَاضِي وَقَدْ نَبَّهَ ﷺ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْكَبَائِرِ الْمُوبِقَةِ الْمُبْعِدَةِ عَنِ الْجَنَّةِ وَاللهُ أَعْلَمُ. اهـ

٦٥٤ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول في بيتي هَذَا: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ». رواه مسلم(١).

الشرح:

وهذا دليل على شفقة النبي ﷺ بأمته، وحرصه عليهم.

وقوله: (اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا) ولو يسيرًا، ليس فقط الولاية العامة، ولو يسيرًا، فكن من أصحاب الرفق.

٦٥٥ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «كَانَتْ بَنُو إِسرَائِيلَ تَسُوسُهُم الأَنبِيَاء، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيكُونُ بَعْدِي خُلَفَاءُ فَيَكثُرُونَ»، قالوا: يَا رسول الله، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «أَوْفُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّل فَالأَوَّل، ثُمَّ أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، وَاسْأَلُوا الله الَّذِي لَكُمْ، فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ». متفقٌ عليه(٢).

الشرح:

فيه ما كان عليه بنو إسرائيل، إذ أن الله يرسل إليهم أنبياء يسوسونهم، ويقومون بشأنهم وبمصالحهم، ومع ذلك أذوهم وأتعبوهم وقتلوهم، ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة:٨٧].

---

(١) حديث رقم: (١٨٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢).

(وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي) فيه رد على القاديانية ومن إليهم ممن يزعمون أن القادياني نبي بعد محمد ﷺ، ويفسرون قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠] أي: زينة النبيين، مع أن النبي ﷺ يقول: **«أنه لا نبي بعدي ولا رسول»**.

وهكذا الباطنية يجوزون النبوة بعد النبي ﷺ، ويقولون: من توفرت فيه هذه الصفات ويذكرونها: ذكرا، حرا، كاملا في سمعه، في بصره، ذكيا فطنا، وكذا وكذا وكذا، وجاء عليه قرن من القرون، أنه يصح أن يكون نبيا.

النبوة والرسالة ليست مكتسبة، هي محض منَّةِ الله على عباده، فمن آمن بمحمد أنه رسول الله إلا أنه لم يؤمن أنه خاتم النبيين فقد كفر؛ لأنه كذب القرآن، وكذب السنة، وكذب الإجماع، ومن آمن بأن محمدا رسول الله لكن إلى العرب فقط فقد كفر.

لا بد من الإيمان أن محمدا ﷺ أُرسل إلى كافة الناس والورى، بالخير والهدى، والنور والضياء، وأنه لا نبي بعده ولا رسول.

ومما يدل على أنه آخر نبي: عموم نبوته ورسالته، أُرسل إلى الناس كافة.

(وَسَيَكُونُ بَعْدِي خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ) إما خلفاء وهم أولياء الأمور، وكذلك العلماء، **«يجعل الله على كل رأس مائة سنة من يجدد لهم دينهم»**.

(أَوْفُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ) الخليفة الأول كونوا معه على صدق وأمانة وإخلاص.

(ثُمَّ أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ) سواء أعطوكم أو منعوكم، وهذا الذي يدندن حوله أهل السنة، ونُتَّهم بأننا علماء سلطان، نحن والله ما نحن حول السلاطين، لم نأت أبوابهم، لم نسألهم أموالهم، لم نبحث عن وظائف معهم، إنما لا يجوز لنا الخروج عليهم، نحذر من الثورة، نحذر من الانقلاب، نحذر من التفجير، نحذر من التكفير، نحذر

من كل ما يخالف الكتاب والسنة، فإن كان لنا حقٌّ مُنِع سنأخذه يوم القيامة، وإن لم يكن لنا حق لا نسأل ما ليس لنا.

(فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ) يوم القيامة، ومجازيهم على ذلك.

٦٥٦ - وعن عائِذ بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُبَيْدِ اللهِ بن زيادٍ، فَقَالَ لَهُ: أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الحُطَمَةُ»، فإِيَّاكَ أن تَكُونَ مِنْهُمْ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

عبيد الله بن زياد كان جبارا ظالما.

فسخر عبيد الله بن زياد من هذه النصيحة، وقال له: إنما كنت من حثالة أصحاب محمد ﷺ، فرد عليه: وهل كانت فيهم حثالة؟ إنما الحثالة فيمن بعدهم، فأصحاب النبي ﷺ على عظيم شأن في الأخلاق والمعاملات والعلم والعمل.

وقوله: (إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الحُطَمَةُ) يعني راعي الغنم الذي يضرب هذه، ويكسر هذه، من شر الرعية، فكذلك ولي الأمر الذي لا يحسن رعاية الرعية، يشغلهم، يظلمهم، يؤذيهم، يقلقلهم، والله المستعان، نسأل الله أن يصلح أولياء أمورنا، نسأل الله أن يصلحهم، وأن ييسر لهم البطانة الصالحة، وإلا فكثير من البطانات سيئة.

الآن إذا أرادوا يرفعوا البترول يبدؤون بتعذيب الناس بأخذه من الأسواق، يا أخي ارفعوا البترول وهو موجود، ارفع الغاز وهو موجود، ارفع الديزل وهو موجود، لماذا تعمل لنا أزمة وقلقا وبعد ذلك تأتي ترفع؟ نحن صابرون ومحتسبون، لو كان بكما كان سنشتري، لكن أساليب ليست بأساليب مرضية، عبارة عن سياسة غبية، سياسة غبية إلى الغاية.

---

(١) انظر الحديث (١٩٢)، وهو عند مسلم فقط.

انظروا إلى المملكة العربية السعودية وفقها الله يأتي قرار: من الساعة كذا وكذا سيكون سعر البترول كذا وكذا، وانتهينا، أما نحن لابد أن البترول يعدم من البلد خمسة عشر يوما؛ حتى نشتري الدبة بعشرين ألف بثلاثين ألف بأربعين ألف، وبعد ذلك يأتي ويقول لك: أنا أريد أرفعه إلى عشرة آلاف، هذا والله من السياسة السيئة التي ابتلي بها هذا الشعب، الذي أسأل الله أن يصلح ولاة أمره، ويهديهم إلى الخير.

مع أنهم يرون ما هم فيه من الظلم الذي لحقهم بسبب ما هم فيه من التقصير في حق رعيتهم، فعلينا جميعا أن ندعو لهم بالصلاح والهداية، والتوفيق والسداد، لعل الله أن يذهب عنا ما نحن فيه.

٦٥٧ - وعن أَبي مريم الأزدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنّه قَالَ لِمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ وَلاَّهُ اللهُ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ احْتَجَبَ اللهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَفَقْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فجعل معاوية رجلًا عَلَى حوائج النَّاسِ. رواه أَبُو داود والترمذي[1].

الشرح:

الشاهد: أن معاوية لما سمع هذا الوعيد العظيم في حق من يحتجب دون المحتاجين من المسلمين جعل من يأتي بحوائج الناس، ويرفع إليه، ويقضي ما استطاع أن يقضيها، فالجزاء من جنس العمل، من شدد على الناس شُدد عليه، ومن نَفس على الناس نُفس عليه.

(١) أخرجه أبو داود (٢٩٤٨)، والترمذي (١٣٣٢)، وهو حديث ثابت.

٧٩ - باب الوالي العادل

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل:٩٠] **الآية.**

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩].

الشرح:

الولي المراد به الإمام، ومن يلي شأن المسلمين، ولو كان يلي شأن بيته أو يلي شأن زوجاته أو يلي شأن أبنائه أو يلي شأن طلابه، حتى الطلاب الولي عليهم يكون عادلا منصفا، وإلا جاوز الإنسان الإنصاف إن لم يقم بأمر الله.

(قَالَ الله تَعَالَى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل:٩٠] **الآية)** هذه الآية من أجمع الآيات في المأمورات والمنهيات، أعظم العدل التوحيد، وأعظم الإحسان التوحيد، وأعظم العدل متابعة السنة، وأعظم الإحسان متابعة السنة، وهكذا كل بحسبه.

(﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾): اعدلوا، وأما معنى (قاسط): الجائر، ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا﴾ [الجن:١٥].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ إثبات صفة المحبة لله عَزَّوَجَلَّ.

٦٥٨ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله في ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: إِمَامٌ عادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ في عِبادة الله تَعَالَى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا في اللهِ اجتمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجَمالٍ فَقَالَ: إِنِّي أخافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

---

(١) انظر الحديث (٣٧٦).

الشرح:

قد تقدم الحديث مرتين، وعلقنا عليه في ذلك الموطن، والشاهد فيه هنا: (إِمَامٌ عادِلٌ)، فمن لازم العدل والإنصاف سلم من الشرور الكثيرة، ويرجى له الربح العظيم في الدنيا والآخرة، انظر كيف يظل في ظل الله عَزَّوَجَلَّ يوم لا ظل إلا ظله، وقد جاء في بعض الروايات: «تحت ظل عرش الله»، وفي بعضها: «تحت ظل صدقته».

وأما إضافة الظل إلى الله هنا فبالاتفاق إضافة تشريف، وليس معناه أنه موصوف بالظل.

٦٥٩ - وعن عبدِ اللهِ بن عَمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ: الَّذِينَ يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وأَهْلِيهِم وَمَا وَلُوْا». رواه مسلم[1].

الشرح:

(إِنَّ المُقْسِطِينَ) أي العادلين، (عِنْدَ اللهِ) عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة، (عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ) جاء في المتحابين في الله: «وجوههم نور على منابر من نور».

من هم المقسطون؟ (الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ) إذا تُحوكم إليهم، يحرصون على العدل والإنصاف.

(وأَهْلِيهِم) أيضا مع أزواجهم وأبنائهم، ومن إليهم.

(وَمَا وَلُوْا) من أي شؤون، ولو على حلقة دراسية، أو على مكتبه، أو على مطبخ، أو على ضيافة، على أي شيء يلزمك العدل والأنصاف.

في الحديث زيادة في مسلم: «وكلتا يدي ربي يمين»، وأما ما جاء أن الله عَزَّوَجَلَّ له شمال فمن طريق عمر بن حمزة، أخرجها مسلم، وهي منكرة، وذهب الإمام أحمد

---

(١) حديث رقم: (١٨٢٧).

إلى إثبات صفة الشمال؛ اعتمادا على مثل ذلك الحديث، لكن الصحيح ما دل عليه حديث عبد الله بن عمرو: «وكلتا يدي ربي يمين»، وقد جاءت عدة أحاديث في الباب.

٦٦٠ - وعن عوفِ بن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وشِرَارُ أَئِمَّتِكُم الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، قَالَ: قُلْنَا: يَا رسول اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُم؟ قَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ». رواه مسلم[1].

قَوْله: (تصلّون عَلَيْهِمْ): تدعون لَهُمْ.

الشرح:

(خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ) أي: رؤساؤكم ووزراؤكم ومدراؤكم.

(الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ) لعدلهم وإنصافهم.

(وَيُحِبُّونَكُمْ) لصلاحكم وحسن حالكم، فالمحبة متبادلة بين الراعي والرعية، هذا أحسن مجتمع، أحسن مجتمع تكون المحبة متبادلة بين الراعي والرعية، أما إذا كان الإمام يبغض الرعية والرعية تبغض الإمام هذا أسوأ مجتمع، نسأل الله السلامة والعافية، ما يحصل من وراء ذلك إلا الشر، تجد المجتمع يبحث عن طرق للانقلاب عليه، والثورة عليه، لا سيما المجتمع الذي تلوث بالأفكار الحزبية والأفكار البدعية، بينما المجتمع المسلم الصالح البعيد عن البدع ما يبالي، إن أعطاه الإمام حقه شكره، وإن منعه حقه صبر.

(١) حديث رقم: (١٨٥٥).

(وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ) أي: تدعون لهم ويدعون لكم، الإمام يدعو لرعيته والراعي يدعو لإمامه، والله عَزَّوَجَلَّ يستجيب من الجميع، لا سيما الدعوة في ظهر الغيب، «دعوة المرء المسلم لأخيه في ظهر الغيب مستجابة».

(وشِرَارُ أَئِمَّتِكُم الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ) تبادل.

(وَتَلعَنُونَهُمْ) أي: تسبونهم (وَيَلْعَنُونَكُمْ).

(قَالَ: قُلْنَا: يَا رسول اللهِ) أي إذا وصل الإمام إلى هذا الحال صار مبغوضا إلى شعبه، مبغضا لشعبه، (أَفَلَا نُنَابِذُهُم؟) أي: نخرج عليهم بالسيف.

(قَالَ: لَا، مَا أَقَامُوا فِيْكُمُ الصَّلَاةَ، لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ) دل هذا على أن المصلي ليس بكافر؛ لما جاء في بعض الروايات قال: «لا ما صلوا، إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان».

(بهذا تعلم أن البيعات السرية التي تقام في البلاد الإسلامية سواء من جماعة الإخوان المسلمين للمبايع المختفي الذي لا يُدرى من هو، أو كذلك من جماعات التفجير والتكفير، كل هذا من الأمور المنكرة في شرعنا.

وفي هذا الحديث أن الناس ينقسمون إلى قسمين: خيار وأشرار، فخيار الأئمة: المحبون لرعيتهم، يحسنون إليهم، ويدعون لهم بالصلاح، ويحرصون على تيسير شؤونهم، وهكذا رعيتهم يدعون لولاتهم بالتوفيق والسداد والعون، ويتجاوزون إذا وقع شيء من ذلك.

وشرار الأئمة: الذين يَبغضون ويُبغضون ويَلعنون ويُلعنون، يعني بغض بين الحاكم والمحكوم، هذا حال مزري، مؤداه إلى إما ظلم الحاكم لرعيته أو خروج الرعية على حاكمها). اهـ من "شرحي على صحيح مسلم".

٦٦١ - وعن عِياضِ بن حِمارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «أهلُ الجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلطانٍ مُقْسِطٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لكُلِّ ذي قُرْبَى ومُسْلِمٍ، وعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذو عِيالٍ». رواه مسلم[1].

الشرح:

هو حديث واحد له في مسلم، إلا أنه حديث طويل، وهو عبارة عن خطبة من خطب النبي ﷺ، ومنه:

(أهلُ الجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ) أي: ثلاثة أصناف.

(ذُو سُلطانٍ مُقْسِطٌ): صاحب سلطان عادل، (مُوَفَّقٌ) من الله عَزَّوَجَلَّ.

(وَرَجُلٌ رَحيمٌ): ذو رحمة، حتى الشاة إن رحمتها رحمك الله.

(رَقِيقُ القَلْبِ لكُلِّ ذي قُرْبَى ومُسْلِمٍ) رقيق القلب، لأن هذه الرقة تحمله على الإحسان إلى الضعفاء، والبذل للعطاء، والنُّصْح لأصحاب الخطأ، إلى غير ذلك.

(وعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذو عِيالٍ): عفيف في نفسه، متعفف إذا رأى من نفسه جنوحا، مع أنه ذو عيال، والعيال يحتاجون إلى نفقة، يحتاجون الى عطاء وبذل، لكن من اتصف بهذه الصفات يرجى له الخير.

(١) حديث رقم: (٢٨٦٥).

٨٠ - باب وجوب طاعة ولاة الأمر في غير معصية وتحريم طاعتهم في المعصية

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٩] .

الشرح:

الناس في أولياء الأمور ثلاثة أصناف: صنف يطيعهم في طاعة ومعصية، وصنف يعصيهم في طاعة ومعصية، وصنف يطيعهم في المعروف ويعصيهم فيما ليس من المعروف، وهم أهل السنة؛ اقتداء بقول النبي ﷺ: «**إنما الطاعة في المعروف**».

(﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾) لما كان النبي ﷺ يُطاع استقلالا قيل: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء:٥٩]، ولما كانت طاعة أولي الأمر تابعة لطاعة الله وطاعة رسوله قال: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٩] أي: أطيعوهم في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ.

٦٦٢ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ السَّمْعُ والطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وكَرِهَ، إِلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

(عَلَى المَرْءِ الْمُسْلِمِ) من الرجال والنساء.

(السَّمْعُ والطَّاعَةُ) لولي الأمر المسلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).

(فِيمَا أَحَبَّ وكَرِهَ) ليس معنى ذلك: وكره من المعاصي، المعصية لا يقربها، والبدعة لا يقربها، وإنما وإن كان كارها لهذا الفعل.

(إِلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ) «إنما الطاعة في المعروف»، ولعله يأتي، لما أوقدوا النار وأمرهم أن يدخلوها، قال النبي ﷺ: «لو دخلتم فيها ما خرجتم منها إلى يوم القيامة».

٦٦٣ - وعنه، قَالَ: كُنَّا إِذَا بَايَعْنَا رسولَ الله ﷺ عَلَى السَّمعِ والطَّاعَةِ، يَقُولُ لَنَا: «فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

(وعنه) أي ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وجاءت البيعة على السمع والطاعة أيضًا عن جرير، وعن غيره، وعن عبادة بن الصامت.

(كُنَّا إِذَا بَايَعْنَا رسولَ الله ﷺ عَلَى السَّمعِ والطَّاعَةِ) له ولأولياء الأمور أيضا بعده.

(يَقُولُ لَنَا: فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ) وهذا من رأفة النبي ﷺ ورفق النبي ﷺ بأمته، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦] ، لو قال لك الأمير: احمل هذا الكيس وزنه ثمانين كيلو جرام ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦] قد لا تحمل الخمسين إلا بشق الأنفس.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٠٤)، ومسلم (١٨٦٧).

٦٦٤ - وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

رواه مسلم[1].

وفي رواية لَهُ[2]: «وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ مُفَارِقٌ لِلجَمَاعَةِ، فَإِنَّهُ يَمُوتُ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

(المِيتَةُ) بكسر الميم.

الشرح:

(المِيتَةُ بكسر الميم) أي: الفعلة.

(مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ) أي: خلع البيعة ونقضها ونكثها، بحيث يرى أن هذا الرئيس أو الإمام لا يصلح للطاعة، وهو مسلم، هذا لا يجوز.

(لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا حُجَّةَ لَهُ) يعتذر بها.

(وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ) لولي الأمر المسلم (مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً).

وفي رواية: (مُفَارِقٌ لِلجَمَاعَةِ) لجماعة أهل السنة في طاعة الإمام.

ومعنى (مِيتَةً جَاهِلِيَّةً) هذه كبيرة من كبائر الذنوب، وليس بكافر، ما لم يستحل، وإلا ليس بكافر، صاحب معصية، والبيعة إذا طلبها الأمام أُدِّيَت إليه، وتكون مع المصافحة، إلا في حق النساء لا تصافح.

وأما إذا لم يطلبها فالأصل أن التزام الطاعة في المعروف بيعة، لا يلزم أن كل إمام يذهب ويصافح ويعاهد، إلا إذا طلب ذلك، وإلا الأصل أنه من وُلي شأن المسلمين يطاع في طاعة الله، سواء أخذها بالاختيار، أو أخذها كذلك بعهد الإمام الذي قبله، أو أخذها بالقوة واستتب له الأمر.

---

(١) حديث رقم: (١٨٥١).

(٢) حديث رقم: (١٨٤٨)، وهذه الرواية عن أبي هريرة.

٦٦٥ - وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «اسْمَعُوا وأطِيعُوا، وَإِنِ استُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كأنَّ رأْسَهُ زَبِيبَةٌ». رواه البخاري[1].

الشرح:

هذا دليل على أن غير القرشي إذا وصلت إليه الخلافة يسمع له ويطاع، وإن كان عبدا حبشيا، وأما ابتداء لا تكون إلا لقرشي، كما قال النبي ﷺ: «الأئمة من قريش»، وأما تحديد الولاية في البطنين هذا لا دليل عليه لا من كتاب ولا من سنة، ولا من إجماع، وإنما هو قول الشيعة.

(اسْمَعُوا وأطِيعُوا) أي في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

(وَإِنِ استُعْمِلَ عَلَيْكُمْ) أي: أُمِّر (عَبْدٌ حَبَشِيٌّ).

(كأنَّ رأْسَهُ زَبِيبَةٌ) توكيد؛ لأن هؤلاء كانوا في ذلك الزمن عبارة عن عبيد يشتغلون مع أسيادهم، فمُثِّلوا بهذا السبب، وإلا فـ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

٦٦٦ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «عَلَيْكَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ». رواه مسلم[2].

الشرح:

أي: عليك أيها المسلم السمع لولي الأمر المسلم والطاعة في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

(فِي عُسْرِكَ): في حال العسر والشدة، (وَيُسْرِكَ): في حال الرخاء.

(وَمَنْشَطِكَ): في حال النشاط والقوة.

(وَمَكْرَهِكَ): في حال كرهك لطاعته في هذا الأمر.

---

(١) حديث رقم: (٧١٤٢).

(٢) حديث رقم: (١٨٣٦).

وفي حال (وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ)، وإن لم يعطك حقك، «أدوا الحق الذي عليكم، واسألوا الله الذي لكم، فإن الله سائلكم عما استرعاكم».

٦٦٧ - وعن عبدِ اللهِ بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كنا مَعَ رسول الله ﷺ في سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ، وَمِنّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ، إِذْ نَادَى مُنَادِي رسولِ الله ﷺ: الصَّلاةَ جَامِعَةً، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رسولِ الله ﷺ فَقَالَ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُم شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتنَةٌ يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الفتنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هذه مُهلكتي، ثُمَّ تنكشفُ، وتجيء الفتنةُ فيقولُ المؤمنُ: هذِهِ هذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ ويُدْخَلَ الجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ منيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِن استَطَاعَ، فإنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ». رواه مسلم[1].

قَوْله: (يَنْتَضِلُ) أَيْ: يُسَابِقُ بالرَّمْي بالنَّبل والنُّشَّاب.

وَ(الجَشَرُ): بفتح الجيم والشين المعجمة وبالراء، وهي: الدَّوابُّ الَّتي تَرْعَى وَتَبِيتُ مَكَانَهَا.

وَقَوْلُه: (يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا) أَيْ: يُصَيِّرُ بَعْضُهَا بَعْضًا رقيقًا: أَيْ خَفِيفًا لِعِظَمِ مَا بَعْدَهُ، فالثَّاني يُرَقِّقُ الأَوَّلَ، وقيل: مَعنَاهُ: يُشَوِّقُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ بتحسينهَا وَتَسويلِهَا، وقيل: يُشبِهُ بَعْضُها بَعضًا.

الشرح:

(الصَّلاةَ جَامِعَةً) ويصلح: الصلاةُ.

(١) حديث رقم: (١٨٤٤).

وهذا حديث عظيم، يحوي جملا عظيمة.

قوله: (كنا مَعَ رسول الله ﷺ في سَفَرٍ) أغلبه للجهاد، وربما خرجوا للحج أو العمرة.

(فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا) أي للقيلولة ونحو ذلك.

(فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءهُ) حتى يستظل من حر الشمس، ويتقي البرد الشتاء.

(وَمِنّا مَنْ يَنْتَضِلُ): يتعود الرماية؛ ليحسن إصابة العدو.

(وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ) يعني: يرعى دوابه.

(إِذْ نَادَى مُنَادِي رسولِ الله ﷺ) لجمعهم.

(الصَّلاةَ جَامِعَةً) أي: اجتمعوا لسماع كلام رسول الله ﷺ.

(فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رسولِ الله ﷺ) سرعة المبادرة إلى طاعة رسول الله ﷺ.

(فَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ)

في هذا دليل على أن الأنبياء لا يجوز لهم كتم الحق، ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ [المائدة:٦٧]، ولما تأخر يحيى بن زكريا في تبلغ قومه قال له عيسى: **«إما أن تبلغ وإما أن أبلغ، قال: إني أخشى أن يُخسف بي أو أُعذب»**.

وفيه دليل على أن كل ما أخبرنا به رسول الله ﷺ فيه خير لنا، **(خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ)**، ومن ذلك باب الأسماء والصفات، يستدل بهذا الحديث على تعين الإيمان به، وتبليغ ذلك الباب.

وفيه رد على المفوضة الذين يزعمون أن النبي ﷺ كتم شيئا من الدين، والرافضة أيضا، ومن إليهم، فإن النبي ﷺ قد دل الأمة على خير ما يعلمه لهم.

(وَيُنْذِرَهُم) أي: يخوفهم.

(وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هذِهِ) أي أمة محمد ﷺ.

(جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا) السلامة والنصر والعز والتمكين حين كانوا مستقيمين على دين الله ظاهرا وبطنا.

(وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا) فتن، من قتل وقتال، وغير ذلك.

(وَتَجِيءُ فِتنَةٌ يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا) يعني فتنة ربما يكون فيها كلام، ويتألم الناس منها، ثم تأتي فتنة فيها مضاربة، ويتألم الناس منها، ويقولون: تلك كانت أحسن، ثم تأتي فتنة فيها قتل وقتال، فيتألم الناس منها أشد من الأولات.

(فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: هذه مُهلكتي) أي: هذه سأهلك فيها؛ لشدتها.

(ثُمَّ تنكشفُ، وتجيء الفتنةُ فيقولُ المؤمنُ: هذِهِ هذِهِ) فلا يزال: هذه هذه حتى يلقى الله، «لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه».

(فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ) يوم القيامة، (ويُدْخَلَ الجَنَّةَ) إكراما له.

(فَلْتَأْتِهِ منيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ) يؤمن بالله ربا، واليوم الآخر موعدا.

(وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤتَى إِلَيْهِ) هذه قاعدة مهمة دل عليها كلام رسول الله ﷺ، «أد إلى الناس الذي تحب أن يؤدى إليك»، والله لو أن كلا منا يفعل هذا الفعل ما رأينا شرورا، ولا آثاما، ولا تقطعات، ولا قتلا ولا قتالا، إذا كان كل واحد يؤدي الحق الذي عليه كما يحب أن يؤدى الحق الذي له.

(وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا) من أئمة المسلمين، برا كان أو فاجرا.

(فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ) إذا طلبها.

(وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ) بطاعته، والدعاء له.

(فَلْيُطِعْهُ إن استطَاعَ) ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

(فإنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ) سيأتي أنه: «كائنا من كان»، في حديث عَرْفَجَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٦٦٨ - وعن أَبِي هُنَيْدَةَ وَائِلِ بن حُجرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلَ سَلَمَةُ بن يَزِيدَ الجُعفِيُّ رسولَ الله ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ الله، أرأيتَ إنْ قامَت عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسألُونَا حَقَّهُم وَيمْنَعُونَا حَقَّنَا فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عنه، ثُمَّ سَأَلَهُ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فإنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حملْتُمْ». رواه مسلم[1].

الشرح:

وهذا حديث عظيم، فيه سؤال الصحابة للنبي ﷺ فيما يشكل عليهم، وفيه مناداة النبي ﷺ بقوله: يا نبي الله أو يا رسول الله.

وقوله: (أرأيتَ إنْ قامَت عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسألُونَا حَقَّهُم) يعني عندهم جور، حقهم لا يفرطون فيه.

(وَيمْنَعُونَا حَقَّنَا) لا يعطونا ما لنا من الحق في الغنائم والفيء وغير ذلك.

(فَمَا تَأْمُرُنَا؟): توجهنا وترشدنا.

(فَأَعْرَضَ عنه) رسول الله ﷺ كأنه كره المسألة.

(اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فإنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا) عليكم السمع والطاعة، ويوم القيامة سيُحاسبون على ما حُمِّلوا، (وَعَلَيْكُمْ مَا حملْتُمْ) ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر:٣٨]، تحمل ذنبها، وتأخذ خيرها.

---

(١) حديث رقم: (١٨٤٦).

٦٦٩ - وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا»، قالوا: يَا رسول الله، كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: «تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

فيه دلائل من دلائل نبوة النبي ﷺ، إذا أخبر بأمور لم تكن فكانت كما أخبر.

وفيه توجيه النبي ﷺ لطريقة السلامة، وسؤال الصحابة لطريق السلامة.

(قَالَ: تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ) فإن أعطوكم في الدنيا الحمد لله برءوا أنفسهم، وإن منعوكم عُوقبوا وأخذتموه في الآخرة، وكان أنفع لكم.

(فلم يجوز لهم الخروج أبدًا، وهم بعيدون عن ذلك، وإنما يستفتون في الحلول لأخذ حقوقهم، أما كثير من الناس الآن يخرج على إمامه، قال: البترول ارتفع، الغاز ارتفع، وربما قاموا بثورة، ثم يرتفع البترول، ويرتفع الغاز، ويرتفع الدقيق، بأضعاف أضعاف أضعاف ما كان عند الأول، لكن هكذا كما تدين تدان، وإلا أد الحق الذي عليك وسل الله الذي لك، والله يرحم عبادة بقدر رحمتهم لأنفسهم، «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحمنُ»[2].) اهـ من "شرحي على صحيح مسلم".

---

(١) انظر الحديث (٥١).

(٢) أخرجه أبو داود، حديث رقم: (٤٩٤١).

٦٧٠ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعصِ الأميرَ فَقَدْ عَصَانِي». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

قد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء:٨٠] ، فمن أطاع النبي ﷺ فقد أطاع الله؛ لأن الله هو الذي أمر بطاعته، ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٢] .

(وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ)؛ لأن الله أمر بطاعته وهذا تجرأ على معصيته.

(وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ) الذي أمر رسول الله ﷺ بطاعته (فَقَدْ أَطَاعَنِي) أطاع رسول الله ﷺ.

(وَمَنْ يَعصِ الأميرَ فَقَدْ عَصَانِي) عصى رسول الله ﷺ.

هذه الأحاديث والآيات لو تدبرها أصحاب الثورات والانقلابات ما حصل هذا الشر في البلاد والعباد، ولكنهم تركوها وأعرضوا عنها.

٦٧١ - وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ كَرِه مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً». متفقٌ عَلَيْهِ[2].

الشرح:

فيه وعيد عظيم لمن يخرج على أميره، ويفتئت على أميره، ويسبب الفتن والقلاقل في البلاد والعباد، فعليك بالصبر عبد الله في كل زمن وحين، حتى تلقى الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩).

٦٧٢ - وعن أَبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أهانَ السُّلطَانَ أَهَانَهُ الله». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

وفي الباب أحاديث كثيرة في الصحيح، وَقَدْ سبق بعضها في أبواب.

الشرح:

ومعناه صحيح، (مَنْ أهانَ السُّلطَانَ أَهَانَهُ الله)، كما أن من عق أباه ابتلاه الله بالعقوق، ومن عق أمه ابتلاه الله بالعقوق، وهكذا من أساء إلى شيخه ابتلاه الله بإساءة طلابه إليه، وقد قال العلماء: ما أحد خرج على أمير إلا كان الذي بعده أشد عليهم منه، وانظر إلى الحال الذي وصل إليه أهل الإسلام بسبب الثورات والانقلابات، والله المستعان.

(١) حديث رقم: (٢٢٢٤)، والحديث في سنده زياد بن كُسَيْب العدوي، مجهول، وقد رواه ابن أبي عاصم في (السنة) من طريق رجل من بني عدي، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه، والرجل مجهول، في طبقة زياد بن مَكْسب، فلا يبعد أن يكون هو، فالحديث ضعيف، والحديث حسنه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (صحيح الترمذي).

٨١ - باب النهي عن سؤال الإمارة واختيار ترك الولايات إذا لَمْ يتعين عليه أَوْ تَدْعُ حاجة إِلَيْهِ

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣] .

الشرح:

استدل بالآية على أن طلب الولاية من أمور العلو، وربما أدت إلى فساده وضرره، وسيأتي أن النبي ﷺ كان لا يولي من طلبها ولا من سألها، ونصح من كان عاجزا عنها أن يكون بعيدا منها.

بينما لو نظرت الآن في شأن الناس لوجدتهم أنهم يتنافسون فيها تنافس الجائع إلى طعامه، أو تنافس العطشان إلى مائه، مع أنها حمل ثقيل، وعمل يحتاج إلى قوة ونباهة وزهد وورع وعلم، وإلى هدى وتقى، ما السبب الذي جعل الأمة تئن من الفساد الديني والأخلاقي والمالي وغير ذلك؟ السبب أن كثيرا ممن يلي شأنهم ما هو حول الدين، بعضهم ما يصلي، وبعضهم صوفي، وبعضهم رافضي، وبعضهم علماني، وبعضهم حداثي، وبعضهم اشتراكي، وهذه الأصناف.

وأحسنهم حالًا إخواني ثوري، من وافقه على مذهبه قربه وأدناه وإن كان نصرانيا، كما جاء في الدستور المصري للإخوان المسلمين، ومن خالفهم ونصحهم ووجههم أقصوه وإن كان آمرا لهم بالتوحيد، وناهيا عن الشرك والتنديد.

فمسألة الإمارة مسألة مهمة، كلما كان القائم بها من الزُّهاد الورعين أصحاب العقيدة الصحيحة كان نفعه للمجتمع حاصل، وشره على المجتمع مدفوع مرفوع، انظروا إلى زمن أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم، ومن سلك سبيلهم، علي بن أبي طالب أيضا له حض من ذلك، لولا أنه شُغل بالقتال الذي وقع بين المسلمين.

كانت القوة الإسلامية قوة عظيمة، وهكذا إلى كثير من عهد بني أمية، حتى قال النبي ﷺ: «**يكون الإسلام عزيزا منيعا إلى اثني عشر خليفة، كلهم من قريش**»، وهؤلاء الخلفاء كثير منهم من بني أمية.

ولهذا الحديث في الصحيح اعترض ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على حديث سفينة: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة**»، وأعله بهذا الحديث؛ لأن الإسلام ما زال عزيزا منيعا، في زمن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقعت فتوح، وفي زمن عبد الملك بن مروان وقعت فتوح، وهكذا في زمن هشام، وفي أزمنة كثيرة.

فلما أدنى مروان الحمار الجعد بن درهم منه تبددت الدولة الأموية وذهبت؛ لأن قرب أهل البدع من الحكام يؤدي إلى سلب النعمة عنهم، وإلى فساد الدولة.

وهكذا أخذ الخلافة بنو العباس، وكان شأنهم على حال حسن في مبدئه، دعك من المظالم التي حصلت في بني أمية، والمظالم التي حصلت في بني العباس، أنا الآن لا أناقش هذا، لكن أقول: من حيث إعلاء كلمة الجهاد، من حيث نشر العلم، من حيث الخير في المجتمعات.

لكن لما قرب خلفاء بني العباس مثل ابن العلقمي وقربوا المولدين من المعتزلة والجهمية لحقهم الضرر، وتسلط عليهم التتر، فهكذا إنما تقوم الدولة بأهل الصلاح، وبالقرب منهم، هب يا أخي أن هذا الخليفة الذي استتب له الأمر عنده قصور، الله يعفو عنه، ويتجاوز عنه.

لكن ينبغي أن يكون قريبا من أهل العلم، يستفتيهم، يرجع إليهم، يسألهم المشورة والتوجيه، هذا الذي ينصر به الدين، وتقوم به الدول، أما قرب لي الديمقراطيين أول ما يجدوا فرصة أنت قد علمتهم أن الديمقراطية الرأي والرأي الآخر، وأن الديمقراطية فيها الانتخابات، وأن الديمقراطية فيها حرية المظاهرات،

وفيها الاعتصامات، يدخلون تحتها وقلبوا الكرسي عليك، كما حصل في المجتمعات.

والمسألة عائدة في هذا إلى ثلاثة أمور:

أولًا: التمسك بالكتاب والسنة.

ثانيًا: صلاح الأمير في نفسه.

ثالثًا: عناية الأمير باستشارة الصالحين.

٦٧٣ - وعن أَبي سعيدٍ عبدِ الرحمانِ بن سَمُرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: «يَا عَبْدَ الرَّحْمن بن سَمُرَةَ، لَا تَسْأَلِ الإِمَارَةَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

عبد الرحمن بن سمرة قرشي.

الشاهد من الحديث أوله، قول النبي ﷺ: **(يَا عَبْدَ الرَّحْمن بن سَمُرَةَ)**؛ لتنبيهه.

(لَا تَسْأَلِ الإِمَارَةَ) أما أنه نصحه نصيحة عامة لتكون لغيره، أو أنه رأى منه محبة لهذا الباب فنصحه ووجهه.

(فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ) اختارك ولي الأمر إلى أن تكون فيها ووجهك، مع أن بعض السلف كان يهرب منها، يذكرون أن سفيان الثوري دخل عند الأمير فقال له: أريدك على القضاء، قال: في بول في بول، وخرج، قال: أدخلتم لي مثل هذا الأبله؟

والأخر قال له الأمير: أريدك أن تكون قاضيا، قال له: أنا لا أصلح لها، قال: لا بد، قال: إن كنت كذبت عليك فلا أصلح للإمارة وأنا كذاب، فعفاه.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٤٦)، ومسلم (١٦٥٢).

فما زالوا يفرون منها، وربما هجروا من دخلها، كهجر سفيان الثوري لشريك القاضي، نصحه ووجه في ترك القضاء؛ لأن شريك أجبروه على القضاء، ابتداء أجلسوه على القضاء، وكانوا يضعون له شرطيا من هاهنا وشرطيا من هاهنا على أن يقضي، فبعد أيام استحلى القضاء وبقي فيه.

جاءه سفيان الثوري فقال له: عندي لك مسألة، قال: وما هي؟ قال: أرأيت لو أن امرأة بينما هي تمشي في طريق تعبت، فجلست على باب بيت، فأخذها وأدخلها ففجر بها، على من تقيم الحد؟ قال: على الرجل؟ قال: والمرأة؟ قال: لعله غصبها، قال: أرأيت لو أنها في اليوم الثاني تجملت وتطيبت وتعطرت ثم جاءت إلى ذلك المكان ثم أخذها ففجر بها على من تقيم الحد؟ قال: عليهما جميعا، قال: ما شأنها؟ قال: لماذا تعود إلى هذا المكان وقد علمت ما حصل لها بالأمس؟ فقال: فكلامك علي حرام حتى تخرج من القضاء.

فما زال شريك في القضاء، وهجروه، حتى الصلاة عليه؛ لأنهم كانوا يفرون ويفرقون من هذا الأمر.

الآن بعضهم يذهب يقرأ القانون من أجل أن يكون قاضيا.

(فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا) أعانك الله ووفقك وسددك.

(وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا) يعني: أوكلك الله إلى شأنك، وهلكت، وما يتعلق باليمين سيأتي في موطنه.

٦٧٤ - وعن أَبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ».

رواه مسلم[1].

الشرح:

أبو ذر هو جندب بن جنادة.

(قَالَ رسول الله ﷺ) واعظا ومرشدا: (يَا أَبَا ذَرٍّ) للتنبيه.

(إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا) أي عن الإمارة، مع قوته بالعبادة، مع قوته في العلم والعمل، وكان زاهدا ورعا.

(وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي) إذا نصحت أحدا أشعره بحبك، وبحرصك عليه؛ لأن ذلك أدعى لقبول النصيحة.

(لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ) حتى ولو كان في السفر.

(وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ) فكيف بالإمارة العامة؟ التي يدخل تحتك مئات الناس بل الآلاف الناس.

وقلت في "شرحي على صحيح مسلم":

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ عَظِيمٌ فِي اجْتِنَابِ الْوِلَايَاتِ، لَا سِيَّمَا لِمَنْ كَانَ فِيهِ ضَعْفٌ عَنِ الْقِيَامِ بِوَظَائِفِ تِلْكَ الْوِلَايَةِ، وَأَمَّا الْخِزْيُ وَالنَّدَامَةُ فَهُوَ حَقٌّ مَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لَهَا، أَوْ كَانَ أَهْلًا وَلَمْ يَعْدِلْ فِيهَا فَيُخْزِيهِ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَفْضَحُهُ، وَيَنْدَمُ عَلَى مَا فَرَّطَ.

وَأَمَّا مَنْ كَانَ أَهْلًا لِلْوِلَايَةِ، وَعَدَلَ فِيهَا، فَلَهُ فَضْلٌ عَظِيمٌ، تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ كَحَدِيثِ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ»، وَالْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ هُنَا عَقِبَ هَذَا: «أَنَّ

---

(١) حديث رقم: (١٨٢٦).

الْمُقْسِطِينَ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ»، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَإِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ مُنْعَقِدٌ عَلَيْهِ، وَمَعَ هَذَا فَلِكَثْرَةِ الْخَطَرِ فِيهَا حَذَّرَهُ ﷺ مِنْهَا، وَكَذَا حَذَّرَ الْعُلَمَاءُ، وَامْتَنَعَ مِنْهَا خَلَائِقُ مِنَ السَّلَفِ، وَصَبَرُوا عَلَى الْأَذَى حِينَ امْتَنَعُوا.

نسأل الله السلامة والعافية الآن تجد كثيرا من الناس لا سيما الذين يتطلعون للوظائف والإمارات ينظرون إلى أكبر عمل فيه دخل مالي، ما ينظرون إلى العمل الذي ينفع الإسلام والمسلمين، لا، الدخل المالي، وجدوه في القضاة عند القضاة كلهم توجهوا إلى معهد القضاء، وجدوه عند المحاماة توجهوا إلى كلية الشريعة وجدوه عند كذا ذهبوا إلى كذا، ما يكون نيته - إلا من ندر - إعزاز الإسلام والدفاع عن المسلمين، وهؤلاء نسأل الله السلامة والعافية.

قضـــاة زماننـــا أضـــحوا لصوصـــا ... عمومـــا في البريـــة لا خصوصـــا
أبـــاحوا فيـــه أكـــل أمـــوال اليتـــامى ... كـــأنهمُ رأوا فيهـــا نصوصـــا
ولـــو عنـــد التحيـــة صـــافحونا ... لســـلوا مـــن أصـــابعنا الفصوصـــا

يعني بين أنهم قليلو الأمانة، والله المستعان، لا سيما عندنا في اليمن أصحاب معهد القضاء الأعلى، ما يدخل فيه إلا كم من واسع صدر، قد وسع صدره للحرام، قد وسع صدره لأكل أموال الأيتام، قد وسع صدره لاستباحة الدماء.

والله ربما بعضهم يحكم على إنسان بريء بالقتل من أجل الأموال التي يعطاها، وهو يعلم أن القضية من أصلها زور في زور، الشهداء زور، في شهداء قد تخصصوا، قد هو معروف موجود في المحكمة، ينتظر أي قضية فيها قتل يدخل يشهد، كأنه سبحان الله عنده إشعار مبكر، الليلة ستقع قضية في منطقة فلان، ما يقتلوا فلان إلا وفلان موجود، قُتل فلان فلان موجود، هو نفس الشخص، يا أخي هذا يجعلك في

ريبة، كيف ما تقع قضية قتل إلا وأنت موجود؟ سبحان الله ! ونسأل الله السلامة والعافية. اهـ

٦٧٥ - وعنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رسول الله، ألا تَسْتَعْمِلُني؟ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا». رواه مسلم[1].

الشرح:

(يَا رسول الله، ألا تَسْتَعْمِلُني؟) وقد أخبر النبي ﷺ بأنه لا يولي من سألها ومن حرص عليها.

(فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي) كالمنكر عليه، والمنبه له.

(إِنَّكَ ضَعِيفٌ) ضعيف عن حمل الإمارة.

(وَإِنَّها أَمَانَةٌ) الإمارة والقضاء ونحو ذلك.

(وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ)؛ لكثرة ما يقع فيها من المجاوزات.

(إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا) أُعطِي بغير مسألة.

(وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا) من العدل والإنصاف، وعدم المحاباة والإجحاف.

ذكر الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه لما وُلِي القضاء جاءه رجل بهدية، من العدين أو من إب، من تلك النواحي، جاءه بهدية، فقال له: لا نقبل الهدية؟ قال: ما جئت بها لك من أجل أنك قاضيا، إنما جئت بها لك على أنك عالم ومن أهل الصلاح، قال: لما كنا علماء ما أتيتم بها، فلما صرنا قضاة أتيتم بها، ولم يقبلها.

قال: ثم بعد فترة رُفعت إلي قضية، وكان فيها، فكانت نفسي تميل إلى أن أحكم له، قال: كيف لو قبلتها منه؟ كثير من الحكام والأمراء ونحو ذلك يقبلون مثل هذه

---

(١) حديث رقم: (١٨٢٥).

الهدايا، ولا يتورعون، فانظر يقول: نفسي تميل إلى أن أحكم له، مع أنه ما قبلها منه، كيف لو قبلتها؟

٦٧٦ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإِمَارَةِ، وَسَتكونُ نَدَامَةً يَوْمَ القِيَامَةِ». رواه البخاري[1].

الشرح:

كل هذه الأحاديث فيها التحذير من سؤال الإمارة، والحرص عليها، والحث على الزهد فيها.

❁❁❁❁

(١) حديث رقم: (٧١٤٨).

٨٢ - باب حث السلطان والقاضي وغيرهما من ولاة الأمور عَلَى اتخاذ وزير صالح وتحذيرهم من قرناء السوء والقبول منهم

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧] .

الشرح:

لما ذكر التحذير من الإمارة، والناس لا بد لهم من سلطان.

لا يَصلُحُ النـاسُ فَوضـى لا سَـراةَ لَهُـم ... وَلا سَـــراةَ إِذا جُهّـــالُهُم سَـــادُوا

قال: إذا على الوزير وعلى القاضي وعلى من ولي شأن المسلمين أن يتخذ وزيرا صالحا، يعلمه إذا جهل، ويذكره إذا نسي، ويأمره بالخير ويحضه عليه، وينهاه عن الشر، ويحذره منه، لكن أن يكون الأمير ظالما غاشما ويكون الوزير أشد هذه مصيبة.

والحذر من قرناء السوء والقبول منهم، ربما يحضونك على الباطل وأنت ما تشعر.

(﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾) استدل بعمومها، كما أنه على الجميع أن يكون أصحابهم من أهل التقى والهدى لإعانتهم فكذلك القاضي.

٦٧٧ - وعن أَبي سعيدٍ وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلاَّ كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالمَعْرُوفِ وتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ». رواه البخاري[1].

(١) حديث رقم: (٧١٩٨)، انفرد به البخاري عن أبي سعيد، ولم يروه عن أبي هريرة، بل ذكره البخاري تعليقا، أن بعضهم رواه عن أبي هريرة وبعضهم وقفه، والراجح الموصول مرفوعا على أبي سعيد، كما في (الفتح)، وانظر (التتبع). قاله المحقق.

الشرح:

قال: (مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ) من الأنبياء المتقدمين قبل مبعث النبي ﷺ، حتى النبي ﷺ جعل له الله وزيرا صدق وهم: أبو بكر وعمر، ولذلك يقول أبو بكر بن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقل إن خير الناس بعد محمد ... وزيرا قدما ثم عثمان الارجحُ

ورابعهم خير البرية بعدهم ... علي حليف الخير والخير مُنْجَحُ

(وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلاَّ كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ) بطانة تحثه على الخير، وترشده إليه، وتعينه عليه، هذه نعمة والله، الإنسان البشر قد يضعف، غير معصوم.

(وَالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ) وقليل ما هم، ممن علم الله صدقه وأمانته وعدله، قد يعينه الله عَزَّوَجَلَّ، انظر إلى عمر بن عبد العزيز أعانه الله ووفقه الله، في سنتين أقام دولة أزالت المظالم وفتحت الفتوح والأمصار.

٦٧٨ - وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِالأَمِيرِ خَيْرًا، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صدقٍ، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ». رواه أَبُو داود بإسنادٍ جيدٍ عَلَى شرط مسلم[1].

الشرح:

انظر إلى المعنى.

يعني بل يثبطه، إذا رآه يريد الخير ثبطه، وقال له: لا تشغل نفسك، الأمور طيبة، وهذا الشعب ما يستحق الإكرام أصلا، وسمِّن كلبك يأكلك، أو جَوِّع كلبك يتبعك،

---

(١) حديث رقم: (٢٩٣٤).

ونحو هذه الأمثال التي ما أنزل الله بها من سلطان، يريد يطبقها على المسلمين والمستقيمين، وأهل الخير والصلاح والمستضعفين.

بينما وزير الصدق: يا أمير المنطقة الفلانية تحتاج إلى ماء، والمنطقة الفلانية تحتاج إلى طريق، والمظالم الفلانية لا بد أن تُرفع، وهكذا تعاون على البر والتقوى.

وفي جميع الشأن، هذا ليس فقط في الإماره، إذا أراد الله بالعبد الخير يسر له بطانة طيبة، الإنسان بشر يا أخوة، له ميول، تنزل به أمور، لكن إذا وجد من يذكره وينبهه يستفيد منه.

٨٣ - باب النهي عن تولية الإمارة والقضاء وغيرهما من الولايات لمن سألها أَوْ حرص عليها فعرَّض بها

قد تقدم الكلام، لكن نكمل الحديث.

٦٧٩ - عن أَبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبيِّ ﷺ أَنَا وَرَجُلانِ مِنْ بَنِي عَمِّي، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا رسول الله، أَمِّرْنَا عَلَى بَعْض مَا ولاَّكَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ وقال الآخَرُ مِثل ذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنَّا وَاللهِ لَا نُوَلِّي هَذَا العَمَلَ أَحَدًا سَأَلَهُ، أَوْ أَحَدًا حَرَصَ عَلَيْهِ». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

الشرح:

أبو موسى هو عبد الله بن قيس الأشعري، تقدم.

(قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبيِّ ﷺ أَنَا وَرَجُلانِ مِنْ بَنِي عَمِّي) أي من الأشعريين.

(فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا رسول الله، أَمِّرْنَا عَلَى بَعْض مَا ولاَّكَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ) فيه أن الأمير العام هو الذي يؤمر من دونه، والنبي ﷺ كان رسول كريم، ومع ذلك يلي شأن المسلمين.

(مَا ولاَّكَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ) أي أن الله هو الذي يولي من شاء، ويمنع من شاء، لا يكون شأن الرجل أنه وُلِيَ هذا الأمر بذكائه وفطنته، ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران:٢٦].

(إِنَّا) على التعظيم، (وَاللهِ) الحلف بدون استحلاف.

(لَا نُوَلِّي هَذَا العَمَلَ أَحَدًا سَأَلَهُ)؛ لأن عنده طمع فيه، وحرص عليه، ربما يجور، ربما يظلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٤٩)، ومسلم (١٧٣٣).

(أَوْ أَحَدًا حَرَصَ عَلَيْهِ) بينما السليم من الحرص عليه لا يبالي، إن بقي في هذا المنصب بقي، وإن عزلوه انعزل، وهكذا يكون شأنه الدار الآخرة، وحرصه عليها، أما الحريص عليها إذا وُلِّي ربما ما يخرج منها إلا بقتال، وربما ذهب يأخذ هذا القطر لنفسه، وربما جار وظلم.

فلو أخذ الناس بهذه الأحاديث والله لاستقام شأن المجتمع المسلم، كما يأخذ الرعية بأحاديث الباب الأول: وجوب طاعة ولاة الأمور في غير المعصية، وتحريم طاعتهم في المعصية، يستقيم المجتمع، لكن أنى هذا؟

ذكر الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (شرح الأصول الثلاثة): أن المجتمعات على أحوال:

الأول وهو الأكمل: وجود الوازع السلطاني والوازع الإيماني، فهذا أكمل المجتمعات، السلطان حازم، من أصحاب النباهة، والرعية أهل أيمان، مراقبة لله عَزَّوَجَلَّ.

ثانيا: قوة الوازع السلطاني وضعف الوازع الإيماني، قد يقول قائل: سبحان الله تقدمون هذا القسم على القسم الذي يليه؟ نعم يُقدم؛ لأن الوازع السلطان تكون لديه قوة وردع، وإقامة للحدود، فالناس يرهبونه ويخافونه، ويمشون على الطريق الذي يوجههم إليه، لا سيما إذا كان مريدا لإقامة شرع الله، يأطرهم على الحق أطرا.

الثالث: ضعف الوازع السلطاني وقوة الوازع الإيماني، السلطان ضعيف، على ما يقل العامة عندنا: لا يهش ولا ينش، لكن الناس على خير، يعمرون المساجد، يقيمون الليل، عندهم زهد في الأموال، لا يتعاطون الربا، لا يعاقرون الغِنَاء، لا يبحثون عن الخمور والمخدرات، مع ضعف الدولة، هذه المرتبة الثالثة في الدول.

الدولة الرابعة: ضعف الوازع السلطاني وضعف الوازع الإيماني، السلطان ضعيف، والإيمان ضعيف، ماذا تتوقع من هذه الدولة؟ الشر العريض، فنسأل الله السلامة والعافية.

فأكمل الدول: هي التي يكون الوازع السلطاني فيها قويا والوازع الإيماني فيها قويا، فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يُصلح شأننا وشأن بلدان المسلمين، وأن يكفينا الشر وأهل الشر.

نكون بهذا في هذه الليلة الخامس من محرم الحرام لعام ثلاث وأربعين وأربعمائة وألف قد انتهينا من القسم الأول من كتاب رياض الصالحين، وهو كتاب علامات إصلاح الباطن والظاهر، وما يتعلق به، وسننتقل إلى كتاب الآداب في دروس آتية بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وسبحانك اللهم بحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك ربي وأتوب إليك.

كتاب الآداب

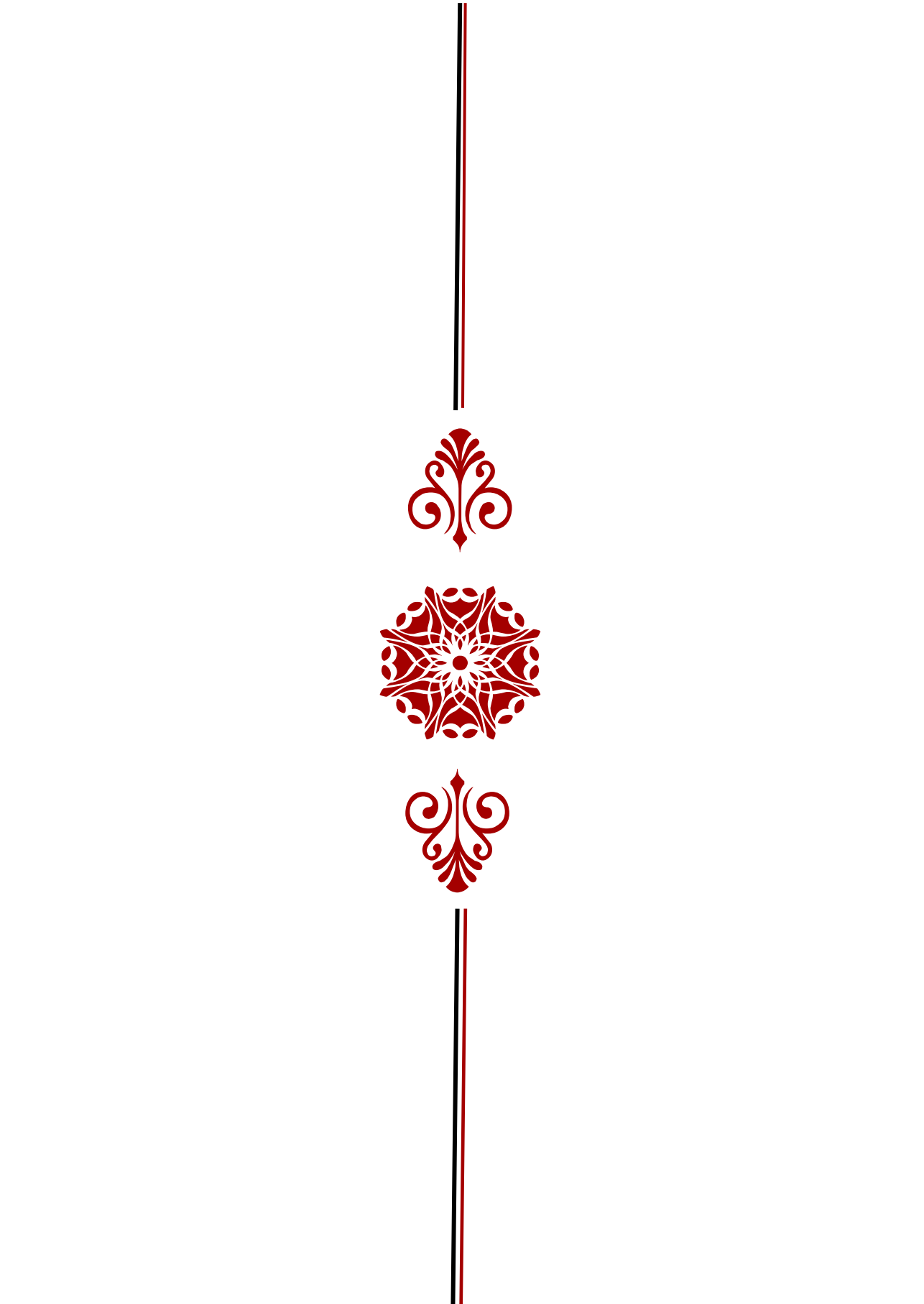

كتاب الأدب

هذا الكتاب الثاني من كتاب (رياض الصالحين)، **والأدب المراد به**: الآداب الشرعية التي ينبغي للإنسان أن يتخلق بها مع نفسه ومع غيره.

٨٤ - باب الحياء وفضله والحث على التخلق به

بدأ به؛ لأن الحياة أصل كل فضيلة، وأعظمه الحياء من الله عَزَّوَجَلَّ، الحياء المفضي إلى التوحيد والبعد عن الشرك والتنديد.

و«**الحياء والإيمان مقرونان، فإذا رُفع أحدهما رفع الآخر**»، هكذا يقول النبي ﷺ، «**والحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاءة من النفاق، والنفاق في النار**».

٦٨٠ - عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَار وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ، فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «دَعْهُ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

يعني: (**مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَار وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ**) الحياء الممدوح، ليس الخور، الحياء الممدوح؛ لأن في حديث عمران بن حصين قال له ذلك الرجل: قرأنا في التوراة أن منه كذا ومنه كذا، فغضب، فالمراد به الحياء الممدوح، فالحياة شعبة من شعب الإيمان.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤)، ومسلم (٣٦).

والنبي ﷺ كان أشد حياء من العذراء في خدرها، والله عَزَّوَجَلَّ قبل ذلك حيي كريم، حيي سِتِّير.

٦٨١ - وعن عمران بن حصينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي رواية لمسلمٍ: «الحياءُ خَيْرٌ كُلُّهُ» أَوْ قَالَ: «الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ».

الشرح:

بالحياء تسلم بعد توفيق الله من الزنا واللواط، والسرقة، والأقوال السيئة، والأفعال القبيحة، انظر النبي ﷺ لما رأى شباب عُراة قال: «لا من الله استحيوا ولا من رسوله استتروا»، يعني لو كان هناك حياء يحول بينهم وبين هذا الفعل أن يكونوا عراة.

ويقول الرسول ﷺ: «فالله أحق أن يُستَحْيى منه»، لما ذكر الغسل عريانا، مع جوازه، لكن كلما كان الإنسان حيِيًّا من ربه كان بعيدا عن معصيته.

فالحياء خير كله؛ لأنه من الإيمان.

٦٨٢ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً[2]: فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلاَّ الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ». متفقٌ عَلَيْهِ[3].

(البِضْعُ) بكسر الباءِ ويجوز فتحها: وَهُوَ مِنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى الْعَشَرَةِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١١٧)، ومسلم (٣٧).

(٢) المتفق عليه «بضع وستون شعبة»، الحديث متفق عليه إلى هذا الموطن، وكذلك: «والحياء شعبة من الإيمان»، أما ما سيأتي فهو في مسلم.

(٣) انظر الحديث (١٢٥)، هكذا قال، وقد تقدم أن هذا لفظ مسلم، وأخرج البخاري بعضه.

وَ(الشُّعْبَةُ): القِطْعَةُ وَالخُصْلَةُ.

وَ(الإِمَاطَةُ): الإِزَالَةُ.

وَ(الأَذَى): مَا يُؤْذِي كَحَجَرٍ وشوك وَطِينٍ ورماد وَقَذَرٍ وَنَحْو ذَلِكَ.

الشرح:

وقد دل هذا الحديث على أن الإيمان منه أعمال قلبية وأعمال الجوارح وأعمال اللسان، وهذا هو الموافق لتعريف الإيمان، الإيمان: قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان.

فـ(قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلاَّ الله) قول واعتقاد، وإماطة الأذى فعل الجوارح، (وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ) فعل القلب.

وقد ألف البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب (شعب الإيمان)، واختُصر، وهو كتاب مليء بالأحاديث، إلا أن منه الثابت ومنه الضعيف، وينقل كثيرا عن الحليمي، والحليمي عنده تصوف وتمشعر، في (شعب الإيمان) ينقل عن الحليمي، وفي (الأسماء والصفات) ينقل عن الخطابي، فالله المستعان، أُتي من حسن ظنه بهذين، الحليمي أوقعه في نقول صوفية، والخطابي أوقعه في تأويلات خَلَفية.

فإذا وُفقت لعالم سنة فأنت في خير، انظر إلى البيهقي، من البيهقي! (السنن الكبرى)، و (السنن الصغرى)، و (معرفة السنن والآثار)، وهكذا (شعب الإيمان)، و (كتاب الأسماء والصفات)، و (البعث والنشور)، وكم له إلى الكتب! ولكنه وقع في كثير من التأويلات المخالفة لمنهج السلف الصالح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

فأنت إذا نقلت من هذه الكتب انقل الموافق الثابت، مثل الأحاديث المسندة، ومثل التفاسير الموافقة لمنهج السلف، أما تنقل كل شيء هذا سيضرك ويرديك.

وكثير من شراح الأحاديث ابتُلوا بهذه الفتنة، فتنة الأشعرية، نسأل الله السلامة والعافية، وتجد هذا المشرك الجفري يتبجح يقول: أنتم تقولون: بأن الصوفية ما يحبون الجهاد، انظروا من المجاهدين فلان وفلان من الصوفية، أنتم تقولون: أن الصوفية يحذرون من طلب العلم ولا يرغبون في طلب العلم، كل الكتب التي يستفيد منها حتى هؤلاء كتب الصوفية، يتبجح.

أهل السنة يأخذون ما وافق الكتاب والسنة، ما يأخذون كل من هب ودب، وهؤلاء عندهم بدع تصوفية، أما انت عندك شرك في الربوبية وفي الألوهية، حكم عليه بالشرك الشيخ الفوزان، وحكم عليه بالشرك شيخنا يحيى حفظه الله، في رسالته: (الأدلة الزكية في بيان أقوال الجفري الشركية).

جاء في حديث عبد الله بن عمرو وسيأتي: «**أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز ما من عامل يعمل بواحدة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة**».

وفي هذا الحديث فضل لا إله إلا الله، وسيأتي مزيد ذلك في موطنه إن شاء الله، فهي أفضل الذكر وأفضل الكلام.

وقلت في "شرحي على صحيح مسلم":

وقد اختلف العلماء في عدها، إذ جاءت الروايات على أنها سبع وستون وسبعون وبضع وسبعون وأربع وسبعون، ورجح الحافظ وغيره على أنها سبع وستون، ومع ذلك ترى أنها جاءت في الصحيحين على الجزم وعلى الشك.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن قيل: فأهل الحديث والسنة عندهم أن كل طاعة فهي داخلة في الإيمان، سواء كانت من أعمال الجوارح أو القلوب أو من الأقوال، وسواء في ذلك الفرائض والنوافل، هذا قول الجمهور الأعظم منهم، وحينئذ فهذا لا ينحصر

في بضع وسبعين، بل يزيد على ذلك زيادة كثيرة، بل هي غير منحصرة/ قيل: يمكن أن يجاب عن هذا بأجوبة:

أحدها: أن يقال: إن عد خصال الإيمان عند قول النبي ﷺ كان منحصرا في هذا العدد، ثم حدثت زيادة فيه بعد ذلك، حتى كملت خصال الإيمان في آخر حياة النبي ﷺ.

والثاني: أن تكون خصال الإيمان كلها تنحصر في بضع وسبعين نوعا، وإن كان أفراد كل نوع تتعد كثيرًا، وربما كان بعضها لا ينحصر، وهذا أشبه، وإن كان الموقوف على ذلك يعسر أو يتعذر.

والثالث: أن ذكر السبعين على وجه التكثير للعدد لا على وجه الحصر، كما في قوله تعالى ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة:٨٠] ، والمراد تكثير التعداد من غير حصوله هذا في العدد، ويكون ذكره للبضع يشعر بذلك، كأنه يقول: هو يزيد على السبعين المقتضية لتكثير العدد وتضعيفه، وهذا ذكره أهل الحديث من المتقدمين، وفيه نظر.

والرابع: أن هذه البضع وسبعين هي أشرف خصال الإيمان وأعلاها، وهو الذي تدعو إليه الحاجة منها. اهـ.

والذي يظهر أن القول الثاني هو المترجح في هذه المسألة.

وقال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري): قال القاضي عياض: تكلف جماعة حصر هذه الشعب بطريق الاجتهاد، وفي الحكم بكون ذلك هو المراد صعوبة، ولا يقدح عدم معرفة حصر ذلك على التفصيل في الإيمان. اهـ.

قال الحافظ: ولم يتفق من عد الشعب على نمط واحد، وأقربها إلى الصواب طريقة ابن حبان، لكن لم نقف على بيانها من كلامه، وقد لخصت مما أوردوه ما

أذكره، وهو: أن هذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن، فأعمال القلب فيه المعتقدات والنيات، وتشتمل على أربع وعشرين خصلة: الإيمان بالله، ويدخل فيه الإيمان بذاته وصفاته، وتوحيده بأنه ليس كمثله شيء، واعتقاد حدوث ما دونه، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، والقدر خيره وشره، والإيمان باليوم الآخر، ويدخل فيه المسألة في القبر، والبعث والنشور، والحساب والميزان، والصراط، والجنة والنار، ومحبة الله، والحب والبغض فيه، ومحبة النبي ﷺ، واعتقاد تعظيمه، ويدخل فيه الصلاة عليه، واتباع سنته، والإخلاص ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق، والتوبة، والخوف، والرجاء، والشكر، والوفاء، والصبر، والرضا بالقضاء، والتوكل، والرحمة، والتواضع، ويدخل فيه توقير الكبير ورحمة الصغير، وترك الكبر والعجب، وترك الحسد، وترك الحقد، وترك الغضب.

وأعمال اللسان، وتشتمل على سبع خصال: التلفظ بالتوحيد، وتلاوة القرآن وتعلم العلم وتعليمه، والدعاء، والذكر، ويدخل فيه الاستغفار، واجتناب اللغو.

وأعمال البدن، وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة، منها ما يختص بالأعيان وهي خمس عشرة خصلة: التطهير حسا وحكما، ويدخل فيه اجتناب النجاسات، وستر العورة، والصلاة فرضاً ونفلا، والزكاة كذلك، وفك الرقاب، والجود، ويدخل فيه إطعام الطعام، وإكرام الضيف، والصيام فرضاً ونفلا، والحج والعمرة كذلك، والطواف، والاعتكاف، والتماس ليلة القدر، والفرار بالدين، ويدخل فيه الهجرة من دار الشرك، والوفاء بالنذر، والتحري في الإيمان، وأداء الكفارات.

ومنها ما يتعلق بالاتباع وهي ست خصال: التعفف بالنكاح، والقيام بحقوق العيال، وبر الوالدين، وفيه اجتناب العقوق، وتربية الأولاد، وصلة الرحم، وطاعة السادة أو الرفق بالعبيد.

ومنها ما يتعلق بالعامة وهي سبع عشرة خصلة: القيام بالإمرة مع العدل، ومتابعة الجماعة، وطاعة أولي الأمر، والإصلاح بين الناس، ويدخل فيه قتال الخوارج والبغاة، والمعاونة على البر، ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود والجهاد، ومنه المرابطة وأداء الأمانة، ومنه أداء الخمس، والقرض مع وفائه وإكرام الجار، وحسن المعاملة، وفيه جمع المال من حله، وإنفاق المال في حقه، ومنه ترك التبذير والإسراف، ورد السلام، وتشميت العاطس، وكف الأذى عن الناس واجتناب اللهو، وإماطة الأذى عن الطريق.

فهذه تسع وستون خصلة، ويمكن عدها تسعاً وسبعين خصلة باعتبار إفراد ما ضم بعضه إلى بعض مما ذكر، والله أعلم. اهـ.

٦٨٣ - وعن أَبي سعيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ في خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ في وَجْهِه. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

قَالَ العلماءُ: حَقِيقَةُ الحَيَاءِ خُلُقٌ يَبْعَثُ عَلَى تَرْكِ القَبِيحِ، وَيَمْنَعُ مِنَ التَّقْصِيرِ في حَقِّ ذِي الحَقِّ.

وَرَوَيْنَا عَنْ أَبي القاسم الْجُنَيْدِ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: الحَيَاءُ: رُؤيَةُ الآلاءِ - أَيْ النِّعَمِ - ورُؤْيَةُ التَّقْصِيرِ، فَيَتَوَلَّدُ بَيْنَهُمَا حَالَةٌ تُسَمَّى حَيَاءً. وَالله أعلم.

الشرح:

سبحان الله! البنت الصغيرة تجدها مسكينة قليلة حياء، التي ما قد ميزت ما تبالي بالستر، ما تبالي بالشيء من الكلام، والكبيرة التي قد خرجت ودخلت ربما يضعف الحياء عندها، إلا من كان شأنها التزام الكتاب والسنة، لكن العذراء تجد عندها شدة

(١) أخرجه البخاري (٦١١٩)، ومسلم (٢٣٢٠).

حياء، لا سيما في الزمن الماضي، والعذراء كانت إذا وصلت إلى هذا السن لزمت الخدر، البيت، ما تخرج.

ومن عجيب بعض البلدان أخبرونا عنها: حتى أنها تحتجب من أهل البيت في بعض البلدان.

أما الآن بسبب الفتن الكثيرة المنتشرة قل الحياء في الرجال والنساء، نسأل الله السلامة والعافية، انظر لما جاءت تلك المرأة تتكلم في زوجها عند رسول الله ﷺ طأطأ رأسه، ويصيح خالد بن الوليد من خارج الباب: أتتركون هذه تتكلم بهذا الكلام عند رسول الله ﷺ؟ لما قالت: والله يا رسول الله ما معه إلا مثل هذه، وأشارت إلى هَدَبة الثوب.

(وَرَوَيْنَا عَنْ أَبي القاسم الْجُنَيْدِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ) صوفي، لكن صوفية القشيري دون صوفية هؤلاء، صوفية الجنيد، كثير من المتقدمين عندهم بدع لكن ما عندهم شركيات.

٨٥ - بابُ حفظ السِّر

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٤] .

الشرح:

فجعل حفظ السر من العهود والمواثيق التي ينبغي للإنسان أن يحفظها، فمن وضع عندك سرا فقد أمَّنَك.

حتى قال بعضهم: إذا رأيت الرجل يحدثك الحديث وهو يلتفت فاعلم أنه سر، ليس بشرط أن يقول لك: هذا سر، إذا جعل يحدثك ويلتفت يمينا أو يسارا يخشى أن يسمعه أحد فاعلم أن ذلك سر.

٦٨٤ - وعن أَبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى الْمَرْأَةِ وتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا». رواه مسلم[(١)].

الشرح:

يقول: (إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ) يعني الأشرار غيره كثير، لكن هو منهم.

(الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى الْمَرْأَةِ) يعني يأتي منها ما يأتي، أو تتكلم معه ويتكلم معها.

(ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا): لا يكتم سرها، وهم مؤمَّنون في هذا الباب.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ تَحْرِيمُ إِفْشَاءِ الرَّجُلِ مَا يَجْرِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ مِنْ أُمُورِ الِاسْتِمْتَاعِ، وَوَصْفِ تَفَاصِيلِ ذَلِكَ وَمَا يَجْرِي مِنَ الْمَرْأَةِ فِيهِ مِنْ قَوْلٍ

(١) حديث رقم: (١٤٣٧)، أما في مسلم هو من طريق عمر بن حمزة، وعمر ضعيف، يقول المحقق: وجاء عن أبي سعيد من وجه آخر، رواه البزار، كما في (كشف الأستار)، وهو حسن، وله شاهد من حديث أسماء بنت يزيد، أخرجه أحمد والطبراني في (الكبير)، وفيه شهر بن حوشب.

أَوْ فِعْلٍ وَنَحْوِهِ، فَأَمَّا مُجَرَّدُ ذِكْرِ الْجِمَاعِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ فَائِدَةٌ وَلَا إِلَيْهِ حَاجَةٌ فَمَكْرُوهٌ؛ لِأَنَّهُ خِلَافُ الْمُرُوءَةِ، وَقَدْ قَالَ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»، وَإِنْ كَانَ إِلَيْهِ حَاجَةٌ أَوْ تَرَتَّبَ عَلَيْهِ فَائِدَةٌ بِأَنْ يُنْكِرَ عَلَيْهِ إِعْرَاضَهُ عَنْهَا أَوْ تَدَّعِيَ عَلَيْهِ الْعَجْزَ عَنِ الْجِمَاعِ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ فَلَا كَرَاهَةَ فِي ذِكْرِهِ كَمَا قَالَ ﷺ: «إِنِّي لَأَفْعَلُهُ أَنَا وَهَذِهِ»، وَقَالَ ﷺ لِأَبِي طَلْحَةَ: «أَعْرَسْتُمُ اللَّيْلَةَ؟»، وَقَالَ لِجَابِرٍ: «الْكَيْسَ الْكَيْسَ»، وَاللهُ أَعْلَمُ. اهـ

٦٨٥ - وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِيْنَ تأيَّمَتْ بِنْتُهُ حَفْصَةُ، قَالَ: لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، قَالَ: سأَنْظُرُ فِي أَمْرِي. فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ لَقِيَنِي، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا، فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقلتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمتَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثَ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ.

فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِيْنَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئًا؟ فقلتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ إِلاَّ أَنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّ النبيَّ ﷺ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لأُفْشِيَ سِرَّ رسول الله ﷺ، وَلَوْ تَرَكَهَا النَّبِيُّ ﷺ لَقَبِلْتُهَا. رواه البخاري[1].

(تَأَيَّمَتْ)، أَيْ: صَارَتْ بِلَا زَوْجٍ، وَكَانَ زَوْجُهَا تُوُفِّيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(وَجَدْتَ): غَضِبْتَ.

الشرح:

(١) حديث رقم: (٤٠٠٥).

في الحديث عرض الرجل لابنته على الصالحين من المستقيمين، لعل شأنهم أن يكون على الاستقامة وعلى الخير، لا سيما في مثل هذه الأيام إذا لم تنظر الرجل الصالح ربما جاء إليك من تتحرج منه أو تُلزم به هو من السيئين، فلا بد أن الإنسان ينظر في شأنه، وليس بالعيب والله أن تخطب لابنتك.

والشاهد من الحديث: أن أبا بكر لم يفش سر النبي ﷺ، مع أنه ربما أمر عند كثير من الناس شبه عادي، لكن لا، قد يكون النبي ﷺ ذكرها راغبًا فيها ثم بعد ذلك لم يفعل، فيفشي السر، ولكنه صمت حتى تزوجها النبي ﷺ.

٦٨٦ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَمْشِي، مَا تُخْطِئُ مِشيتُها مِنْ مشْيَةِ رسول الله ﷺ شَيْئًا، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ بِهَا، وقال: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي»، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكتْ بُكَاءً شَديدًا، فَلَمَّا رَأى جَزَعَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ، فقلتُ لَهَا: خَصَّكِ رسولُ الله ﷺ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بالسِّرَارِ، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ! فَلَمَّا قَامَ رسولُ الله ﷺ سَأَلْتُهَا: مَا قَالَ لَكِ رسولُ الله ﷺ؟ قالت: مَا كُنْتُ لأُفْشِي عَلَى رسول الله ﷺ سِرَّهُ.

فَلَمَّا تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ قُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الحَقِّ لَمَا حَدَّثْتِنِي مَا قَالَ لَكِ رسول الله ﷺ، فقالَتْ: أَمَّا الآن فَنَعَمْ، أَمَّا حِيْنَ سَارَّنِي في المَرَّةِ الأُولَى فأَخْبَرَنِي: أنّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ القُرآنَ في كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَأَنَّهُ عَارَضَهُ الآنَ مَرَّتَيْنِ، «وَإِنِّي لا أُرَى الأَجَلَ إِلاَّ قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي، فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ»، فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ، فَقَالَ:

«يَا فَاطِمَةُ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِساءِ هذِهِ الأُمَّةِ؟» فَضَحِكتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأَيْتِ. متفقٌ عَلَيْهِ، وهذا لفظ مسلم(١).

الشرح:

(مَا تُخْطِئُ مِشيتُها مِنْ مشْيَةِ رسول الله ﷺ شَيْئًا) أشبهت خَلْقه في كثير من شأنها، ولها كثير من خُلُقه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، امرأة عاقلة، رزينة، سيدة نساء العالمين.

(مَا كُنْتُ لأُفْشِي عَلَى رسول الله ﷺ سِرَّهُ) يعني لو أراد أن يحدثهم جميعا حدثهم.

(لَمَا حَدَّثْتِنِي مَا قَالَ لَكِ رسول الله ﷺ)؛ لأنها تعلم أنه لا يحدثها إلا بشيء حق.

(وَإِنِّي لا أُرَى الأجَلَ إِلاَّ قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي، فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ) يعني هذا الخبر وقع عليها شديدا، يخبرها أبوها أنه مفارق لها، وقد مات جميع أهل بيتها، من أمها ومن أخوتها وأخواتها، ولم تبق مع رسول الله ﷺ إلا هي، حتى قال بعض أهل العلم: أراد الله عَزَّوَجَلَّ أن يكون صبرها على رسول الله ﷺ في ميزان حسناتها، فترفع به، وفعلا صبرت، نحن إذا فقد أحدنا قريبا أو حبيبا أو صاحبا يلحقه ما يلحقه، أما هي فقدت أفضل البشرية، وأزكى البرية، والأب، والرسول، وكل ما يتعلق بكثير من شأنها.

فيه فضيلة لفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وفيه أنها من أوائل أهل بيته لحوقا به، ماتت بعد ستة أشهر.

وفيه موعظة القريب بالصبر والاحتساب.

وفيهم ما بُوِّب له وهو عدم إفشاء السر.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٨٥) و (٦٥٨٦)، ومسلم (٢٤٥٠).

وفيه حرص عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على معرفة ما كان من رسول الله ﷺ، لا لغرض التجسس أو التَّفكُّه، وإنما لغرض العلم، فإن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أفقه نساء الأمة بالإجماع.

وفيه أن الإنسان قد ينقلب بين البكاء والسرور في لحظة، وسبحان الذي خلقه وركَّبه على هذا الحال! يعني تارة يُسر وتارة يحزن، وبعدها يُسر، وإلا لضاق الناس، لو كان الإنسان إذا حزن لا يلحقه الفرح لضاق الناس، وسئموا الحياة وملوا، لكن اليوم حزن وغدا سرور، وربما في الصباح حزن وفي الظهر سرور، وكله فضل من الله عَزَّوَجَلَّ.

٦٨٧ - وعن ثَابِتٍ، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى عَلَيَّ رسول الله ﷺ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ، فَسَلَمَ عَلَيْنَا، فَبَعَثَنِي إِلَى حاجَةٍ، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي. فَلَمَّا جِئْتُ، قالت: مَا حَبَسَكَ؟ فقلتُ: بَعَثَنِي رسولُ الله ﷺ لِحَاجَةٍ، قالت: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قالت: لا تُخْبِرَنَّ بِسِرِّ رسول الله ﷺ أَحَدًا، قَالَ أَنَسٌ: وَاللهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ بِهِ يَا ثَابِتُ. رواه مسلم وروى البخاري بعضه مختصرًا[1].

الشرح:

ثابت هو البناني.

حتى بعد موت النبي ﷺ أبى أن يحدث به، السر سر، أما نحن نسأل الله السلامة في هذا الباب، قد لا تبقى أسرارنا فضلا عن أسرار غيرنا، إلا ما رحم ربي، الأم تبحث، والابن يبحث، والصاحب يبحث، والأب يبحث، إذا وُجد سر الجميع يبحث عنه: كلمني أنا والله ما أكلم واحدا، ويكلمه ما يخرج من عنده إلا وقد بثه، ونسأل الله أن يعافينا.

(١) أخرجه البخاري (٦٢٨٩)، ومسلم (٢٤٨٢).

والسر فاحفظه ولا تجهر به، كانوا يقولون: من لم يحفظ سره لا يلم غيره على إفشائه، إذا لم يتسع صدرك لسرك فلا تلم غيرك تقول له: لماذا أفشيت سري؟ أنت الذي أفشيت سرك، كل سرٍّ جاوز الاثنين شاع، يشاع، يذهب يا يمنة ويسرة، وتظن أن الأمر ما هو إلا عندك وهو عند الجميع.

٨٦ - باب الوفاء بالعهد وَ إنجاز الوَعد

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٤] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ [النحل:٩١] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ﴾ [المائدة:١] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف:٢-٣].

الشرح:

(﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾) هذا عام، حتى في الولد إذا وعدته بشيء أوف له، الزوجة إذا وعدتها بشيء أوف لها، الغير إذا وعدته بشيء أوف له، عاقدت الناس أوف لهم.

(﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾) يعني: يكره الله عَزَّوَجَلَّ هذا الفعل، ويمقته ويمقت صاحبه، إذا كان ممن يعد ولا يفي.

٦٨٨ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

زَادَ في روايةٍ لمسلم: «وإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ».

الشرح:

(آيَةُ الْمُنَافِقِ) أي: علامة المنافق.

---

(١) انظر الحديث (١٩٩).

(ثَلَاثٌ) هذا ليس على الحصر، وإنما هي أظهر علامات، وإلا لو تأملت ما ذكره الله في وصفهم في سورة البقرة، وسورة النساء، وسورة التوبة، وبعد سورة آل عمران، وسورة المنافقون، وسورة الأحزاب، لرأيت العدد الكثير من العلامات.

(إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ) يستجري الكذب استجراء، وهذه الصفة كما كررت لكم: توجد عند الكافرين، توجد عند المنافقين، توجد عند المبتدعين الضالين، توجد عند العصاة من المسلمين، هذه الخصلة يشترك فيها الجميع، نسأل الله السلامة والعافية.

يكون الإنسان على حال حسن فإذا ابتدع أصبح كذابا من اليوم الثاني، ورحم الله الشيخ مقبل إذ يقول: علامة الحزبية ثلاثا: الكذب والتلبيس والمكر.

انظر في أي إنسان أول ما يبدأ يميل إلى الحزبية يصبح كذابا، نسأل الله السلامة والعافية، ولو أردنا أن نسمي لسمينا أعدادا.

(وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ) يعني يعِد على نية الخلف، أما إذا وعدت ولم تتمكن من الوفاة ليس عليك شيء.

(وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ) اؤْتُمِنَ على الأسرار، اؤْتُمِنَ على الدعوة، اؤْتُمِنَ على الأموال، تجد عنده الخيانة، في قوله، في فعله.

(وإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ) لكن ليس هذا على التكفير؛ لأن هذا النفاق العملي، أما النفاق الاعتقادي فصاحبه كافر كفرا أكبر مخرج من الملة، لكن هذا يسمى نفاق عملي، وهو من أظهر علامات المنافقين.

٦٨٩ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

(كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا) أي: تمخض النفاق فيه.

(وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ) النبي ﷺ يقول: «أبغض الناس إلى الله الألد الخصم»، يعني: إذا خاصم يفجر في الخصومة.

والشاهد من الحديث: أنه لم يف بوعده، ولا بعهده.

فعلى الإنسان أن يكون متخلقا بأخلاق الخير والصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلا، مجاهدا لنفسه، حذرا من الشرور والآثام.

وقال النووي في شرحه على مسلم: قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ وَهَذَا فِيمَنْ كَانَتْ هَذِهِ الْخِصَالُ غَالِبَةً عَلَيْهِ فَأَمَّا من يندر ذلك منه فَلَيْسَ دَاخِلًا فِيهِ فَهَذَا هُوَ الْمُخْتَارُ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ وَقَدْ نَقَلَ الْإِمَامُ أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعْنَاهُ عَنِ الْعُلَمَاءِ مُطْلَقًا فَقَالَ إِنَّمَا مَعْنَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ نِفَاقُ الْعَمَلِ وَقَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُرَادُ بِهِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَحَدَّثُوا بِإِيمَانِهِمْ وَكَذَبُوا وَاؤْتُمِنُوا عَلَى دِينِهِمْ فَخَانُوا وَوَعَدُوا فِي أَمْرِ الدِّينِ وَنَصْرِهِ فَأَخْلَفُوا وَفَجَرُوا فِي خُصُومَاتِهِمْ وَهَذَا قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَعَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ وَرَجَعَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ عَلَى خِلَافِهِ وَهُوَ مروى عن بن عباس وبن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَوَيَاهُ أَيْضًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ وَإِلَيْهِ مَالَ كَثِيرٌ مِنْ أَئِمَّتِنَا وَحَكَى الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ

(١) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

قَوْلًا آخَرَ أَنَّ مَعْنَاهُ التَّحْذِيرُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَعْتَادَ هَذِهِ الْخِصَالَ الَّتِي يُخَافُ عَلَيْهِ أَنْ تُفْضِيَ بِهِ إِلَى حَقِيقَةِ النِّفَاقِ وَحَكَى الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَيْضًا عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ الْحَدِيثَ وَرَدَ فِي رَجُلٍ بِعَيْنِهِ مُنَافِقٍ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يُوَاجِهُهُمْ بِصَرِيحِ الْقَوْلِ فَيَقُولُ فُلَانٌ مُنَافِقٌ وَإِنَّمَا كَانَ يُشِيرُ إِشَارَةً كَقَوْلِهِ ﷺ مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَفْعَلُونَ كَذَا وَاللهُ أَعْلَمُ. اهـ

٦٩٠ - وعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي النبيُّ ﷺ: «لَوْ قَدْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَعْطَيْتُكَ هكَذَا وَهَكَذَا وَهكَذَا» فَلَمْ يَجِئْ مَالُ الْبَحْرَينِ حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَمَرَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فَنَادَى: مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رسول الله ﷺ عِدَةٌ أَوْ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا، فَأَتَيْتُهُ وَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِي كَذَا وَكَذَا، فَحَثَى لِي حَثْيَةً فَعَدَدْتُهَا، فَإِذَا هِيَ خَمْسُمِئَةٍ، فَقَالَ لِي: خُذْ مِثْلَيْهَا. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

انظروا إلى هذا الوفاء من أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بأداء وعد النبي ﷺ، وانظروا إلى كرم النبي ﷺ وجود النبي ﷺ، ولذلك أعماله تجري عليه إلى يوم القيامة، كل الأمة في ميزان محمد ﷺ، الأمة الصالحة، الأمة المسلمة، أعمالها في ميزانه، من ذكر وعلم، وقراءة قرآن، وصلاة وتسبيح، وكل شيء من أعمالهم في ميزان حسناته.

حتى الكفار يعترفون له بالعظمة، ويعترفون له بعلو المنزلة، ألف بعضهم كتابا في العظماء، وضع محمدا ﷺ أول العظماء، مع أن المؤلف كافر، ومع ذلك وضع محمد ﷺ في أول القائمة، وربما يسموه: النبي محمد، أو محمد الرسول، على أنهم لا يعتقدون ذلك، لكن كما يقال فيه، والسبب: أنهم رأوا أن هذا الرجل الذي أخرجه الله عَزَّوَجَلَّ من قرية ما زال دينه هو الظاهر والقاهر إلى أن يرث الله الأرض.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٩٦)، ومسلم (٢٣١٤).

ولا تغتر ببعض ما يحصل الآن للمسلمين من الضعف والهوان والأذى، فإن هذا يعلم الكفار كما نعلم أن فترته مؤقتة، وأن ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [المنافقون:٨].

وسيأتي اليوم الذي يعلمه اليهود والنصارى يقينا أنها ستكون هناك ملاحم بين الإسلام والمسلمين وبين اليهود والنصارى الكافرين، وسينتصر الإسلام، ويعلو الإسلام، ولذلك لماذا هم لا يفأتون ليل نهار في المكر بالإسلام والمسلمين؟ إنما وصلوا إلى ما وصلوا إليه بالمكر، يفرقون بين المسلمين، ويضغطون على حكامهم، فيفسدونهم، ويفسدون الشعوب، وإلا والله أن الإسلام قاهر ظاهر.

والعجب أن بعض الرافضة في صنعاء هذه الأيام أخرج كلاما يقول: أنتم تقولون: بأن محمد صل الله عليه وسلم قال: «**بعثت بالرعب مسيرة شهر**» ثم يطعن: كيف وقد غزاه الأحزاب إلى المدينة؟ ومن شدة ما لحقهم عملوا خندقا، كيف وقد قتلوا في أحد؟ كيف وقد لحقهم يوم حنين؟ كيف وكيف؟ من هذه الأمور، يطعن في حديث النبي ﷺ المتفق عليه، «**أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي**»، وذكر منها: «**ونصرت بالرعب مسيرة شهر**».

ولا مطعن في الحديث، فإن الأنبياء يُبتلون، وأتباع الأنبياء يبتلون، يتخذ الله منهم شهداء، لكن مع ذلك من شدة خوف الكفار لما غزوا المدينة ما غزوها بألف ولا بخمسمائة، ولا بألف وخمسمائة، تجمعوا من هاهنا ومن هاهنا حتى صاروا أكثر من عشرة آلاف، وتمالؤوا مع اليهود، لو كان ما عندهم رعب لجاء أهل مكة وحدهم.

ثم يوم حنين إنما في أول الأمر أراد الله عَزَّوَجَلَّ ذلك؛ لأن بعضهم قال: لن نهزم عن القلة، وأخبر الله بسبب الهزيمة، وإلا قد خرجت هوازن بعدتها وعتادها، ورجالها ونسائها ونعمها، وكان الأمر في آخره للإسلام والمسلمين.

وقريش جاءهم رسول الله ﷺ وعلى رأسه المغفر، فذهبوا إلى بيوتهم وإلى الكعبة، ما أحد وقف ضده يقاتله؛ لشدة الرعب الذي لحقهم.

وهكذا بنو الأصفر كم لحقهم من الرعب؟ حتى مكروا به، ومكروا بأصحابه، وأرادوا أن يغزوا المدينة، ففشلوا، وغزاهم إلى تبوك، ولم يحصل قتال، ما استطاعوا أن يأتوا؛ لشدة خوفهم، ولخورهم.

وما هذا المكر بالإسلام والمسلمين إلا لرعبهم من الإسلام والمسلمين، وإلا لماذا لا يمكرون بالبوذيين؟ لماذا لا يمكرون بالهندوس؟ لماذا لا يمكرون ببعضهم البعض؟ إنما مكرهم بالإسلام والمسلمين؛ للرعب الذي في قلوبهم من أن هذا المارد كما يسمونه إذا قام لن يترك لهم قرارا.

ومما يذكرونه: أن رساما رسم كَركَتير، ما يسمونه بهذه الرسوم، ثم وضع المسلم ساجدا، ووضع النصراني فوقه واقفا، ووضع اليهودي فوق الجميع، فلما جاء اليهودي غضب عليهم غضبا شديدا، قال: من الذي رسم هذه الصورة؟ قالوا: رسمها فلان، أراد أن يريك ذلة المسلمين، قال: هذا الساجد إذا قام سنقع جميعا، سننتهي جميعا.

وفعلا، هذا الساجد المستضعف الآن من اليهود والنصارى إذا قام والله ما تبقى لهم قائمة، ولذلك يمكرون، وينفقون الأموال الكثيرة؛ للصد عن الإسلام والمسلمين، ولضرر الإسلام والمسلمين، لكن ستأتي العزة، طال الزمن أو قصر.

وهؤلاء الروافض لا عبر بكلامهم، لكن نريد أن نبين أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، على أي حال كان، في حال قتلهم وهم أعزة، في حال جراحاتهم وهم أعزة، في حال فقرهم وهم أعزة، في حال الغنى وهم أعزة، في جميع الحالات.

انظر يا رافضي يا أثيم إلى أبي سفيان في حال كفره أراد أن يرجع ندما إلى استئصال المسلمين في أُحُد، على أنه تركهم ومشى، عند ذلك قال النبي صل الله عليه وسلم أو أمر: ألا يخرج إلا من شهد أحد من أصحاب الجراحات وغيرهم، فخرجوا؛ امتثالا لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٧٢] .

الشاهد أنهم لم يتوانوا ويتأخروا، فلما علم أبو سفيان بخروجهم قال: يكون بيننا وبينكم عام قادم.

لكن هؤلاء صم بكم عم، لا يُبَالَى بهم، لكن هذه الشبه تنطلي على بعض المساكين من الذين يقرؤون كل ما أرسل إليهم، والله المستعان.

٨٧ - باب المحافظة عَلَى مَا اعتاده من الخير

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد:١١] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا﴾ [النحل:٩٢]

.

وَ(الأَنْكَاثُ): جَمْعُ نِكْثٍ، وَهُوَ الْغَزْلُ الْمَنْقُوضُ.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ﴾ [الحديد:١٦] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا﴾ [الحديد:٢٧] ..

الشرح:

(﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾) فلازم الخير، ولازم الثبات، ولازم الحفظ لحدود الله، يحفظك الله، «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**».

(﴿وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ﴾) بل اثبتوا، هذا حين يقول الله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ﴾ نهي للمسلمين أن يكونوا ممن تقدم صفته.

٦٩١ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ لِي رسول الله ﷺ: «يَا عبْدَ الله، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

إذا كان النبي ﷺ يحضض عبد الله بن عمرو ألا يترك قيام الليل وهو سنة فكيف إذا كان الأمر من الواجبات والمتحتمات؟ فينبغي للإنسان أن يحافظ عليه، وإذا كان الأمر من المحرمات فيجب على الأنسان البعد عنه، وسيأتي معنا أحاديث: «إن الله لا يمل حتى تملوا»، وفي رواية: «لا يسأم حتى تسأموا»، والنبي ﷺ كان عمله ديمة.

(١) انظر الحديث (١٥٤).

٨٨ - باب استحباب طيب الكلام وطلاقة الوَجه عند اللقاء

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران:١٥٩] .

الشرح:

(استحباب طيب الكلام وطلاقة الوَجه عند اللقاء) لأن ذلك مما تنشرح به الصدور، وهو من الصدقات والهبات التي تكون من المؤمنين لإخوانهم.

(﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾) تواضع لهم، وارفق بهم، وأحسن إليهم.

(﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾) ولكنه كان رحيما، رقيقا، رفيقا، ﷺ.

٦٩٢ - وعن عدي بن حاتمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

تقدم الحديث بطوله، والشاهد هنا: (فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ) فهي من المعروف والإحسان.

---

(١) انظر الحديث (١٣٩).

٦٩٣ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ». متفقٌ عَلَيْهِ، وَهُوَ بعض حديث تقدم بطولِه[1].

٦٩٤ - وعن أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ». رواه مسلم[2].

الشرح:

(لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا): نكرة في سياق النهي تفيد العموم، ولو أن تعطي أخاك قلما يكتب به، أو ترفع قذاءة من المسجد، أو تصلح شيئا من شأن المسلمين.

(وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ) يعني: بوجه مبتسم، ليس بعبوس ولا مكفهر.

وقد تقدم معنا في حديث أبي جُرَيّ بعد ذلك ولعله يأتي.

(١) انظر الحديث (١٢٢).

(٢) انظر الحديث (١٢١).

٨٩ - باب استحباب بيان الكلام و إيضاحه للمخاطب وتكريره ليفهم إذا لَمْ يفهم إلا بذلك

٦٩٥ - عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةً أَعَادَهَا ثَلَاثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاثًا. رواه البخاري[١].

٦٩٦ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كَانَ كَلَامُ رسول الله ﷺ كَلامًا فَصْلًا يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ يَسْمَعُهُ. رواه أَبُو داود[٢].

الشرح:

بمعنى: أن الإنسان يتكلم بغير سرعة تؤدي إلى الإخلال، وفي مسلم: أن النبي ﷺ كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه، وكان السلف يكرهون أن يكون الكلام كنثر الشعر.

(١) حديث رقم: (٩٥).

(٢) حديث رقم: (٤٨٣٩).

٩٠ - باب إصغاء الجليس لحديث جليسه الذي ليس بحرام واستنصات العالم والواعظ حاضري مجلسه

لأنه لا يصلح أن يكون المتكلم يتكلم وأنت تخوض في غير ما يُلقى عليك.

٦٩٧ - عن جرير بن عبدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رسول الله ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «اسْتَنْصِتِ النَّاسَ» ثُمَّ قَالَ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ». متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

الشرح:

(اسْتَنْصِتِ النَّاسَ) أي: ليسمعوا العلم والدين الذي يُلقى عليهم.

(لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ) وقد حصل هذا الأمر أن الناس وقع فيهم القتل والقتال، وهذا كفر ليس بمخرج من الملة، إنما هو كفر دون كفر، كما هو قول أهل السنة، وإنما يكفر بمطلق الكبيرة الخوارج.

والمعنى: أن هذا من أفعال الكفار، **وقيل**: على المستحل، لكن هذا غير صحيح، فإن المستحل حتى ولو لم يَضرب العنق يكون كافرًا.

وحجة الوداع كانت في السنة العاشرة من الهجرة، ثم مات النبي ﷺ في أوائل السنة الحادية عشرة من الهجرة، في الثاني عشر من ربيع الأول لعام إحدى عشر، وبدأ به المرض في ثمانية وعشرين صفر.

(١) أخرجه البخاري (١٤١)، ومسلم (٦٥).

٩١ - بابُ الوَعظ والاقتصاد فِيهِ

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل:١٢٥].

الشرح:

لكن يقتصد، ما يُمِلُّهم، ولا كذلك يؤدي إلى سآمتهم، وليس من هذا الدروس، الدروس خلاف المواعظ، لو أُلقيت عليك عدة مواعظ متكررة تجد السآمة، أما الدرس لأنه زيادة علم وزيادة خير، ما تجد فيه سآمة، فاليوم تأخذ بابا من أبواب الدين، وغدا بابا من أبواب الدين.

(﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾) هذه الآية حوت مراتب الدعوة:

أولًا: الدعوة بالحكمة، وهذا في حق المستجيب المُوَاتي.

والموعظة الحسنة، وهذا في حق المستجيب الذي عنده نوع شبه.

﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ وهذا في حق المعرض، وقد يكون الجدال بالجلاد، أي: بالقتال، هذا للحاكم.

٦٩٨ - وعن أَبي وائلٍ شقيقِ بن سَلَمَةَ، قَالَ: كَانَ ابنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُذَكِّرُنَا فِي كُلِّ خَمِيسٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمنِ، لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ، كَمَا كَانَ رسول الله ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

(يَتَخَوَّلُنَا): يَتَعَهَّدُنَا.

الشرح:

(١) أخرجه البخاري (٧٠)، ومسلم (٢٨٢١).

فيه: تأسي ابن مسعود برسول الله ﷺ.

وفيه: ما عليه ابن مسعود من وعظ الناس، وتذكيرهم وتوجيههم.

وفيه: محبة السلف من للمواعظ ونحو ذلك.

وفيه: أن الأخذ بالسنة هو الأسلم، حتى وإن قال لك واحد: لا، أنا ما يؤثر في هذا، أنا لست من هذا الصنف، هذا ليس على إطلاقه، ربما بعد أيام يتأثر.

(إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ): أسبب لكم الملال، وإذا جاءكم الملال ربما أدى إلى نفوركم وإعراضكم، والإنسان إذا نفر من العلم والخير قل أن يعود إليه إلا أن يشاء الله.

(وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ): أتعاهدكم بالموعظة، أي: بين الحين والآخر، بخلاف الدرس، الدرس سيدرس في كل وقت يحتاجه الناس.

(مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا): الملال.

٦٩٩ - وعن أَبي اليقظان عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ مِنْ فِقهِهِ، فأَطِيلُوا الصَّلَاةَ وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ». رواه مسلم[1].

(مَئِنَّةٌ) بميم مفتوحة ثُمَّ همزة مكسورة ثُمَّ نون مشددة، أَيْ: عَلَامَةٌ دَالَّةٌ عَلَى فِقْهِهِ.

الشرح:

عمار بن ياسر قُتل أبوه وأمه قديما، أما أمه قتلها أبو جهل، طعنها في قبولها، وقد بشرهم النبي ﷺ بخير، وأما عمار فقتل فيه صفين، وكان من آخر طعامه مذقة لبن،

(١) حديث رقم: (٨٦٩).

كما هو من دلائل نبوة النبي ﷺ، وقد قال النبي ﷺ: «**ويح ابن أم سمية، تقتله الفئة الباغية**».

(**إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ**) أي يوم الجمعة.

(**وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ مِنْ فِقهِهِ**)؛ لأن الذي يطيل الخطبة ما استطاع أن يجمعها، وطالت عليه، بينما كلما كان أفقه كلما استطاع أن يأتي عليها بأقصر عبارة، ويفيد فيها.

(**فأطِيلُوا الصَّلَاةَ وَأقْصِرُوا الْخُطْبَةَ**) لكن هذا يحتاج إلى النظر أيضا إلى حاجة الناس، فبعض المواطن قد تحتاج نوع إطالة، وبعض المواطن لا تحتاج إلى ذلك، والأمر يكون بين عدم الإفراط وعدم التفريط.

٧٠٠ - وعن مُعاوِيَة بن الحكم السُّلَمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رسول الله ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَرَمَانِي القَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ! فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهُ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بأيديهم عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رسول الله ﷺ فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي، وَلَا ضَرَبَنِي، وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «**إِنَّ هذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ، وَقِراءةُ القُرْآنِ**»، أَوْ كَمَا قَالَ رسول الله ﷺ، قلتُ: يَا رسول الله، إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللهُ بِالإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ، قَالَ: «**فَلَا تَأْتِهِمْ**»، قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: «**ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ**». رواه مسلم[1].

(**الثُّكْلُ**) بضم الثاءِ المُثلثة: المُصيبَةُ وَالفَجِيعَةُ.

(**مَا كَهَرَنِي**) أَيْ: مَا نَهَرَنِي.

---

(١) حديث رقم: (٥٣٧).

الشرح:

وهذا الحديث فيه زيادة، وأنه قال: وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «**ائْتِنِي بِهَا**»، فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ لَهَا: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «**مَنْ أَنَا؟**» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «**أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**».

وفي هذا الحديث: تحريم الكلام في الصلاة لغير ما هو من شأن الصلاة.

وفي هذا الحديث من الفوائد: أن العاطس يجوز له أن يحمد الله، كما في رواية أبي داوود، وإنما المنهي عنه التشميت، أما العاطس له أن يقول: الحمد لله، وهذا الحديث أيضا دليل بهذا اللفظ؛ لأن معاوية بن الحكم ما شمته إلا لما قال: الحمد لله، لأن النبي ﷺ يقول: «**فإذا عطس فحمد الله فشمته**».

(**فَرَمَانِي القَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ**) فيه أن الالتفات اليسير لا يبطل الصلاة، سئل النبي ﷺ عن ذلك كما في حديث عائشة فقال: «**اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**».

(**وَاثُكْلَ أُمِّيَاهُ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟**) فيه أن الرجل إذا تكلم بكلام وهو لا يشعر أو تكلم وهو لا يعلم أن كلامه يبطل الصلاة أنه لا تبطل صلاته.

(**فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بأيديهم عَلَى أَفْخَاذِهِمْ**) فيه أن العمل اليسير في الصلاة لا يؤثر عليها، وللبخاري كتاب: العمل في الصلاة، وأبواب العمل في الصلاة.

(**فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُ صَمِّتُونَنِي لكِنِّي سَكَتُّ**) فيه جواز العمل بالإشارة، وسرعة المبادرة.

(**فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي**) جواز التفدية.

(**مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ**) من حيث الرفق والبيان والسهولة.

(فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي، وَلَا ضَرَبَنِي، وَلَا شَتَمَنِي) وهذه من الأمور التي يحتاجها الداعي إلى الله، فكثير من الناس لمجرد أن يخطئ الطالب أو الصاحب أو المرافق أو غير ذلك وإذا به يشد عليه، هذا ليس على إطلاقه، فالإنسان كل ما كان رفيقا رقيقا كان ذلك أنفع.

(إِنَّ هذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ) أي مما ليس من شأنها، وإلا القراءة والتسبيح والتحميد والدعاء كله كلام.

(إِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ، وَقِراءةُ القُرْآنِ) التسبيح في الركوع والسجود، تقول في الركوع: سبحان ربي العظيم، وفي السجود: سبحان ربي الأعلى، والتكبير في حال الانتقال، وقراءة القرآن أي: في حال القيام.

وفي هذا الحديث العذر بالجهل، فإن النبي ﷺ لم يؤاخذه بما كان يجهله.

وفيه الرواية بالمعنى من قوله: (أَوْ كَمَا قَالَ رسول الله ﷺ).

(إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ) أي أنه أسلم حديثا، والذي يسلم حديثا يكون شأنه أنه يجهل كثيرا من الأحكام.

(وَإِنَّ مِنّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهّانَ) والكهانة كانت منتشرة في الجاهلية، ومنتشرة الآن، نعوذ بالله من الضلال.

(قَالَ: فَلَا تَأْتِهِمْ)؛ لأن من أتاهم وصدقهم كفر، كما في الحديث: «من أتى كاهنا أو عرافا فسأله فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد»، أخرجه البزَّار[1] من حديث جابر، وأخرجه أحمد[2] عن أبي هريرة وفيه انقطاع.

وأما إذا لم يصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما، إلا إذا كان جاءه للإنكار، أو للاختبار، ولإظهار شره وعواره.

---

(١) في (كشف الأستار)، حديث رقم: (١٨٧٣)، عن عبد الله، وفي (٣٥٧٨) عن عمران بن حصين.

(٢) حديث رقم: (٩٥٣٦).

والكهان إذا تسلطوا على الإنسان أركسوه وأتعبوه؛ لكثرة أقوالهم التي تلقاها من الجن، فربما يقول لأحدهم: أنت سيكون شأنك كذا وكذا، فيبقى منتظرا لما قالوه، أو يخوفونه فيبقى راهبا مما قالوه، ثم أيضا هم يدعون علم الغيب، ومدعي الغيب المطلق كافر، ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥].

(قُلْتُ: وَمِنّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ)

الطيرة: ما أمضاك أو ردك، أما إذا كان شيئا طارئا تصرفه من يسلم من هذا؟ قال عبد الله بن مسعود: «**الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك**»، هذا قول النبي ﷺ رواه ابن مسعود، ثم قال: وما منا إلا - يعني: يقع منه تطير - ولكن يذهبه الله بالتوكل.

الطيرة ما أمضاك أو ردك، أما مجرد عبور العابر في القلب هذا لا أثر له.

وجاء رواية أيضا: وإن منا رجالا يخطون، قال: «**كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك**».

قال بعضهم: هذا ليس فيه إباحة للخط، ولكن كان ذلك النبي يخط بالوحي، وأنت لا سبيل لك إلى ذلك، ما أدراك أنك وافقت خطه؟ ما معك إلا الكهانة، والكهانة ممنوعة، فذلك النبي كان يخط بالوحي.

٧٠١ - وعن العِرْباض بن ساريَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَعَظَنَا رسول الله ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ ... وَذَكَرَ الحَدِيثَ وَقَدْ سَبَقَ بِكَمَالِهِ في باب الأمْر بِالمُحَافَظَةِ عَلَى السُّنَّة، وَذَكَرْنَا أَنَّ التِّرْمِذِيَّ، قَالَ: إنّه حديث حسن صحيح[1].

الشرح:

(١) انظر الحديث (١٥٧)، هو حديث ثابت، في (الصحيح المسند) لشيخنا مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

والشاهد هنا موعظة النبي ﷺ لهم، **(وَعَظَنَا رسول الله ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ)**، وربما تسمع لأحدهم خَنِينا في صدره؛ لشدة البكاء، وترى العيون تنهمر بالدموع؛ لسماعهم موعظة النبي ﷺ، لا سيما وقد استنبطوا منها أنها موعظة مودع، والمودع يُبْلغ في نصحه ووعظه، والتأثر بنصيحة المودع أبلغ من التأثر بنصيحة الجالس.

والمراد بموعظة مودع: أي أنه مفارق للدنيا.

وقوله: (وَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ) أي: خافت وخضعت، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢] .

(وَذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ) بعد وجل القلوب، والموعظة التي تؤدي إلى ذرف العيون إما أن تكون من باب الترغيب أو باب الترهيب، فباب الترغيب يرغب فيما عند الله، وربما ذرفت عينه، وباب الترهيب يخاف مما عند الله، وربما ذرفت عينه.

وقد تجد من تذرف عينه إذا كان متكلما في باب الأسماء والصفات، وفي باب ما هو من خصائص الله عَزَّوَجَلَّ. وهذا يقع من خُلَّص الموحدين.

٩٢ - باب الوقاروالسكينة

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان:٦٣] .

الشرح:

يمشون هونا بدون كبر، بدون سرعة تفضي إلى الضرر بهم أو بغيرهم، بدون تبختر أو تكبر، دخل النبي ﷺ مكة وعلى رأسه المغفر، وهو مطأطئ لرأسه.

٧٠٢ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: مَا رَأَيْتُ رسول الله ﷺ مُسْتَجْمِعًا قَطُّ ضَاحِكًا حَتَّى تُرَى مِنهُ لَهَوَاتُهُ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

(اللَّهْوَاتُ) جَمْعُ لَهَاةٍ: وَهِيَ اللَّحْمَةُ الَّتي في أَقْصى سَقْفِ الْفَمِ.

الشرح:

وهذا الفعل الذي يفعله النبي ﷺ من السكينة والوقار، فإن بعض الناس إذا ضحك أو بكى خرج عن الاعتدال، وربما تراه مستجمعا في ضحكه، يقهقه، وتظهر لهواته، وتتغير قسمات وجهه، وربما تمايل وارتفع صوته، وهكذا إذا بكى خار كما يخور الثور، فهذا أمر مستقبح، كان بكاء النبي ﷺ دمع العين، «إن العين لتدمع»، وهكذا.

فعلى الإنسان أن يكون متحليا بالوقار والسكينة، حتى في سياقة السيارة يا أخي، سياقة السيارة فيها وقار وسكينة، إذا كنت تمشي مشية معتدلة، مشيه ليس فيها أذى للمار، ليس فيها أذى لصاحب سيارة أخرى، ليس فيها تعرض لأذى نفسك وأذى من

(١) أخرجه البخاري (٤٨٢٨)، ومسلم (٨٩٩).

معك، فيعود الإنسان نفسه مشي السكينة والهدوء، إذا وجد فجوة نصَّ، وإذا لم يجد فجوة لماذا العجل؟ ولماذا الأذى للغير؟

في بعض البلدان استخدام ما يسمى بالهاون أو البوري هذا عيب عندهم، عيب، لا يستخدمونه، إلا في حالة ضرورة؛ للتنبيه بمقدارها، أما بعض البلدان يراقصه مراقصة، يجعلوه مثل الموسيقى، لا سيما حق السيارات الكبيرة هذه قد أدت إلى قتل في بعض البلدان، يخرج ويراقصه، وربما أدت إلى قتل، وإلى غير ذلك.

فالسكينة والوقار مطلوبة في كل شيء، «**إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة**»، وجاء في بعضها: «**والوقار**»، ولذلك كلما كبر الإنسان في سنه كلما كان من أصحاب السكينة والوقار؛ لأنه قد نَبُل وحسن شأنه، أما الشاب ربما تجد عنده طيش في كثير من شأنه، والله المستعان.

والعلم بالتعلم، والله لو عودنا أنفسنا الكلام بسكينة ووقار، والمشي بسكينة ووقار، وتعامل بسكينة ووقار، لنجد أن شأننا على السكينة والوقار، انظروا إلى إخواننا الحضارم، كيف تجد في أبنائهم وفي مجتمعهم الهدوء والسكينة إلا ما ندر، حتى والولد صغيرا شأنه على هذا؛ لأنهم تعودوا هذا الأمر وساروا عليه، ومن شب على أمر شاب عليه.

٩٣ - باب الندب إلَى إتيان الصلاة والعلم ونحوهما من العبادات بالسكينة والوقار

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢] .

الشرح:

وإذا كان الإتيان إلى مثل هذه العبادات بالسكينة والوقار فغير ذلك من باب أولى؛ لأن هذه العبادات ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟﴾ [البقرة:١٤٨]، ﴿وَسَارِعُوٓا۟﴾ [آل عمران:١٣٣]، «**بادروا**»، بخلاف بقية الأمور «**العجلة من الشيطان والتأني من الله**»، فالمسارعة والمسابقة والمبادرة تكون في الطاعات، والتأني يكون في شأن أمور الدنيا.

ومع ذلك هنا يأمر الله عَزَّوَجَلَّ بالسكينة والوقار عند إتيان الشعائر: (﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾) وهذا عام في جميع شأن الدين، عظمت المصحف، ما وضعته على الأرض، ولم تخط عليه، ولم تنم عليه، ولم تتخذه سترة، ولم تمتهنه، هذا من تعظيم شعائر الله.

وهكذا إذا دخلت المسجد تدخله بسكينة ووقار، وعدم وضع الأذى فيه، هذا من تعظيم شعائر الله، عدم رفع الصوت بغير العلم فيه هذا من تعظيم شعائر الله، فهي كلمة عامة، وإن كان الشأن أنها نزلت في تعظيم شؤون الحج إلا أن المعنى عام.

٧٠٣ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله** ﷺ **يقول: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَونَ، وَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَمْشُونَ، وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُم فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا». متفقٌ عَلَيْهِ**(١).

زاد مسلِمٌ في روايةٍ لَهُ: «فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلَاةِ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ».

(١) أخرجه البخاري (٩٠٨)، ومسلم (٦٠٢).

الشرح:

(إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ) أي المفروضة.

(فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَونَ) أي: تجرون.

(وَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَمْشُونَ) أي: بخطى لا سرعة فيها.

(وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ): الهدوء والتواضع، وعدم الإسراع المفضي إلى حفز النفَس، يدخل الإنسان ربما ما يستطيع يقرأ الفاتحة، وربما اصطدم بغيره، وربما لم يخشع في صلاته.

(فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلَاةِ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ) وفي حديث أبي هريرة: «فإن أحدكم لا يزال في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه».

٧٠٤ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ دَفَعَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ عَرَفَةَ فَسَمِعَ النبيُّ ﷺ وَرَاءهُ زَجْرًا شَديدًا وَضَرْبًا وَصَوْتًا للإِبِلِ، فَأَشَارَ بِسَوْطِهِ إِلَيْهِمْ، وقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بالسَّكِينَةِ، فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بالإِيضَاعِ». رواه البخاري، وروى مسلم بعضه[1].

(الْبِرُّ): الطَّاعَةُ.

وَ(الإِيضَاعُ) بِضادٍ معجمةٍ قبلها ياءٌ وهمزةٌ مكسورةٌ، وَهُوَ: الإِسْرَاعُ.

الشرح:

(فَسَمِعَ النبيُّ ﷺ وَرَاءهُ زَجْرًا شَديدًا وَضَرْبًا وَصَوْتًا للإِبِلِ) مثل البُورِي الآن، مثل هذا الصوت، وأنكره، هؤلاء كانت معهم الإبل، ويصيحون عليها ويضربون فيها، يريدون منها السرعة، فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك.

(١) أخرجه البخاري (١٦٧١)، ومسلم (١٢٨٤).

(فَأَشَارَ بِسَوْطِهِ إِلَيْهِمْ)؛ حتى ينتبهوا لكلامه، ربما لو تكلم وهم في صياح ما سمعوا منه ولا استجابوا له، لكن يشير إليهم، حتى إذا انتبهوا له تكلم.

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بالسَّكِينَةِ) في نفركم، وفي جميع شأنكم.

(فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بالإِيضَاعِ) الطاعة ليست بالإيضاع: بالإسراع، إنما الأمر عائد إلى النية، ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢] .

٩٤ - باب إكرام الضيف

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ۝٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ۝٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ۝٢٧﴾ [الذاريات:٢٤-٢٧]..

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾ [هود:٧٨] .

الشرح:

وهذا من الأمور والأخلاق العظيمة، التي ينبغي للناس أن يتحلوا بها، وأن يحتسبوا الأجر فيها والمثوبة، ومما يروى عن الدقاق: رزق الضيف على الله والأجر لي، فمن علامة الإيمان إكرام الضيف، والبشاشة في وجهه، والإحسان إليه.

وما زال العرب يتبارون في هذا، حتى قالت خديجة: إنك لتقرئ الضيف، وقيل في شأن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنك لتقرئ الضيف، فكانوا يتباهون بإقراء الضيف، إما بعضهم يفعله من أجل أن يُذكر ويشكر، كما هو حال حاتم الطائي ومن إليه، وإما أن بعضهم يفعله رجاء المثوبة والأجر.

ويقولون: أول من ضاف إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، والله أعلم.

(﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ ...) الشاهد: أنه ذبح لهم عجلا وكانوا مجموعة يسيرة، ربما ثلاثة أو أكثر قليلا، وجاء بعجل سمين، وحنيذ، حنذه لهم حنيذا.

(﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ﴾) يعني ما أقامهم إليه، وإنما قربه إليهم، ودفعه إليهم، صار يعالج خدمتهم، مع أنه رسول الله.

(﴿قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾) مرغبا لهم في ذلك.

(﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾) يتألم لوط عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لما رأى أنهم يريدون أذية أضيافه، فعلى الإنسان أن يكون مكرما لضيفه، محسنا إليه، وكذلك مبادرا إلى الإحسان إليه، ويحتسب الأجر من الله، النبي ﷺ سيأتيك «**من يضيف ضيف رسول الله ﷺ؟**» وقال: «**لقد ضحك الله من صنيعكما بضيفكما البارحة**».

٧٠٥ - وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

انظر (**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**)، ويحسن إليه، ويوسع له، ولا بأس من شيء من التكلف، على قدر الحالة، إن استطاع أن يأتيه بلحم غنم أو بغير ذلك أتاه، فإن عجز فبلحم دجاج، فإن عجز فسمك، أو نحو ذلك، وهكذا يقرب له ما يستطيع، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البقرة:٢٨٦] ، النبي ﷺ دخل معه جابر إلى بيته فوجد قرصا قسمه بينه وبينه نصفين، وقرب له الخل يأتدم به.

(**وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**) تقدم.

(**وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**) فيه معالجة اللسان أن لا يقول إلا الخير.

---

(١) انظر الحديث (٣١٤).

٧٠٦ - وعن أَبي شُرَيْح خُوَيْلِدِ بن عَمرو الخُزَاعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ»، قالوا: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رسول الله؟ قَالَ: «يَوْمُهُ وَلَيْلَتُهُ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

وفي رواية لِمسلمٍ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَ أَخِيهِ حَتَّى يُؤْثِمَهُ» قالوا: يَا رسول الله، وَكَيْفَ يُؤْثِمُهُ؟ قَالَ: «يُقِيمُ عِنْدَهُ وَلَا شَيْءَ لَهُ يُقْرِيهِ بِهِ».

الشرح:

فربما يشعر بالتأثم، ويشعر بالحرج.

وحق الضيف يعتبر دينا، كما قال رسول الله ﷺ: «ليلة الضيف دين»، إذا نزل بمنطقة ولم يضيفوه تعتبر دينا عندهم، فإن استطاع أن يأخذ حقه بيده أخذ، وأما إذا أضافوه وأحسنوا إليه فلا يجوز له أن يأخذ شيئا.

وتختلف الأمور مثلا من المدينة إلى البادية، المدينة قد يذهب إلى المطعم، قد يذهب إلى الدكان ويأخذ حاجته، وقد يجد الفندق ينام فيه، بينما البادية ربما إذا لم يضيفه ما يجد من أين يأكل، ولا من أين يشرب، ولا أين ينام، فلذلك ينبغي الانتباه لمثل هذا الأمر.

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٨).

٩٥ - باب استحباب التبشير والتهنئة بالخير

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٧-١٨].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة:٢١] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات:١٠١] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ [هود:٦٩] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود:٧١] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا﴾ [آل عمران:٣٩] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ﴾ [آل عمران:٤٥] **الآية.**

والآيات في الباب كثيرة معلومة.

الشرح:

ساق المصنف هذا الباب؛ لبيان فضيلة التبشير والتهنئة وقبول ذلك، فإنك إذا بشرت العبد بما له عند الله انشرح صدره، وحسن حاله.

وقد جاء في بعض الأثار: أن المؤمن يبشر ثلاث بشارات:

الأولى: في حياته، في حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله، الرجل يعمل الخير يثنى عليه به، قال: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ**»، أخرجه مسلم[1].

البشارة الثانية: عند موته، حيث يأتي ملك الموت فيبشره بروح وريحان، ورب راض غير غضبان، وهو المشار إليه في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١﴾ [فصلت:٣٠-٣١].

وهكذا يوم القيامة يُبَشرون بما لهم عند الله عَزَّوَجَلَّ من النعيم، وقد قال بعضهم: بأن البشارة لا تكون إلا في المحبوب والمرغوب فيه، مع أن الله عَزَّوَجَلَّ قد قال: ﴿فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧﴾ [لقمان:٧]، فالشاهد أنها قد تطلق على هذا وهذا، إلا أنها في باب الخير أكثر.

ولما جاء وفد بني تميم إلى النبي ﷺ قال: «**اقبلوا البشرى يا بني تميم**»، قالوا: بشرتنا فأعطنا، فغضب النبي ﷺ، وقال: «**اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم**»، فقالوا: قبلنا يا رسول الله، وجئنا لنسألك عن أول هذا الأمر، الحديث.

وكلمة (أبشر) كلمة عربية، وكلمة سلفية، إذا كلمك أحدهم في شأن وفي أمر تقول له: أبشر، يعني: استبشر خيرا، فيدخل البشرى على المسلم، وهي مأخوذة من تغير البشرة، عند أن تقول لفلان: أبشر يستبشر وجهه، وربما ينشرح وجهه، انظر إلى كعب بن مالك: يا كعب بن مالك - يناديه من على رأس الجبل - أبشر بخير يوم مر عليك، فاستبشر، وعلم أن الله قد تاب عليه وعذره.

---

(١) حديث رقم: (٢٦٤٢).

وهكذا إذا انتصرت الجيوش: يا رسول الله أبشر، فالبشارة والتبشير أمر مطلوب، وربما كانوا يجعلون عليها الجعل، إذا بشرك أحدهم بشيء يُعطى جعلا على ذلك من مال، أو متاع، أو نحو ذلك.

وأما الأحاديث فكثيرةٌ جِدًّا وهي مشهورة في الصحيح، مِنْهَا:

٧٠٧ - عن أَبي إبراهيم، ويقال: أَبُو محمد، ويقال: أَبُو معاوية عبد اللهِ بن أَبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنّ رسول الله ﷺ بَشَّرَ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ببَيْتٍ في الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

(القَصَبُ): هُنَا اللُّؤْلُؤُ الْمُجَوَّفُ.

وَ(الصَّخَبُ): الصِّياحُ وَاللَّغَطُ.

وَ(النَّصَبُ): التَّعَبُ.

الشرح:

أي أن الله بشرها: يا محمد أقرئ خديجة السلام وبشرها، وهذا دليل على أن خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من أهل الجنة.

(مِنْ قَصَبٍ): اللؤلؤ المجوف، وقيل: الذهب، وقيل غير ذلك، لكنه الذي يظهر هو هذا، فالشاهد أن الله سلم عليها، وهذا دليل على سلامتها، وعلو منزلتها.

٧٠٨ - وعن أَبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ تَوَضَّأَ في بَيْتِهِ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ: لأَلْزَمَنَّ رسول الله ﷺ وَلأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا، فَجَاءَ الْمَسْجِدَ، فَسَأَلَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ فَقَالُوا: وجَّهَ هاهُنَا، قَالَ: فَخَرَجْتُ عَلَى أَثَرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ، حَتَّى دَخَلَ بِئْرَ أريسٍ، فَجَلَسْتُ عِندَ البَابِ حتَّى قضى رسول الله ﷺ حاجتهُ، وتوضأ، فقمتُ إليهِ، فإذا هو قد جلسَ على بئرِ أريسٍ، وتوَسَّطَ قُفَّهَا، وكشَفَ عنْ ساقيهِ ودلاّهُما في البئرِ،

(١) أخرجه البخاري (٣٨١٩)، ومسلم (٢٤٣٣).

فسلمتُ عَليهِ ثمَّ انصَرَفتُ، فجلستُ عِندَ البابِ، فَقُلْتُ: لأَكُونَنَّ بَوَّابَ رسولِ اللهِ ﷺ الْيَوْمَ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَدَفَعَ الْبَابَ، فقلتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ، فقُلتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ ذَهبْتُ، فقلتُ: يَا رسول الله، هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَستَأْذِنُ، فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لأَبِي بَكْرٍ: ادْخُلْ وَرسول الله ﷺ يُبَشِّرُكَ بِالجَنَّةِ، فَدَخَلَ أَبُو بَكرٍ حَتَّى جَلَسَ عَنْ يَمينِ النَّبيِّ ﷺ مَعَهُ في القُفِّ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ في البِئْرِ كَمَا صَنَعَ رسول الله ﷺ وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ.

ثُمَّ رَجَعْتُ وَجَلَسْتُ، وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي، فقلتُ: إِنْ يُرِدِ الله بِفُلانٍ - يُرِيدُ أَخَاهُ - خَيْرًا يَأتِ بِهِ، فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَاب، فقلتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُمَرُ بن الخَطّابِ، فقلتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رسول الله ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ يَسْتَأْذِنُ؟ فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بالجَنَّةِ»، فَجِئْتُ عُمَرَ، فقلتُ: أَذِنَ وَيُبَشِّرُكَ رسول الله ﷺ بِالجَنَّةِ، فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رسول الله ﷺ في القُفِّ عَنْ يَسَارِهِ وَدَلَّى رِجْلَيْهِ في البِئرِ.

ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، فَقُلتُ: إِنْ يُرِدِ اللهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا - يَعْنِي أَخَاهُ - يَأْتِ بِهِ، فَجَاءَ إِنْسَانٌ فَحَرَّكَ الْبَابَ، فَقُلتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُثْمَانُ بن عَفَّانَ، فقلتُ: عَلَى رِسْلِكَ، وجِئْتُ النَّبيَّ ﷺ فأَخْبَرْتُهُ، فقالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ مَعَ بَلْوَى تُصِيبُهُ»، فَجِئْتُ، فقلتُ: ادْخُلْ وَيُبَشِّرُكَ رسولُ الله ﷺ بِالجَنَّةِ مَعَ بَلْوَى تُصيبُكَ، فَدَخَلَ فَوجَدَ الْقُفَّ قَدْ مُلِئَ، فجلس وِجَاهَهُمْ مِنَ الشِّقِّ الآخرِ.

قَالَ سَعيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: فَأَوَّلْتُهَا قُبُورَهُمْ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وزاد في رواية: وأمرني رسولُ الله ﷺ بحفظِ الباب، وَفيها: أَنَّ عُثْمانَ حِينَ بَشَّرَهُ حَمِدَ اللهَ تَعَالَى، ثُمَّ قَالَ: اللهُ الْمُسْتَعانُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٤)، ومسلم (٢٤٠٣).

وَقَوْلُه: (وَجَّهَ) بفتحِ الواوِ وتشديد الجيمِ، أيْ: تَوَجَّهَ.

وَقَوْلُه: (بِئْرِ أَرِيْسٍ) هُوَ بفتح الهمزة وكسرِ الراءِ وبعدها ياءٌ مثناة من تحت ساكِنة ثُمَّ سِين مهملة، وَهُوَ مصروف، ومنهم من منع صرفه.

وَ(القُفُّ) بضم القاف وتشديد الفاءِ: وَهُوَ المبنيُّ حول البئر.

وَقَوْلُه: (عَلَى رِسْلِك) بكسر الراء عَلَى المشهور، وقيل: بفتحِهَا، أيْ: ارفق.

الشرح:

(عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وهو عبد الله بن قيس.

هذا الحديث دليل على فضيلة هؤلاء الخلفاء الثلاثة الذين ذكروا فيه، ودليل على ما ذكره المصنف له وهو التبشير، إذ أن النبي ﷺ بشرهم تباعا بالجنة، وقد جاء حديث في العشرة المبشرين بالجنة: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**»، كل هؤلاء الذين بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة وذكر أنهم من أهلها، وبُشروا بها.

وفيه جواز المدح للإنسان إذا أُمن عليه الفتنة.

وفيه رد على الرافضة ومن إليهم، النبي ﷺ يثني على هؤلاء النفر، كانوا معه في حياته، وقُبروا معه في بيت عائشة، إلا ما كان من عثمان بن عفان إذ قتله الخوارج ظلما وعدوانا، ولم يستطع الصحابة أن يدفنوه إلا سرا، دفنوه بالليل، وغيبوا مكانه؛ حتى لا يُنْبَش قبره، ظُلم ظلما عظيما، ولذلك قال النبي ﷺ: (**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ مَعَ بَلْوَى تُصِيبُهُ**)، انظر كيف صبر: اللهم صبرا، الله المستعان.

فمثل هذا يوفق، الذي إذا خُوِّف أو بشر يلجأ إلى الله، ويستعين بالله.

وفيه الخروج نزهة، الخروج نزهة ليس بمعيب، لا على الكبير ولا على الصغير، لا على العالم ولا على غير العالم، فإن النفس مثل الراحلة، تصاب بالسآمة إذا شددت عليها، في حفظها، في صلاتها، في عملها، في كثير من شأنها، لكن الإنسان يجعل لنفسه فسحة، بعيدا عن الفتن، ليس بالشرط أن تكون مختلطا بالنساء، أو مختلطا بأماكن الزور.

انظر إلى النبي ﷺ اختار بئر أريس، بئر في وسط حديقة محاط بالجدران والباب، وأصحابه يلحقونه.

فيه: أن الإنسان قد يحتاج إلى من يستأنس به، ويتحدث معه، ويفضفض معه كما يقولون، فإن الإنسان إذا بقي مع همومه ومع أحزانه ومع نفسه ربما يصاب بالماخوليا، وربما يصاب بالحالة النفسية.

الإنسان ما سُمي إنسانا إلا أنه يأنس، فيحتاج إلى زوجة يأنس بها، ويحتاج إلى صاحب يأنس به، وهكذا.

وفيه: خدمة الفاضل، انظر إلى أبي موسى: **(لأَكُونَنَّ بَوَّابَ رسولِ اللهِ ﷺ الْيَوْمَ)**.

وفيه: البحث عن الفاضل، والمحبة لمجالسه، انظر كيف يبحثون عن النبي ﷺ، ويتلمسون رضاه، ويتلمسون القرب منه، يستفيدون من علمه، ويستفيدون من حلمه، ويستفيدون من بشاراته، وكم نقلت لنا من الأحاديث بسبب هذا الأمر! خرج بالليل، وجد عبد الله بن مسعود مشى معه، وجد أبا ذر مشى معه، خرج ليلة هو وأبو بكر وعمر جميعا، خرج بالنهار لحقوه، أين ذهب؟ أين جاء؟ وهكذا يحرصون على ملازمته.

وفيه: السلام، ولو كان في المجلس إن قام ورجع، انظر كل ما ذهب ورجع أتى يسلم على النبي ﷺ، والنبي ﷺ يرد عليه، ما يقول: شغلتنا بالسلام، مثل هذه

الأعمال التي تقرب إلى الله ما هي فعلها بالمحظور، السلام، الصلاة على النبي ﷺ، قول: قال الله عَزَّوَجَلَّ، قَالَ تَعَالَىٰ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مثل هذه الأمور أمور ممدوحة.

وانظروا أيضا إلى فضيلة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هذا الذي يبغضه الروافض دائما في المصاف يكون بعد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في الإنفاق، في الحضور، في كثير من الأشياء، في الخلافة، في الإمامة، في جميع شأنه.

٧٠٩ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رسولِ الله ﷺ وَمَعَنَا أَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في نَفَرٍ، فَقَامَ رسولُ الله ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا، وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا وَفَزِعْنَا فَقُمْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رسولَ الله ﷺ حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا للأنصَارِ لِبَنِي النَّجَارِ، فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابًا، فَلَمْ أَجِدْ، فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ في جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَهُ - وَالرَّبِيعُ: الجَدْوَلُ الصَّغِيرُ[1]- فَاحْتَفَرْتُ، فَدَخَلْتُ عَلَى رسول الله ﷺ فَقَالَ: «أَبُو هُرَيْرَةَ؟»[2] فقلتُ: نَعَمْ، يَا رسول اللهِ، قَالَ: «مَا شأنُكَ؟» قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا، فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا، ففزعنا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَأَتَيْتُ هَذَا الحَائِطَ، فَاحْتَفَرْتُ كَمَا يَحْتَفِرُ الثَّعْلَبُ، وهؤلاء النَّاسُ وَرَائِي. فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيرَةَ» وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ، فَقَالَ: «اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لا إله إِلاَّ الله مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ» وَذَكَرَ الحديثَ بطوله، رواه مسلم[3].

(الرَّبِيعُ): النَّهْرُ الصَّغِيرُ، وَهُوَ الجَدْوَلُ - بفتح الجيمِ - كَمَا فَسَّرَهُ في الحديث.

---

(١) هذا أظنه من تفسير الزهري، مدرج.

(٢) يعني: هذا أبو هريرة؟

(٣) حديث رقم: (٣١).

وَقَوْلُه: (احْتَفَرْتُ) روِي بالراء وبالزاي، ومعناه بالزاي: تَضَامَمْتُ وتَصَاغَرْتُ حَتَّى أَمْكَنَنِي الدُّخُولُ.

الشرح:

نشكو إلى الله الآن كثير من الناس ما يدعك تستطرد له الحديث، يقول لك: ابدأ من الأخير، انظر إلى رسول الله ﷺ يلحقه أبو هريرة: (أَبُو هُرَيْرَةَ؟ فقلتُ: نَعَمْ، يَا رسول اللهِ، قَالَ: «مَا شأْنُكَ؟» قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا، فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا، ففزعنا، فَكُنْتُ أَوّلَ مَنْ فَزِعَ، فَأَتَيْتُ هَذَا الحَائِطَ، فَاحْتَفَرْتُ كَمَا يَحْتَفِرُ الثَّعْلَبُ، وهؤلاء النَّاسُ وَرَائِي) يذكر له القصة كاملة، أما بعضهم يدخل في الموضوع هكذا والله ما تدري حول ما يتكلم، أنت تمشي إلى المكتبة أو تمشي إلى البيت ويلتقيك في الطريق: كذا وكذا وكذا، ما تدري عما يتكلم، هو يخبر؟ هو يشتكي؟ هو يريد إنصافا؟ أو تكون في واد وهو في واد، يرسل لك رسالة: كذا وكذا.

فلا بد أن الانسان يستطرد الحديث، ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال له رجل: كيف كان النبي ﷺ يصلي ركعتي الفجر؟ قال: كان النبي ﷺ يصلي من الليل إحدى عشر ركعة، يوتر منها بركعة، قال: إنما سألتك عن ركعتي الفجر، قال له: دعني أستطرد لك الحديث يا بَطِين، أو نحو هذه الكلمة، يعني: أستطرد لك الحديث.

وفيها فائدة وزيادة علم، فإن جاء رد له الحديث: النبي ﷺ كان يصلي من الليل إحدى عشر ركعة، يوتر منها بركعة، فإذا أذن المؤذن للفجر قام وصلى ركعتين خفيفتين، ثم خرج لصلاة الفجر.

يأتيك بالحديث أجمع، لكن أصبح عند الناس عجلة حتى فيما بينهم، والله المستعان.

(وَذَكَرَ الحديثَ بطوله) الحديث: أنه خرج فوجد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: مَا هَاتَانِ النَّعْلَانِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ فَقُلْتُ: هَاتَانِ نَعْلَا رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعَثَنِي بِهِمَا، مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَخَرَرْتُ لِاسْتِي، فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً، وَرَكِبَنِي عُمَرُ، فَإِذَا هُوَ عَلَى أَثَرِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟**» قُلْتُ: لَقِيتُ عُمَرَ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثْتَنِي بِهِ[1]، فَضَرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ضَرْبَةً خَرَرْتُ لِاسْتِي، قَالَ: ارْجِعْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عُمَرُ، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ، مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا، فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَخَلِّهِمْ**».

الشاهد من هذا الحديث: البشارة **(فَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ)**، وقال النبي ﷺ في آخره: «**لا تبشرهم فيتكلوا**»، البشارة مطلوبة، حتى معاذ بن جبل حدث عند موته؛ تأثما من كتم العلم، فالشاهد من هذا الحديث البشارة.

وقلنا لكم: سبب محبة الاستطراد في الحديث؛ حتى الإنسان يعرف، يخبره مثلا لما يقول: **(يا رسول الله، كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا، فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا، ففزعنا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ)** هذه الأمور تجعل النبي ﷺ يتبين محبة أصحابه له، وحرص أصحابه عليه، وشدة رغبتهم في مجالسته، والأنس به، ويدخل عليه السرور، إدخال السرور على النبي ﷺ من الأمور المتعينة، وهكذا إدخال السرور على الآباء والأمهات، وعلى الأبناء والزوجات، وعلى الأصحاب، وعلى الجميع.

---

(١) نفس الاستطراد.

ويقال في هذا الحديث أيضا ما قيل في الحديث السابق: انظر إلى النبي ﷺ ربما أحيانا يخرج ويتركهم؛ لأن الإنسان يحتاج إلى أن يختلي بنفسه، أحيانا يريد أن يفر بنفسه، في البيت مثلا عنده قضايا، بين طلابه عنده قضايا، بين أصحابه عنده قضايا، فربما يحتاج إلى أن يكون في مكان خال، فيوفق لذكر الله، أو يتواصل مع من يريد، أو يرتاح ويستجم، إلى غير ذلك.

٧١٠ - وعن ابن شِمَاسَة قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بنَ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ، فَبَكَى طَوِيلًا، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رسولُ الله ﷺ بكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رسولُ الله ﷺ بِكَذَا؟ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول اللهِ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثٍ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدُّ بُغضًا لرسولِ الله ﷺ مِنِّي، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمكنتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُه، فَلَوْ مُتُّ عَلَى تلكَ الحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

فَلَمَّا جَعَلَ اللهُ الإِسلامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النبيَّ ﷺ فقُلْتُ: ابسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْك، فَبَسَطَ يَمِينَهُ فَقَبَضْتُ يَدِي، فَقَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟» قلتُ: أردتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: «تَشْتَرِط مَاذا؟» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: «أَمَا عَلِمْتَ أن الإسلامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَأن الهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبلَهَا وَأَنَّ الحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟».

وَمَا كَانَ أحدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ وَلَا أَجَلَّ فِي عَيني مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أن أملأ عَيني مِنْهُ؛ إجلالًا لَهُ، ولو سئلت أن أصفه مَا أطقت؛ لأني لَمْ أكن أملأ عيني مِنْهُ، ولو مُتُّ عَلَى تِلْكَ الحالِ لَرجَوْتُ أن أكُونَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ.

ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا؟ فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تَصحَبَنِّي نَائِحَةٌ وَلَا نَارٌ، فَإِذا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرابَ شَنًّا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا؛ حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَا أُرَاجِعُ بِهِ رسُلَ رَبِّي. رواه مسلم[1].

قَوْله: (شُنُّوا) رُوِي بالشّين المعجمة والمهملةِ، أيْ: صُبُّوه قَليلًا قَليلًا، والله سبحانه أعلم.

الشرح:

(ابن شماسة) هو عبد الرحمن المهري.

شنوا وسنوا، المعجمة: شنوا، والمهملة سُنوا.

وهذا حديث عظيم، بابه في باب البشارة كما وضعه المصنف، وبابه خوف الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا يدل على عظيم إيمانهم، وبابه التحلل قبل الموت، فإن الإنسان عند الموت يرى كل ما كان يعمل من الأعمال، فيرهب لذلك، ربما يذكر أنه سرق يوما، أو زنا يوما إن كان ممن ألم بهذا، أو ظلم، أو اغتاب، أو نمَّ، أو عنده أموال وديون، أو كان ممن فعل أشياء كثيرة.

فيخشى أن يلقى الله بها؛ لأنه يعلم - لا سيما الذي يؤمن بالبعث والنشور - أن مفارقة الروح الجسد بعدها النقلة إلى القبر، وما فيه من النعيم أو العذاب.

وفيه تبشير الميت، وهذا هو الأصل، «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله**»، وليس معنى ذلك أن الصحابة لم يقبلوا بشرى النبي ﷺ، ولكن لشدة خوفهم ورهبتهم وخشيتهم ربما يقع منهم مثل هذا، يعني لم يركنوا على أعمالهم، حتى عمر لما لحقه الوفاة جعل يمرغ وجهه ويقول: ليتني ألقاه كفافا، لا لي ولا علي.

---

(١) حديث رقم: (١٢١).

وفي هذا الحديث رد على الرافضة الذين يكفرون عمرو بن العاص، ويحكمون عليه بالنار، حتى من يسمونه بمجد الدين المؤيدي في كتابه (لوامع الأنوار) يحكم على عمرو بن العاص بالنار، ويحكم على معاوية بالنار، وهكذا يذكر أبا موسى وغيره بالكذب، وربما طعن في عبد الله بن عمرو بن العاص من وجه خفي: على أنه لازم أباه، وطعن في عبد الله بن عمر على أنه لم يجهر بالحق.

المهم لا تركن على زيدي في محبة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، نسأل الله السلامة والعافية، هذا يعتبر عند الزيود الكرسي، كرسي المذهب، ويعتبر من المعتدلة، وانظر ماذا يصنع وماذا يقول.

(فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ الله) فيه فضيلة التوحيد، وهي الحسنة التي لا تحبطها إلا سيئة الشرك، حتى ولو كنت ظالما، ولو كنت قاتلا، ولو كنت سارقا، ما دمت موحدا هذه الحسنة ستُحفظ، وربما تعاقب على ذنوبك وجرائرك.

وفيه فضيلة شهادة أن محمد رسول الله ﷺ، فهي مقرونة بشهادة أن لا إله إلا الله، ولهذا يقول العلماء في قوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح:٤] : أنه إقران الشهادة بشهادة أن لا إله إلا الله.

وفيه ذكر الأحوال التي كان عليها الإنسان، كان على الكفر، وكان مبغضا لرسول الله ﷺ، ولشدة بغضه يحب أن يقتله، سلمه الله وهداه واجتباه، لكن انظر ما يقول: **(فَلَوْ مُتُّ عَلَى تلكَ الحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ)**، هذه فيها مسألة عقدية: أن الإنسان إذا مات على الكفر يقينا يجزم له بالنار، عمرو بن العاص يقول: لو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار، ما قال: لخشيت، لكنت.

فمن مات على الكفر لماذا تتردد فيه؟ إنما المسألة تعود في مسلم يموت، أو في إنسان ما تدري ما ختم له، عند ذلك لا تحكم عليه، أما إنسان مات على اليهودية، مات على النصرانية، مات على الشرك.

(ابسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْك، فَبَسَطَ يَمِينَهُ فَقَبَضْتُ يَدِي) للاشتراط، كانوا يبايعونه بالمصافحة.

(أَمَا عَلِمْتَ أن الإسلامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟) فيه فضل الإسلام، ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال:٣٨] .

(وَأن الهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبلَهَا) فيه فضل الهجرة، تهدم ما كان قبلها من الذنوب.

(وَأَنَّ الحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟) جاء عند أحمد: **«وأن التوبة تهدم ما كان قبلها وتجب ما كان قبلها»**، وهذا صحيح.

(وَمَا كَانَ أحدٌ أحَبَّ إليَّ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ) انقلب بغضه حبا، وانقلب شدته لقتل الرسول ﷺ إجلالا.

(ولو سئلت أن أصفه مَا أطقت، لأني لَمْ أكن أملأ عيني مِنْهُ) وكان النبي ﷺ يبتسم له كثيرا، ويكرمه كثيرا، حتى ظن أنه أحب أصحابه إليه، فجاء وقال: يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال: **«عائشة»**، قال: من الرجال؟ قال: **«أبوها»**، قال: ثم من؟ قال: **«عمر»**، ووجد أن النبي ﷺ كان يكرمه إكراما عظيما مع أنه يقدم هؤلاء عليه في الحب.

فالإنسان عليه أن يكون بشوشا لإخوانه، لأبنائه، لطلابه، إن استطعت أن لا تُشعر أحدا أنك تقدم عليه غيره فافعل، وكلهم يحتاجون إلى التلطف وإلى الإحسان؛ فإن ذلك مما يُحافظ به على قلوبهم، القلوب ضعيفة.

كنت مرة من المرات وعادتي في دماج كنت ما أرفع رأسي، أمشي مطأطئ إلى الأرض، وإذا بعضهم يقول: يا أخي أنت أيش متكبر أو أيش عندك؟ قلت: مالك؟ قال: يا أخي أمر عليك سلمت عليك ما ردت علي، قلت: والله ما رأيتك، وفعلا ما رأيته، وما أدري متى سلم علي، وأحيانا بعضهم ربما يسلم بصوت خافت، فأرد عليه بصوت خافت.

الشاهد أن القلوب ضعيفة، تحتاج من الإنسان إلى أن يجامل ويداري، لا يداهن، لكن لا بأس بالمداراة، والابتسامة، ومراعاة المشاعر.

أخونا الشيخ فيصل الحاشدي له كتاب في مراعاة المشاعر، ذكر فيه أحاديث وآيات تدل على فضيلة هذا الأمر، ما تأتي تقول لي: أنا أعطيها لك على بلاطة، هذا ما هو صحيح، بعضهم يقول: أنا أعطيها لك على بلاطة، هذه البلاطة تمشي فوقها الله يهديك، وأسوأ من ذلك يقول: حتى والدي أعطيها له على بلاطة، والله ما هو صحيح، هذا عقوق إن كان تعطيها لأبيك على بلاطة.

فلابد أن الإنسان يداري، يبتسم، يحسن، حتى وإن كان يريد يعاتب من بعيد، بدون أن يظهر العتب شديد.

(ولو مُتُّ عَلَى تِلْكَ الحالِ لَرجَوْتُ أن أكُونَ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ) هذه مسألة عقدية، احفظ هذا اللفظ؛ تحتاجه كثيرا، (لَرجَوْتُ أن أكُونَ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ)، رجل مبشر بالخير، لماذا لم يقل: لكنت من أهل الجنة؟ لأن الإنسان لا يجزم بالجنة، دخل رجل على عبد الله بن مسعود قال له: أنا مؤمن، قال له: قل: أرجو، قال: مؤمن، قال: هل أنت من أهل الجنة؟ قال: أرجو، قال: كما استثنيت في الثانية استثن في الأولى.

فمذهب أهل السنة الاستثناء في الإيمان، فهنا يقول عمرو بن العاص في شأن النار: (لَوْ مُتُّ عَلَى تلكَ الحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ)، (ولو مُتُّ عَلَى تِلْكَ الحالِ لَرجَوْتُ أن أكُونَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ).

ثم قال: (فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تَصحَبَنِّي نَائِحَةٌ وَلَا نَارٌ)؛ لأن المشي بالنار مع الميت والنوح من المحدثات.

أما قوله: (فَإِذا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَليَّ التُّرابَ شَنًّا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا؛ حَتَّى أَسْتَأنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَا أُرَاجِعُ بِهِ رسُلَ رَبّي) هذا اجتهاد منه لا يوافق عليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه؛ لأن النبي ﷺ لم يأمر بذلك، إنما قال: «استغفروا لأخيكم، وسلوا له التثبيت؛ فإنه الآن يُسأل».

إن استطاع أحد أن يحفظ هذا الحديث ويعمل به خطبة ومحاضرة، وواحد يحفظ الحديث الأول ويعمل به خطبة ومحاضرة، ثلاثة أحاديث كل حديث يصلح أن يكون خطبة ومحاضرة؛ لأن كلام النبي ﷺ مبارك، والأحاديث مباركة أيضا، ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام:٩٢]: القرآن، والنبي ﷺ يقول: «أوتيت القرآن ومثله معه».

الليلة قرأنا قليلا، لكن إن شاء الله فيها خير، تارة نشد عليكم وتارة نخفف، بعض الأخوة يقول: يا شيخ درس العصر تطول فيه، أنا أطول في درس العصر ليلة الخميس وليلة الجمعة وليلة السبت، أما بقية هذه الليالي ربع ساعة إلى إذا زدنا عشرين دقيقة لا أكثر، أما هذه الليالي نحاول نمشي في الكتب التي ندرسها؛ لأن الكتاب إذا طال يصاب الإنسان فيه بالملال.

انظروا كيف التفاعل مع كتاب الكبائر؛ لأننا نمشي فيه، بينما الكتب الأخرى التي ربما نبطئ فيها ما تجد تفاعلا من الطالب، حتى ما تجد تفاعلا من المتابع في القنوات وفي الواتسابات وفي غير ذلك، الإنسان يصاب بالملال.

الدروس الطويلة تسبب مللا، إلا أننا مثل صحيح البخاري ومثل صحيح مسلم ما نجد هذا الملل لماذا؟ لأننا ننتقل أصلا من كتاب إلى كتاب، فالكتاب في صحيح البخاري كأنه كتاب مستقل، وهكذا الكتاب في صحيح مسلم كأنه كتاب مستقل.

والحمد لله بفضل الله ما انتهينا من كتاب إلا وشرعنا في كتاب، فنأخذ في باب العبادات، ونأخذ في باب المعاملات، ونأخذ في باب القصص والأخبار، المهم كله علم وكله خير.

٩٦ - باب وداع الصاحب ووصيته عند فراقه للسفر وغيره والدعاء لَهُ وطلب الدعاء مِنْهُ

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣﴾ [البقرة:١٣٢-١٣٣].

الشرح:

(﴿وَيَعۡقُوبُ﴾) أي: وصى بنيه.

(﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾): مستسلمون منقادون ظاهرا وباطنا لربكم.

(﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾): مستسلمون منقادون.

وأما الأحاديث فمنها:

٧١١ - حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي سبق في بَابِ إكرام أَهْلِ بَيْتِ رسول الله ﷺ قَالَ: قَامَ رسول الله ﷺ فِينَا خَطِيبًا، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ: أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللهِ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ»، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ، وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي». رواه مسلم، وَقَدْ سَبَقَ بِطُولِهِ[1].

الشرح:

الشاهد منه: الوصية بالتزام الكتاب والسنة، وبالإحسان إلى آل البيت الصالحين.

---

(١) انظر الحديث (٣٤٦).

(وهذه الفضيلة ليست لجميع آل البيت، إنما من كان من الصالحين، وإلا فإن آل محمد ﷺ جميع أتباعه، كما هو قول سفيان، وقول عبد الرزاق، وقول غير واحد من أهل العلم، من المتقدمين والمتأخرين). اهـ من "شرحي على صحيح مسلم".

٧١٢ - وعن أَبي سليمان مالِك بن الحُوَيْرِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْنَا رسولَ الله ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رسولُ الله ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَظَنَّ أَنَّا قد اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، فَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا مِنْ أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، فَقَالَ: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُم وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِيْنِ كَذَا، وَصَلُّوا كَذَا فِي حِيْنِ كَذَا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

زاد البخاري في رواية لَهُ: «وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي».

وَقَوْلُه: (رحِيمًا رَفِيقًا) رُوِيَ بِفاءٍ وقافٍ، وَرُوِيَ بقافينِ.

الشرح:

(وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ) أي في السن.

انظر إلى هذه الوصايا التي أوصاهم بها وكررها:

(ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ) الأمر هنا للإباحة.

(فَأَقِيمُوا فِيهِمْ) على ذلك أيضا، وإن ذهبوا للجهاد أو لطلب العلم فلا حرج.

(وَعَلِّمُوهُم) وهنا الأمر للندب، وقد يجب إذا تعين تعليمهم الواجبات المتحتمات.

(وَمُرُوهُمْ) أي: بأمر الله عَزَّوَجَلَّ لكم.

(وَصَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِيْنِ كَذَا) أي كل صلاة في وقتها.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٨) و(٦٣١)، ومسلم (٦٧٤).

(فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ) المكتوبة.

(فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ)؛ لأن الأذان لا يشترط فيه ما يشترط في الإمامة.

(وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ) لعلهم كانوا متقاربين في القراءة، وإلا فقد قال النبي ﷺ: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله».

(وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي) ونحن نصلي كما نُقل لنا عن رسولنا ﷺ.

٧١٣ - وعن عمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اسْتأذَنْتُ النَّبيَّ ﷺ في العُمْرَةِ، فَأذِنَ، وقال: «لَا تَنْسَانَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ» فقالَ كَلِمَةً ما يَسُرُّنِي أنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا.

وفي رواية قَالَ: «أَشْرِكْنَا يَا أُخَيَّ في دُعَائِكَ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[1].

الشرح:

ويغني عنه: حديث أبي الدرداء في مسلم: أن أم الدرداء قالت لزوج ابنتها: لا تنسنا من دعائك، وقد قال النبي ﷺ: «دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة».

٧١٤ - وعن سالم بنِ عبدِ الله بنِ عمر: أنَّ عبدَ اللهِ بن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كَانَ يَقُولُ للرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا: ادْنُ مِنِّي حَتَّى أُوَدِّعَكَ كَمَا كَانَ رسولُ الله ﷺ يُوَدِّعُنَا، فَيَقُولُ: «أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[2].

الشرح:

سالم بن عبد الله بن عمر هو أحد الفقهاء العشرة، وقيل: السبعة.

---

(١) انظر الحديث (٣٧٣)، وفي سنده عاصم بن عبيد الله، ضعيف جدًّا، وقد ضعفه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) حديث رقم: (٣٤٤٣).

ما شاء الله، (أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ) يعني: يحفظك الله من الانحراف، من الابتداع، من الكفر، من المعاصي والسيئات، وإذا استودع اللهَ العبدُ شيئا حفظه الله.

(وَأَمَانَتَكَ) تطلق على الدين، وتطلق على غير ذلك.

(وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ) أي تبقى ثابتا حتى تلقى الله بخير العمل.

٧١٥ - وعن عبدِ الله بن يزيدَ الخطْمِيِّ الصحابيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوَدِّعَ الجَيشَ، قَالَ: «أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكُمْ، وَأَمَانَتَكُمْ، وَخَوَاتِيمَ أَعْمَالِكُمْ» حديث صحيح، رواه أَبُو داود وغيره بإسناد صحيح[1].

٧١٦ - وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبي ﷺ فَقَالَ: يَا رسولَ الله، إِنِّي أُرِيدُ سَفَرًا، فَزَوِّدْنِي، فَقَالَ: «زَوَّدَكَ الله التَّقْوَى» قَالَ: زِدْنِي قَالَ: «وَغَفَرَ ذَنْبَكَ» قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: «وَيَسَّرَ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[2].

الشرح:

الوصية للمسافر، والوصية من الأب لأبنائه، ومن الأخ لإخوانه، ومن الصاحب لأصحابه، ومن الأم لابنتها، ومن الجار لجاره، والجار لجارتها، من الأمور المتعينة، لا يستقيم الشأن إلا بالوصية، ولا يستقيم الشأن إلا بالنصيحة، هذا الذي يصلح به الأمر.

وكم من نصائح استقبلناها من آبائنا ووجدنا أثرها، ومن أمهاتنا ووجدنا أثرها، وممن هو أكبر منا ووجدنا أثرها، ومن مشايخنا وعلمائنا ووجدنا أثرها.

---

(١) أخرجه: أبو داود (٢٦٠١)، والنسائي في (الكبرى) (١٠٣٤١)، وهو في صحيح شيخنا.

(٢) حديث رقم: (٣٤٤٤).

فالإنسان لا بد أن يكون قابلا للنصيحة، ما أحد يستقيم لنفسه، ربما يحتاج إلى توجيه، بعض الأمور يظنها على السهالة، فيحتاج فيها إلى توجيه، إلى تقويم، إلى تعديل، ربما تحتاج إلى توجيه في ضحكتك، في بكائك، في بيعك، في شرائك، في مدخلك، في مخرجك، كثير من الأشياء تحتاج إلى توجيه.

وفي هذا الزمن تجد الأبناء عندهم أنفة من توجيه آبائهم ومن توجيه أمهاتهم، بسبب الشارع الذي يعيش فيه، والبيئة التي تحيط به: على أنه لا بد أن يكون ويكون، لا، إن لم تأخذ بتجارب المتقدمين سيمضي عمرك على التجربة.

كان أبي الله يرحمه دائما يكرر لي يقول لي: يا ابني ابدأ من حيث انتهى الآخرون، لا تبدأ من حيث بدؤوا؛ سيمضي عمرك وما زلت متأخرًا، بمعنى كلامه.

وهذا صحيح، الذي ما يبدأ من حيث انتهى المتأخرون سيبدأ يتعلم من الصفر، فأنت استفد من تجارب من سبقك، في جميع الأبواب، علميًا وعمليًا.

٩٧ - باب الاستِخارة والمشاورة

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩] .

وقال الله تَعَالَى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٣٨] ، **أيْ: يَتَشَاوَرُونَ بَيْنَهُمْ فِيهِ.**

الشرح:

وهذا من الباب الذي تكلمنا عليه، شاور في كثير من الشأن، حتى في مؤلف، تريد تؤلف مؤلفا شاور، قد تسهل عليك الطريقة، بتوجيه، بتسديد، بإحالة، بإفادة، وهكذا أردت الزواج شاور، وقع بينك وبين أهلك شيء شاور.

لكن شاور العقلاء، ما هو الذي يقول لك: زُرَّها، لا بد أن تذبح القطة وتكون رجلا، بعضهم الله يهديه دائما كلامه: لا بد أن تفعل، لا بد أن تفعل، والنساء إن لم تكن كذا تكن كذا، أول ما يتزوج يريد جارية، ما يتعامل معها معاملة الأزواج، تعامل مع جارية، الجارية التي ربما تُضرب وترجم خارج الغرفة، هذا من الذي يظلم، أما العدل والمستقيم يرحم، «من لا يرحم لا يُرحم»، لكن لا بد هكذا، إذا أردت أن تشاور شاور.

بعضهم أدنى خلاف بينه وبين زوجته ذهب يشاور واحدا على طريقته: يا أخي النساء غيرها كثير، يعني: طالق، ويرجع بعد ذلك يبحث من هنا ومن هنا، يزهد فيه الناس، والله المستعان.

أنا ما أقصد بكلامي شخصا، أقصد بكلامي عام، ما نخرج من الدرس وواحد قد قلبه سينفجر، يظن أن هذا الكلام كله فوق رأسه، الكلام هو في قلبي من قبل، إنما حاء له ما يدفه، صحيح والله.

مرة من المرات كنت أخرج من البيت وأهلي بحاجة إلي، إلى آخر الليل، أوصل أدق في الباب، إن لم تفتح أغضب، وفي ليلة من الليالي الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ اختفى لي

بجانب الباب، أول ما دققت في الباب يناولني في ظهري بالعصا، لكن جاءت في محلها، خلاص أخذت بها، قال: كيف تذهب تبدأ تسمر مع أصحابك وتفعل وتروح وتجي لما آخر الليل المرأة راقدة وتروح تزعجها؟ خلاص بعد ذلك إن أردت أن أبقى في بيتي بقيت فيه إلى الصباح، وإن كنت مشغولا وذهبت ذهبت إلى الصباح.

لا بد أن الإنسان يأخذ بنصح غيره، وتوجيه غيره من أصحاب الخبرة، والذي ما يأخذها حالية باردة في قول العوام هو سيأخذها حامضة، ما أدري بعضكم يفهم هذه الأمثال، المهم الذي ما يأخذ النصيحة حالية باردة - يعني كاللقمة الحلوة الباردة- سيأخذها حامضة، تدخل تعمل له حموضة في المعدة، يريد يتقيأ حتى يخرج ما في بطنه.

فخدوا النصائح والتوجيهات بارك الله فيكم، النبي ﷺ غضب وخرج وقال: «**أولئكم ليسوا بخياركم**»، في المسجد.

النبي ﷺ وصى بالنساء في خطبة عرفة، كم هي المسائل التي يحتاجها المسلمون؟ وأدخل الوصية بالنساء في خطبة عرفة، بل في بعض الروايات أنه عند موته وهو يقول: «**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم**»، عند موته، فلا بد أن نتأمل هذه الوصايا.

النبي ﷺ جاءه رجل وقال: يا رسول الله، لي امرأة بذيئة اللسان، قال: «**فارقها**»، قال: يا رسول الله لي منها ابنتان، قال: «**اصبر عليها**»، انظر إلى تغير النصيحة، لا بد أن الإنسان ينظر إلى المصالح والمفاسد، بذاءة لسانها آذته، لكن لو فارقها ومعه منها أبناء أين سيذهب الأبناء؟ إما أن يذهبوا معها، وكانوا على طريقتها، وإما أن تتزوج وأبوهم يتزوج، ويكونون مع ضرة، وربما تضربهم وتهينهم، ويجدون من الفقد ما الله به عليم، وربما يبقى عمره معقدا بسبب هذا التصرف.

الشاهد: أن الأمور تختلف في النصيحة أيضا بالنظر إلى الحال والمآل.

٧١٧ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ في الأُمُورِ كُلِّهَا كَالسُّورَةِ مِنَ القُرْآنِ، يَقُولُ: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ ليقل: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي في دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي» أَوْ قَالَ: «عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فاقْدُرْهُ لي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي في دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي» أَوْ قَالَ: «عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِيَ الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ» قَالَ: «وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ». رواه البخاري[1].

الشرح:

هذا حديث عظيم، ينبغي للمسلمين أن يحرصوا على حفظه، حديث واحد من أسطر معدودة، ويحتاجه الإنسان في الاستخارة في زواجه، في بيعه، في شرائه، في سفره، في كثير من شأنه، فمعيب في حق المسلم أن يترك حفظ مثل هذا الحديث، ومعيب معيب معيب في حق طالب العلم أن يكون غير حافظ لهذا الحديث، وغير حافظ لأحاديث أذكار الصباح، وأذكار المساء، وأذكار النوم، وأذكار الصلاة، معيب في حق طالب العلم.

ليس المقصد فقط أن نحفظ ما نقوم به أمام الناس، لا بد أن نحفظ ما نتعبد به لله عَزَّوَجَلَّ، طالب علم لأكثر من سنة ربما وتجد في يده كتيب في الأذكار يحتاج إلى أن يقرأ أذكار الصباح وأذكار المساء من الكتاب، ماذا تقول لهذا؟ يا أخي فرغ نفسك

(١) حديث رقم: (١١٦٢).

يوما واحفظ أذكار الصباح والمساء، ثم بحمد الله مع تكرارك الكثير لها ما تنتسي؛ لأنك ستأتي بها في الصباح، وتأتي بها في المساء، وفرغ لك يوما احفظ أذكار النوم، وعود نفسك المجيء بها كل يوم، وهكذا فرغ نفسك واحفظ أذكار الصلاة، معدودة محصورة، ولازمها، ما تحتاج إلى مراجعة ولا إلى شيء.

وهكذا لا بد أن نتعبد لله عَزَّوَجَلَّ بالحفظ والعمل، انظر النبي ﷺ كان يعلمهم هذا الحديث كالسورة من القرآن، يعني يكرر لهم حتى يقع حفظ الحديث بنصه وفَصِّه كما يقال.

قوله: (إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ) الأمر المباح، أو الأمر المتعارض مع غيره، وكلاهما لا بأس به، إما سنة أو مباح.

أما الأمر الواجب ما يحتاج إلى استخارة، كيف تستخير أنك تصلي الظهر أو لا تصلي؟ تستخير الله تحج حج الواجب أو لا تستخير؟ تستخير صيام رمضان؟ هذه ما يجوز فيه الاستخارة أصلا، ما معك إلا شيء واحد: أن تصوم وتحج وتصلي.

(فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ) حتى ولو كانت من النوافل، لكن الأفضل أن تكون صلاة خاصة بالاستخارة، فإذا سلمت من صلاتك وقال بعضهم: قبل السلام، لكن قوله: (فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ) الأظهر أنه بعد أن ينتهي منهما تماما، ولا يحتاج إلى رفع يدين، لم يثبت.

(ثُمَّ لِيقل: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ)؛ لأن الله بكل شيء عليم.

(وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ) الذي لا يعجزه شيء.

(وأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ) الواسع.

(فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ) وقدرة العبد متعلقة بإقدار الله له.

(وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ) المصالح والمفاسد، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة:٢١٦].

(وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) انظر إلى الاستخارة التوسل فيها على أمرين: القدرة والعلم، التوسل فيها الى الله عَزَّوَجَلَّ عائد إلى أمرين: القدرة والعلم؛ لأن الله بكل شيء عليم، وبكل شيء محيط، ولا يعجزه شيء.

وهنا مسألة كثير من الناس عنده الاستخارة: أن يطمئن قلبك للعمل الذي تقدم عليه، الصحيح ليس هكذا، لماذا؟ لأن الإنسان أصلا ينشرح صدره لما هو فيه، فقد تكون مريدا لامرأة فتستخير الله فيها وأنت القلب فيها، والذهن فيها، والحال فيها، ماذا سيقول لك قلبك؟ رح هناك.

فيظن الظان أن الاستخارة متعلقة بانشراح الصدر، وليس كذلك، إنما استخر ربك وامض في شأنك، فإذا علم الله أن هذا الأمر لا يصلح لك صرفك عنه، ربما تصرف عنك امرأة وقد مُلِّكتها، وربما تُصرف عنك بيعة وقد اشتريتها، فالله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يختار للعبد الخير إذا استخاره ولجأ إليه.

وهل يجوز أن يدعو بهذا الدعاء في غير هذا الموطن؟ لا حرج، لكن صلاة الاستخارة لا بد أن تكون على هذه الهيئة، أما أن يدعو به دعاء مجردا: اللهم خر الخير حيث كان، اللهم يسر لي الخير حيث كان، اللهم خر لي ما تعلم فيه خيرا لي، فلا حرج.

وانظر إلى شأن الاستخارة: (فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي) هذا هو الأصل:

الأول: الدين، إذا صلح صلح كل شيء.

والثاني: المعاش، بحيث لا يؤدي لك إلى مشاكل، وإلى أمور قد تعجز عنها.

(وَعَاقِبَةِ أَمْرِي) يعني: آخر الشأن.

وقد يستخير الإنسان ربه ثم يكون حال المسْتَخَار فيه على غير ما يريد، مثلا: استخار الله في امرأة فكانت متعبة، أو بذيئة، أو كذا أو كذا، يقول: والله أني استخرت الله وكذا، قد يكون الله عَزَّوَجَلَّ علم لك فيها الخير، إما من حيث الولد، إما من حيث أنها تصبر عليك أكثر من غيرها، أو تشفق عليك أكثر من غيرها، أو أمور الله أعلم بها، المهم أن الله عَزَّوَجَلَّ إذا خار لك الخير فالحمد لله.

ويجوز أن يجمع في الاستخارة أمران وأكثر، تقول: أستخيرك في كذا وكذا وكذا، تسمي أمرك.

وفيه أن الله عَزَّوَجَلَّ إذا أرضى الإنسان هذا هو غاية الرضا، (ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ)، والعامة تقول: كل خِيرَة وفيها خير، ولذلك تجد كثيرا من الناس هادئ البال منشرح الصدر بمثل هذا، يقول: اختار الله هذا عسى فيه خير.

٩٨ - باب استحباب الذهاب إِلَى العيد وعيادة المريض والحج والغزو والجنازة ونحوها من طريق، والرجوع من طريق آخر لتكثير مواضع العبادة

العيد جاء به الدليل، وأما غير العيد فلم يأت به الدليل، وكذلك دخول مكة والخروج منها جاء الدليل، لكن لا يلزم الخروج من تلك المواطن والدخول منها، إلا لمن أتى عليها، هناك أناس يشقون على أنفسهم، يأتي من جهات ما يسمى جرول الآن، أو يأتي ما يسمى جبل عمر، أو حتى من شارع إبراهيم الخليل، أو حتى من شارع أجياد، ولكن يريد ما يدخل إلا من باب السلام، أحيانا قد يصل والعساكر قد عملوا تلك الحواجز، فربما يمشي ساعة أو ساعة إلا ربع أو نصف ساعة من أجل أن يصل إلى هذا الباب.

يا أخي إنما دخل النبي ﷺ من هذا المكان؛ لأنه أتى من الثنية العليا، كان دخوله إلى مكة من جهة العُتَيْبية، ومن جهة كبري السالمية الآن، ومن جهة الغزة، فلما كان دخوله من تلك المنطقة دخل.

وهكذا بعضهم يصل ربما بالليل ويقول: أنا سأبقى إلى الصباح؛ لأن النبي ﷺ دخل بالصباح، انظر إلى الأيسر، لا سيما هذه الأيام ربما دخول الليل أسمح وأيسر، الأرض مزفلتة ومبلطة، والكهرباء متوفر، والجو لطيف، والزحام أخف، فالإنسان ينظر إلى الأيسر والأسمح؛ لأن هذه المسائل بعضهم يرى التأسي فيها، وبعضهم يرى أن الشأن يعود إلى الأسهل والأسمح.

٧١٨ - عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النبي ﷺ إِذَا كَانَ يومُ عيدٍ خَالَفَ الطَّرِيقَ. رواه البخاري[١].

قَوْله: (خَالَفَ الطَّرِيقَ) يعني: ذَهَبَ في طريقٍ، وَرَجَعَ في طريقٍ آخَرَ.

الشرح:

وهذه المسألة تكلم عنها الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ بتوسع في سبب ذلك، قيل: يُكَثِّر السواد، قيل: يسلم على الملائكة، قيل: من أجل أن يمروا على الفقراء، قيل: من أجل أن يظهر قوة الإسلام، ويخوف العدو، إلى غير ذلك.

٧١٩ - وعن ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يَخْرُجُ مِنْ طَرِيق الشَّجَرَةِ، وَيَدْخُلُ مِنْ طَرِيقِ الْمُعَرَّسِ، وَإِذَا دَخَلَ مَكَّةَ، دَخَلَ مِن الثَّنِيَّةِ الْعُلْيَا، وَيَخْرُجُ مِنَ الثَّنِيَّةِ السُّفْلَى. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

(يقول النووي: هِيَ بِالْمَدِّ، وَيُقَالُ لَهَا الْبَطْحَاءُ وَالْأَبْطَحُ، وَهِيَ بِجَنْبِ الْمُحَصَّبِ، وَهَذِهِ الثَّنِيَّةُ يَنْحَدِرُ مِنْهَا إِلَى مَقَابِرِ مَكَّةَ.

ما تسمى بمقبرة المعلاة، ومقبرة خديجة، تكون على يمين الداخل إلى الكعبة وعن يسار الخارج منها). اهـ من "شرحي على صحيح مسلم".

(١) حديث رقم: (٩٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٥٣٣)، ومسلم (١٢٥٧).

٩٩ - باب استحباب تقديم اليمين في كل مَا هو من باب التكريم

كالوضوءِ وَالغُسْلِ وَالتَّيَمُّمِ، وَلُبْسِ الثَّوْبِ وَالنَّعْلِ، وَالخُفِّ وَالسَّرَاوِيلِ، وَدُخولِ الْمَسْجِدِ، وَالسِّوَاكِ، وَالاكْتِحَالِ، وَتقليم الأظْفار، وَقَصِّ الشَّارِبِ، وَنَتْفِ الإبْطِ، وَحلقِ الرَّأسِ، وَالسّلامِ مِنَ الصَّلَاةِ، وَالأكْلِ، والشُّربِ، وَالمُصافحَةِ، وَاسْتِلَامِ الحَجَرِ الأَسْوَدِ، والخروجِ منَ الخلاءِ، والأخذ والعطاء، وغيرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ في معناه.

ويُسْتَحَبُّ تَقديمُ اليسارِ في ضدِ ذَلِكَ، كالامْتِخَاطِ وَالبُصَاقِ عن اليسار، ودخولِ الخَلاءِ، والخروج من المَسْجِدِ، وخَلْعِ الخُفِّ والنَّعْلِ والسراويلِ والثوبِ، والاسْتِنْجَاءِ وفِعلِ المُسْتَقْذرَاتِ وأشْبَاه ذَلِكَ.

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ [الحاقة:١٩] الآيات.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾﴾ [الواقعة:٨-٩].

الشرح:

(استحباب تقديم اليمين في كل مَا هو من باب التكريم) وهذه مسألة مهمة، لاسيما في هذا الزمان، فكثير من الناس يستخدم الشمال، والله المستعان، حتى الأبناء إذا أعطيته فلوس يأخذها بالشمال، والفقير تناوله يأخذ بالشمال، الشأن تعويد الإنسان على اليمين.

تكلمنا بحمد الله على مسألة اليمين في شرحنا على (عمدة الأحكام)، عند حديث أبي قتادة: أن النبي ﷺ قال: « لَا يُمْسِكَنَّ أَحَدُكُمْ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَهُوَ يَبُولُ».

(﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾) فرحا مسرورا ينادي الناس أن يقرؤوا كتابه، والآيات: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة:١٩-٢٩].

٧٢٠ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كَانَ رسولُ الله ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ في شَأْنِهِ كُلِّهِ، في طُهُورِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَتَنَعُّلِهِ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

قدمت العموم ثم فصلت، والأخذ بالعموم متعين في كثير من الشأن، يعني في حلاقته، يدخل فيها الترجل، في تقصيره، في تقليم أظفاره، في لبسه، **(يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ في شَأْنِهِ كُلِّهِ)** فخذ بهذا العموم تفلح.

(في طُهُورِهِ) أي: في الوضوء والغسل، وأيضا قضية السواك اختلفوا فيها، فمن ذهب إلى أن السواك طهارة رأى استخدام اليمين، وهذا هو الصحيح؛ لقول النبي ﷺ: «**السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب**»، سماه مطهرة.

ومن رأى أن السواك إزالة خبث رجع استخدام اليسار، وهذا الذي اختاره شيخ الإسلام، حتى أن بعض العلماء يمنع التسوك داخل المسجد، يقول: لأنه إزالة قذر، والنبي ﷺ إنما قال: «**عند كل وضوء**»، وما جاء من الرواية: «**عند كل صلاة**» على القول بها أي: عند التطهر، أو عند الخروج، أما داخل المسجد قال: هذا فيه ما فيه.

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٨)، ومسلم (٢٦٨).

ولا بأس أن يتسوك الرجل لحاجته، أما أن يكثر، وربما يفتح فاه، ويبقى محركا للسواك من هاهنا ومن هاهنا هذا قد يؤدي إلى نوع من الأذى للغير.

(وَتَرَجُّلِهِ) الحلاقة، أو التقصير، أو المشط.

(وَتَنَعُّلِهِ): لبس النعال، سيأتي.

٧٢١ - وعنها، قالت: كَانَتْ يَدُ رسول الله ﷺ الْيُمْنَى لِطُهُورِهِ وَطَعَامِهِ، وَكَانَتِ الْيُسْرَى لِخَلَائِهِ وَمَا كَانَ مِنْ أَذًى. حديث صحيح، رواه أَبُو داود وغيره بإسنادٍ صحيحٍ[(١)].

٧٢٢ - وعن أم عطية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لهن في غَسْلِ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ابْدَأْنَ بِمَيَامِنِهَا، وَمَوَاضِعِ الوُضُوءِ مِنْهَا». متفقٌ عَلَيْهِ[(٢)].

٧٢٣ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيُمْنَى، وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدأْ بِالشِّمَالِ؛ لِتَكُنْ الْيُمْنَى أَوَّلَهُمَا تُنْعَلُ، وَآخِرُهُمَا تُنْزَعُ». متفقٌ عَلَيْهِ[(٣)].

الشرح:

(«ابْدَأْنَ بِمَيَامِنِهَا، وَمَوَاضِعِ الوُضُوءِ مِنْهَا»): قلت في "شرحي على صحيح مسلم": (قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ وُضُوءِ الْمَيِّتِ، وَهُوَ مَذْهَبُنَا وَمَذْهَبُ مَالِكٍ وَالْجُمْهُورِ، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: لَا يُسْتَحَبُّ، وَيَكُونُ الْوُضُوءُ عِنْدَنَا فِي أَوَّلِ الْغُسْلِ، كَمَا فِي وُضُوءِ الْجُنُبِ. وَفِي حَدِيثِ أُمِّ عَطِيَّةَ هَذَا دَلِيلٌ لِأَصَحِّ الْوَجْهَيْنِ عِنْدَنَا: أَنَّ النِّسَاءَ أَحَقُّ بِغُسْلِ الْمَيِّتَةِ مِنْ زَوْجِهَا، وَقَدْ تُمْنَعُ دَلَالَتُهُ حَتَّى يَتَحَقَّقَ أَنَّ زَوْجَ زَيْنَبَ كَانَ

---

(١) حديث رقم: (٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٦٧)، ومسلم (٩٣٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٥٥)، ومسلم (٢٠٩٧).

حَاضِرًا فِي وَقْتِ وَفَاتِهَا لَا مَانِعَ لَهُ مِنْ غُسْلِهَا، وَأَنَّهُ لَمْ يُفَوِّضِ الْأَمْرَ إِلَى النِّسْوَةِ. وَمَذْهَبُنَا وَمَذْهَبُ الْجُمْهُورِ أَنَّ لَهُ غُسْلَ زَوْجَتِهِ، وَقَالَ الشَّعْبِيُّ، وَالثَّوْرِيُّ، وَأَبُو حَنِيفَةَ: لَا يَجُوزُ لَهُ غُسْلُهَا، وَأَجْمَعُوا أَنَّ لَهَا غُسْلَ زَوْجِهَا، وَاسْتَدَلَّ بَعْضُهُمْ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجِبُ الْغُسْلُ عَلَى مَنْ غَسَّلَ مَيِّتًا. اهـ

وهذا هو الصحيح، وحديث: «**من غسل ميت فليغتسل، ومن وضأه فليتوضأ**».

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ضعيف بالاتفاق، إذ أن غسل الميت ليس من واجبات الغسل، وليس هو من نواقض الوضوء، إلا إذا مس فرجه عند الغسل النبي ﷺ يقول: «**من مس الفرج فليتوضأ**»). اهـ

(**إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ.. إلخ**) انظر إلى مثل هذا الأدب الذي ننساه كثيرا، ونفرط فيه كثيرا.

٧٢٤ - وعن حفصة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يجعل يَمِينَهُ لطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَثِيَابِهِ، وَيَجْعَلُ يَسَارَهُ لِمَا سِوَى ذَلِكَ. رواه أَبُو داود والترمذي وغيره[(١)].

الشرح:

والآن تقول لبعضهم: يا أخي اشرب باليمين، كل باليمين، يقول: كلها خلقها الله، نعم كلها خلقها الله، لكن لا بد أن تلتزم شرع الله.

٧٢٥ - وعن أَبِي هُرَيرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا لَبِسْتُمْ، وَإِذَا تَوَضَّأْتُمْ، فَابْدَأوا بأيَامِنِكُمْ» حديث صحيح، رواه أَبُو داود والترمذي بإسناد صحيح[(٢)].

الشرح:

---

(١) حديث رقم: (٣٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٤١٤١)، والترمذي (١٧٦٦) الألفاظ مختلفة والمعنى واحد.

في اللبس، والوضوء، وجميع الشأن.

كلمة (إسناد صحيح) لا تقتضي الصحة، والذي يدل على الصحة قوله: حديث صحيح، أو حديث حسن، أما: إسناده حسن، إسناده صحيح، رجاله ثقات، كم من الأحاديث تمر علينا في (أحاديث معلة ظاهرها الصحة) رجالها ثقات، وإسنادها صحيح، لكن عند التأمل غير ثابتة.

٧٢٦ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ أتى مِنىً، فَأَتَى الْجَمْرَةَ فَرَمَاهَا، ثُمَّ أَتَى مَنْزِلَهُ بِمِنَىً ونحر، ثُمَّ قَالَ لِلحَلاَّقِ: «خُذْ» وأَشَارَ إِلَى جَانِبِهِ الأَيْمَنِ، ثُمَّ الأَيْسَرِ، ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي رواية: لما رمَى الجَمْرَةَ، وَنَحَرَ نُسُكَهُ وَحَلَقَ، نَاوَلَ الحَلاَّقَ شِقَّهُ الأَيْمَنَ فَحَلَقَهُ، ثُمَّ دَعَا أَبَا طَلْحَةَ الأَنْصَارِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، ثُمَّ نَاوَلَهُ الشِّقَّ الأَيْسَرَ، فَقَالَ: «احْلِقْ»، فَحَلَقَهُ فَأَعْطَاهُ أَبَا طَلْحَةَ، فَقَالَ: «اقْسِمْهُ بَيْنَ النَّاسِ».

الشرح:

يعطيه الناس؛ ليتبركوا به، والله لو تصل إلينا شعرة الآن بإسنادها ونعلم أنها ثابتة إلى النبي ﷺ ما أجمل التبرك بها! لو لم يكن إلا أن نتمسح، كل واحد يمسح هكذا بها ويعطيها لأخيه، بعضهم جعل منها في فيه لما مات، وأبو طلحة أخذ نصف الشعر له، ونصف الشعر للمسلمين.

وهذا أمر التبرك خاص بالنبي ﷺ بذاته، أي من حيث التبرك بالذوات، خاص بذات النبي ﷺ، كانوا يتبركون بنخامه، وبصاقه، ورشحه.

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٠٥)، ولم يذكره البخاري.

وأما غير النبي ﷺ ما أدراك أن فيه بركة أو لا، والصحابة رضوان الله عليهم ما تبركوا بأبي بكر، ولا بعمر، ولا بعثمان، ولا بعلي، ولا النساء تبركت بفاطمة، ولا بعائشة، ولا بأم سلمة، ولا شيء.

والصوفية توسعوا في هذا الباب، الصوفية والشيعة توسعوا في باب التبرك بالذوات والتمسح، ولذلك يتمسحون بأتربة الموتى، ويتمسحون بما يسمونهم بالأولياء، ويتبركون بأشياء كثيرة، تجد بعضهم إذا جاء إلى مكة يأخذ له سجادة ويتبرك بحجار الكعبة، حجار، حجار قد ذهب بعضها، وجُدد بعضها.

لا بأس أن تتبرك بشرب ماء زمزم، تتبرك بالطواف من حيث أنه عبادة وطاعة، فيه بركة في أجوره، كذلك بالسعي، أما تتبرك بالحجار أو تتبرك بالقماش.

لماذا يرفع الناس لباس الكعبة في أيام الحج؟ ليس كما يقول العامة: الكعبة أحرمت، الكعبة ما تحرم، ما هي مكلفة لا بحج ولا بعمرة ولا بزيارة، إنما إذا نزَّلوا ما عليها من اللباس جاء الصوفية والشيعة ومن إليهم، الذي بالسكين، والذي بكذا، كل واحد يأخذ له قطعة، يروحونها معهم إلى بلدانهم، هذا يريد يدفن معها، وهذا، فلذلك يرفعونها، هذا هو المقصد، ليس المقصد إحرام الكعبة، ولا شيء من ذلك.

وأما العجم حدث ولا حرج، بمجرد ما يصل عند باب الملك فهد باب الملك عبد الله باب الملك عبد العزيز يبدأ ينظر إلى الأبواب الصفراء يبدأ يتمسح، يصل على الصفا يتمسح، يصل في الكعبة يتمسح، بعضهم يمسح بظهره حتى يخرج الدم منه، كأنه يحك مكان القمل، والله يمسح بظهره حتى يخرج الدم منه.

وهكذا مقام إبراهيم ما تستطيع تصلي عنده، هم يتمسحون، زجاج لم يكن في عهد إبراهيم، ولا في عهد نبينا ﷺ، بل لم يكن إلى عهد قريب، زجاج، وألمنيوم، ومن هذه الأشياء، والله المستعان.

أيضا حتى الركن اليمني إنما استُحب المسح له، أما التقبيل وطلب البركة في مسحه فكل هذا غير وارد.

(ثُمَّ دَعَا أَبَا طَلْحَةَ الأَنْصَارِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ)** فيه فضيلة لأبي طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أنـــا أبـــو طلحـــة واســـمي زيـــدُ وكـــل يـــومٍ في شـــباكي صـــيدُ

كتاب آداب الطعام

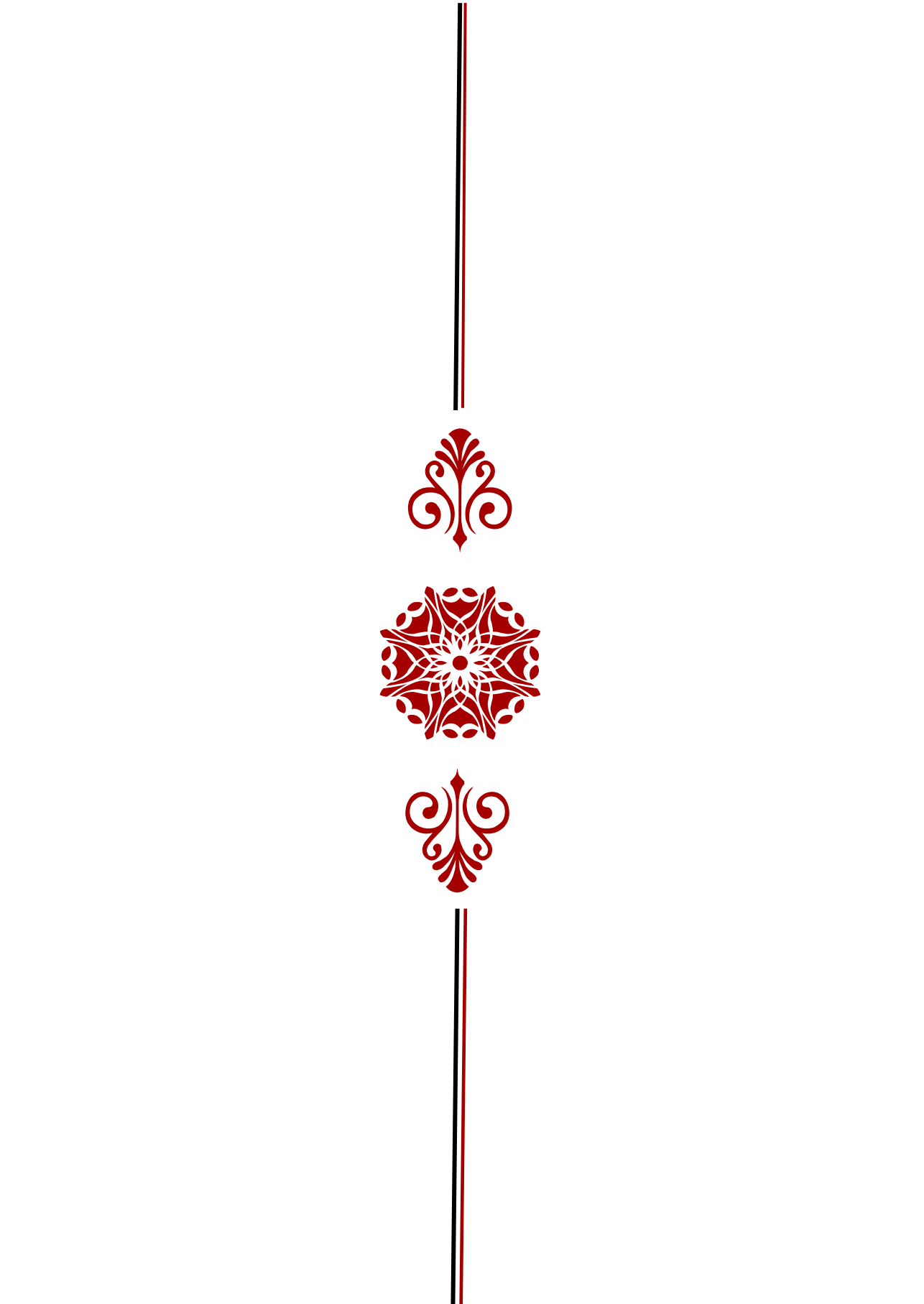

كتاب أدب الطعام

قلت في "شرحي على عمدة الأحكام":

الطَعم بالفتح ما يؤد به ذوق الشيء من حلاوة ومرارة وغيرها، وله منفعة، والطُعم بالضم الأكل.

الأصل في الأطعمة الإباحة؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩]، ولقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣]، ولقول النبي ﷺ: «إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»(١)، وفي حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَفَعَ الْحَدِيثَ قَالَ: «مَا أَحَلَّ اللهُ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ حَلَالٌ، وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرَامٌ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَافِيَةٌ، فَاقْبَلُوا مِنَ اللهِ الْعَافِيَةَ، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَكُنْ نَسِيًّا» ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم:٦٤](٢).

والله عَزَّوَجَلَّ منزه عن الطعام لكماله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام:١٤].

وطعام الإنسان ينقسم إلى قسمين:

الأول: نباتي، والثاني: حيواني.

فالنباتي: الأصل فيه الحل، ولم يحرم من النباتات إلا ما كانت حرمته لغيره كأن يسكر أو نحو ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الحاكم (٣٤١٩)، وهو في «الصحيحة» للإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (٤٢٥٦).

وأما الطعام الحيواني: فهو منقسم إلى قسمين: الأول: البري، والثاني: البحري.

فالبحري: حلال كله؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ﴾ [المائدة:٩٦]، ولما سئل النبي ﷺ عن البحر، قال: «هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ، الْحِلُّ مَيْتَتُهُ»(١)، إلا أن من الحيوان البحري ما يسمى بالبرمائي، فحكم هذه الحيوان ما مات في البحر فحكمه حكم البحري، وأما ما كان منها في البر فيشترط فيه ما يشترط للحيوان البري، من حيث تذكيته.

وأما حيوانات البر: فالأصل فيها الحل، لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ [الأنعام:١٤٥]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ﴾ [المائدة:٣]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة:٥]. والمراد به: طعام الحيوان، فقد أباح الله لنا طعام أهل الكتاب بشرط التذكية وسيأتي - إن شاء الله -.

والقاعدة في المحرمات من الحيوان ما يأتي:

١- كل ذي ناب من السباع.

٢- كل ذي مخلب من الطير.

٣- ما أمر النبي ﷺ بقتله.

٤- ما نهى النبي ﷺ عن قتله.

٥- الحمار الإنسي، ويقال له: "الأهلي".

٦- الكلب.

---

(١) أخرجه أبو داود (٨٣)، والترمذي (٦٩)، وغيرهما، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح السنن».

٧- الخنزير.

٨- لحم الجلالة، وهي التي تأكل من النجاسات، فيحرم أكلها حتى تحبس ويذهب ما بها من النجس.

٩- المستخبث في قول بعضهم.

قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **قوله**: «وما لا دم له من البري»: أقول: قد عرفت أن القرآن قد دل على أصالة الحل، فلا يخرج عنه إلا ما دل الدليل الصحيح على تحريمه، وأما استدلال من استدل على تحريم الأكل بكون الحيوان مأمورًا بقتله، منهيًا عن قتله، فهذا استدلال آخر، وهو أن الأمر بالقتل، أو هو النهي عن القتل، يقتضيان تحريم المأمور بقتله، أو المنهي عن قتله ولا دليل على ذلك.

وأما الاستدلال على تحريم ما تستخبثه، بقوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [المؤمنون:٥١]، وبقوله: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [طه:٨١]، فغاية ذلك الأمر بأكل ما طاب من دون تعرض للمنع من أكل ما لم يطب، وهو المستخبث، إلا على القول بأن الأمر بالشيء نهي عن ضده، وهو هنا بعيد؛ ولكن إذا ضم إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف:١٥٧]، أفاد المطلوب من تحريم الخبائث[1]. اهـ.

وأما ما استخبثه بعضهم لعلة، فهذا لا يدخل في ذلك، وعمدة هذا القول: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

واختلف العلماء في معنى الخبائث:

فقيل: هو الحرام، فإذا كان على هذا المعنى، فالخبيث هو ما حرم بالدليل.

---

(١) «السيل الجرار» (٧٢٦).

والأصل عند الشافعي ومن إليهم: أن كل حيوان حلال؛ لما تقدم من الأدلة إلا ما استثناه الدليل.

والأصل عند الحنفية ومن إليهم: أن كل الحيوان حرام إلا ما جاء الدليل بحله، وقولهم ضعيف مردود؛ لما تقدم.

* **وهنا فائدة**: هل يكفي في السبع وجود الناب، أم لا بد من اجتماع الناب مع السبعية؟

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالُوا: وَيُحَرَّمُ أَكْلُ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنْ السِّبَاعِ إلَّا الضَّبُعَ، وَهَذَا لَا يَقَعُ مِثْلُهُ فِي الشَّرِيعَةِ أَنْ يُخَصِّصَ مِثْلًا عَلَى مِثْلٍ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ مِنْ غَيْرِ فُرْقَانٍ بَيْنَهُمَا، وَبِحَمْدِ اللهِ إلَى سَاعَتِي هَذِهِ مَا رَأَيْت فِي الشَّرِيعَةِ مَسْأَلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ، أَعْنِي شَرِيعَةَ التَّنْزِيلِ لَا شَرِيعَةَ التَّأْوِيلِ.

وَمَنْ تَأَمَّلَ أَلْفَاظَهُ ﷺ الْكَرِيمَةَ تَبَيَّنَ لَهُ انْدِفَاعُ هَذَا السُّؤَالِ؛ فَإِنَّهُ إنَّمَا حَرَّمَ مَا اشْتَمَلَ عَلَى الْوَصْفَيْنِ: أَنْ يَكُونَ لَهُ نَابٌ، وَأَنْ يَكُون مِنْ السِّبَاعِ الْعَادِيَةِ بِطَبْعِهَا كَالْأَسَدِ وَالذِّئْبِ وَالنَّمِرِ وَالْفَهْدِ.

وَأَمَّا الضَّبُعُ فَإِنَّمَا فِيهَا أَحَدُ الْوَصْفَيْنِ، وَهُوَ كَوْنُهَا ذَاتَ نَابٍ، وَلَيْسَتْ مِنْ السِّبَاعِ الْعَادِيَةِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ السِّبَاعَ أَخَصُّ مِنْ ذَوَاتِ الْأَنْيَابِ، وَالسَّبُعُ إنَّمَا حَرَّمَ لِمَا فِيهِ مِنْ الْقُوَّةِ السَّبُعِيَّةِ الَّتِي تُورِّثُ الْمُعْتَدَى بِهَا شِبْهَهَا؛ فَإِنَّ الْغَاذِيَ شَبِيهٌ بِالْمُغْتَذَى، وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْقُوَّةَ السَّبُعِيَّةَ الَّتِي فِي الذِّئْبِ، وَالْأَسَدِ، وَالنَّمِرِ، وَالْفَهْدِ لَيْسَتْ فِي الضَّبُعِ حَتَّى تَجِبَ التَّسْوِيَةُ بَيْنَهُمَا فِي التَّحْرِيمِ، وَلَا تُعَدُّ الضَّبُعُ مِنْ السِّبَاعِ لُغَةً وَلَا عُرْفًا، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ[1]. اهـ.

---

(١) «إعلام الموقعين» (٢/ ٨٩).

فمن ذهب إلى أن العلة وجود الناب قال: بتحريمها، ومن قال: بأنه لابد أن يجتمع مع وجود الناب السبعية قال: بحلها، وهذا هو القول الصحيح، لقول النبي ﷺ: «كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ»، **فقوله**: «مِن السِّباعِ»: على أنها عادية تأكل مما تفترسه.

ومن رحمة الله عَزَّوَجَلَّ أن وسع لنا المطاعم، وأشرف هذه المطاعم بهيمة الأنعام الإبل، والبقر، والغنم، ومنها تكون الضحايا والعقيقة والهدي، وأما غيرها من الحيوان فإنما أبيحت على التوسعة.

* **فائدة**: ولا يجزئ أن يهدي زرافة على القول بحلها، أو يهدي غزالًا، أو إيلًا، مع أنها حيوانات شبيهة ببهيمة الأنعام، وسيأتي بيان ذلك في باب الأضاحي، إن شاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثم إن الحيوان من حيث الدم ينقسم إلى قسمين:

ماله نفس سائلة: كأي حيوان له دم، فهذا يشترط فيه التذكية، وستأتي أحكامها.

ما لا نفس له سائلة ويطلق عليه في الغالب الحشرات: كالجراد وما في بابه من الجدجد والقواقع والحلزونات فمثل هذه لا يشترط فيها التذكية؛ لأن تذكيتها متعذرة.

وقد ألف الناس قديمًا وحديثًا في هذا الباب، ومن أحسن الكتب المؤلفة: «كتاب الأطعمة» للشيخ الفوزان حفظه الله تعالى، فقد أتى فيه بمباحث طيبة، وكتاب الأقفهسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما يحل ويحرم من الحيوان»، وفي بابه: «منظومة ما يحل ويحرم من الحيوان» للأقفهسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد يسر الله عَزَّوَجَلَّ بشرحها في كتابي: **"فتح ذي الجلال والإكرام لشرح منظومة ما يحل ويحرم من الحيوان"**. اهـ

* وقلت أيضًا في "شرحي على عمدة الأحكام":

والأشربة آدابها قريبة من آداب الأطعمة، وربما اشتركت معها في كثير من الآداب؛ نظرًا لأن بابهما واحدٌ؛ فإن الإنسان لا يستغني عن الطعام والشراب، بل كل حيوان لا يستغني عن الطعام والشراب.

ذكر آداب الشرب:

آداب الشرب كثيرة في الكتاب والسنة، ومنها:

١- النهي عن الشرب قائمًا.

٢- النهي عن التنفس في الإناء.

٣- التنفس ثلاثًا حال الشرب.

ففي «الصحيحين» عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ ثَلَاثًا، وَيَقُولُ: «إِنَّهُ أَرْوَى وَأَبْرَأُ وَأَمْرَأُ»[1]، بخلاف ما لو شرب مرة واحدة..

٤- النهي عن الشرب من في السقاء.

٥- مناولة الأيمن فالأيمن.

٦- جواز الشرب في جميع الآنية ما خلا الذهب والفضة.

لحديث بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَزُورُوهَا، وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحُومِ الْأَضَاحِيِّ فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَأَمْسِكُوا مَا بَدَا لَكُمْ، وَنَهَيْتُكُمْ عَنِ النَّبِيذِ إِلَّا فِي سِقَاءٍ، فَاشْرَبُوا فِي الْأَسْقِيَةِ كُلِّهَا، وَلَا تَشْرَبُوا مُسْكِرًا»[2].

٧- جواز الشرب حتى الامتلاء.

حديث أبي أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل **وفيه**: ... وَقَدْ رَوِيَ القَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ القَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٣١)، ومسلم (٢٠٢٨)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٧٧).

قَالَ: «بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ» قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «اقْعُدْ فَاشْرَبْ» فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: «اشْرَبْ» فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: «اشْرَبْ» حَتَّى قُلْتُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا، قَالَ: «فَأَرِنِي» فَأَعْطَيْتُهُ القَدَحَ، فَحَمِدَ اللهَ وَسَمَّى وَشَرِبَ الفَضْلَةَ»[(١)].

٨- شرب فضل الماء، والعصيرات، وغيرها من المشروبات.

٩- جواز شرب فضل الوضوء.

خلافًا لمن زعم أنه يسبب النسيان؛ فعَنْ أَبِي جَيَّةَ، قَالَ: رَأَيْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تَوَضَّأَ فَأَنْقَى كَفَّيْهِ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاثًا وَذِرَاعَيْهِ ثَلاثًا، وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ ثُمَّ غَسَلَ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ قَامَ فَشَرِبَ فَضْلَ وَضُوئِهِ»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أُرِيَكُمْ طُهُورَ رَسُولِ اللهِ ﷺ»[(٢)].

١٠- شرب الرجل فضل زوجته وشربها فضله.

فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ، فَيَشْرَبُ، وَأَتَعَرَّقُ الْعَرْقَ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ»[(٣)].

١١- التسمية: لعموم الأمر بالتسمية عند الأكل والشرب.

١٢- الحمد لله عَزَّوَجَلَّ.

١٣- الشرب باليمين.

١٤- ومن الآداب أن ساقي القوم آخرهم شربًا.

١٥- الدعاء لمن سقاه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥٢).

(٢) أخرجه أحمد (١٣٥٢).

(٣) أخرجه مسلم (٣٠٠).

لحديث الْمِقْدَادِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي، وَاسْقِ مَنْ سَقَانِي»[١]، وقال بعض أهل العلم: أن هذا الدعاء يكون قبل الإطعام وقبل السقيا، والله أعلم.

١٦- شرب الحلال وترك الحرام.

١٧- عدم النفخ في الشراب إن كان فيه أذى وإنما يزال بغير ذلك.

جاء عَنْ أَبِي الْمُثَنَّى الْجُهَنِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ مَرْوَانَ وَهُوَ يَسْأَلُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَلْ نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَتَنَفَّسَ وَهُوَ يَشْرَبُ فِي إِنَائِهِ؟ فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنِّي لَا أُرْوَى مِنْ نَفَسٍ وَاحِدٍ؟ قَالَ: «فَإِذَا تَنَفَّسْتَ، فَنَحِّ الْإِنَاءَ عَنْ وَجْهِكَ»، قَالَ: فَإِنِّي أَرَى الْقَذَى فَأَنْفُخُهَا؟ قَالَ: «فَإِذَا رَأَيْتَهَا فَأَهْرِقْهَا، وَلَا تَنْفُخْهَا»[٢].

١٨- غمس الذباب إذا وقع في الشراب.

فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ، فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءً وَالأُخْرَى شِفَاءً»[٣].

١٩- تغطية أواني الشراب.

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، وَأَغْلِقُوا الْبَابَ، وَأَطْفِئُوا السِّرَاجَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحُلُّ سِقَاءً، وَلَا يَفْتَحُ بَابًا، وَلَا يَكْشِفُ إِنَاءً، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلَّا أَنْ يَعْرُضَ عَلَى إِنَائِهِ عُودًا، وَيَذْكُرَ اسْمَ اللهِ، فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّ الْفُوَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ»[٤]. اهـ بتصرف

وسيأتي الاستدلال على بقية الآداب.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٨٠٩).

(٢) أخرجه أحمد (١١٦٥٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٢٠، ٥٧٨٢).

(٤) أخرجه مسلم (٢٠١٢).

١٠٠ - باب التسمية في أوله والحمد في آخره

الحمد لله قد وفقني الله عَزَّوَجَلَّ في تدريسي لـ(عمدة الأحكام) على شرح ما يتعلق بآداب الطعام والشراب، وطُبعت في رسالة مستقلة بعنوان: (إتحاف الكرام ببعض آداب الشراب والطعام).

ومن أعظم الآداب ما بوب عليه المصنف: التسمية في أول الطعام والحمد في آخره، وذلك؛ لما في التسمية من البركات، فما دخلت على عمل ولا على شيء إلا بورك فيه.

ومما يدل على بركتها: أنها افتُتح بها المصحف، وافتتحت بها السور، وافتتحت بها الكتب، ويؤتى بها في كثير من المواطن، عند الخروج من البيت، وعند الدخول فيه، وعند ركوب الدابة، وعند تناول العلاج، وعند الأكل والشرب، وغير ذلك من المواطن.

والشيطان حريص على أن ننسى هذه الشعيرة، وأصبح كثير من الناس يتناولون الطعام والشراب كأنهم في بلاد الكفار، ربما يجتمع العشرات على الطعام ما تسمع من يقول: بسم الله، وإذا قاموا ما تسمع من يقول: الحمد لله، وهكذا تجد غير ذلك، كالأكل بالشمال، أو الشرب بالشمال.

٧٢٧ - وعن عُمَرَ بنِ أبي سَلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: «سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينكَ، وكُلْ مِمَّا يَليكَ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

(١) انظر الحديث (٤٩٩).

وفيه قصة، قال: كُنْتُ غُلَامًا فِي حِجْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي: «يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»، «سَمِّ اللهَ» ابتداء، «وَكُلْ بِيَمِينِكَ» لأن التسمية قبل الأكل، ثم يتعاطى الطعام بيمينه، ثم «كُلْ مِمَّا يَلِيكَ».

ذهب بعض أهل العلم إلى أن مسألة الفاكهة واللحم لا يشترط فيها هذا؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الواقعة:٨-٢١]، لكن إن أكل مما يليه هو الأولى والأحوط.

٧٢٨ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللهِ تَعَالَى، فإنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللهِ تَعَالَى فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ: بِسم اللهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[(١)].

الشرح:

(إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللهِ تَعَالَى) أي حين ابتدائه.

فالشاهد: أن الإنسان يسمي الله في أول الطعام، فإن نسي ففي وسطه، فإن نسي ففي آخره، لا حرج من ذلك.

قال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ في تحفة الأحوذي (٥/ ٤٨٠): **قَالَ الْعُلَمَاءُ:** وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَجْهَرَ بِالتَّسْمِيَةِ لِيُسْمِعَ غَيْرَهُ وَيُنَبِّهَهُ عَلَيْهَا، وَلَوْ تَرَكَ التَّسْمِيَةَ فِي أَوَّلِ الطَّعَامِ عَامِدًا أَوْ نَاسِيًا أَوْ جَاهِلًا أَوْ مُكْرَهًا أَوْ عَاجِزًا لِعَارِضٍ آخَرَ ثُمَّ تَمَكَّنَ فِي أَثْنَاءِ أَكْلِهِ مِنْهَا اسْتُحِبَّ أَنْ يُسَمِّيَ وَيَقُولَ: بِسْمِ اللهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ.

وَالتَّسْمِيَةُ فِي شُرْبِ الْمَاءِ وَاللَّبَنِ وَالْعَسَلِ وَالْمَرَقِ وَالدَّوَاءِ وَسَائِرِ الْمَشْرُوبَاتِ كَالتَّسْمِيَةِ عَلَى الطَّعَامِ فِي كُلِّ مَا ذَكَرْنَاهُ وَتَحْصُلُ التَّسْمِيَةُ بِقَوْلِهِ: بِسْمِ اللهِ فَإِنْ قَالَ بِسْمِ

(١) أخرجه أبو داود (٣٧٦٧)، وابن ماجه (٣٢٦٤)، والترمذي (١٨٥٨)، الحديث له طرق وشواهد ذكرها المحقق حفظه الله.

اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كَانَ حَسَنًا وَسَوَاءٌ فِي اسْتِحْبَابِ التَّسْمِيَةِ الْجُنُبُ وَالْحَائِضُ وَغَيْرُهُمَا. اهـ

٧٢٩ - وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللهَ تَعَالَى عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ لأَصْحَابِهِ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ تَعَالَى عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ تَعَالَى عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ». رواه مسلم[1].

الشرح:

(قَالَ الشَّيْطَانُ لأَصْحَابِهِ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ) يحجز خارج البيت ويبات طاويا، فانتبه لنفسك، لا تدخل الشيطان معك بيتك، فإنه إن دخل أكل معك، وشرب معك، ونام معك، وإن عاشرت زوجتك بغير تسمية عاشرها معك، نسأل الله السلامة والعافية.

ولا يكتفي بهذه الأذية، بل لا ينام إلا على خياشيمك، ولا يبول إلا في أذنك، وأنت نائم وهو يلعب بقفاك ويعقد فيه، كما سيأتي في أحكام النوم، فهو عدو لئيم، الكريم إذا أكرمته أكرمك، واللئيم إذا أكرمته أهانك، فلا ألأم من الشيطان الرجيم ومن أعوانه، ولذلك، لا يتورع عن أذية الإنسان، حتى داخل الخلاء، الملائكة تترك الإنسان إذا دخل الخلاء، والشيطان إذا لم تأت بذكر الخلاء دخل معك، نسأل الله السلامة والعافية.

(قَالَ الشَّيْطَانُ لأَصْحَابِهِ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ) يدعو بعضهم بعضا.

فلا سبيل إلى السلامة من الشيطان إلا بالتسمية والذكر.

---

(١) حديث رقم: (٢٠١٨).

٧٣٠ - وعن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيدِينَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ الله ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رسولُ الله ﷺ بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كأَنَّمَا يُدْفَعُ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لا يُذْكَرَ اسمُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهذِهِ الجارية لِيَسْتَحِلَّ بِهَا، فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بِهذا الأعرَابِيّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ، فَأَخذْتُ بِيَدِهِ، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدَيْهِمَا»، ثُمَّ ذَكَرَ اسْمَ اللهِ تَعَالَى وَأَكَلَ. رواه مسلم[1].

الشرح:

فهذا حديث واضح في أنه إذا بقي واحد على الطعام لم يسم الله يستحل الشيطان الطعام بسبب ذلك، فيتعين علينا أن نسمي الله عند أكلنا وشربنا، وإن كنا في حال اجتماع أن ننصح ونوجه من يأكل معنا ولو من صغار السن أن يسموا الله عَزَّوَجَلَّ في ذلك؛ حتى لا يشارك الشيطان الآكلين في أكلهم.

وانظر كيف يبحث الشيطان عمن يوصله إلى المقصود، إذا عجز فيك بحث عن غيرك، وهذا عام ليس في هذا الأمر فقط، رب إنسان يكون على حالة طيبة فيبتليه الله بامرأة سيئة يتسلط عليها الشيطان، أو بابن يدفدفه الشيطان، أو بجار يدفعه عليه الشيطان، فإذًا الشيطان حريص على أذية الإنسان، فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم.

---

(١) حديث رقم: (٢٠١٧).

٧٣١ - وعن أُمَيَّةَ بن مَخْشِيٍّ الصحابيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ جَالِسًا، وَرَجُلٌ يَأْكُلُ، فَلَمْ يُسَمِّ اللهَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ طَعَامِهِ إِلاَّ لُقْمَةٌ، فَلَمَّا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ قَالَ: بِسْمِ اللهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، فَضَحِكَ النَّبِيّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ، فَلَمَّا ذَكَرَ اسمَ اللهِ اسْتَقَاءَ مَا فِي بَطْنِهِ». رواه أَبُو داود والنسائي[1].

الشرح:

وبعض السفهاء كان يأكل ويتعمد ترك التسمية، فإذا ما نصف الأكل أو قارب الانتهاء سمى، يقول: أريد الشيطان أن يستقيء، هذا من السفه، ما يجوز أن يترك الإنسان التسمية تلاعبًا، هذا من تلاعب الشيطان.

٧٣٢ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَأْكُلُ طَعَامًا فِي سِتَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَأَكَلَهُ بِلُقْمَتَيْنِ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «أما إِنَّهُ لَوْ سَمَّى لَكَفَاكُمْ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[2].

الشرح:

وفيه: أن الإنسان إذا لم يسم الله لا يبارك له في طعامه ولا في شرابه، وسيأتي معنا أن المسلم يأكل في مِعِيٍّ واحد، ويشرب في معي واحد، بينما الكافر في سبعة أمعاء، ولذلك الشراب الكثير والأكل الكثير لا يكفيه.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٧٦٨)، والنسائي في «الكبرى» (١٠١١٣)، وفيه المثنى بن عبد الرحمن الخزاعي، مجهول.

(٢) حديث رقم: (١٨٥٨)، في سنده أم كلثوم الليثية المكية، ويقال: إنها بنت محمد بن أبي بكر الصديق، فعلى هذا فهي تيمية لا ليثية، قال الحافظ: وهي مجهولة.
قال: وقد صححه الألباني في (صحيح الترمذي)، وذكر له شواهد في (الإرواء)، وليست شاهدا للمرفوع. أفاده المحقق.

٧٣٣ - وعن أَبي أُمَامَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ قَالَ: «الْحَمْدُ للهِ حَمدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ، وَلَا مُوَدَّعٍ، وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنَا». رواه البخاري[1].

الشرح:

وهذا حمد طيب لو لازمه الإنسان، فإن عجز عنه فلا أقل من كلمة: الحمد لله، وفي حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها».

٧٣٤ - وعن معاذِ بن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقال: الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن[2].

الشرح:

كثير من أحاديث معاذ بن أنس فيها كلام.

(١) حديث رقم: (٥٤٥٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٢٣)، وابن ماجه (٣٢٨٥)، والترمذي (٣٤٥٨)، من طريق أبي مرحوم، عبد الرحيم بن ميمون، عن سهل بن معاذ، عن أبيه، وأبو مرحوم ضعيف، وسهل مجهول، هذه هي العلة التي كثير من أحاديث معاذ بن أنس الضعف يلازمها من طريق ولده.

وهكذا عبد الله بن مسعود كثير من أحاديثه التي من طريق أولاده تضعف، أما أبو عبيدة لم يسمع منه، وأما عبد الرحمن فاختلف في سماعه، ومن طريقه حديث: «اللهم إني عبدك وابن عبدك، وابن أمتك»، وبينا في كتابنا (التبيين في الرد على من حصر أسماء الله في تسعة وتسعين) أنه سمع في الجملة، وعلى شرط البخاري يكون ثابتا.

١٠١ - باب لا يَعيبُ الطّعام واستحباب مَدحه

أي: لا يعيب الطعام الذي يُقدم إليه:

أولًا: إساءة إلى المقدم.

ثانيًا: عدم رعاية للنعمة.

ثالثًا: في الغالب أنه يصدر عن عدم تواضع.

رابعًا: في الغالب أنه يصدر عن بطر، وإلا لو كان جائعا فإن الجوع يسموه العسل، قالوا: قُدم لبعض الأبناء طعاما فقال: والله ما يصطبح إلا عسلا، قال أبوه: ارفعوا الطعام حتى يأتي العسل، فرفعوا الطعام، والولد ذهب يمنة ويسرة، ثم بدأ الجوع يأتي إليه، فجعل يقول: أريد الطعام، قالوا: انتظر العسل، المهم في آخر المطاف بكى، قال: ائتوني بهذا الطعام كيف ما هو، جاءوه بالطعام، وأكل ذلك الخبز، ويجد له لذة عجيبة، فعند ذلك قال له أبوه: هذا هو العسل، الجوع.

وهو صحيح والله، كم من طعام يقدم إليك وأنت تقول: والله ما أريده ولا أرغب فيه، أسمعني اليوم قاصم، ما أريد شيئا من هذا كله، فإذا ما جاء العسل وإذا بك تبحث عما يسر الله، ولو خبزة يابسة، ولو حبة طماط حامضة، أو على أي حال كان، ولو كان خبزا من الليل بائتا، وفي أيام الرخاء ما تريد هذا، فالله المستعان.

٧٣٥ - وعن أَبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا عَابَ رسولُ الله ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إن اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

حتى هكذا إذا دعاك أحدهم عند أن يقدم لك شيئا لا ترده مباشرة: أنا ما أريد هذا، أنا ما أرغب في هذا، أنا ما أشرب هذا، تحرجه، لكن قدم لك شاهي وأنت ما تشرب شاهي خل الشاهي وقم، بعد أن تجلس معه وتؤانسه وهم يشربون، حتى إذا

(١) أخرجه البخاري (٥٤٠٩)، ومسلم (٢٠٦٤).

انتهيت قم، قدم لك عصيرا خذ العصير واطرحه، إن اشتهيته وأخذته معك، وإن لم تشتهه اطرحه مكانه.

وهكذا في الأكل، إن قدم لك أكلا لا تستسيغه قد ما يكون عندهم إلا هو، والله في بعض البلدان وصلنا الرُّوتِي إذا وُجد مع كوب شاهي اللهم بارك يوم عيد، وهو يحب يكرمنا، نحن نزلنا عندهم ضيوفا، نزلنا دعوة، ولكن مساكين في قلة، فيقرب الروتي مع الشاهي، وأكلنا ما شاء الله وجدناه طعاما لذيذا.

وأدخلونا في غرفة تارة السحلية تخرج من هنا، وتارة تسمع القربعة حق الفئران، وما يكفي هذا، تخوفنا من الثعابين، المهم كنت أرقد عندهم وأنا في حالة نسأل الله اللطف، أما إذا دخلت الحمام لغسل أو لغيره ما تخرج منه إلا والقلب يرجف، صحيح والله، نتخوف من مثل الثعابين ومن مثل كذا، المهم لا نور، ولا بلاط، ولا مجلس عربي ولا فرنجي.

لكن الإنسان يعود نفسه، بعضهم كان يصل عندنا في البلاد إنما اتخذ الناس الحمامات أو الكنيف الذي يسمى الحمام عندنا الآن، وإلا يأخذ إبريقا ويذهب إلى عرض الجبل، يقضي حاجة، ويستنجي، ويرجع يصلي، والجماعة يصل الواحد يبات آخذا ماسكا لنفسه ما يدري أين يتجه، يا أخي رسول الله ﷺ كان يذهب خلف الشجر، أو خلف حجرة، لا تضيق على نفسك، صحيح.

لا سيما الإنسان الذي يسافر ربما يضطر إلى ذلك، الرسول ﷺ بال وحذيفة بجانبه، إذا احتجت أن تبول وصاحبك بجانبك يقفيك ظهره، وانتبه لنفسك بس من الرذاذ، والشيء الغليظ اذهب بعيدا، إن وجدت لك مكانا اختفيت خلفه، ما وجدت لك مكانا للضرورة خارج نفسك.

فالشاهد صحيح أن كثيرا من الناس الآن لماذا يعيب الطعام؟ لأن عنده بطرة، وإلا لو هو ما عنده إلا ذاك والله لا يراه كيف ما هو عسل، لكن الله المستعان.

يذكر لنا بعض الأخوة الذي يسجن عند بعض الناس قال: يأتوك بكدمة يابسة، لو ضربت بها في رأسه لكُسِر، ويأتون لك بقدر أغلبه ماء، والناس كل واحد يفرح به، فالجِدَة قد تجعل الإنسان يبطر، والقلة قد تجعل الإنسان يشكر الشيء القليل.

الشاهد في مسألة عيب الطعام لا تعب، حتى الزوجة إذا صلحت لك طعاما ما تريده خله على جنب، وكل مما يسر الله، أو اعتذر: لا أشتهيه الآن، إن شاء الله أصطبح بعدين، وإذا خرجت إن شاء الله تأخذ لك الذي يناسبك.

٧٣٦ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ أَهْلَهُ الأُدْمَ، فقالوا: مَا عِنْدَنَا إِلاَّ خَلٌّ، فَدَعَا بِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ، ويقول: «نِعْمَ الأُدْمُ الخَلُّ، نِعْمَ الأُدْمُ الخَلُّ». رواه مسلم[1].

الشرح:

وفعلا كان في ذلك الزمان الخل والملح يعتبر من الإدامات التي يأتدم بها الناس، لما كانوا يطلبون العلم عند عبد الرزاق كان الإمام أحمد يأخذ خبزا وملحا، ما هناك لا فاصولياء، ولا فول، ولا عدس، ولا شيء من هذا، ويأتدم بخبزة الله أعلم من متى خُبزت وملح، وصار الإمام أحمد، ونحن عندنا هذه المذكورات وربما أحسن وتجد عندنا فتورا في طلب العلم.

وأما أصحاب الجمعيات والحزبيات ربما تجد اللحم، وتجد الدسم، وتجد الحلاوة والجبن، وكذلك بعض المأكولات، الجبن المثلث، ما هو حتى الأبيض ذاك، وذاك الذي يسموه: الجام، المهم ويخرج ولا شيء، ما عنده شيء، معه

---

(١) حديث رقم: (٢٠٥٢).

المأكولات تلك، ربما يخرج من جامعتهم أو من مسجدهم أو من دورتهم وقد كبر بطنه.

فأنت يا أخي يكن حظك من هذا المأكل والمطعم والمشرب المحافظة على الصحة، والتقوي بها على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، فانظر النبي ﷺ يمدح الخل، الذي كثير منا الآن ما يستسيغه، ولا يستطيع أن يأكله، وهو يمدحه.

أولًا: يدخل السرور على أهله بمدح ما جاءوا به.

ثانيًا: ليس فيه ازدراء لنعمة الله عَزَّوَجَلَّ.

ثالثًا: كالاعتذار لمن أكل معه، جاء جابر قسم بينه الخبزة قسمين، ثم وجدوا هذا الأدم.

١٠٢ - باب مَا يقوله من حضر الطعام وهو صائم إِذَا لَمْ يفطر

٧٣٧ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ». رواه مسلم[1].

قَالَ العلماءُ: معنى (فَلْيُصَلِّ): فَلْيَدْعُ، ومعنى (فَلْيطْعَمْ): فَلْيَأْكُلْ.

الشرح:

(فَلْيُصَلِّ) أي: فليدع، لأن بعض الأخوة يفهم من هذا الحديث: أنه إذا دخل البيت يطلب السجادة ويقوم يصلي عند الناس وهم يأكلون، إنما قل: بارك الله لكم في عرسكم، أو بارك الله لكم في وليمتكم، أو بارك الله لكم في شأنكم، وجزاكم الله خيرا، أنا مستعجل لبعض أمري، وتخرج من عندهم.

(وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ): يأكل معهم مما يسر الله.

(١) حديث رقم: (١٤٣١).

١٠٣ - باب مَا يقوله من دُعي إِلَى طعام فتبعه غيره

٧٣٨ - عن أَبي مسعود البَدْريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دعا رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ لِطَعَامٍ صَنعَهُ لَهُ خَامِسَ خَمْسَةٍ، فَتبِعَهُمْ رَجُلٌ، فَلَمَّا بَلَغَ البَابَ قَالَ النَّبيّ ﷺ: «إِنَّ هَذَا تَبِعَنَا، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ، وَإِنْ شِئْتَ رَجَعَ»، قَالَ: بل آذَنُ لَهُ يَا رَسُولَ الله. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

(خَامِسَ خَمْسَةٍ) أي النبي ﷺ الخامس.

فيه الاستئذان؛ لأن صاحب البيت أملك بماله، وصاحب العزومة أملك بعزومته، فيدخَل عليه السرور، وأيضا حتى لا يكون التابع كالمتطفل، والإنسان قد يلحق لغير ما مقصد، قد يكون مراده السؤال، قد يكون مراده قضاء حاجة، فوافق ذلك الأمر.

(١) أخرجه البخاري (٢٠٨١)، ومسلم (٢٠٣٦).

١٠٤ - باب الأكل مِمَّا يليه ووعظه وتأديبه من يسيء أكله

٧٣٩ - عن عمر بن أَبي سَلمَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنْتُ غُلامًا في حِجْرِ رسولِ الله ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لي رسولُ الله ﷺ: «يَا غُلامُ، سَمِّ اللهَ تَعَالَى، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ». متفقٌ عَلَيْهِ.

قَوْله: (تَطِيشُ) بكسرِ الطاء وبعدها ياءٌ مثناة من تَحْت، معناه: تتحرك وتمتد إِلَى نَوَاحِي الصَّحْفَةِ.

الشرح:

(كُنْتُ غُلامًا في حِجْرِ رسولِ الله ﷺ)؛ لأن النبي ﷺ تزوج أمه أم سلمة، هند.

(وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ) أي تذهب ها هنا وها هنا، والصحفة: ما يوضع فيه الإدام أو الطعام.

فيه تعليم الصغير الآداب.

٧٤٠ - وعن سلمةَ بن الأَكْوَع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ» قَالَ: لا أَسْتَطِيعُ. قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ»! مَا مَنَعَهُ إِلاَّ الكِبْرُ! فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ. رواه مسلم[1].

الشرح:

سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو أبو مسلم.

هذا دليل على أن الأكل باليمين واجب، والأكل بالشمال محرم، بينما التسمية مستحبة وليست بواجبة.

---

(١) انظر الحديث (١٥٩).

وقلت في "شرحي على صحيح مسلم": وقد يقع من بعض المسلمين بعض عصيان، لكن هذا الذي يظهر.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَأَمَّا قَوْلُ الْقَاضِي عِيَاضٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ قَوْلَهُ: مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مُنَافِقًا، فَلَيْسَ بِصَحِيحٍ، فَإِنَّ مُجَرَّدَ الْكِبْرِ وَالْمُخَالَفَةِ لَا يَقْتَضِي النِّفَاقَ وَالْكُفْرَ، لَكِنَّهُ مَعْصِيَةٌ إِنْ كَانَ الْأَمْرُ أَمْرَ إِيجَابٍ.

وقال: هَذَا الرَّجُلُ هُوَ (بُسْرٌ) بِضَمِّ الْبَاءِ وَبِالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ، ابْنُ رَاعِي الْعَيْرِ، بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَبِالْمُثَنَّاةِ، الْأَشْجَعِيُّ، كَذَا ذَكَرَ ابْنُ مَنْدَهْ وَأَبُو نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ، وَابْنُ مَاكُولَا، وَآخَرُونَ، وَهُوَ صَحَابِيٌّ مَشْهُورٌ، عَدَّهُ هَؤُلَاءِ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

إذًا نعود إلى ما قاله النووي، والقول الأول قد قال به القاضي، لكن بما أنه قد عُد من الصحابة وذكر بالخير يذكر بالخير والجميل، ولا يذكر بغيره.

وأيضا في الباب أن من صنع الخير يدعى له، لا سيما من الأطفال؛ حتى يشجع إذا كان النبي ﷺ قد دعا على من خالف الأمر مع قدرته على عدم المخالفة فكذلك من استجاب للأمر يُدعى له بالبركة والخير. اهـ

١٠٥ - باب النّهي عن القِرَانِ بين تمرتين ونحوهما إِذَا أكل جماعة إِلاَّ بإذن رفقته

وبعضهم يلحق به العنب والزبيب ونحو ذلك، والصحيح أنه لا يلحق، لكن لو استأذن أمر طيب.

٧٤١ - عن جَبَلَة بن سُحَيْم، قَالَ: أَصَابَنَا عَامُ سَنَةٍ مَعَ ابن الزُّبَيْرِ، فَرُزِقْنَا تَمْرًا، وَكَانَ عبدُ الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَمُرُّ بنا ونحن نَأْكُلُ، فَيَقُولُ: لَا تُقَارِنُوا، فإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عنِ القِرَانِ، ثُمَّ يَقُولُ: إِلاَّ أَنْ يَسْتَأْذِنَ الرَّجُلُ أَخَاهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

(أَصَابَنَا عَامُ سَنَةٍ) أي: شدة.

(مَعَ ابن الزُّبَيْرِ) أي في خلافته.

(فَرُزِقْنَا تَمْرًا) أي: يسر الله بتمر.

لأن هذا الطعام الذي بين أيديهم صار شركة بينهم، صاروا شركاء فيه، فلا بد من المساواة، فيستأذن حتى لا يتجاوز.

ومن عجيب ما ذُكر قالوا: كانت امرأة تعجن، فجاءها النعي بموت زوجها، فرفعت يدها من العجين وقالت: صار العجين للورثة، يعني إلا أن يأذنوا به وإلا ما سأعجن.

والله هذا إن ثبت دليل على ورع عندها، وأيضا فكرة، لأن بعض الناس قد ما تأتيه مثل هذه الفكرة.

(١) أخرجه البخاري (٥٤٤٦)، ومسلم (٢٠٤٥).

١٠٦ - باب مَا يقوله ويفعله من يأكل وَلَا يشبع

٧٤٢ - عن وَحْشِيٍّ بن حرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ قالوا: يَا رسولَ اللهِ، إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ، قَالَ: «فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ»، قالوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ، يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ». رواه أَبُو داود[1].

الشرح:

لكن الاجتماع على الطعام له طرق وأحاديث تدل عليه، وقد ألف شيخنا يحيى حفظه الله (الأربعون الحسان في الاجتماع على الطعام)، على الحكاية.

(١) حديث رقم: (٣٧٦٤)، من طريق الوليد بن مسلم، قال: حدثني وحشي بن حرب، عن أبيه، عن جده، والحديث ضعيف، وفيه ثلاث علل: وحشي بن حرب بن وحشي بن حرب ضعيف، أبوه حرب بن وحشي مجهول، والوليد بن مسلم يدلس تدليس تسوية، ولم يصرح في شيخ شيخه.
قد حسنه الألباني، لكن مع هذا: هذه العلل لا يُحسن.

١٠٧ - باب الأمر بالأكل من جانب القصعة والنهي عن الأكل من وسطها

فِيهِ: قَوْله ﷺ: «وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» متفق عَلَيْهِ كما سبق[(١)].

٧٤٣ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «البَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطعَامِ، فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسَطِهِ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[(٢)].

٧٤٤ - وعن عبد الله بن بُسْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ للنَّبِيِّ ﷺ قَصْعَةٌ يُقَالُ لَهَا: الغَرَّاءُ، يَحْمِلُهَا أَرْبَعَةُ رجالٍ، فَلَمَّا أَضْحَوْا وَسَجَدُوا الضُّحَى أُتِيَ بِتِلْكَ الْقَصْعَةِ، يعني وَقَدْ ثُرِدَ فِيهَا، فَالتَفُّوا عَلَيْهَا، فَلَمَّا كَثُرُوا جَثَا رسولُ الله ﷺ، فَقَالَ أعرابيٌّ: مَا هذِهِ الجِلْسَةُ؟ فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا»، ثُمَّ قَالَ رسولُ الله ﷺ: «كُلُوا مِنْ حَوَالَيْهَا، وَدَعُوا ذِرْوَتَهَا، يُبَارَكْ فِيهَا». رواه أَبُو داود بإسنادٍ جيد[(٣)].

(ذِرْوَتها): أعْلَاهَا بكسر الذال وضمها.

الشرح:

(الغَرَّاءُ، يَحْمِلُهَا أَرْبَعَةُ رجالٍ) يعني كبيرة.

(وَقَدْ ثُرِدَ فِيهَا): لحم مع خبز.

(مَا هذِهِ الجِلْسَةُ؟) الجِلْسة: الفِعْلة.

(إِنَّ اللهَ جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا) كان متواضعا ﷺ.

(وَدَعُوا ذِرْوَتَهَا) أي: أعلاها.

---

(١) انظر الحديث (٢٩٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٧٢)، والترمذي (١٨٠٥).

(٣) حديث رقم: (٣٧٧٣).

مثل هذا يحتاج إلى تطبيق مثل هذه السنن، لا سيما إذا كانت هناك فتة أو عصيد أو نحو ذلك أيضا الرز، ونحو ذلك مما يستطيع أن يأكل من جوانبه، ويؤخر وسطه إلى آخر المأكول.

١٠٨ - باب كراهية الأكل متكئًا

اختلفوا في طريقة الاتكاء، بعضهم يقصد بالاتكاء: أن تجلس متربعًا، هذه الجلسة تسمى عندهم متكئًا، وبعضهم يرى أن الاتكاء: أن تتكئ على يدك وعلى جنبك.

٧٤٥ - عن أَبِي جُحَيْفَةَ وَهْبِ بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لَا آكُلُ مُتَّكِئًا». رواه البخاري[1].

قَالَ الخَطَّابِيُّ: المُتَّكِئُ هاهُنَا: هُوَ الجالِسُ مُعْتَمِدًا عَلَى وِطَاءٍ تحته، قَالَ: وأرادَ أَنَّهُ لا يَقْعُدُ عَلَى الوِطَاءِ وَالوَسَائِدِ كَفِعْلِ مَنْ يُرِيدُ الإِكْثَارَ مِنَ الطَّعَام، بل يَقْعُدُ مُسْتَوفِزًا لَا مُسْتَوطِئًا، وَيَأْكُلُ بُلْغَةً.

هَذَا كلامُ الخَطَّابِيِّ، وأشارَ غَيْرُهُ إِلَى أَنَّ المُتَّكِئَ هُوَ المائِلُ عَلَى جَنْبِه، والله أعلم.

الشرح:

مشهور حسن أو سَلِيم أظن ما أذكر الآن الهلالي وضعوا هذه المسألة في المنهيات، فأنكر الشيخ مقبل هذا الأمر، يعني النهي عن الأكل متكئًا، ما هناك نهي من النبي ﷺ، إنما كرهه لنفسه، فلا بأس أن يكره المسلم ما كرهه النبي ﷺ، فلا يصل الأكل متكئًا إلى حد الحرمة؛ لأن أفعال النبي ﷺ لا تدل على الوجوب.

---

(١) حديث رقم: (٥٣٩٨).

٧٤٦ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رسول الله ﷺ جَالِسًا مُقْعِيًا يَأْكُلُ تَمْرًا.

رواه مسلم[1].

(المُقْعِي): هُوَ الَّذِي يُلْصِقُ أَلْيَتَيْهِ بالأرض، وَيَنْصِبُ سَاقَيْهِ.

الشرح:

يعني: يجلس على إليتيه وينصب ساقيه، يجلسها أهل شبوة، وأهل البيضاء، لا سيما مع استخدام الحَبْوة، هذه هي الجلسة المذكورة هنا، فلا بأس أن الإنسان يأكل على هذا الحال.

(١) حديث رقم: (٢٠٤٤).

١٠٩ - باب استحباب الأكل بثلاث أصابع، واستحباب لعق الأصابع، وكراهة مسحها قبل لعقها، واستحباب لعق القصعة، وأخذ اللقمة الَّتي تسقط منه وأكلها، ومسحها بعد اللعق بالساعد والقدم وغيرها

هذه عدة آداب سيأتي بأحاديثها.

٧٤٧ - عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَلَا يَمْسَحْ أَصَابِعَهُ حَتَّى يَلْعَقَهَا أَوْ يُلْعِقَهَا». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

يلعقها بنفسه، أو يُلعقها لولده أو من إليه.

وهذا على الاستحباب لا الوجوب.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في فتح الباري (٩/ ٥٧٨): وَفِي الْحَدِيثِ رَدٌّ عَلَى مَنْ كَرِهَ لَعْقَ الْأَصَابِعِ اسْتِقْذَارًا، نَعَمْ يَحْصُلُ ذَلِكَ لَوْ فَعَلَهُ فِي أَثْنَاءِ الْأَكْلِ لِأَنَّهُ يُعِيدُ أَصَابِعَهُ فِي الطَّعَامِ وَعَلَيْهَا أَثَرُ رِيقِهِ قَالَ الْخَطَّابِيُّ عَابَ قَوْمٌ أَفْسَدَ عَقْلَهُمُ التَّرَفُّهُ فَزَعَمُوا أَنَّ لَعْقَ الْأَصَابِعِ مُسْتَقْبَحٌ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الطَّعَامَ الَّذِي عَلِقَ بِالْأَصَابِعِ أَوِ الصَّحْفَةِ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ مَا أَكَلُوهُ وَإِذَا لَمْ يَكُنْ سَائِرُ أَجْزَائِهِ مُسْتَقْذَرًا لَمْ يَكُنِ الْجُزْءُ الْيَسِيرُ مِنْهُ مُسْتَقْذَرًا وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ أَكْبَرُ مِنْ مَصِّهِ أَصَابِعَهُ بِبَاطِنِ شَفَتَيْهِ وَلَا يَشُكُّ عَاقِلٌ فِي أَنْ لَا بَأْسَ بِذَلِكَ فَقَدْ يُمَضْمِضُ الْإِنْسَانُ فَيُدْخِلُ إِصْبَعَهُ فِي فِيهِ فَيُدَلِّكُ أَسْنَانَهُ وَبَاطِنَ فَمِهِ ثُمَّ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ إِنَّ ذَلِكَ قَذَارَةٌ أَوْ سُوءُ أَدَبٍ وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ مَسْحِ الْيَدِ بَعْدَ الطَّعَامِ. اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٥٦)، ومسلم (٢٠٣١).

٧٤٨ - وعن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَأْكُلُ بثَلَاثِ أصابعَ، فإذا فَرَغَ لَعِقَهَا. رواه مسلم[١].

الشرح:

وهذا من تواضعه ﷺ، وبعضهم حرم الملاعق، وبعضهم يأخذ الملعقة قاصدا يقول: لأنها تجعلك تأكل بثلاثة أصابع، المسألة واسعة.

بعض الطعام ما يؤكل بثلاثة أصابع مثل الرز، سيكون فيه تكلف إذا تأكله بثلاثة أصابع، لكن مثل الفتة مثل الخبز ونحو ذلك لا بأس.

٧٤٩ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ أمر بلعق الأصابع والصحفة، وقال: «إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ البَرَكَةُ». رواه مسلم[٢].

٧٥٠ - وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ، فَلْيأْخُذْهَا فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أذىً، وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ، وَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ بالمِنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ البَرَكَةُ». رواه مسلم[٣].

الشرح:

هذه آداب والله أننا نقصر فيها، والله المستعان، نسأل الله أن يعيننا على طاعته، ولو أن الإنسان يعمل بها من باب التأسي لأجر.

كان السلف لا ينظرون إلى مسألة: هل الأمر للوجوب أو للاستحباب؟ هل النهي للحرمة أم للكراهة؟ خلاص أمْر النبي ﷺ يؤخذ به، ونهْي النبي ﷺ يجتنب، لكن إذا فعل الإنسان الفعل عند ذلك إذا سأل عن الحكم مثلا وقع في منهي عنه يسأل عن

---

(١) حديث رقم: (٢٠٣٤).

(٢) حديث رقم: (٢٠٣٣).

(٣) حديث رقم: (٢٠٣٣).

الحكم: ما حكم هذا؟ يقول له: والله حرام، يحتاج إلى توبة، لكن لو قال له: النهي للإرشاد وليس بحرام ما يحتاج إلى توبة.

٧٥١ - وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأنِهِ، حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ، فإذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أذىً، ثُمَّ لِيَأْكُلْهَا وَلَا يَدَعْهَا للشَّيْطَانِ، فإذا فَرَغَ فَلْيَلْعَقْ أصابِعَهُ؛ فإنَّهُ لا يَدْري في أيِّ طعامِهِ البَرَكَةُ». رواه مسلم[1].

الشرح:

(وعنه) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(إنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأنِهِ) وهذا لفظ عام، في دخوله وخروجه، وأكله وشربه، ومعاشرته، وركوبه.

(فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أذىً) هذا إذا لم يكن قد اتسخت أو كذلك تلوثت، بحيث لا يستطيع أن يميز القذر منها.

٧٥٢ - وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ إذَا أكَلَ طَعَامًا، لَعِقَ أصَابِعَهُ الثَّلَاثَ، وقال: «إذَا سقَطَتْ لُقْمَةُ أحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا، ولْيُمِطْ عنها الأذى، وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدَعْها لِلْشَّيْطَان»، وأمَرَنا أن نَسْلُتَ القَصْعَةَ، وقال: «إنَّكُمْ لا تَدْرُونَ في أيِّ طَعَامِكُمُ البَرَكَةُ». رواه مسلم[2].

٧٥٣ - وعن سعيد بنِ الحارث: أنّه سأل جابرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنِ الوُضُوءِ مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ، فَقَالَ: لا، قَدْ كُنَّا زَمَنَ النبيِّ ﷺ لا نَجِدُ مِثْلَ ذَلِكَ الطَّعامِ إلاَّ قليلًا، فإذا نَحْنُ

(١) انظر الحديث (١٦٤).

(٢) انظر الحديث (٦٠٧).

وجَدْنَاهُ لَمْ يَكُنْ لنا مَنَادِيلُ إِلاَّ أَكُفَّنا، وسَواعِدَنَا، وأَقْدامَنَا، ثُمَّ نُصَلِّي وَلَا نَتَوَضَّأُ. رواه البخاري[1].

الشرح:

قد نُسخ الوضوء مما مست النار، كان آخر الأمرين ترك الوضوء مما مست النار، إلا فيما كان من باب الإبل، فالإبل باقية على حكمها.

❁❁❁

(١) حديث رقم: (٥٤٥٧).

١١٠ - باب تكثير الأيدي عَلَى الطعام

٧٥٤ - عن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «طَعَامُ الاثنينِ كافِي الثلاثةِ، وطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كافي الأربعة». متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

بحيث يعود الإنسان نفسه أن يأكل مع غيره، ويأكل معه غيره، هذا أمر يتعوده الإنسان، مع أبنائه، مع أصحابه، مع إخوانه، وهكذا.

٧٥٥ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «طَعَامُ الوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ». رواه مسلم[2].

الشرح:

المؤمن يأكل طعامًا يسيرًا يجعل الله في بركة.

انتهينا من آداب الطعام، والحمد لله رب العالمين، هذه نعمة عظيمة والله، أنا ما يعجبني أمشي إلا سريعا، يجعل الله فيها بركة يا أخي، الحمد لله، والله إنها بركة، انتهينا من (بلوغ المرام)، وانتهينا من (عمدة الأحكام)، وانتهينا من (الأربعون النووية) -على الحكاية-، وكم من الكتب! بفضل الله ثم بهذا السرد.

مع أن (عمدة الأحكام) كنت أعطي في اليوم حديث، لكن مشينا، وندمت لو أني كنت أعطي حديثين أو ثلاثة، الحين ربما قد وصلنا في مسلم إلى بعد الجهاد، لكن

---

(١) انظر الحديث (٥٦٤).

(٢) انظر الحديث (٥٦٤).

الحمد لله، ووقت يسير، مسلم الآن نأخذ خمسة أحاديث في خمسة عشر دقيقة، ثلاثة عشر دقيقة، ثمانية عشر دقيقة.

هكذا، أما واحد يريدك تجلس: عند قوله عند قوله، عند قوله عند قوله، لكل مقام مقال، في دروس تدرس عند قوله هكذا بعد دروس تدرس هكذا تحتاج، بعض دروس ما تحتاج إلى هذا.

الآن لما ندرس (كتاب التوحيد) هذه الأيام أمر بكم على المراد فقط، لكن لما أردت شرح الكتاب ما تركت بفضل الله كلمة، قوله كذا، ونفسرها، قوله كذا، ونفسرها، وهكذا (شرح الواسطية)، و (شرح بلوغ المرام)، و (شرح العمدة)، مضيناه هكذا.

ورجعت والله حاولت أني أجعل العمدة في مجلد واحد، لكن ما قد جاء لي فرصة، وإلا لو جاء لي فرصة مثلا أختصر الشرح المتعلق بالأحكام الشرعية، مثلا حديث: «**إنما الأعمال بالنيات**» أخذ مثلا ثلاثين صفحة، وحديث كذا أخذ كذا كذا، فآخذ ما يتعلق بفقه الحديث، وأضعه في ذاك الموضع، وهكذا في كل حديث، سيطلع مجلد طيب، الشيخ ابن عثيمين له عدة شروح على (عمدة الأحكام)، مختصر ومتوسط ومطول، فهكذا ويجعل الله بركة.

١١١ - باب أدب الشرب واستحباب التنفس ثلاثًا خارج الإناء وكراهة التَّنَفُّس في الإناء واستحباب إدارة الإناء عَلَى الأيمن فالأيمن بعد المبتدئ

انظر هذا القيد (بعد المبتدئ) بعضهم يدخل المجلس ويبدأ يوزع من الأيمن، هذا ما هو صحيح، التوزيع من عند خير القوم، عالم، أو شيخ، أو مسؤول، أو أب، أو من له شأن، تبدأ من عنده، ثم بعد ذلك عن يمينه، فالأيمن فالأيمن بعد المبتدئ.

الرسول ﷺ كان في وسط أبي بكر وفي وسط الغلام، فجاءوا إلى النبي ﷺ وناولوه الشراب، ما قالوا: نبدأ بالأيمن، فلما شرب النبي ﷺ استأذن ابن عباس: هل تأذن لي أن أناوله الشيخ؟ كان عن يساري، قال: لا.

٧٥٦ - عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ ثَلَاثًا. متفق عَلَيْهِ[1]. يعني: يتنفس خارجَ الإناءِ.

الشرح:

نعم؛ لأن النبي ﷺ نهى عن التنفس في الشراب، أي داخل الشراب، كما في حديث أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

٧٥٧ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَشْرَبُوا وَاحِدًا كَشُرْبِ البَعِيرِ، وَلَكِنِ اشْرَبُوا مَثْنَى وَثُلَاثَ، وَسَمُّوا إِذَا أَنْتُمْ شَرِبْتُمْ، وَاحْمَدُوا إِذَا أَنْتُمْ رَفَعْتُمْ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[2].

الشرح:

(لَا تَشْرَبُوا وَاحِدًا كَشُرْبِ البَعِيرِ) النبي ﷺ أمر أن يُتنفس في الإناء ثلاثا؛ «فإنه أبرأ وأروى وأمرأ».

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٣١)، ومسلم (٢٠٢٨).

(٢) حديث رقم: (١٨٨٥)، والحديث ضعيف، في سنده يزيد بن سنان الجزري، لكن له شواهد.

٧٥٨ - وعن أَبي قَتَادَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ نَهَى أَنْ يُتَنَفَّسَ في الإناءِ. متفق عَلَيْهِ(١).

يعني: يتنفس في نفس الإناءِ.

الشرح:

إذًا الجمع بين حديث أنس: كان يتنفس في الشراب ثلاثا وبين حديث أبي قتادة: أن حديث أبي قتادة النهي عن التنفس داخل الإناء، وحديث أنس التنفس خارج الإناء.

٧٥٩ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ أُتِيَ بِلَبَنٍ قَدْ شِيبَ بماءٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ أَعْرَابِيٌّ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَبُو بَكْر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَشَرِبَ، ثُمَّ أَعْطَى الأَعْرابِيَّ، وقال: «الأَيْمَنَ فالأَيْمَنَ» متفق عَلَيْهِ(٢).

قَوْله: (شِيب) أَيْ: خُلِطَ.

٧٦٠ - وعن سهلِ بن سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ أُتِيَ بِشرابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَشْيَاخٌ، فَقَالَ للغُلامِ: «أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هؤُلَاءِ؟» فَقَالَ الغُلامُ: لَا واللهِ، لَا أُوثِرُ بنَصيبي مِنْكَ أَحَدًا، فَتَلَّهُ رسول الله ﷺ في يَدِهِ. متفقٌ عَلَيْهِ(٣).

قَوْله: (تَلَّهُ) أَيْ وَضَعَهُ، وهذا الغلامُ هُوَ ابْنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الشرح:

هذا شاهد على أن القسمة تبدأ من يمين الكبير.

❁❁❁❁

(١) أخرجه البخاري (٥٦٣٠)، ومسلم (٢٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٥٢)، ومسلم (٢٠٢٩)، وجاء أيضا عن ابن عباس، لعله يأتي.

(٣) انظر الحديث (٥٦٨).

١١٢ - باب كراهة الشرب من فم القربة ونحوها وبيان أنه كراهة تنزيه لا تحريم

٧٦١ - عن أَبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَهَى رسول الله ﷺ عن اخْتِنَاثِ الأَسْقِيَةِ. يعني: أن تُكْسَرَ أفْواهُها، وَيُشْرَبَ مِنْهَا. متفق عَلَيْهِ[١].

الشرح:

يعني مثلًا: هذه الحبة الماء أنا أشرب منها وأنت تأتي تشرب بعدي، هذا ما يصلح، حتى ولو لم يكن هناك أمراض، يعود الإنسان نفسه أن يشرب من في السقاء بنفسه إن كان السقاء لنفسه، أو يشرب في كوب إن كان السقاء لمجموعة، وإن شربوا إن شاء الله ما يصل إلى الحرام، لكن الأولى ما تقدم.

٧٦٢ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَهَى رسول الله ﷺ أن يُشْرَبَ مِنْ فِيِّ السِّقَاءِ أَوْ القِرْبَةِ. متفق عَلَيْهِ[٢].

٧٦٣ - وعن أم ثابتٍ كَبْشَةَ بنتِ ثابتٍ أُختِ حَسَّانَ بن ثابتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالت: دخل عَلَيَّ رسولُ الله ﷺ فَشَرِبَ مِنْ فِيِّ قِرْبَةٍ مُعَلَّقَةٍ قَائِمًا، فَقُمْتُ إِلَى فِيهَا فَقَطَعْتُهُ، رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[٣].

وإنّما قَطَعْتُهَا؛ لِتَحْفَظَ مَوْضِع فَمِ رسول الله ﷺ وَتَتَبَرَّكَ بِهِ، وتَصُونَهُ عَن الابْتِذَال.

وهذا الحديث محمولٌ عَلَى بيان الجواز، والحديثان السابقان لبيان الأفضل والأكمل، والله أعلم.

الشرح:

هذا الشاهد أن النبي ﷺ شرب من في القربة، فيكون النهي للكراهة والتنزيه لا للتحريم.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٢٥)، ومسلم (٢٠٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٢٧).

(٣) حديث رقم: (١٨٩٢).

١١٣ - باب كراهة النفخ في الشراب

يعني إذا كان بين الشراب قناة لا يجوز أن تنفخ.

٧٦٤ - عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنِ النَّفْخِ فِي الشَّرَابِ، فَقَالَ رَجُلٌ: القَذَاةُ أراها في الإناءِ؟ فَقَالَ: «أهرقها»، قَالَ: إِنِّي لا أَرْوَى مِنْ نَفَسٍ وَاحِدٍ، قَالَ: «فَأَبِنِ القَدَحَ إِذًا عَنْ فِيكَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[(١)].

الشرح:

يعني: اشرب ثم أبن القدح ثم أشرب بعد أن تتنفس.

معنى: (أَبِنِ القَدَحَ) أي: أخر القدح ونح القدح عن فيك، والقدح هو الكوب والإناء الذي يُشرب فيه.

٧٦٥ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النبيَّ ﷺ نهى أن يُتَنَفَّسَ في الإناءِ أَوْ يُنْفَخَ فِيهِ. رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[(٢)].

الشرح:

هذا موافق لما تقدم من حديث أبي قتادة، ولا يعارض حديث أنس في التنفس في الإناء، فيريد خارج الإناء.

(١) حديث رقم: (١٨٨٧).

(٢) حديث رقم: (١٨٨٨).

١١٤ - باب بيان جواز الشرب قائمًا وبيان أنَّ الأكمل والأفضل الشرب قاعدًا

إذا مـــا شـــربت فـــاجلس تفـــز ... بســـنةِ صـــفوةِ أهـــل الحجـــاز
وقـــد نقلـــوا شـــربه قائمـــا ... وذاك لبيـــان الجـــواز

فإذا وُجد النهي ووُجد فعل النبي ﷺ ولم تكن من خصوصياته فإنها تصرفه من التحريم إلى الكراهة.

فِيهِ حديث كبشة السابق[١].

٧٦٦ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَقَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ زَمْزَمَ، فَشَرِبَ وَهُوَ قَائِمٌ. متفق عَلَيْهِ[٢].

الشرح:

(فِيهِ حديث كبشة السابق) حيث قام النبي ﷺ وشرب من فِيِّ السقاء.

في بعض المواطن الجلوس قد يكون متعذرا، وفي بعضها قد يكون الانسان في شغل من شأنه.

٧٦٧ - وعن النَّزَّالِ بن سَبْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَابَ الرَّحْبَةِ، فَشَرِبَ قَائِمًا، وقال: إِنِّي رَأَيْتُ رسولَ الله ﷺ فَعَلَ كما رَأَيْتُمُونِي فَعَلْتُ. رواه البخاري[٣].

الشرح:

يعني شرب قائما.

---

(١) انظر الحديث (٧٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٦٣٧)، ومسلم (٢٠٢٧).

(٣) حديث رقم: (٥٦١٥).

٧٦٨ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا عَلَى عهدِ رسول الله ﷺ نَأْكُلُ وَنَحْنُ نَمْشِي، وَنَشْرَبُ ونَحْنُ قِيامٌ. رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[١].

٧٦٩ - وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رأيتُ رسول الله ﷺ يَشْرَبُ قَائِمًا وقَاعِدًا. رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[٢].

٧٧٠ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ: أنه نَهى أن يَشْرَبَ الرَّجُلُ قَائِمًا. قَالَ قتادة: فَقُلْنَا لأَنَسٍ: فالأَكْلُ؟ قَالَ: ذَلِكَ أَشَرُّ، أَوْ أَخْبَثُ[٣]. رواه مسلم[٤].

وفي رواية لَهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ زَجَرَ عَن الشُّرْب قائِمًا.

٧٧١ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِمًا، فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِيء». رواه مسلم[٥].

الشرح:

وليس عليه أن يستقيء، لكن هذا لعله على التغليظ أو نحو ذلك إذا صح الحديث، مع أنه كما قلت لكم الحديث ضعيف.

❁❁❁❁

(١) حديث رقم: (١٨٨٠)، كان شيخنا مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ قد ذكره في (الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين)، ثم وضعه في (أحاديث معلة)، يعني ظاهره الاحتجاج ولكنه ضعيف.

قال: الطريق التي رجحها الأئمة عند أحمد والطيالسي وغيرهم من طريق عمران بن الحدير، عن أبي البزري يزيد بن عطارد السدوسي، عن ابن عمر به، ورجاله ثقات خلا يزيد بن عطارد وهو مجهول حال، قال أبو حاتم كما في (الجرح): لا أعلم روى عنه غير عمران بن حُدير، وليس ممن يُحتج بحديثهم. انتهى.

(٢) حديث رقم: (١٨٨٣)، الحديث ثابت وله شواهد يصح بها.

(٣) على المعنى الذي تقدم.

(٤) حديث رقم: (٢٠٢٤).

(٥) حديث رقم: (٢٠٢٦)، معل بعمر بن حمزة، ضعيف، وعمر بن حمزة له ثلاثة أحاديث في مسلم: هذا الحديث، وحديث وصف الله بالشمال، وحديث الرجل يفشي سر امرأته، وله شواهد.

١١٥ - باب استحباب كون ساقي القوم آخرهم شربًا

يعني إذا كنت تسقي القوم، سواء ماء أو عصيرًا أو أي شيء، كن آخر من يشرب، ابدأ بالناس.

٧٧٢ - عن أَبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «سَاقِي القَومِ آخِرُهُمْ شُرْبًا». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[(١)].

الشرح:

الحديث في مسلم، وله قصة طويلة، حيث احتاجوا إلى الماء، فدعا رسول الله ﷺ، وشرب الناس، وكان أبو قتادة يناولهم، ثم قال النبي ﷺ: «**ساقي القوم آخرهم شربا**»، هذا على الاستحباب.

(١) أخرجه مسلم (٦٨١) مطولًا، وابن ماجه (٣٤٣٤)، والترمذي (١٨٩٤)، والنسائي في (الكبرى) (٦٨٦٧).

١١٦ - باب جواز الشرب من جميع الأواني الطاهرة غير الذهب والفضة وجواز الكرع - وَهُوَ الشرب بالفم من النهر وغيره بغير إناء ولا يد - وتحريم استعمال إناء الذهب والفضة في الشرب والأكل والطهارة وسائر وجوه الاستعمال

لكن يكون الإنسان على حذر إذا شرب من بعض الأنهار، لا سيما من الأنهار التي فيها تلك الحشرة التي تسمى العَلَقَة، إذا دخلت إلى الفم ما تخرج.

مرة من المرات كان عندنا غيل، وما ألذ ذلك الماء وما أصفاه! لكن كان هذا العلق بينه، وما شعرت إلا وهي في الحلق، وتؤذي، تمسكك في حلقك تؤذيك، تتغدى من دمك، وأنت تأكل وهي في مكانها، وتشرب وهي في مكانها، وإنما كانوا يفعلون لنا شيئا حتى نتقيأ تقيأً شديدا حتى تخرج بعد عناء، فمثل هذا الإنسان يحذر.

وبعض المناطق فيها دود صغير، أو ثعابين صغيرة، الإنسان يكون على حذر، وإلا الماء الكَرَع سواء ماء المطر أو ماء النهر لذيذ، ألذ من هذا الماء الذي يضعون فيه الكلور.

وأيضا الشرب هكذا لا بأس به، يملأ الإنسان يده ويشرب بها، بل كنا نأخذ أوراق ما يسمى بالتَّالُوق، بعض الشجر الكبار، ونلويها هكذا حتى تصير مثل الإناء، ونسقي منها.

فالشاهد: أن الإنسان يستطيع أن يتعامل مع الطبيعة التي هو يعيش فيها، ويشرب ويأكل، وذلك الرجل نزل إلى البئر وملأ موقه ماء، والمرأة ملأت حذاءها ماء وصعدت به للكلب، فشكر الله لها وغفر لها.

٧٧٣ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فقامَ مَن كَانَ قَرِيبَ الدَّارِ إِلَى أَهْلِهِ، وبَقِيَ قَوْمٌ، فأُتِيَ رسول الله ﷺ بِمَخْضَبٍ مِنْ حِجَارَةٍ، فَصَغُرَ المِخْضَبُ أَنْ يَبْسُطَ فِيهِ كَفَّهُ، فَتَوَضَّأَ القَوْمُ كُلُّهُمْ، قالوا: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: ثَمَانِينَ وزيادة. متفق عَلَيْهِ، هذه رواية البخاري[1].

وفي رواية لَهُ ولمسلم: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا بإناءٍ مِنْ ماءٍ، فَأُتِيَ بقَدَحٍ رَحْرَاحٍ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ ماءٍ، فَوَضَعَ أصابعَهُ فِيهِ.

قَالَ أنسٌ: فَجَعلْتُ أَنْظُرُ إِلَى الماءِ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَحَزَرْتُ مَنْ تَوَضَّأَ مَا بَيْنَ السَّبْعِينَ إِلَى الثَّمَانِينَ.

الشرح:

(بِمَخْضَبٍ مِنْ حِجَارَةٍ): إناء من حجارة.

أكرمهم الله ببركة النبي ﷺ أن شربوا من هذا المخضب، وكانوا أربعمائة كما في بعض الروايات.

٧٧٤ - وعن عبد الله بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَانَا النبيُّ ﷺ فَأَخْرَجْنَا لَهُ مَاءً في تَوْرٍ مِنْ صُفْرٍ فَتَوَضَّأَ. رواه البخاري[2].

(الصُّفْر): بضم الصاد، ويجوز كسرها، وَهُوَ النُّحاس.

و(التَّوْر): كالقدح، وَهُوَ بالتاء المثناة من فوق.

الشرح:

يعني إناء من نحاس، هذا الذي الآن عندنا الذي يستخدم للمَرَقِ ونحو ذلك، بعضه من نحاس، وبعضه الآن من ألمنيوم، وبعضه من هذا الإستيل الجديد.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٥) و(٢٠٠)، ومسلم (٢٢٧٩).

(٢) حديث رقم: (١٩٧).

٧٧٥ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ مِن الأَنْصَارِ، وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «إنْ كَانَ عِنْدَكَ مَاءٌ بَاتَ هذِهِ اللَّيْلَةَ في شَنَّةٍ وَإلاَّ كَرَعْنَا». رواه البخاري[1].

(الشنّ): القِربة.

الشرح:

الماء البائت أطيب من الماء الذي يؤخذ في يومه، ربما يمر عليه الليل، وتقع له برودة طيبة، وإذا كان فيه شيء من القذى أو غيره ينزل إلى أسفله، ونحو ذلك.

٧٧٦ - وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إنَّ النبيَّ ﷺ نَهَانَا عَن الحَرِيرِ، وَالدِّيباجِ، والشُّربِ في آنِيَة الذَّهَب والفِضَّةِ، وقال: «هي لَهُمْ في الدُّنْيَا، وهِيَ لَكُمْ في الآخِرَةِ». متفقٌ عَلَيْهِ[2].

الشرح:

(وَالدِّيباجِ) الديباج من الحرير.

(والشُّربِ في آنِيَة الذَّهَب والفِضَّةِ) أيضا والأكل فيهما، إنما ذكر الشرب؛ لأنه أكثر ما يُستخدم.

حتى الحنفيات التي من ذهب لا يجوز أن تُستخدم.

---

(١) حديث رقم: (٥٦١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٣٤)، ومسلم (٢٠٦٧).

٧٧٧ - وعن أُمِّ سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ، إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي رواية لمسلم: «إِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ أَوْ يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ وَالذَّهَبِ».

وفي رواية لَهُ: «مَنْ شَرِبَ فِي إِنَاءٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ فَإِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارًا مِنْ جَهَنَّم».

الشرح:

(الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ) وكذلك الذهب، ربما يكون عذابه من جنس شربه؛ لأن الجزاء من جنس العمل.

واختلفوا في السبب الذي من أجله مُنع الشرب في إناء الفضة، فقيل: رفقا بالفقراء، وقيل: حتى لا تذهب النقدية، وتستخدم لمثل هذه الأمور، يستغلها الأغنياء.

(١) أخرجه البخاري (٥٦٣٤)، ومسلم (٢٠٦٥).

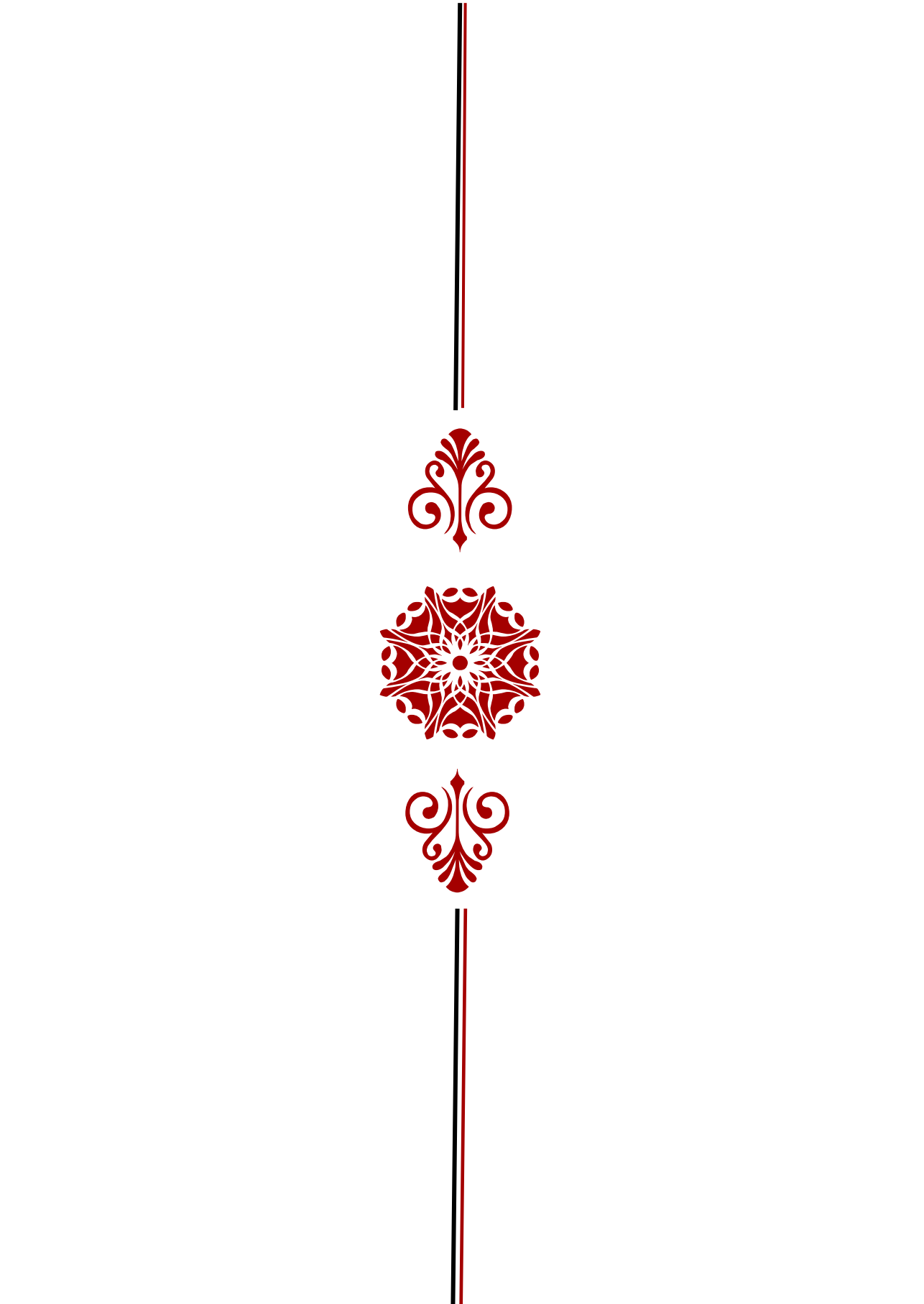

كتاب اللباس

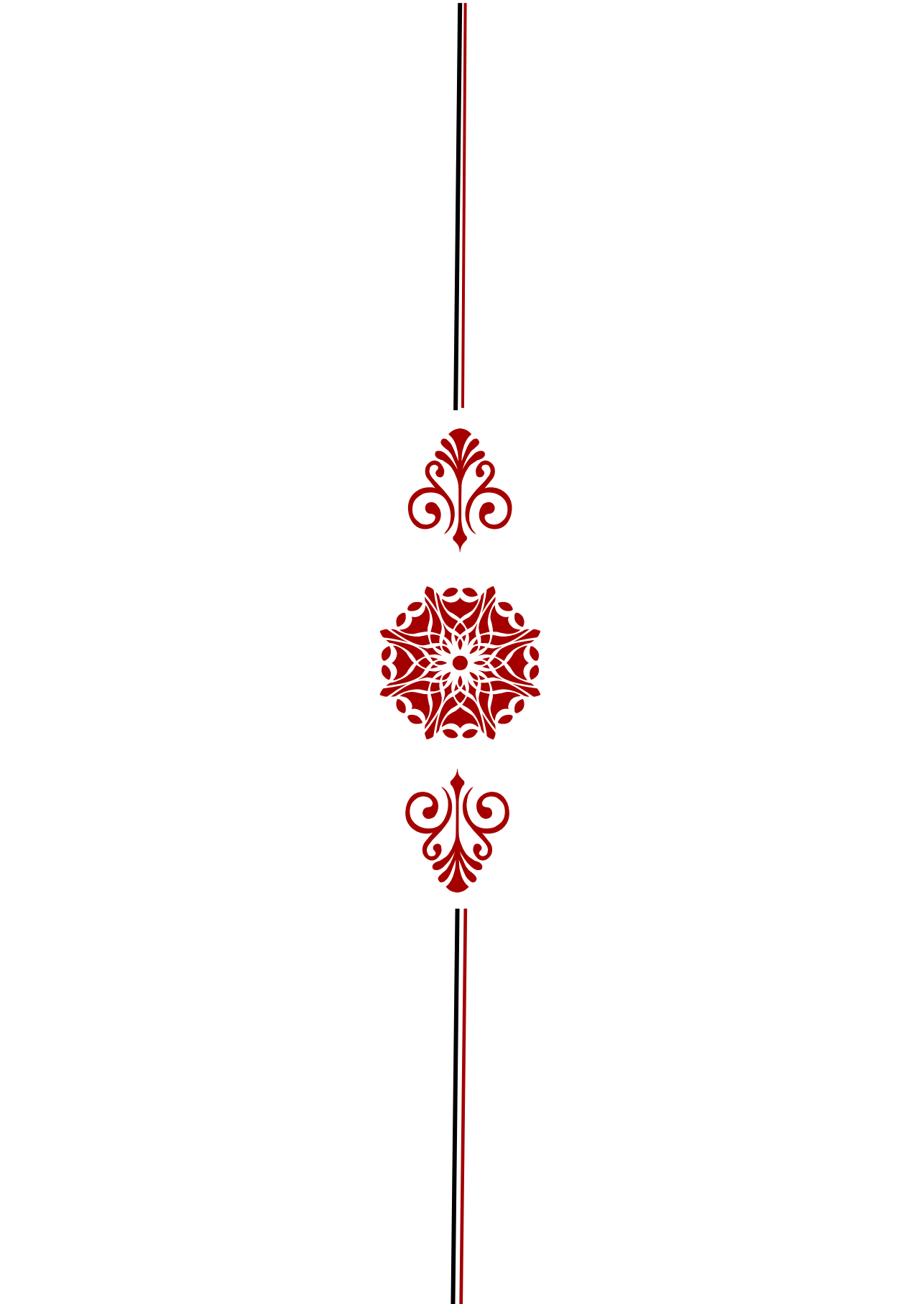

كتاب اللباس

بحمد الله قد أفردنا رسالة صغيرة بعنوان (الأساس في آداب اللباس)، من شرحنا على (عمدة الأحكام).

وقلت في: "شرحي على عمدة الأحكام":

اللباس نعمة من الله عَزَّوَجَلَّ كسى آدم حين خلقه، وإنما نزع عنه اللباس حين عصى الله عَزَّوَجَلَّ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِ﴾[الأعراف:٢٢]، ثم أهبط الله عَزَّوَجَلَّ آدم إلى الأرض وأنزل معه لباسه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾[الأعراف:٢٦].

قيل اللباس: هو ما وارى الجسم، وستر العورة، **والريش**: هو الزينة، وما في بابها.

وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمۡ مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٨٠ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ٨١﴾[النحل:٨٠-٨١].

فهو من النعم الجليلات إذ أن الله خص الإنسان باللباس وستر العورة دون غيره من الحيوان، وفي حديث أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «**يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي**»(١).

وقد تعين اللباس في حال العبادة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف:٣١]، وسبب

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

نزول هذه الآية: ما كان يفعله أهل الجاهلية من الطواف بالبيت عراة كما في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَهِيَ عُرْيَانَةٌ، فَتَقُولُ: مَنْ يُعِيرُنِي تِطْوَافًا؟ تَجْعَلُهُ عَلَى فَرْجِهَا، وَتَقُولُ، [البحر الرجز]:

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ ... فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ[(١)].

وكان هذا الأمر معتادًا عند الكفار فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا بُنِيَتِ الكَعْبَةُ ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَعَبَّاسٌ يَنْقُلاَنِ الحِجَارَةَ، فَقَالَ العَبَّاسُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ، فَخَرَّ إِلَى الأَرْضِ، وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «**أَرِنِي إِزَارِي**» فَشَدَّهُ عَلَيْهِ[(٢)]، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ آمرًا لمحمد ﷺ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:٤]، استدل بالآية على تطهير الظاهر والباطن، **تطهير الباطن**: من الشرك وما في بابه، **وتطهير الظاهر**: بترك المعاصي، ويدخل فيه تطهير الثياب، ومن ذلك قولهم:

وإِنَّنِي بِحَمْدِ اللهِ لا ثَوْبَ فَاجِرٍ ... لَبِسْتُ وَلا مِنْ غَدْرَةٍ أَتَقَنَّعُ

فالشاهد: أن الثوب قد يطلق على ما يتخلق به الإنسان من الأخلاق.

والأصل في الثياب الحل، لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩].

وفي حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**كُلُوا، وَاشْرَبُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَالْبَسُوا، فِي غَيْرِ مَخِيلَةٍ وَلَا سَرَفٍ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ تُرَى نِعْمَتُهُ عَلَى عَبْدِهِ**»[(٣)]

إلا أنه يحرم على الرجال لبس الذهب والفضة والحرير؛ لما يأتي من حديث حذيفة

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٢٩، ١٥٨٤).

(٣) أخرجه البخاري تعليقًا (٧/ ١٤٠)، وأخرجه أحمد موصولًا (٦٧٠٨)، وابن ماجه (٣٦٠٥)، وغيرهما، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «سنن ابن ماجه».

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وأما النساء**: فإنها تلبس ما بدا لها من الثياب ويدخل في ذلك الحرير والديباج.

وأذكر هنا بعض آداب ومنهيات اللباس:

١- يستحب في الألبسة البياض.

٢- يستحب لبس القمص.

٣- يحرم الإسبال.

٤- تحرم المخيلة.

وهنا تنبيه:

٥- يحرم على الرجال لبس الحرير والديباج:

٦- يحرم في اللباس التشبه بالكفار:

٧- يحرم لبس الحرير والذهب للرجال.

٨- يكره لبس التصاوير والصلبان:

لحديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «لَمْ يَكُنْ يَتْرُكُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا فِيهِ تَصَالِيبُ إِلَّا نَقَضَهُ»[1].

٩- النهي عن اشتمال الصماء:

وقد جاء في حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، وأَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أَنَّهُما قَالَا: «نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ اشْتِمَالِ الصَّمَّاءِ»[2]، وعن غيرهم.

واشتمال الصماء: أن يلبس الرجل الثوب، أو الرداء يلويه عليه ليًا، بحيث يكون كالمقيد، فإذا ما أدركه شيء من تعثر، أو غيره، ما استطاع أن يدافع عن نفسه، وقيل غير ذلك.

١٠- النهي عن تشبه النساء بالرجال والرجال بالنساء:

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٢).

(٢) حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري (٣٦٧)، وحديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجه مسلم (٢٠٩٩).

١١- النهي عن الاستلقاء في المسجد أو غيره إذا كان اللابس ليس عليه سراويل.

١٢- النهي عن اللباس الذي يكشف العورة.

وما أكثره في هذا الزمن مع أن ذلك كبيرة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»[١].

١٣- النهي عن الصلاة في ثوب واحد.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يُصَلِّي أَحَدُكُمْ فِي الثَّوْبِ الوَاحِدِ لَيْسَ عَلَى عَاتِقَيْهِ شَيْءٌ»[٢]، والصلاة في هذا الحال مكروه؛ لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا، أَنَّ سَائِلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الصَّلاَةِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَلِكُلِّكُمْ ثَوْبَانِ»[٣].

١٤- النهي عن ثوب الشهرة.

لحديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا، أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٤].

١٥- النهي عن لبس المعصفر من الثياب.

فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفي حديث عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال:

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٩)، ومسلم (٥١٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٨)، ومسلم (٥١٥).

(٤) أخرجه أحمد (٥٦٦٤)، وأبو داود (٤٠٣٠)، وابن ماجه (٣٦٠٦)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «المشكاة» (٤٣٤٦).

«أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنْ لُبْسِ الْقَسِّيِّ، وَالْمُعَصْفَرِ»[١].

١٦- حمد الله عَزَّوَجَلَّ لمن استجد ثوبًا.

فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ؛ إِمَّا قَمِيصًا أَوْ عِمَامَةً، ثُمَّ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ؛ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ**»[٢].

١٧- استخدام ثوبًا جديدًا نظيفًا للجمعة والوفد والعيد:

فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: رَأَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حُلَّةً عَلَى رَجُلٍ تُبَاعُ، فَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ابْتَعْ هَذِهِ الحُلَّةَ تَلْبَسْهَا يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَإِذَا جَاءَكَ الوَفْدُ؟[٣]، **وفي رواية**: «**لِلْعِيدِ وَالْوَفْدِ**»[٤]، وأقره النبي ﷺ على ذلك.

١٨- التجمل في الثياب.

١٩- إظهار النعمة على العبد.

كما في حديث مَالِكِ بْنِ نَضْلَةَ الْجُشَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: رَآنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيَّ أَطْمَارٌ، فَقَالَ: «**هَلْ لَكَ مَالٌ؟**» ، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**مِنْ أَيِّ الْمَالِ؟**» ، قَالَ: مِنْ كُلٍّ قَدْ آتَانِي اللهُ، مِنَ الشَّاءِ وَالْإِبِلِ، قَالَ: «**فَتَرَى نِعْمَةَ اللهِ وَكَرَامَتَهُ عَلَيْكَ**»، **وفي رواية**: «**فَلْتُرَ نِعَمُ اللهِ، وَكَرَامَتُهُ عَلَيْكَ**»[٥].

٢٠- النظافة في الثياب.

لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:٤]، وقد جاء عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٧٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٢٠)، والترمذي (١٧٦٧)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «المشكاة» (٤٣٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (٨٨٦)، ومسلم (٢٠٦٨).

(٤) أخرجه النسائي (١٥٦٠).

(٥) أخرجه معمر بن راشد في «الجامع» (٢٠٥١٣)، وأحمد (١٥٨٨٧)، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (١٠٩٩).

أَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرَأَى رَجُلًا شَعِثًا قَدْ تَفَرَّقَ شَعْرُهُ فَقَالَ: «أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ؟»، وَرَأَى رَجُلًا آخَرَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ، فَقَالَ: «أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ؟»[(١)].

٢١- التوسعة في اللباس.

إن كان قد أعطاك الله عَزَّوَجَلَّ فوسع ليكن لك أثواب، وقمص، وعمائم، وسراويلات، وفنايل، وغير ذلك مما يلبسه الإنسان؛ حتى يستجدها بين الحين والآخر؛ وحتى يكون أرفق لنفسه وأظهر لنعمة الله عَزَّوَجَلَّ عليه، كما تقدم عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢٢- التيمن عند اللبس.

٢٣- الاستكثار من النعل.

فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي غَزْوَةٍ غَزَوْنَاهَا: «اسْتَكْثِرُوا مِنَ النِّعَالِ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَزَالُ رَاكِبًا مَا انْتَعَلَ»[(٢)].

٢٤- أن يبدأ بيمينه في لبس النعال وإذا خلعها أن ينتهي بيمينه.

٢٥- عدم المشي في النعل الواحد.

فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا انْقَطَعَ شِسْعُ أَحَدِكُمْ - أَوْ - مَنِ انْقَطَعَ شِسْعُ نَعْلِهِ، فَلَا يَمْشِ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى يُصْلِحَ شِسْعَهُ، وَلَا يَمْشِ فِي خُفٍّ وَاحِدٍ»[(٣)].

واللباس عبادة إذا قصد المسلم ستر عورته، والتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بما أمر، وهو من النعم، وإذا أضاف إليها التأسي بالنبي ﷺ أُجرَ؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١].

وسئل شيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ عن حكم العمامة؟

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٦٢)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «سنن أبي داود».

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٩٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٩٩).

فقال: لا تصل إلى السنية، ولكن من لبسها تأسيًا بالنبي ﷺ فإنه يؤجر على ذلك، وإن لم توجد العمائم يستحب أن يلبس الرجل القلانس.

والقلنسوة: هي ما تسمى عند بعضهم بالطاقية، وقد كان الصحابة **رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ** يلبسونها. اهـ بتصرف.

١١٧ - باب استحباب الثوب الأبيض، وجواز الأحمر والأخضر والأصفر والأسود، وجوازه من قطن وكتان وشعر وصوف وغيرها، إلاَّ الحرير

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف:٢٦] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾ [النحل:٨١] .

الشرح:

الأصل في الثياب الإباحة، والمحرم محصور في الحرير، أو ما كان من لباس الكفار.

(﴿قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ﴾) اللباس: الذي يستر العورة، والريش: ما يكون للزينة.

(﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾) ثوب التقوى.

وإني بحمد الله لا ثوب فاجر ... لبست، ولا من غدرة أتقنعُ

فالدين لباس، والتقوى لباس.

(﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾) وأيضا تقيكم البرد، وإنما ذكر أحد الضدين ليشير إلى الآخر.

(﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾): دروع تقيكم الضرب.

٧٧٨ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمْ الْبَيَاضَ؛ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[١].

الشرح:

فيه استحباب لبس الثياب البيض؛ لأنها أظهر في جمالها وفي نظافتها، انظر «اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس»، غير الثوب الأبيض قد يحمل الدنس وما يظهر لك أن فيه دنس، وتغسله وتحسن إليه وما يظهر جماله وبياضه ونصاعته، بينما الأبيض إن وقع فيه شيء ظهر، وإن غُسل عاد ذا لمعان.

وأيضا (كَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ).

(فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ) فيه أن الثياب كثيرة، لكن هذه من خيرها.

٧٧٩ - وعن سَمُرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «الْبَسُوا الْبَيَاضَ؛ فَإِنَّهَا أَطْهَرُ وَأَطْيَبُ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ». رواه النسائي والحاكم، وقال: حديث صحيح[٢].

٧٨٠ - وعن البراءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ مَرْبُوعًا، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[٣].

الشرح:

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٧٨)، والترمذي (٩٩٤).

(٢) أخرجه النسائي (٩٦٤٢)، والحاكم (١٣٠٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٤٨)، ومسلم (٢٣٣٧).

هذا حديث فيه جواز لبس الأحمر الصرف، مع أن جمهور العلماء ذهبوا إلى المنع منه، ويأتي ما يستدلون به، لكن الصحيح أنه يجوز؛ لما يأتي: رأيت النبي ﷺ في حلة حمراء، لم يقل بأنها مخططة، ولم يقل بأنها فيها غير هذا اللون.

٧٨١ - وعن أَبي جُحَيفَةَ وَهْب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأيتُ النبيَّ ﷺ بِمكَّةَ وَهُوَ بالأبْطَحِ، في قُبَّةٍ لَهُ حَمْرَاءَ مِنْ أَدمٍ، فَخَرَجَ بِلَالٌ بِوَضُوئِهِ، فَمِنْ نَاضِحٍ وَنَائِلٍ، فَخَرَجَ النبيُّ ﷺ وعليه حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ سَاقَيْهِ، فَتَوَضَّأَ، وَأَذَّنَ بِلَالٌ، فَجَعَلْتُ أَتَتَبَّعُ فَاهُ هاهُنَا وَهَاهُنَا، يقولُ يَمِينًا وَشِمَالًا: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الفَلَاحِ، ثُمَّ رُكِزَتْ لَهُ عَنَزَةٌ، فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ الْكَلْبُ وَالْحِمَارُ لَا يُمْنَعُ. متفقٌ عَلَيْهِ.

(العنَزة) بفتح النون: نحو العُكازَة.

الشرح:

(وَهُوَ بالأبْطَحِ) بين منى ومكة.

(فِي قُبَّةٍ لَهُ حَمْرَاءَ مِنْ أَدمٍ): من جلد.

(فَخَرَجَ بِلَالٌ بِوَضُوئِهِ): بالماء.

(فَمِنْ نَاضِحٍ وَنَائِلٍ) يتبركون بآثار النبي ﷺ، وهذه خاصة به، لا يجوز أن يُتبرك بآثار غيره.

(فَخَرَجَ النبيُّ ﷺ وعليه حُلَّةٌ حَمْرَاءُ) يعني الإزار والرداء كلاهما أحمر.

(كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ سَاقَيْهِ) الأصل أن النبي ﷺ أبيض، وما جاء أنه (آدم) إنما تغير شيء من لونه؛ بسبب الشمس والريح والسفر.

(فَجَعَلْتُ أَتَتَبَّعُ فَاهُ هاهُنَا وَهَاهُنَا) يعني يلتفت يمينا ويسارا حين قوله: حي على الصلاة حي على الفلاح.

(ثُمَّ رُكِزَتْ لَهُ عَنَزَةٌ) أي للنبي ﷺ، وهي الحربة القصيرة، والعكازة، يتخذها سترة.

(يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ الْكَلْبُ وَالْحِمَارُ لَا يُمْنَعُ) أي: من خلف العنزة، وإلا فلو كان يمر بينه وبين العنزة فقد قال النبي ﷺ: «يقطع الصلاة: المرأة، والحمار، والكلب الأسود، ويقي ذلك مثل مؤخرة الرحل».

٧٨٢ - وعن أَبي رِمْثَة رفَاعَةَ التَّيْمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رأيتُ رسولَ الله ﷺ وعليه ثوبانِ أَخْضَرَان. رواه أَبُو داود والترمذي بإسناد صحيح[1].

الشرح:

جاء أيضا أنه أحرم في ثوبين أخضرين، لكنه أُعل.

٧٨٣ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ دَخَلَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاء، بغير إحرام. رواه مسلم[2].

الشرح:

كلمة (بغير إحرام)؛ زادها لإيضاح المعنى، وإنما دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء.

فيه جواز لبس الأسود، مع أن العباسيين اتخذوه شعارا لهم، وكذلك اللون الأخضر اتخذه الصوفيون شعارا لهم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٦٥)، والترمذي (٢٨١٢).

(٢) حديث رقم: (١٣٥٨).

٧٨٤ - وعن أَبي سعيد عمرو بن حُرَيْثٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رسول الله ﷺ وعليه عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ، قَدْ أَرْخَى طَرَفَيْهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ. رواه مسلم[1].

وفي روايةٍ لَهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ خَطَبَ النَّاسَ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ.

الشرح:

ومع ذلك لو لبس البيضاء لعموم الأدلة في فضل الأبيض لا حرج، ولو لبس الحمراء لجواز ذلك لا حرج، وإن لبس السوداء لا حرج، مع أنها صارت شعارا لبعضهم، لكن بما أن النبي ﷺ قد لبسها لا يلتفت إلى من استخدمها.

٧٨٥ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثلاثةِ أَثْوَاب بيضٍ سَحُولِيَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

(السَّحُولِيَّة) بفتح السين وضمها وضم الحاء المهملتين: ثيابٌ تُنْسَبُ إِلَى سَحُول: قَرْيَة باليَمنِ، (وَالكُرْسُف): القُطْنُ.

الشرح:

(سُّحُولِيَّة) من سحول إب.

الشاهد أنها بيض، وصناعة القميص والعمامة للميت محدثة.

(قَرْيَة باليَمنِ) كأنها مدينة إب، سميت سحول؛ لقربها من السحول، وكان واديا طيبا، لكن الآن غزاه القات، والقات إذا غزا بلدة أفسدها، وأذهب بركتها، وإلا كان الناس يقولون: يا هارب من الموت مالك من الموت ناجي، يا هارب من الجوع عليك بسحول بن ناجي.

---

(١) حديث رقم: (١٣٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٦٤)، ومسلم (٩٤١).

وهكذا كانت اليمن مليئة بالقيعان، مثل قاع القيضي، وكذلك قاع جهران، وقاع عمران، وهكذا القاع الذي بعد يريم، قيعان تكفي شعبا، والآن غزاها القات، نسأل الله أن يعاجل بإزاحته من هذه البلاد، وأن يسلط عليه أسقاما لا يقوم منها، وأن يبدل الناس خيرا منه.

كان الناس في راحة، يأكل أحدهم مما يزرع، ومما يحرث، البن ما شاء الله متوافر، والذرة متوافرة، والفواكه تجدها حتى وإن كانت البلد ما هي لزراعة الفواكه لكن يعمل له شيئا من العنب، شيئا من العنبرود، شيئا من المانجو، شجرة من البرتقال أو الليمون، شجرة من الترنج، شجرة من الموز، المهم يأكل من مزرعته، وهكذا البسباس، تجد كل واحد معه شجرة على باب البيت.

الآن حتى البسباس إلا يشتروه من السوق، والطماطم يشترى من السوق، والبطاط، هذه أشياء أدركنا ما كنا نشتريها، لا الملوخية، ولا كذلك مثل هذه الأشياء البسباس، والذرة، والبن، والفواكه يخرج الأبناء يأكلون، وأيام الصَّعِيف صعيف، أمور كان الناس في خير عظيم.

والآن مع هذا العلف، علف للرجال ما يصلح علفا حتى للحمير، ولا للبقر، ما تأكله البقرة، إلا إذا هي قد انحرفت عن فطرتها، وإلا البقر ما تأكل القات، يأكله الضأن، ويأكله المعز، أما هذه عندها ولعة، إذًا فيه انتقاد على ذلك البيت الذي يقول:

إنما القات حشيش أخضرُ ... ليس يحتاج إليه البشرُ

فإذا ما أكلته أمة ... فاعذروهم إنما هم بقرُ

البقر ما تأكل القات، وما رأيناها عليه، إلا الغنم، سواء المعز وهو أشدها، والضأن.

وسبحان الله إذا سلطه الله على غرسة ما تعود للحياة، يدخلها المرض، أسأل الله أن يسلط عليه الغنم، يسلط عليه الضأن، والحمد لله والله لو عادوا إلى زراعة الذرة سيقل القتل والقتال، والفتن.

يا أخي كان الناس ينامون في بيوتهم، الآن ما أحد ينام داخل البيت، المطر ينزل وهو حارس، وهكذا في النهار الأطفال يبقون بين الشمس يحرسون القات من السُّراق، ومن فجر وهو يذهب للماء من بعيد، في شغل ليل نهار، ما رأيت شجرة مثل القات.

والله أن الحمار يمشي هوينا فإذا حملوا عليه القات يسرع إسراعا، والسيارة إذا حُمل عليها القات حتى الناس يقولون: اهرب اهرب، قات قات قات، يعني إذا دخل واحد السوق يجري جريا، أينما وُضع القات تجد السرعة الجنونية، على الحمار، على الرجل، على المرأة، على المقوت، المُبَزِّغ، كلهم يجتمعون في السرعة هذه، حتى في أكلهم، سريع الأكل؛ من أجل أن يقوم إلى القات.

وكيف بعض العلماء يقول: إن الله يحب اللحوح ويكره القات؟ كيف هذا؟ ما الدليل؟ اللحوح ذاك الذي يأكلونه في اليمن والقات؟ اللحوح يعني: اللحوح في الدعاء، المُلِح في الدعاء، (ويكره القات): النمام.

يذكرون عن بعض المشايخ في جيزان كان يقول هذه الكلمة، والعوام مساكين إذا قلنا: الله يبدلكم خيرا من القات يقولون: ما هو خير من القات؟ ما في عندهم خير من القات، وبعضهم يقول: إذا دخل الجنة سيتمناه، سهل إذا صرت في الجنة تمنى الذي تتمنى، الله كريم.

لكن نحن الآن اترك هذه الشجرة التي إنما أدخلت عليكم البؤس، انظروا البلاد التي ما فيها قات الناس تجار، وأصحاب وظائف، وأصحاب غربة، وأصحاب القات

مساكين ما يروا الرزق إلا في ذاك الخُزْقِي، فيبقى فقيرا، إذا في مطر القات رخيص، ما في معهم فائدة، وإذا ما في مطر القات شحيح ما في معهم فائدة، وإذا حصلوا شيئا في أيام البَزَغَات سرعان ما يذهب، ما فيه بركة، والله ما فيه بركة.

وشباب مسكين، لا سيما شباب اليوم، يعمل له في هذا الجنب وهذا الجنب، إذا احتاج أن يتنفس يدخل ما يسمى بالمَلْخِيخ من أجل أن يعمل له نفسا، وإذا شرب لا تشرب بعده، الحبة الماء التي يشرب منها كلها آثار، فالله المستعان.

وعندهم عقيدة يقول لك: كيف يعيش الناس بدون قات؟ أنا ما أستطيع أقوم إلا بالقات، ما يدري أن الإنسان الذي ما يخزن يا رجال ساعة ساعتين ثلاث أربع ينامها تكفيه، يقوم نشيطا، ويعمل، ويحفر، ويشتغل، وهو نشيط، والله المستعان.

٧٨٦ - وعنها، قالت: خرج رسول الله ﷺ ذات غَدَاةٍ، وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مرَحَّلٌ مِنْ شَعرٍ أَسْوَد. رواه مسلم[(١)].

(المِرْط) بكسر الميم: وَهُوَ كساءٌ، وَ(المُرَحَّلُ) بالحاء المهملة: هُوَ الَّذِي فِيهِ صورةُ رحال الإبل، وهِيَ الأَكْوَارُ.

الشرح:

الشاهد: جواز بعض الزينة ما لم تله، «**اذهبوا بخميصة أبي جهم وائتوني بإنبجانية**».

(١) حديث رقم: (٤٠٨١).

٧٨٧ - وعن المغيرة بن شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رسول الله ﷺ ذاتَ لَيْلَةٍ في مسير، فَقَالَ لي: «أَمَعَكَ مَاءٌ؟» قلتُ: نَعَمْ، فَنَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ فَمَشَى حَتَّى تَوَارَى في سَوَادِ اللَّيْلِ، ثُمَّ جَاءَ فَأَفْرَغْتُ عَلَيْهِ مِنَ الإِدَاوَةِ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْرِجَ ذِرَاعَيْهِ مِنْهَا، حَتَّى أَخْرَجَهُمَا مِنْ أَسْفَلِ الْجُبَّةِ، فَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ أَهْوَيْتُ لأَنْزِعَ خُفَّيْهِ فَقَالَ: «دَعْهُمَا فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ»، وَمَسحَ عَلَيْهِمَا. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي رواية: وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ شَامِيَّةٌ ضَيِّقَةُ الكُمَّيْنِ.

وفي رواية: أَنَّ هذِهِ القَضِيَّةَ كَانَتْ في غَزْوَةِ تَبُوكَ.

الشرح:

الشاهد ذكر الجبة، وأنها من لبس النبي ﷺ.

ويستدل بها على جواز شراء اللباس الشرعي من الكفار.

(١) أخرجه البخاري (٥٧٩٩)، ومسلم (٢٧٤).

١١٨ - باب استحباب القميص

٧٨٨ - عن أُمِّ سَلَمَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كَانَ أَحَبُّ الثِّيَابِ إِلَى رسول الله ﷺ الْقَمِيص. رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن[1].

الشرح:

لكن القميص هو هذا الذي يُفَصَّل على الجسم، مريح، بخلاف الرداء والإزار تجده يعمل هكذا، وربما سقط من عليه، لكن هذا يلبسه ويرتاح، ما يخرج إلا إذا نزعه وأزاله.

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٢٥)، والترمذي (١٧٦٤)، يقول المحقق: ضعيف.

١١٩ - باب صفة طول القميص والكُم والإزار وطرف العمامة وتحريم إسبال شيء من ذلك على سبيل الخيلاء، وكراهته من غير خيلاء

الصحيح أن الإسبال حرام، سواء كان بالخيلاء أو بغير خيلاء، فإن كان مع الخيلاء فقد ارتكب كبيرتين: الإسبال والخيلاء، وإن كان بدون خيلاء فقد ارتكب كبيرة واحدة وهي الإسبال.

٧٨٩ - عن أسماءَ بنتِ يزيد الأنصاريَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كَانَ كُمُّ قَمِيص رسول الله ﷺ إِلَى الرُّسْغِ. رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن[(١)].

الشرح:

والرسغ: هو هذا العظم الذي يلي الكف، هذا يسمونه رسغ، والعظم الذي في وسط اليد يسمونه المرفق، والذي في آخرها يسمى الكتف.

٧٩٠ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»، فَقَالَ أَبُو بكر: يَا رسول الله، إِنَّ إزاري يَسْتَرْخِي إِلاَّ أَنْ أَتَعَاهَدَهُ، فَقَالَ لَهُ رسول الله ﷺ: «إِنَّكَ لَسْتَ مِمَّنْ يَفْعَلُهُ خُيَلاءَ». رواه البخاري وروى مسلم بعضه[(٢)].

الشرح:

بعضهم يستدل بهذا الحديث على جواز الإسبال، ويقول: النبي ﷺ رخص لأبي بكر، ما رخص له؛ لأن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: أتعاهده، والنبي ﷺ يقول: إنك لا تفعل ذلك خيلاء، شهد له أنه حين ينزل عليه ما يفعله خيلاء كما هو حال كثير من الناس.

---

(١) انظر الحديث (٥١٨)، فيه شهر من حوشب.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٦٥)، ومسلم (٢٠٨٥).

فلا يجوز الاستدلال بهذا الحديث على جواز إسبال الإزار، هب أن النبي ﷺ رخص لأبي بكر، مع أنه إنما برأه: (إِنَّكَ لَسْتَ مِمَّنْ يَفْعَلُهُ خُيَلاءَ)، فأنت من رخص لك؟ والنبي ﷺ يقول: «من وطأ إزاره وطأه في النار».

٧٩١ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «لا يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إزارَه بَطَرًا». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

هذا مع الإسبال، وأيضا من لبسه خيلاء ولو كان لنصف الساق.

٧٩٢ - وعنه، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَا أَسْفَل مِنَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزْارِ فَفِي النار». رواه البخاري[2].

الشرح:

كل هذه الأدلة تدل على أن الإسبال كبيرة؛ لأن الكبيرة عند أهل العلم: ما تُوعد عليه بنار، أو حرمان من جنة، أو لعن، أو طرد من رحمة الله، أو وعيد مثل هذا: لا ينظر الله إلى من فعل كذا.

٧٩٣ - وعن أَبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «ثلاثةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» قَالَ: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاثَ مِرار، قَالَ أَبُو ذرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رسول الله؟ قَالَ: «المُسْبِلُ، وَالمَنَّانُ، وَالمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالحَلِفِ الكاذِبِ». رواه مسلم[3].

وفي رواية لَهُ: «المُسْبِلُ إِزَارَهُ».

---

(١) انظر الحديث (٦١٥).

(٢) حديث رقم: (٥٧٨٧).

(٣) حديث رقم: (١٠٦).

الشرح:

(فقَرأها رسول الله ﷺ ثلاثَ مِرار) تكرار العلم، وتكرار العبارة؛ للتخويف والترهيب.

(المُسْبِلُ) أي إزارة، (وَالمنَّانُ): الذي يمن بالعطية.

وهذه الثلاثة الأشياء ما أكثرها الآن، الإسبال، لا سيما أصحاب البنطلونات جمعوا بين مفسدتين: مفسدة لبس البنطلون، وهو التشبه بالكفار، ومفسدة الإسبال؛ لأنهم يعتبرون البنطلون الذي فوق الكعب ليس بلائق وليس بمنظر.

ومن عجيب ما يُذكر في هذا الباب يقولون: امرأة رأت رجلا وقد أسبل إزارة، لا سيما أصحاب الصعيد في مصر، وأصحاب الأزهر، ما يعجبهم الثوب إلا إذا كنس الشارع، والمرأة لابسة إلى فوق الكعب، يعني إلى نصف الساق أو ربما أكثر، وصاحبنا هداه الله ووفقه قصر الثوب، والمرأة تلتفت إليه وتقول له: اختشي، يعني: استح أنك ترفع ثوبك إلى هذا المكان، إلى نصف الساق، يحتاج أن يقول لها: اختشي أنتِ، والله المستعان، يعني: استحي، بمعنى استحي.

ونسأل الله السلامة، صار النساء ترفع اللباس، وصار الرجال يسبلون اللباس، خلاف الشرع.

٧٩٤ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «الإِسْبَالُ في الإزار، وَالقَمِيصِ، وَالعِمَامةِ، مَنْ جَرَّ شَيْئًا خُيَلاءَ لَمْ ينْظُرِ الله إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ». رواه أَبُو داود والنسائي بإسناد صحيح[(١)].

الشرح:

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٩٤)، والنسائي (٩٧٢٠)، قال المحقق: منكر.

الإسبال يحصل في القدمين، أما من حيث الخيلاء فربما تحصل حتى في العمامة، وربما تحصل في الجبة، وربما تحصل في الثوب والقميص، والإزار والرداء، والله المستعان.

حتى صارت أسواق المسلمين خالية في بعض البلدان من اللباس الشرعي، والله إذا أراد الإنسان أن يشتري لابنته أو لابنه لباسا شرعيا قل أن يجد، نحن عندنا في اليمن ما زال الأمر إلى خير في كثير من المدن، لكن الواقع أن هناك مدن وبلدان قل أن تجد اللباس الشرعي، سواء الثوب، أو الإزار، أو العمامة، أو القميص، وإذا وجدت بعض المحلات بعد أن ظهر أهل السنة وبدأوا يسألون ويبحثون، والناس تبع التجارة.

فعلي تجار المسلمين أن يتقوا الله عَزَّوَجَلَّ في المسلمين، وأن يأتوا لهم باللباس الشرعي، البعيد عن التصاوير، والصلبان، والكلمات النابية، فإن بعض الجواكت وبعض البنطلونات وبعض كذلك القمصان والفنايل إما أن يصوروا فيها ذوات الأرواح، وإما أن يكتبوا فيها كلمات نابية سيئة، تمجد اللوطة، وتمجد الزنا، وتمجد الخمر، فنسأل الله السلامة والعافية، وتمجد الفحش.

حتى في بعض أسواق المسلمين خرجت موضة عندهم: طَيِّحْنِي، وموضة: أتحداك تبعدني، ومن هذا الكلام السيء، وآخر موضة: بَوِّلني، آخر موضة ظهرت في السوق الآن للسراويلات سراويل البول، تلبسه المرأة ويلبسه الرجل ويظهر كأن فيه آثار بول، هذا والله من خزي الله لهم؛ لبعدهم عن الكتاب والسنة.

أصبح بعضهم يلبس الجنز المقطع، ويشتريه ربما بأسعار باهظة، ربما في بعض المحلات فوق المائة دولار، وهو عبارة عن جنز مقطع، والمسكين ربما لا يجد ما يسد عورته، وهذا يبحث عن كشف عورته، نسأل الله السلامة والعافية.

فعلى المسلمين أن يتقوا الله في باب لباسهم، وأن يتركوا التشبه بالكفار، وأن يحرصوا على التشبه بالنبي المختار ﷺ.

ولباس المسلمين والله هو الجمال، لباس جميل، وأيضا ساتر محافظ على الجسم من الحر والقر، وعلى الرأس، من يلحقه الشعث ونحو ذلك، ولبس السراويلات تحت الأردية والأقبية، والبرانس والأثواب، يستر نفسه من فوقه ومن تحته، ستر، ملازمة الشرع ستر وعفة.

أما في بعض البلدان والله ربما تجد المرأة ما معها غير الفنيلة والنِّكس أو التُّبَّان السروال الصغير، وتمشي وكأنها في غرفة لحالها، قد ذهب الحياء، وذهبت المروءات، وذهبت القيم، وانتشر الشر.

ولا عجب، فإن النبي ﷺ يقول في آخر الزمان: «**يتسافدون في الطرقات تسافد الحمر**»، انظر إلى تسافد الحمر، الحمار ينزو على الدابة وعلى الأتان ما أحد يستنكره، ولا يبالي بمن حوله، فهؤلاء كذلك.

وكذلك من اللبس المخالف للشرع: ما يقومون به الآن من الحلاقة، أحكامها أحكام اللباس، ويذكرها كثير من العلماء في أحكام اللباس، هذا حلاقة الكابورياء، أو شباب الهِبْز، أو هذه الحلاقات السيئة، التي يستحي الإنسان أن يفعلها، الإنسان المستقيم.

وأسوأ من ذلك: أن بعضهم يربي لحيته من باب الموضة، ثم يتلاعب بها تلاعبا مزريا، من هذه الحلاقات، والرسومات، ونحو ذلك.

المهم: أن الناس إلا ما رحم ربي فسدت فطرهم، هذا فساد فطرة، عند أن تشاهد أحدهم يلبس بنطلونا وينزله إلى قريب من ربع فخذيه، يعني يُظهر سوءته بدون حياء وبدون خجل، يا أخي هذا الحيوان الذي خلقه الله عَزَّوَجَلَّ مكشوف السوءة، بل أغلب

الحيوان له ذيل، أو شيء يغطي به عورته، كثير من الحيوان، إلا ما كان من الكلب يرفع ذيله ويظهر سوأته، وهكذا الخنزير.

وإلا كثير من الحيوان عنده، القرد عنده ذيل يغطي سوأته، الفيل عنده ذيل، البقرة عندها ذيل، البعير عنده ذيل، يا أخي القط وهو قط يذهب إلى مكان ويبحث عن مكان يحفره ويقضي حاجته، ثم يدفنه.

وهؤلاء في بعض البلدان أخبرنا بعض الأخوة رحمهم الله قال: والله أنهم يتغوطون أمام الناس، بدون خجل وبدون حياء، وبدون شيء أبدا، هؤلاء قد تنكست فطرهم، مثل هذا أصلا خرج عن طور الإنسانية، بماذا تخاطبه؟ هو لا يؤمن لا بكتاب ولا بسنة، بل وخرج عن طور الإنسانية، صار كالحيوان البهيم، وماذا نفعل؟ ما علينا إلا أن ندعو الله بصلاحنا، وصلاح أبنائنا، وصلاح بناتنا، وصلاح نسائنا، وصلاح المسلمين، وإلا ماذا نفعل؟

الآن حين تقرأ في الصحف، أو تقرأ في المجلات، أو تتابع وسائل التواصل الاجتماعي تجد أن الدنيا عندها نعشة للَّوَطة، ويسموهم بالمثليين، وآخر ما ظهر نائب لرئيس المجمع الإسلامي أو الفقه الإسلامي أو نحو هذا، يعني ممثل المثليين، هو في الشرع لوطي، ماذا يريدون؟ أن يخرجوا فتاوى لهم يبيحون لهم الزواج؟ يبيحون لهم التسافد؟ يبيحون لهم كما قررت المنظمات الغربية والقوانين الغربية أنه يجوز له أن يذهب هو وصاحبه هذا السفيه السفهاء إلى امرأة يستأجرونها لحمل ولد لهم؟ وشأنهم شأن النساء مع الرجال في زواجاتهم، وتوثيق مثل هذه الأمور، نعم هذا هو.

يقول: الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين: تعيين الشيخ محمد العواضي مستشارا عاما لشؤون المثليين.

ماذا تنتظر بعد هذا البلاء؟ حتى بعض المسلمين ما عاد صار عندهم حياة من مثل هذه الأفعال، اللوطي لوطي، ينبغي إذا مشى بين الناس أن يمشي منكس الرأس، مستحي من نظرات الناس إليه، وقبل ذلك ينبغي لحكام المسلمين أن يقيموا عليه الحدود، يرفعونه إلى أطول شاهق، مثل هذه الأبراج التي يقولون: ناطحات السحاب، ويرمونه من عليها، والناس ينظرون حتى يقال: هذا جزاء أصحاب هذه الفعلة القبيحة.

وباب الزنا أصبح مرخص له، تعجب عند أن يمسكوا بعض النساء في بعض البلدان الإسلامية وغير الإسلامية بحجة ارتكاب الدعارة، وإذا تأملت ما السبب؟ ما عندها ترخيص، ليس لأنها زانية، هم عندهم الزنا، لكن لا بد أن تكون مرخص، بحيث تدفع ضريبة إلى البنك وإلى الدولة، ويستلمون منها عن كل عملية كذا وكذا، والتي تعمل خارج نطاق الترخيص يعتبرونها داعرة، كلهن داعرات، زانيات، فاسقات، نسأل الله السلامة والعافية.

الحمد لله الذي عافانا، الحمد لله الذي عافانا، الحمد لله الذي عافانا، ونسأله أن يعافي جميع المسلمين من هذه الرزية، يا أخي حتى جميل بُثَينة هذاك الذي كان يتشبث بالنساء، ويشبب ببثينة، ويذكر الحب والغزل والعشق، عند موته قال له أحدهم: يا فلان تب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، قال: والله ما ألقى الله بكبيرة زنا، قال له: اتق الله وأنت تشبب بها ثلاثين سنة، قال: والله ما تجاوزت إلا أن أضع يدي على رأسها إذا كذا، يعني ما يتجاوز إلى هذا الأمر المستقبح، مع أن وضعه ليده حرام، لكن انظروا إلى ما كانوا عليه.

وهؤلاء قد تجاوزوا هذا وهذا وهذا، وأصبح كثير منهم يتعاطى الفساد مع تصويره لنفسه وتصويره لضحاياه، بل قبل ليالي في بريطانيا رجل في المستشفى مع الأموات مع الميتات، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

فوالله مثل هذا الموضوع يحتاج إلى خطابة، ويحتاج إلى محاضرات، ويحتاج إلى كتابات، ويحتاج إلى تحذير الشباب المسلم؛ لأن الآن عندنا قنوات تبث الشر والفساد، إذا لم يكن الشاب محصنا ربما يجد الشر قريبا منه، ويذهب في هذا الباب باب اللوطية، وباب الزنا، وباب المخدرات، وباب الخمور، لا سيما إذا وُجدت المخدرات فغالبا ما يكون صاحبها من هذا الصنف، إلا ما رحم ربي، وإلا وجود المخدر يصيره صيدا لهؤلاء الوحوش السيئة الذين خالفوا الفطرة فضلا عن الشريعة.

وإذا تأملتم السبب في هذا تجدون أنها الماسونية، هذه هي علة الدهر، الماسونية هي التي تدعو إلى اللوطية، وتدعو إلى فشو المخدرات، وتدعو إلى فشو الزنا، وتدعو إلى الإلحاد، وإلى هدم الأديان، وإلى غير ذلك، الماسونية تريد من العالم أن يكون فوضويا، لا يرتبط بقانون فضلا أن يرتبط بشريعة ودين.

والديمقراطية ما هي إلا جمعية من جمعيات الماسونية، الديمقراطية هذه التي نبكي منها ونحذر منها ونخطب فيها، ونتكلم فيها، ونكتب فيها، هي عبارة عن سيئة من سيئات الماسون، وإلا كل المنظمات هذه التي تراها أمامك المنظمات التي يسمونها إنسانية، المنظمات التي يسمونها عالمية، مثل العلمنة، مثل العولمة، مثل الديمقراطية، مثل الحكومة المدنية، كل هذه من نواتج الماسونية التي هي في الأصل تأسيس اليهود.

وشعارها: المنقلة والفرجار، هذاك الذي كان في أيام المدرسة تأخذ معك حقيبة صغيرة للمسطرة، والمثلث، والمنقلة، نصف دائرة، والفرجار هذا الذي ترسم به، هذا شعارهم على أنهم عبارة عن مهندسين للعالم، وهم عبارة عن مفسدين للعالم.

وكانت في الزمن الماضي مكاتبها محصورة، مكاتب الروتاري كانت موجودة حتى في كثير من العواصم العربية، لكن يسموها بهذا الاسم على أنها مكاتب يعني عبارة عن يجتمعون فيها لتنمية الشباب، لتنمية الخبرات، لكذا كذا كذا، وهي في الأصل مكاتب ماسونية.

وكان من رؤسائهم جمال الدين الأفغاني، هذا جمال الدين الأفغاني الرافضي الباطني، الذي الله أعلم أيش هو، أحسنهم حالا من يقول: جمال الدين الأفغاني رافضي، هذا أحسن واحد مدح جمال الدين الأفغاني ممن يُحذر منه، يقول: رافضي، ما نقول مدح، يعني يقول: رافضي، ما بالك بالذي يقول: الله أعلم أيش وراء جمال الدين الأفغاني هذا.

وأيضا من تحته تتلمذ على يديه محمد عبده المصري، وكثير من الفساد الحاصل في الأمة الإسلامية حصل من تحت هذا جمال الدين الأفغاني، ومن تحت تلاميذ جمال الدين الأفغاني، وهو ماسوني، مبايع على الماسونية، وهكذا كثير من الرؤساء عندهم بيعة على الماسونية.

وإذا أحد أفشى أسرارهم يموت، مفشي أسرار الماسونية هذا لا بد يموت، يُتخلص منه؛ لأنهم ما يعطونه السر إلا بعد أن يتدرج ويتدرج ويتدرج حتى يصل إلى معرفة ما هم عليه من العقائد الزائفة، والعقيدة الباطلة، والطرق السيئة.

حتى الانقلابات، السيطرة على العالم، السيطرة على الأمم المتحدة، السيطرة على مجلس الأمن، كل هذا يرجع إلى سيطرة الماسونيين، الثورات هذه التي

حصلت في العالم العربي من تحت الماسونيين، هذه الفتنة اليمنية التي عندنا العباهلة والأقيال الذين يطعنون في الإسلام هم ماسونيون، أو أفراخ ماسونيين، وهكذا.

فعلينا أن نحصن الشباب من مثل هذه الأفكار السيئة، التي تبث في الأمة الفساد الخُلُقي، وتجر الشباب المسلم إلى أسوأ حالاتهم، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ السلامة والعافية.

٧٩٥ - وعن أَبي جُرَيٍّ جابر بن سُلَيْم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ، لا يَقُولُ شَيْئًا إِلاَّ صَدَرُوا عَنْهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قالوا: رسولُ الله ﷺ، قُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلامُ يَا رسول الله - مرّتين - قَالَ: «لَا تَقُلْ: عَلَيْكَ السَّلامُ، عَلَيْكَ السَّلامُ تَحِيَّةُ المَوْتَى، قُلْ: السَّلامُ عَلَيْكَ»، قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ رسول اللهِ؟ قَالَ: «أَنَا رسول الله الَّذِي إِذَا أَصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ، وَإِذَا أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ فَدَعَوْتَهُ أَنْبَتَهَا لَكَ، وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفْرٍ أَوْ فَلَاةٍ فَضَلَّتْ رَاحِلَتُكَ فَدَعَوْتَهُ رَدَّهَا عَلَيْكَ».

قَالَ: قُلْتُ: اعْهَدْ إِلَيَّ، قَالَ: «لَا تَسُبَّنَ أَحَدًا» قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا بَعِيرًا، وَلَا شَاةً، «ولَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا، وأَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهُكَ، إِنَّ ذَلِكَ مِنَ المَعْرُوفِ، وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الإِزَارِ، فَإِنَّهَا مِنَ المَخِيلَةِ، وَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المَخِيلَةَ، وَإِن امْرُؤٌ شَتَمَكَ وعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإِنَّمَا وَبَالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ». رواه أَبُو داود والترمذي بإسناد صحيح، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح[1].

الشرح:

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٨٤)، والترمذي (٢٧٢٢)، وهو في (الصحيح المسند) لشيخنا مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

(لَا تَقُلْ: عَلَيْكَ السَّلامُ) يعني يُكره أن تقول: عليك السلام، وإلا قد جاءت في بعض الأحاديث، لكن من باب الكراهة هذا.

(الَّذِي إِذَا أَصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ) هذا لا يعود إلى رسول الله ﷺ، ليس هو رسول الله الذي يُدعى، إنما الله الذي إذا دعوته كشفهُ عنك.

(وَإِذَا أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ فَدَعَوْتَهُ أَنْبَتَهَا لَكَ) يعني ينزل المطر.

(فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا بَعِيرًا، وَلَا شَاةً) هذا هو التمسك وهذا هو الانقياد الذي ينبغي للمسلم أن يصير عليه، لا سيما طالب العلم، خلاص أنت سلكت هذا السبيل اسلك، عندك عادات سيئة قبل الاستقامة تُترك، الصحابة رضي الله عنهم قبل إسلامهم عندهم عادات سيئة كثيرة وكثيرة وكثيرة، لكن بمجرد أن يقول الإنسان: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله يتغير حاله تماما.

بعضهم عنده ولعة القات، يستقيم على السنة وتبقى معه التخزينة هذه يقول لك: ما استطعت أتخلص منها، وهكذا بعضهم مع الدخان، أو بعضهم حلق اللحية، أو بعضهم لبس البنطال، أو بعضهم الاختلاط، أو بعضهم من هذه الأشياء، ويقول لك: ما استطعت أتخلص منها.

يا أخي الاستقامة تدعوك إلى التخلص من كل عمل سيء، **«قل: آمنت بالله ثم استقم»**، انظر لم يقل: قل آمنت بالله ويكفي، ثم استقم، ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ [هود:١١٢] ، ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ [فصلت:٦] ، هذا هو يعني الاستقامة الحقة، عرفت فالزم.

أما تبقى مع بعضهم دهرا وقد عرف الحق وعرف السنة عرف الأدلة عرف كذا ويبقى على عادته التي كان عليها قبل ذلك.

(وأَنْ تُكَلِّمَ أخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهُكَ، إنَّ ذَلِكَ مِنَ المَعْرُوفِ) الابتسامة لأخيك المسلم، تدخل السرور عليه، وتدخل الأمان عليه.

(وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ) يعني لا تسبل.

(وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الإِزَارِ) انظر أمر برفع الإزار ثم قال: (وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الإِزَارِ)؛ ليبين مفاسده.

(فَإِنَّهَا مِنَ المَخِيلَةِ) يعني: التعالي والتجبر والافتخار.

(وَإِن امْرُؤٌ شَتَمَكَ وعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإِنَّمَا وَبَالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ) أما هذا الخلق من الذي يستطيعه؟ لا سيما في هذه الأزمان المتأخرة، نسأل الله السلامة.

٧٩٦ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بينما رَجُلٌ يُصَلِّي مسبلٌ إزَارَهُ، قَالَ لَهُ رسول الله ﷺ: «اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ» فَذَهَبَ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: «اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ» فَقَالَ لَهُ رجُلٌ: يَا رسولَ اللهِ، مَا لَكَ أَمَرْتَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ ثُمَّ سَكَتَّ عَنْهُ؟ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ مُسْبِلٌ إِزَارَهُ، وَإِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ صَلَاةَ رَجُلٍ مُسْبِلٍ». رواه أَبُو داود بإسناد صحيح عَلَى شرط مسلم[1].

٧٩٧ - وعن قيس بن بشر التَّغْلِبِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي - وكان جَلِيسًا لأَبِي الدرداء - قَالَ: كَانَ بِدمَشْق رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يقال لَهُ سهل بن الْحَنْظَلِيَّةِ، وَكَانَ رَجُلًا مُتَوَحِّدًا قَلَّمَا يُجَالِسُ النَّاسَ، إِنَّمَا هُوَ صَلَاةٌ، فإذا فَرَغَ فَإِنَّمَا هُوَ تَسْبِيحٌ وَتَكْبِيرٌ، حَتَّى يَأْتِي أَهْلَهُ، فَمَرَّ بنا وَنَحْنُ عِنْدَ أَبِي الدَّرداء، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدرداءِ: كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلَا تَضُرُّكَ، قَالَ: بَعَثَ رسول الله ﷺ سَرِيَّةً فَقَدِمَتْ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَلَسَ فِي المَجْلِسِ الَّذِي يَجْلِسُ فِيهِ رسُولُ الله ﷺ فَقَالَ لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِهِ: لَوْ

(١) حديث رقم: (٦٣٨)، الصحيح أنه ضعيف جدًّا، فيه أبو جعفر المؤذن الأنصاري المدني، مجهول، قاله المحقق، وهكذا الشيخ الألباني يضعفه.

رَأَيْتَنَا حِيْنَ التَقَيْنَا نَحْنُ وَالعَدُوُّ، فَحَمَلَ فُلانٌ وَطَعَنَ، فَقَالَ: خُذْهَا مِنِّي، وَأَنَا الغُلَامُ الغِفَارِيُّ، كَيْفَ تَرَى فِي قَوْلِهِ؟ قَالَ: مَا أَرَاهُ إِلاَّ قَدْ بَطَلَ أَجْرُهُ، فَسَمِعَ بِذلِكَ آخَرُ، فَقَالَ: مَا أَرَى بِذلِكَ بَأْسًا، فَتَنَازَعَا حَتَّى سَمِعَ رسول الله ﷺ فَقَالَ: «سُبْحَانَ الله! لَا بَأْسَ أَنْ يُؤجَرَ وَيُحْمَدَ».

فَرَأَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاء سُرَّ بِذلِكَ، وَجَعَلَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَيْهِ، وَيَقُولُ: أَأَنْتَ سَمِعْتَ ذَلِكَ مِنْ رَسُول الله ﷺ؟ فيقول: نَعَمْ، فما زال يُعِيدُ عَلَيْهِ حَتَّى إِنِّي لأَقُولُ لَيَبْرُكَنَّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ.

قَالَ: فَمَرَّ بِنَا يَوْمًا آخَرَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْداء: كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلَا تَضُرُّكَ، قَالَ: قَالَ لنا رسول الله ﷺ: «المُنْفِقُ عَلَى الخَيْلِ، كَالبَاسِطِ يَدَهُ بالصَّدَقَةِ لَا يَقْبِضُهَا».

ثُمَّ مَرَّ بِنَا يَومًا آخَرَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْداء: كَلِمَةً تَنْفَعنَا وَلَا تَضُرُّكَ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «نِعْمَ الرَّجُلُ خُرَيمٌ الأسَديُّ، لولا طُولُ جُمَّتِهِ وَإِسْبَالُ إِزَارِهِ»، فَبَلَغَ ذَلِكَ خُرَيْمًا فَعَجَّلَ، فَأَخَذَ شَفْرَةً فَقَطَعَ بِهَا جُمَّتَهُ إِلَى أُذُنَيْهِ، وَرَفَعَ إِزارَهُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ.

ثُمَّ مَرَّ بِنَا يَوْمًا آخَرَ فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْداء: كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلَا تَضُرُّكَ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوانِكُمْ، فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ، وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ؛ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ؛ فَإِنَّ الله لَا يُحِبُّ الفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّش». رواه أَبُو داود بإسنادٍ حسنٍ، إِلاَّ قيس بن بشر فاختلفوا في توثِيقِهِ وَتَضْعِيفِهِ، وَقَدْ روى لَهُ مسلم[1].

الشرح:

(قَلَّمَا يُجَالِسُ النَّاسَ، إِنَّمَا هُوَ صَلَاةٌ، فإذا فَرَغَ فَإِنَّمَا هُوَ تَسْبِيحٌ وَتَكْبِيرٌ، حَتَّى يَأتي أَهْلَهُ) هذا هو الذي عرف الخير لنفسه، حتى لا يبقى في غيبة ونميمة وبهت.

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٨٩).

(لَا بَأسَ أَنْ يُؤجَرَ وَيُحْمَدَ) قال النبي ﷺ: «تلك عاجل بشرى المؤمن»، لكن الإنسان لا يفتخر، لكن إذا أُثني عليه بالخير وهو فيه لا حرج، وإذا احتاج أن يثني على نفسه، لا سيما إذا كان أهل الباطل يزهدون منه ومن دعوته ومن خيره، الحمد لله الإنسان يقول ما يعتقده من الخير في نفسه، بدون إفراط ولا تفريط، لأن بعضهم يحتقر دعاة الهدى، ومصابيح الدجى.

(لولا طُولُ جُمَّتِهِ) الجمة: الشعر الذي في رأسه.

الحديث ضعيف، ضعفه الشيخ الألباني كما قال المحقق، ومع ذلك له شواهد لبعض ألفاظه، مثل التزين في حال القدوم من السفر، جاء عن جرير: أنه تزين، وأقره النبي ﷺ على ذلك.

وهكذا: «إِنَّ الله لَا يُحِبُّ الفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّش» ثابت، ففي (مستدرك الحاكم) وغيره.

وهكذا النهي عن إسبال الإزار ثابت.

وطول الجمة ثابت من حديث أبي عبد الله عند الإمام أحمد: أن النبي ﷺ أمره أن يقص من شاربه، وأيضا الحديث الآخر: أن النبي ﷺ قطع من جمته، هناك أحاديث في الباب.

٧٩٨ - وعن أَبي سعيد الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِزْرَةُ المُسْلِمِ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، وَلَا حَرَجَ - أَوْ لَا جُنَاحَ - فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الكَعْبَيْنِ، فَمَا كَانَ أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَمَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ». رواه أَبُو داود بإسنادٍ صحيحٍ[1].

(١) حديث رقم: (٤٠٩٣)، له شواهد.

٧٩٩ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: مررتُ عَلَى رسولِ الله ﷺ وفي إزَارِي استرخاءٌ، فَقَالَ: «يَا عَبدَ اللهِ، ارْفَعْ إزَارَكَ» فَرَفَعْتُهُ ثُمَّ قَالَ: «زِدْ» فَزِدْتُ، فَمَا زِلْتُ أَتَحَرَّاهَا بَعْدُ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: إِلَى أينَ؟ فَقَالَ: إِلَى أَنْصَافِ السَّاقَيْنِ. رواه مسلم[1].

٨٠٠ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَكَيْفَ تَصْنَعُ النِّسَاءُ بذُيُولِهِنَّ؟ قَالَ: «يُرْخِينَ شِبْرًا»، قالت: إِذًا تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ، قَالَ: «فَيرخِينَهُ ذِرَاعًا لَا يَزِدْنَ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[2].

الشرح:

انظر كيف تفعل أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كيف تفعل النساء؟ أمور ينبغي للإنسان أن يتفطن لها.

(١) حديث رقم: (٢٠٨٦)، هذا يشهد لما سبق.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٨٥) بشطره الأول، والترمذي (١٧٣١).

١٢٠ - باب استحباب ترك الترفع في اللباس تواضعًا

قَدْ سَبَقَ فِي بَابِ فَضْل الجُوعِ وَخشُونَةِ العَيْشِ جُمَلٌ تَتَعَلَّقُ بهذا الباب.

٨٠١ - وعن معاذ بن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ تَرَكَ اللِّبَاس تَوَاضُعًا للهِ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، دَعَاهُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ عَلَى رُؤوسِ الخَلائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أيِّ حُلَلِ الإيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

الشرح:

لكن لا بأس أن تُرى نعمة الله عليك، وتلبس من اللباس الحسن، لكن لا تترفع أكثر وأكثر.

(١) حديث رقم: (٢٤٨١).

١٢١ - باب استحباب التوسط في اللباس وَلَا يقتصر عَلَى مَا يزري بِهِ لغير حاجة وَلَا مقصود شرعي

٨٠٢ - عن عمرو بن شعيب، عن أبيهِ، عن جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يُرَى أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[(١)].

الشرح:

وهذا يؤيده «كل واشرب، والبس وتصدقن من غير إسراف ولا مخيلة».

فلا بأس أن الإنسان يجمل نفسه، ويجمل أبناءه، ويجمل أهله، بقدر الاستطاعة، بدون كلفة.

(١) حديث رقم: (٤٨١٩).

١٢٢ - باب تحريم لباس الحرير عَلَى الرجال، وتحريم جلوسهم عَلَيْهِ واستنادهم إِلَيْهِ وجواز لبسه للنساء

٨٠٣ - عن عمر بن الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا تَلْبَسُوا الحَرِيرَ؛ فَإِنَّ مَنْ لَبِسَهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ». متفقٌ عَلَيْهِ[١].

الشرح:

أي تحريمه في الدنيا.

وفيه: أن من استعجل شيئًا من النعيم قد يُمنعه في الآخرة إن مات قبل توبته، مثل شارب الخمر إن مات قبل توبته، وإن دخل الجنة لا يشربه.

٨٠٤ - وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّمَا يَلْبَسُ الحَرِيرَ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ». متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

وفي رواية للبخاري: «مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الآخِرَةِ».

قَوْله: (مَنْ لَا خَلاقَ لَهُ) أَيْ: لَا نَصِيبَ لَهُ[٣].

٨٠٥ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ لَبِسَ الحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ». متفقٌ عَلَيْهِ[٤].

الشرح:

بالقيد السابق: إذا مات قبل أن يتوب منه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٣٤)، ومسلم (٢٠٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٣٥)، ومسلم (٢٠٦٩).

(٣) أي: لا حظ.

(٤) أخرجه البخاري (٥٨٣٢)، ومسلم (٢٠٧٣).

٨٠٦ - وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رأيتُ رسولَ الله ﷺ أخَذَ حَرِيرًا، فَجَعَلَهُ في يَمِينِهِ، وَذَهَبًا فَجَعَلَهُ في شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «إنَّ هذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمّتي». رواه أَبُو داود بإسنادٍ صحيح[(١)].

٨٠٧ - وعن أَبي موسى الأَشْعَري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «حُرِّمَ لِبَاسُ الحَرِيرِ وَالذَّهَبِ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي، وَأُحِلَّ لإِنَاثِهِمْ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[(٢)].

٨٠٨ - وعن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَهَانَا النَّبيُّ ﷺ أَنْ نَشْرَبَ في آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وأنْ نَأْكُلَ فِيهَا، وعَنْ لُبْس الحَرِيرِ وَالدِّيبَاج، وأنْ نَجْلِسَ عَلَيْهِ. رواه البخاري[(٣)].

الشرح:

الديباج هو الحرير، إلا أنه غليظ.

❁❁❁❁

(١) حديث رقم: (٤٠٥٧)، له شواهد.

(٢) حديث رقم: (١٧٢٠)، يشهد له ما قبله، وهو يشهد لمن قبله.

(٣) حديث رقم: (٥٨٣٧).

١٢٣ - باب جواز لبس الحرير لمن بِهِ حكة

يعني: يلبس بمقدار الحكة التي فيه.

٨٠٩ - عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَخَّصَ رسولُ الله ﷺ لِلزُّبَيْرِ وعَبْدِ الرَّحْمان بن عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في لُبْس الحَرِيرِ لِحَكَّةٍ كَانَتْ بِهِما. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

يعني إما حكة تحسس، حساسية، أو بسبب القمل، أو بسبب غير ذلك.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: قَالَ الطَّبَرِيُّ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ النَّهْيَ عَنْ لُبْسِ الْحَرِيرِ لَا يَدْخُلُ فِيهِ مَنْ كَانَتْ بِهِ عِلَّةٌ يُخَفِّفُهَا لُبْسُ الْحَرِيرِ انْتَهَى. وَيَلْتَحِقُ بِذَلِكَ مَا يَقِي مِنَ الْحَرِّ أَوِ الْبَرْدِ حَيْثُ لَا يُوجَدُ غَيْرُهُ. اهـ

(١) أخرجه البخاري (٥٨٣٩)، ومسلم (٢٠٧٦).

١٢٤ - باب النهي عن افتراش جلود النمور والركوب عَلَيْهَا

٨١٠ - عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا تَرْكَبُوا الخَزَّ وَلَا النِّمَارَ» حديث حسن، رواه أَبُو داود وغيره بإسناد حسن[(١)].

الشرح:

لأن هذه الأمور كان يفعلها أهل الترفع من الأمراء وغيرهم.

قال في "عون المعبود" (١١/ ١٢٦): قَالَ فِي النِّهَايَةِ: نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ رُكُوبِ النِّمَارِ وَفِي رِوَايَةٍ النُّمُورِ أَيْ جُلُودِ النُّمُورِ وَهِيَ السِّبَاعُ الْمَعْرُوفَةُ وَاحِدُهَا نَمِرٌ إِنَّمَا نَهَى عَنِ اسْتِعْمَالِهَا لِمَا فِيهَا مِنَ الزِّينَةِ وَالْخُيَلَاءِ وَلِأَنَّهُ زِيُّ الْأَعَاجِمِ أَوْ لِأَنَّ شَعْرَهُ لَا يَقْبَلُ الدِّبَاغَ عِنْدَ أحد الأئمة إذا كان غير زكي وَلَعَلَّ أَكْثَرَ مَا كَانُوا يَأْخُذُونَ جُلُودَ النُّمُورِ إِذَا مَاتَتْ لِأَنَّ اصْطِيَادَهَا عَسِيرٌ انْتَهَى. اهـ

٨١١ - وعن أَبي المليح، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ نَهَى عَنْ جُلُودِ السِّبَاعِ. رواه أَبُو داود والترمذيُّ والنسائيُّ بأسانيد صِحَاحٍ[(٢)].

وفي رواية للترمذي: نَهَى عَنْ جُلُودِ السِّبَاعِ أَنْ تُفْتَرَشَ.

الشرح:

لكن هل نهى عنها مطلقا أم أنه رخص بها إذا دُبغت؟ الصحيح أنها إذا دبغت لا بأس أن تستخدم، لكن أن يُركب عليها وتتخذ للتفاخر هذا هو المنهي عنه.

(١) حديث رقم: (٤١٤٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٤١٣٤)، والترمذي (١٧٧٠)، والنسائي (٤٥٧٩).

١٢٥ - باب مَا يقول إِذَا لبس ثوبًا جديدًا أَوْ نعلا أَوْ نحوه

٨١٢ - عن أَبي سعيد الخدْريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوبًا سَمَّاهُ باسْمِهِ - عِمَامَةً، أَوْ قَميصًا، أَوْ رِدَاءً - يقولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ».

رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن[1].

الشرح:

لكن لا بأس أن يقول: باسم الله، ويقول: الحمد لله، أدلة عامة.

١٢٦ - باب استحباب الابتداء باليمين في اللباس

هَذَا الباب قَدْ تقدم مقصوده، وذكرنا الأحاديث الصحيحة فِيهِ.

والحمد لله من ضمن شرحي على (عمدة الأحكام) أفردت رسالة قصيرة في حكم اللباس، وهكذا في حكم الطعام، وفي غير ذلك من الآداب التي أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفع بها، والحمد لله، وقد تقدم نقل بعض ما تيسر منها في أول الباب.

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٢٠)، والترمذي (١٧٦٧)، وهو حديث معل لا يثبت، أُعل باختلاط الجريري.

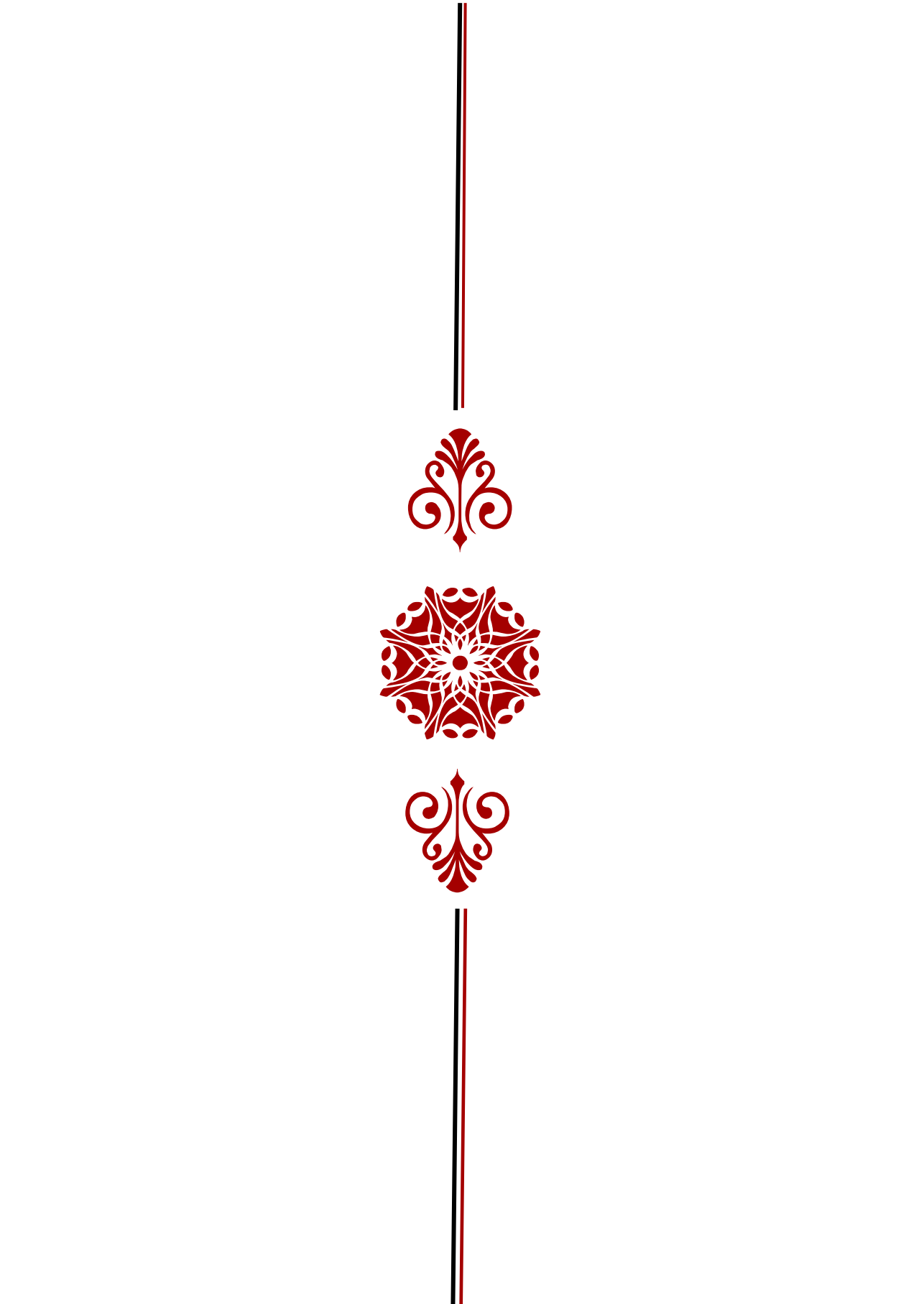

كتاب آداب النوم،

والاضطجاع والقعود والمجلس

والجليس والرؤيا.

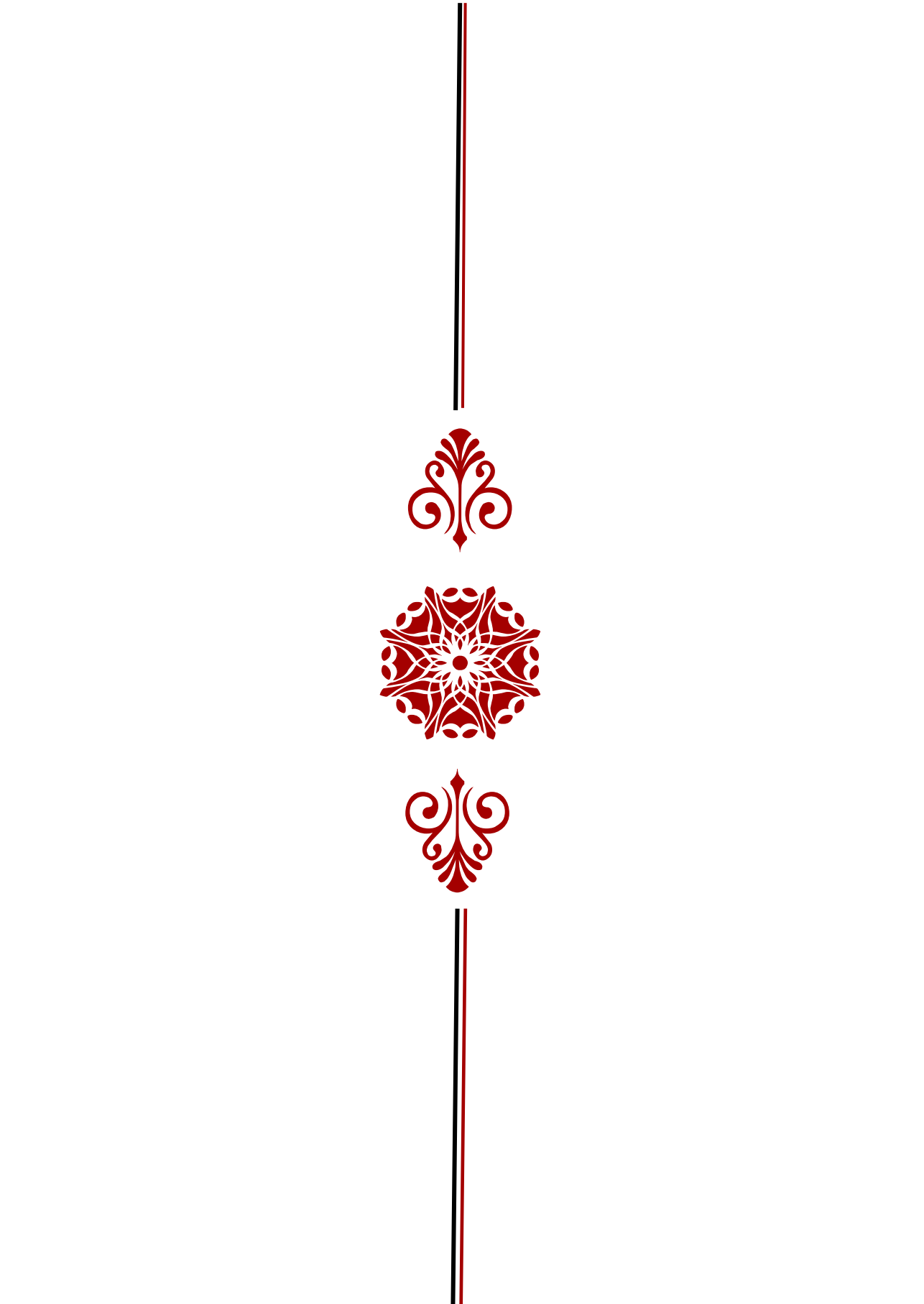

كتاب آداب النوم، والاضطجاع والقعود والمجلس والجليس والرؤيا.

يعني كتاب جامع لعدة أبواب من أبواب المعاملات، سواء معاملة الإنسان مع نفسه أو معاملة الإنسان مع غيره.

أما ما يتعلق بالنوم فقد منَّ الله علي بتأليف كتاب (أحكام النوم في الشريعة الإسلامية)، وكان القصد منه أن أكتب ما يتعلق بأذكاره ونحو ذلك، ثم إذا بها أحكام كثيرة، في الطهارة والصلاة، والصوم والحج، وغير ذلك من الأحكام.

١٢٧ - باب مَا يقوله عِنْدَ النوم

أي من الأذكار، والنوم نعمة عظيمة، ففاقد النوم قد يكون فيه شيء من العلة، كما أن النوم الكثير سبب لكثير من العلل، أما النوم المعتدل فلا بد منه، فإن الله عَزَّوَجَلَّ جعل الليل لباسا، وجعل النهار معاشا، وجعل الليل سكنا وهدوء، إلى غير ذلك.

والجسم له قوى إذا لم ينم ذهبت تلك القوى في الجسم، وأيضا المدارك لها قوى إذا لم ينم يبقى الإنسان ربما في همه وفي غمه، بينما النوم يُذهب عنه ذلك، كما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ عن أهل البدر أنه أنزل عليهم النوم أمنة، وهكذا أهل أحد، قالت طلحة بن عبيد الله: فرأيت رأسي يخفق حتى سقط السيف من يدي، وهم يقاتلون، والخائف لا ينام، بينما هؤلاء أمن الله قلوبهم فنامت أعينهم.

والنوم عون على الطاعة والعبادة، كما قال معاذ: إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي، والنوم من سنن المرسلين، فإن النبي ﷺ لما قال ذلك الرجل: أقوم فلا أنام غضب، قال: «من رغب عن سنتي فليس مني».

وليس في الجنة نوم؛ لأن النوم أخو الموت، فهو موتة صغرى، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر:٤٢] ، فالشاهد أنه يتوفاها وفاة صغرى، وقد يتوفى بعض الأنفس في النوم وفاة تامة.

والله عَزَّوَجَلَّ لكماله ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥] ؛ لأن النوم في حق الله نقص، وفي حق المخلوق كمال، والنبي ﷺ ربما نام حتى يسمع غطيطه، وكان إذا نام نفخ.

وتتحدث عن آية من آيات الله العظيمات، إذا عدمها الإنسان يحتاج إلى منومات ومسكنات ومهدئات، وربما لا يتحصل عليه، فهو آية من آيات الله.

وأغلب الحيوان ينام، حتى الدواب تنام، ويذكرون عن الذئب: أنه ينام بعين ويفتح عينا.

والأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، ولهذا كان نوم النبي ﷺ غير ناقض للوضوء.

هناك أذكار عن خالد وغيره إذا لم يأتيك النوم أن يقول: «**اللهم غارت النجوم، وهدأت العيون، وأنت حي قيوم**»، إلا أن فيها ما فيها.

والنائم تُرفع عنه التكاليف، «**رفع القلم عن ثلاثة: وعن النائم حتى يستيقظ**»، وهذا من رحمة الله، فإن النائم قد يأتي ببعض الأعمال المنافية للشرع، وربما حصل منه شيء.

وألذ نومة النومة بعد التعب، ولذلك جاء في الحديث: ولا ألذ من نومة منها، يعني بعد تعبهم في السفر، ربما خمس دقائق عشر دقائق سبحان الله يقوم الإنسان وهو منشرح الصدر!.

وأيضا ضرب المثل بنومة العروس: نم نومة العروس؛ لأن العروس ينام بعد سهر وانتظار لعروسه، وتجد أنه لا يُزعج، ولا يقيمه إلا أحب الناس إليه، إما زوجه التي قد احتواها إلى بيته، وإما بعض أقاربه الذين يعتنون به عناية خاصة.

٨١٣ - عن البَرَاءِ بن عازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ نَامَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَن، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نفسي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْك، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ». رواه البخاري بهذا اللفظ في كتاب الأدب من صحيحه[(١)].

٨١٤ - وعنه، قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءكَ لِلْصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَن، وَقُلْ ... » وذَكَرَ نَحْوَهُ، وفيه: «وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ». متفقٌ عَلَيْهِ[(٢)].

الشرح:

البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبو عمارة.

فإن من نام عليهن كان له الأجر العظيم، إن قبضه الله غفر له، وإن أصبح أصاب خيرا.

قوله: (اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نفسي إِلَيْكَ) استسلام وخضوع وانقياد.

(وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ) أي: في نومي وصحوي.

(وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ) أي: توكلت واعتمدت عليك في جميع شأني، الإيمان بالقدر.

---

(١) حديث رقم: (٦٣١٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠).

(وَأَلْجَأتُ ظَهْرِي إِلَيْك) استعانة.

(رَغْبَةً) فيما عندك، (وَرَهْبَةً إِلَيْكَ) من عذابك وسخطك.

وما أجمل أن يُعبد الله عَزَّوَجَلَّ بالرغبة والرهبة، وأما تلك الصوفية نازك الملائكة التي تقول:

عبـــدتك للحـــب لا رغبـــة ولا رهبـــة، بئســـما يـــأفكون

قولها إفك، قال الله عَزَّوَجَلَّ عن زكريا وابنه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

(لَا مَلْجَأ وَلَا مَنْجا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيكَ) ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات:٥٠]، أين المفر والإله الطالب؟ لا مفر.

(آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ): القرآن.

(وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ): محمد ﷺ.

في رواية قال: ورسولك الذي أرسلت، فقال النبي ﷺ: «قل: ونبيك الذي أرسلت»، استدل به العلماء على أن باب الأذكار باب توقيفي، لا يزاد فيه ولا ينقص منه.

(إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأ وُضُوءكَ لِلْصَّلَاةِ) وهذه سنة أخرى.

(ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَن) وهذه سنة ثالثة يأتي بها النائم.

وهذه كلها من السنن ليست من الواجبات.

٨١٥ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كَانَ النبيُّ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، فَإِذا طَلَعَ الفَجْرُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ حَتَّى يَجِيءَ المُؤَذِّنُ فَيُؤْذِنَهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

هذه الضجعة أنكرها السلف في المسجد، وأما في البيت فلا حرج أن يأتي بها، واستدل بها المصنف على النوم على الشق الأيمن.

٨١٦ - وعن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا»، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ». رواه البخاري[2].

الشرح:

(وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ) الأيمن كما تقدم.

(اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا) فالنوم موت، واليقظة حياة.

(وَإِلَيْهِ النُّشُورُ): إليه البعث.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في "فتح الباري" (١١/ ١١٤): وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمُفْهِمِ: النَّوْمُ وَالْمَوْتُ يَجْمَعُهُمَا انْقِطَاعُ تَعَلُّقِ الرُّوحِ بِالْبَدَنِ وَذَلِكَ قَدْ يَكُونُ ظَاهِرًا وَهُوَ النَّوْمُ وَلِذَا قِيلَ النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ وَبَاطِنًا وَهُوَ الْمَوْتُ فَإِطْلَاقُ الْمَوْتِ عَلَى النَّوْمِ يَكُونُ مَجَازًا لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي انْقِطَاعِ تَعَلُّقِ الرُّوحِ بِالْبَدَنِ وَقَالَ الطِّيبِيُّ الْحِكْمَةُ فِي إِطْلَاقِ الْمَوْتِ عَلَى النَّوْمِ أَنَّ انْتِفَاعَ الْإِنْسَانِ بِالْحَيَاةِ إِنَّمَا هُوَ لِتَحَرِّي رِضَا اللهِ عَنْهُ وَقَصْدِ طَاعَتِهِ

(١) أخرجه البخاري (٦٣١٠)، ومسلم (٧٣٦).

(٢) حديث رقم: (٦٣١٤).

وَاجْتِنَابِ سَخَطِهِ وَعِقَابِهِ فَمَنْ نَامَ زَالَ عَنْهُ هَذَا الِانْتِفَاعُ فَكَانَ كَالْمَيِّتِ فَحَمِدَ اللهَ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ وَزَوَالِ ذَلِكَ الْمَانِعِ. اهـ

٨١٧ - وعن يَعيشَ بن طِخْفَةَ الغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ أَبِي: بينما أَنَا مُضْطَجِعٌ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى بَطْنِي إِذَا رَجُلٌ يُحَرِّكُنِي برجلِهِ، فَقَالَ: «إِنَّ هذِهِ ضجْعَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ»، قَالَ: فَنظَرْتُ، فَإِذَا رسولُ الله ﷺ. رواه أَبُو داود بإسنادٍ صحيح[1].

الشرح:

النوم على البطن مكروه؛ لأن الإنسان قد يظهر منه ما لا يجوز أن يظهر، وما لا يحب أن يظهر، فإذا كان به مرض واحتاج إليها لا حرج، لكن التوسع فيها.

٨١٨ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ الله تَعَالَى فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى تِرَةٌ، وَمَنِ اضْطَجَعَ مَضجَعًا لَا يَذْكُرُ اللهَ تَعَالَى فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ». رواه أَبُو داود بإسنادٍ حسن[2].

(التِّرَةُ): بكسر التاء المثناة من فوق، وَهِيَ: النقص، وقِيلَ: التَّبِعَةُ.

الشرح:

الحديث له ما يشهد له، لكن قضية النوم ليس لها شاهد، كما أشار المحقق، وهو معل.

(١) حديث رقم: (٥٠٤٠)، الحديث في (أحاديث معلة) لشيخنا مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ، فيه اختلاف واضطراب.

(٢) حديث رقم: (٤٨٥٦).

١٢٨ - باب جواز الاستلقاء عَلَى القفا، ووضع إحدى الرِّجلين عَلَى الأخرى إِذَا لم يخف انكشاف العورة، وجواز القعود متربعًا ومحتبيًا

٨١٩ - عن عبدِ اللهِ بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّه رأى رسولَ الله ﷺ مُسْتَلْقِيًا في الْمَسْجِدِ، وَاضِعًا إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الأُخْرَى. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

يعني حتى لا يقع التكشف، ويظهر العورة.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في فتح الباري (١/ ٥٦٣): قَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَفِيهِ جَوَازُ الِاتِّكَاءِ فِي الْمَسْجِدِ وَالِاضْطِجَاعِ وَأَنْوَاعِ الِاسْتِرَاحَةِ، وَقَالَ الدَّاوُدِيُّ: فِيهِ أَنَّ الْأَجْرَ الْوَارِدَ لِلَّابِثِ فِي الْمَسْجِدِ لَا يَخْتَصُّ بِالْجَالِسِ بَلْ يَحْصُلُ لِلْمُسْتَلْقِي أَيْضًا . اهـ

٨٢٠ - وعن جابر بن سَمُرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النبيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى الفَجْرَ تَرَبَّعَ في مَجْلِسِهِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسْنَاءَ. حديث صحيح، رواه أَبُو داود وغيره بأسانيد صحيحة[2].

الشرح:

وهو حجة على من لم ير الصلاة ركعتين بعد الشروق؛ لأنه لم يذكر أن النبي ﷺ صلى.

وفيه استحباب الجلوس في المسجد حتى تطلع الشمس، لذكر الله عَزَّوَجَلَّ ونحوه.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٥)، ومسلم (٢١٠٠).

(٢) حديث رقم: (٤٨٥٠)، الحديث أصله في مسلم حديث رقم: (٦٧٠).

٨٢١ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: رأيتُ رسول الله ﷺ بفناءِ الكَعْبَةِ مُحْتَبِيًا بِيَدَيْهِ هكَذا، وَوَصَفَ بِيَدَيْهِ الاحْتِبَاءَ، وَهُوَ القُرْفُصَاءُ. رواه البخاري(١).

الشرح:

يعني ينصب رجليه ويأخذ بيديه، هذا هو الاحتباء، وبعض الناس يأخذ حبوة، شيء من القماش يُفصل، ويدخله فيه، فيأخذ بالركبتين مع الظهر، كأنه متكئ على جدر.

٨٢٢ - وعن قَيْلَةَ بنْتِ مَخْرَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: رأيتُ النَّبيَّ ﷺ وَهُوَ قَاعِدٌ القُرْفُصَاءَ، فَلَمَّا رَأَيْتُ رسولَ الله المُتَخَشِّعَ في الجِلْسَةِ أُرْعِدْتُ مِنَ الفَرَقِ. رواه أَبُو داود والترمذي(٢).

الشرح:

(أُرْعِدْتُ مِنَ الفَرَقِ) أي: من الخوف.

٨٢٣ - وعن الشَّرِيدِ بن سُوَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ بي رسولُ الله ﷺ وَأَنَا جَالِسٌ هكَذَا، وَقَدْ وَضَعْتُ يَدِيَ اليُسْرَى خَلْفَ ظَهْرِي، وَاتَّكَأْتُ عَلَى أَلِيَةِ يَدي، فَقَالَ: «أَتَقْعُدُ قِعْدَةَ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ؟». رواه أَبُو داود بإسنادٍ صحيح(٣).

---

(١) حديث رقم: (٦٢٧٢).

(٢) أخرجه: أبو داود (٤٨٤٧)، والترمذي (٢٨١٤)، في سنده عبد الله بن حسان التميمي، مجهول الحال، يرويه عن جدته صفية ودُحْبية بنت عُلَيْبة، وهما مجهولتان، وقد حسنه الألباني في (الصحيحة).

(٣) حديث رقم: (٤٨٤٨)، في سنده عنعنة ابن جريج، وهو مدلس، وصرح في (مصنف عبد الرزاق)، لكن جعله عن عمرو بن الشريد يخبر عن النبي ﷺ، أي أنه مرسل.

وله شاهد عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ رأى رجلا ساقطا يده في الصلاة، فقال: «لا تجلس هكذا، إنما هذه جلسة الذين يعذبون»، رواه أحمد وفي سنده هشام بن سعد المدني، وهو ضعيف.

والحديث أيضا يحسنه الشيخ الألباني ويصححه.

الشرح:

(وَاتَّكَأْتُ عَلَى أَلِيَةِ يَدي) يعني الكف.

قال في "عون المعبود" (١٣/ ١٣٥): **قال القارىء**: فِي كَوْنِهِمْ هُمُ الْمُرَادَ مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ها هنا مَحَلُّ بَحْثٍ، وَتَتَوَقَّفُ صِحَّتُهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ هَذَا شِعَارَهُمْ، وَالْأَظْهَرُ: أَنْ يُرَادَ بِالْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ أَعَمُّ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْفُجَّارِ الْمُتَكَبِّرِينَ الْمُتَجَبِّرِينَ مِمَّنْ تَظْهَرُ آثَارُ الْعُجْبِ وَالْكِبْرِ عَلَيْهِمْ مِنْ قُعُودِهِمْ وَمَشْيِهِمْ وَنَحْوِهِمَا، نَعَمْ وَرَدَ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ أَنَّ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ هُمُ الْيَهُودُ انْتَهَى.

١٢٩ - باب في آداب المجلس والجليس

٨٢٤ - عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ رَجُلًا مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ، وَلَكِنْ تَوَسَّعُوا وَتَفَسَّحُوا».

وكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا قَامَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ مَجْلِسِهِ لَمْ يَجْلِسْ فِيهِ. متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

الشرح:

يعني إذا دخلت مجلسا ورأيت الناس كل في مجلسه لا تقيم واحد وتجلس بدلا عنه، لكن لا بأس أن يقع التفاسح، وييسر الله الخير، ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة:١١].

(وكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا قَامَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ مَجْلِسِهِ لَمْ يَجْلِسْ فِيهِ)؛ لتواضعه، وكذلك من حرصه على تطبيق السنة.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا النَّهْيُ لِلتَّحْرِيمِ، فَمَنْ سَبَقَ إِلَى مَوْضِعٍ مُبَاحٍ فِي الْمَسْجِدِ وَغَيْرِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ غَيْرِهِ لِصَلَاةٍ أَوْ غَيْرِهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ، وَيَحْرُمُ عَلَى غَيْرِهِ إِقَامَتُهُ لِهَذَا الْحَدِيثِ، إِلَّا أَنَّ أَصْحَابَنَا اسْتَثْنَوْا مِنْهُ مَا إِذَا أَلِفَ مِنَ الْمَسْجِدِ مَوْضِعًا يُفْتِي فِيهِ، أَوْ يَقْرَأُ قُرْآنًا أَوْ غَيْرَهُ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ. اهـ

٨٢٥ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسٍ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ». رواه مسلم[(٢)].

الشرح:

(١) أخرجه البخاري (٦٢٧٠)، ومسلم (٢١٧٧).

(٢) حديث رقم: (٢١٧٩).

يعني ما يحتاج إلى حجز، سواء في المسجد أو في غيره، لكن إذا رجع إليه فهو أحق به، ولا يحتاج إلى شهود، يقول: يا أخي هذا مجلسي، وليس هناك ما يستدعي إلى التنافر ونحو ذلك.

٨٢٦ - وعن جابر بن سَمُرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ جلَسَ أَحَدُنَا حَيْثُ يَنْتَهِي. رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن[1].

الشرح:

أي حيث ينتهي به المجلس، ما يدخل إلى آخر المجلس ويزاحم الناس، ويسبب لهم قلقا.

وشاهده في البخاري ومسلم عن أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ نَفَرٌ ثَلَاثَةٌ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قال فَلَمَّا وَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سَلَّمَا، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ، فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللهِ فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ**».

وأما حديث الباب ففي سنده شريك بن عبد الله النخعي، ضعيف.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٢٥)، والترمذي (٢٧٢٥).

٨٢٧ - وعن أَبي عبد الله سَلْمَان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ، إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الأُخْرَى». رواه البخاري[1].

الشرح:

فيه فضيلة الاغتسال يوم الجمعة، وهو واجب على الصحيح.

(وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ) أي: يدلك جسمه، ويزيل ما به من درن.

(وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ) يعني: يتطيب؛ لأن الدهن طيب. فإن لم يجده فمن دهن بيته، من أهله، ما هناك طيب يسمى رجالي ونسائي.

ثم أيضا قد قلبوا الأمر في هذا الزمان، طيب الرجال جعلوه خفيف الرائحة، وطيب النساء جعلوه شديد الرائحة، بينما النبي ﷺ يقول: «طيب الرجال ما خفي لونه وظهر ريحه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه»، فالآن يقول لك: هذا الطيب نسائي؛ لأنه نفاذ، هذا خلاف الطيب الشرعي.

وفيه ما سيأتي من الإنصات يوم الجمعة.

٨٢٨ - وعن عمرو بن شُعَيْب، عن أبيهِ، عن جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلاَّ بِإِذْنِهِمَا». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن[2].

وفي رواية لأبي داود: «لَا يُجْلِسُ بَيْنَ رَجُلَيْنِ إِلاَّ بِإِذْنِهِمَا».

الشرح:

(١) حديث رقم: (٨٨٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٤٤) والترمذي (٢٧٥٢).

عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده هي سلسلة حسنة.

لعل بينهما حديث، وأحدهما يطمئن إلى الآخر.

٨٢٩ - وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ لَعَنَ مَنْ جَلَسَ وَسَطَ الحَلْقَةِ. رواه أَبُو داود بإسنادٍ حسن[١].

وروى الترمذي[٢] عن أبي مِجْلَزٍ: أَنَّ رَجُلًا قَعَدَ وَسَطَ حَلْقَةٍ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: مَلْعُونٌ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَوْ لَعَنَ اللهُ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَنْ جَلَسَ وَسَطَ الحَلْقَةِ. قَالَ الترمذي: حديث حسن صحيح[٣].

٨٣٠ - وعن أَبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «خَيْرُ المَجَالِسِ أَوْسَعُهَا». رواه أَبُو داود[٤] بإسنادٍ صحيح عَلَى شرط البخاري.

الشرح:

فعلًا خير المجالس أوسعها، «أربع من السعادة» وذكر منها: «البيت الواسع».

أما المجلس الضيق يصل الضعيف لا يتسع لهم.

(قَالَ الْخَطَّابِيُّ: هَذَا يُتَأَوَّلُ فِيمَنْ يَأْتِي حَلْقَةَ قَوْمٍ فَيَتَخَطَّى رِقَابَهُمْ وَيَقْعُدُ وَسْطَهَا وَلَا يَقْعُدُ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ فَلُعِنَ لِلْأَذَى وَقَدْ يَكُونُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا قَعَدَ وَسْطَ الْحَلْقَةِ حَالَ بَيْنَ الْوُجُوهِ فَحَجَبَ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ فَيَتَضَرَّرُونَ بِمَكَانِهِ وَبِمَقْعَدِهِ هُنَاكَ وَاللهُ أَعْلَمُ). اهـ من عون المعبود (١٣/ ١١٩).

---

(١) حديث رقم: (٤٨٢٦)، فيه أبو مجلز، لم يسمع من حذيفة.

(٢) حديث رقم: (٢٧٥٣).

(٣) كما ترى الحديث ضعيف.

(٤) حديث رقم: (٤٨٢٠).

٨٣١ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ جَلَسَ في مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لاَّ إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ في مَجْلِسِهِ ذَلِكَ».

رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[(١)].

٨٣٢ - وعن أَبي بَرْزَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ يقولُ بأَخَرَةٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ أنتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إليكَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رسولَ الله، إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلًا مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى؟ قَالَ: «ذَلِكَ كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ في المَجْلِسِ». رواه أَبُو داود[(٢)]، ورواه الحاكم أَبُو عبد الله في (المستدرك)[(٣)] من رواية عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقال: صحيح الإسناد.

الشرح:

كما ترى هذه ثلاثة أحاديث ما من حديث منها يخلو من مقال، ولكن يشد بعضها بعضا.

وفيه كفارة المجلس: (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ أنتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إليكَ)، ونحو هذا من الأدعية، وقد ورد عن خمسة عشر صحابيا، ومرسلين، وقد تكلم الحافظ على هذا الحديث في شرح آخر حديث من صحيح البخاري، وتكلم عنه ابن كثير في تفسير آخر سورة الصافات، عند قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات:١٨٠-١٨١].

---

(١) حديث رقم: (٣٤٣٣).

(٢) حديث رقم: (٤٨٥٩).

(٣) حديث رقم: (١٨٤٧).

٨٣٣ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رسول الله ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهؤلاء الدَّعَواتِ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بأَسْمَاعِنا، وَأَبْصَارِنَا، وقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الوارث مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

الشرح:

الحديث له شواهده، وهو من طريق ابن لهيعة وغيره، لكن هل يصل إلى أن يكون من أذكار المجلس؟ الله أعلم.

ومعنى الحديث: (اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ) لأن الخوف من الله مع التعظيم سبب للبعد عن المعاصي والسيئات، وما يجرئ الإنسان على المعصية إلا ضعف خوفه من الله، نسأل الله العافية.

(وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ)؛ لأن الطاعة سبيل إلى الجنة، ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف:٧٢].

(وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا) صدق الاعتماد على الله، والتوكل عليه، والرضا بما قضى وقدَّر، فإن مصائب الدنيا تهون، وبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

(اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بأَسْمَاعِنا)؛ لأن الإنسان إذا فقد السمع فقد من مدارك العلم.

(وَأَبْصَارِنَا)؛ لأن الإنسان إذا فقد البصر فقد أيضا من مدارك العلم.

---

(١) حديث رقم: (٣٥٠٢).

(وقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا)؛ لأن الإنسان إذا ضعف عجز عن القيام والفهم والعمل.

(وَاجْعَلْهُ الوارثَ مِنَّا) أي هذه الجوارح تكون مستمرة مع الإنسان حتى يلقى الله.

(وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا) وهذا دعاء عظيم، أن الله ينتقم للمظلوم من الظالم، فإن الإنسان إذا رأى ثأره ذهب ما في نفسه من القلق.

(وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا) ﴿وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠﴾ [البقرة:٢٥٠]، ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ﴾ [آل عمران:١٦٠] ، ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد:٧]

.

(وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا)؛ لأن كل مصيبة تهون ما لم تكن في الدين، موت الزوجة، موت الولد، موت النفس، كله يهون، إلا مصيبة الدين، إذا تحولت من السنة إلى البدعة، أو من الإسلام إلى الكفر، أو من الطاعة إلى المعصية، مصيبة، وأشدها الردة، ويليها البدعة، وهكذا المعاصي، نسأل الله العافية.

وكم من إنسان يُصاب في شيء من ماله، فيتألم، ويأتي الناس لتعزيته، وجبر مصابه، وقد أصيب في دينه ولا ينتبه ولا يلتفت له، ربما يكون تارك صلاة، وما يدري أن هذه المصيبة والله أعظم من فقد المال والولد.

كان هناك رجل غني ظالم غاشم، صلى يوما ولحقه الخسارة المالية، فقال: والله ما عاد أصلي، أيام وجاءه أجله في حادث مروري، وكانت أمه تقول: يا ليته كان يصلي في الدنيا، يعني الأم العجوز البدوية أعقل من هذا الذي كان يشار إليه.

فمصيبة الدين مصيبة، مصيبة في عدم الثبات، مصيبة في السيئات، مصيبة في القبر، عند الممات، مصيبة في القيامة، ومن يخرجك من هذه المصيبة ومن هولها ومن شدتها؟

فعلى الإنسان أن يتفاقد نفسه، لا تكون مصيبته في دينه وهو لا يشعر، ولا تكون مصيبته في دينه أيسر من مصيبته في غيرها، يا أخي غير الدين يخلف الله فيه، وإن صبرت كم لك من الأجور المضاعفة؟ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر:١٠] .

لكن إذا كانت المصيبة في دينك بعد السنة بدعة، بعد التوحيد شرك، بعد الطاعة معصية، مصيبة، لا يعبر عنها بأكثر من هذا، مصيبة، تجد أحدهم في أسوأ أحواله: مالك يا فلان؟ قال: نزلت بي مصيبة، فكلمة مصيبة تكفي في شرح هذا الشيء.

(وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا)؛ لأن الإنسان إذا كانت الدنيا همه فرق الله عليه شمله، ولا يستقيم له حال، وإن فسد حاله فسد مآله.

(وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا) ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم:٧] ، فكم من إنسان يصنع الصناعات العجيبة وهو كافر بالله كافر برسل الله كافر بكتاب الله!

(وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا) مصيبة، إذا سُلط عليك عدو لا يرحم مصيبة، يتفنن بعذابك، أنت تبكي وهو يضحك، أنت تصيح وهو يزيد في التنكيل بك، انظر إلى هذا الدعاء العظيم.

كان والدي الله يرحمه يقول: يا بني عدوك ما يرحمك، وهو صحيح، معناها صحيح، العدو لا يرحم، الصاحب يرحم، الأم ترحم، القريب يرحم، البعيد يرحم، إلا العدو، قد ذكرت لكم قبل ليال: أن ابن هُبيرة قتلوه بالسم، لا لشيء، حسد، كان عالما مع جلالته ووزارته، ثم بلغ بهم العداوة أن اشتروا كتبه بعد موته يمسحونها بالماء، وإلا كثير من الناس إذا مات عدوه ربما يرحمه، إذا مات الميت، إلا عداوة الحسد انظر كيف تلحق صاحبها.

فنسأل الله أن لا يسلط علينا من لا يرحمنا، أكثروا من هذا الدعاء: ربنا لا تسلط علينا من لا يرحمنا، كائنا من كان، وأيضا نسأل الله أن لا يجعل لمبطل علينا سبيلا مطلقا؛ لأن المبطل إذا جُعل له سبيل على المؤمن آذاه، وأتعبه وأقصاه، وأنت تتألم وهو يضحك، وأنت تتشرد وهو يتبجح، عدو.

ولا أشد من عداوة المشركين للمسلمين، سواء عداوة المشركين أصحاب الشرك الأصلي كاليهود والنصارى، والبوذيين والهندوسيين، أو عداوة المشركين الذين يقولون: لا إله إلا الله بألسنتهم، ويخالفونها بأفعالهم وأقوالهم واعتقاداتهم، كالرافضة، والباطنية، وغلاة الصوفية، وجميع عباد القبور، ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة:١٠].

لما دخل محمد علي باشا إلى بلدة العُيَينة الرياض حاليا قتل العلماء، وسبى النساء، وجعل يضرب بالعود والطبل على جثثهم، ويرقص عليهم بالخيل، عداوة، العدو لا يرحم، لا سيما عداوة الدين.

كل العداوات قد ترجى مودتها إلا عداوة من عاداك في الدينِ

فكن بالله معتصما، وإليه لاجئا، وبه مستغيثا، وعليه معتمدا، ألا يسلط عليك عدوا، لا من الإنس ولا من الجن، ولا من الدواب، الحية عدوة للإنسان، العقرب عدوة للإنسان، حتى الفأرة الفويسقة، والوزغة، سام أبرص، وهكذا كثير من الحيوان.

فإذا تسلط عليك العدو آذاك وأتعبك، ولا ينفع معه اعتذار ولا تودد، ولا تألم، بل بالذات الإنسان يتفنن في تعذيب خصمه، وقد ذكرت لكم: أن الإنسان إن لم يستقم على الكتاب والسنة أسوأ من الحيوان البهيم.

يا أخي يضرب المثل بالأسد في الفتك، وبالنمر، وبالذئب، ربما يفتك بفريسته ويميتها، أما هؤلاء يتفننون في تعذيب الناس، انظر إلى ما قصه النبي ﷺ بالمناشير، ويمشطونهم بأمشاط الحديد.

ولو عاد الإنسان إلى ما فعله النصارى الصليبيون بالمسلمين في الأندلس لرأى العجب، يعجز عن قراءتها فضلا عن أن يشاهدها، كيف لو شاهدها؟ كراسي للموت، يضعونه على الكرسي، ثم تأتيه سيوف من جميع الجهات، وصناديق للموت، يضعونه داخل صندوق وتدخل عليه السيوف من هاهنا ومن هاهنا، وهذا فيها ما فيها، بل أشد من ذلك: ربما يضعونه في مثل الصندوق، ثم يضعونه ممتدا في عمد ممدد، لا يستطيع الحركة، كم يبكي؟ كم يصيح؟ كم يتألم؟

وهكذا الصينيون الآن ما يفعلونه بالمسلمين في الرهوانجا – ما ما أدري ما اسمها هكذا – يتفننون في تعذيبهم تفننا، السجن عذاب، كيف إذا انضاف إلى السجن تدبيس المسامير؟ وشد الأوتار، وتقطيع الأعصاب، وتارة يربطونه جالسا، وتارة يربطونه مفككا، وتارة يعلقونه.

وهكذا كل المبطلين عندهم من هذه الأساليب السيئة، فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرحمنا برحمته، وأن يتولانا بعنايته، وإذا أراد فتنة أن يتوفانا غير مفتونين، ولا يبتلينا بهذا العذاب المهين.

واشتهرت البعثية بهذه الأساليب، والاشتراكية، وهكذا كثير من الناس الذين قلَّ ورعهم وخوفهم من الله، مع أن النبي ﷺ يقول: «**أشد الناس عذابا الذين يعذبون الناس في الدنيا**»، أشد الناس عذابا يوم القيامة.

والجزاء من جنس العمل، والله يا هذا الذي الآن يشد المسامير في بني الإنسان ظلما وجورا أنه سيُسَمَّر في نار جهنم، إن مات قبل أن يتوب، الجزاء من جنس العمل،

والذي يقطعهم ربما يكون جزاؤه ذاك، والذي يقتلهم ربما يصيبه الهوان في الآخرة وفي النار، فهم يقدمون لأنفسهم ما سيكون من العذاب الأليم والخزي الجسيم، والمسلم نسأل الله أن يرحمه برحمته.

٨٣٤ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ الله تَعَالَى فِيهِ إِلاَّ قَامُوا عَنْ مِثْل جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً».

رواه أَبُو داود بإسنادٍ صحيح[(١)].

الشرح:

نعم هذا المجلس يكون مجلس حسرة؛ لأنه لم يذكر الله فيه، ولم يصل على رسول الله ﷺ، ولم يأمر بمعروف، ولم ينه عن منكر، ولم يتلق العلم والإيمان.

٨٣٥ - وعنه، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا الله تَعَالَى فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ فِيهِ إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ».

رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[(٢)].

الشرح:

لا خير في المجالس إن لم تكن على ذكر الله وطاعته، قولوا لأصحاب مجالس القات، قولوا لأصحاب مجالس الضمنة والشطرنج والكيرم، قولوا لأصحاب مجالس كرة القدم، قولوا لأصحاب مجالس الغيبة والنميمة: أين هم من هذه الأحاديث؟ أين هم من هذا الوعيد؟ ألا يسارعون في شراء أنفسهم من الله، نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) حديث رقم: (٤٨٥٥).

(٢) حديث رقم: (٣٣٨٠).

يسمعون الذكر ويعرضون عنه، بينما الواجب إذا سمعوا الذكر أن يأتوا إليه، وأن يستمعوا أحسنه، وأن يعملوا به.

وهكذا قولوا لأصحاب التلفزيونات والدشوش وأصحاب المقاطع الخليعة: أين هم من هذه الأحاديث الحاثة على طاعة الله الزاجرة عن معصية الله؟

إنها الغفلة، إنها القسوة، إنها الإعراض، ولكن سيندم كل واحد حين لا ينفع الندم.

٨٣٦ - وعنه، عن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ الله تَعَالَى فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ، وَمَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لَا يَذْكُرُ الله تَعَالَى فِيهِ كَانَتْ». رواه أَبُو داود[1].

وَقَدْ سبق قريبًا، وشَرَحْنَا (التِّرَة) فِيهِ.

(١) انظر الحديث (٨١٨).

١٣٠ - باب الرؤيا وَمَا يتعلق بها

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الروم:٢٣].

٨٣٧ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلاَّ الْمُبَشِّرَاتِ» قالوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ». رواه البخاري[(١)].

الشرح:

وجاء عن ابن عباس في مسلم: «يراها المؤمن أو تُرى له»، «وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا».

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في فتح الباري (١٢/ ٣٧٤-٣٧٥): قَالَ الْمُهَلَّبُ مَا حَاصِلُهُ التَّعْبِيرُ بِالْمُبَشِّرَاتِ خَرَجَ لِلْأَغْلَبِ فَإِنَّ مِنَ الرُّؤْيَا مَا تَكُونُ مُنْذِرَةً وَهِيَ صَادِقَةٌ يُرِيهَا اللهُ لِلْمُؤْمِنِ رِفْقًا بِهِ لِيَسْتَعِدَّ لِمَا يَقَعُ قَبْلَ وُقُوعِهِ وَقَالَ بن التِّينِ مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الْوَحْيَ يَنْقَطِعُ بِمَوْتِي وَلَا يَبْقَى مَا يُعْلَمُ مِنْهُ مَا سَيَكُونُ إِلَّا الرُّؤْيَا.. اهـ

٨٣٨ - وعنه: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذِبُ، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ». متفقٌ عَلَيْهِ[(٢)].

وفي رواية: «أَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا، أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا».

الشرح:

جاء: «ستة وأربعين»، وجاء: «خمسة وعشرين»، وجاء: «خمسة وسبعين»، وهذه تختلف من حيث الرائي، ومن حيث صدقه، ومن حيث الزمان.

---

(١) حديث رقم: (٦٩٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠١٧)، ومسلم (٤٢٦٣).

٨٣٩ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي اليَقَظَةِ - أَوْ كَأَنَّمَا رَآنِي فِي اليَقَظَةِ - لَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

(فَسَيَرَانِي فِي اليَقَظَةِ) لعله سيراه يوم القيامة، إن مات علي الإيمان والإسلام.

أما ما فعله بن حفيظ هذا الصوفي القبوري صاحب تريم حشر حوله الطلاب ثم جعل يرى النبي ﷺ، ويظهر العيون والحركات، كأنه يراه يمشي أمامه، هذا من تلبيس الشيطان عليهم، إن لم يكن من شيطنتهم هم؛ ليزداد اغترار الناس بهم، الشيطان لا يتمثل به.

يعني من رأى النبي ﷺ كأنما رآه في اليقظة، يراه مربوعا، يراه كث اللحية، يرى وجهه مثل القمر، ويرى وجهه في بياضه مثل السيف، ليس بالطويل، ليس بالقصير، ليس بالسمين، وهكذا.

أما أن يحضر عندهم يحضر في موالدهم، ويحضر ليروه، يصورون على أن النبي ﷺ جاء، نعوذ بالله من الحور بعد الكور، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وتجد له أتباعا، وتجد من يصدقه على هذه الخرافة وهذه الزندقة.

٨٤٠ - وعن أَبي سعيدٍ الخدرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّه سَمِعَ النبيَّ ﷺ يقول: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤيَا يُحِبُّهَا فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللهِ تَعَالَى، فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلَيْهَا، وَلْيُحَدِّثْ بِهَا»، - وفي رواية: «فَلَا يُحَدِّثْ بِهَا إِلاَّ مَنْ يُحِبُّ - وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا، وَلَا يَذْكُرْهَا لأَحَدٍ؛ فَإِنَّهَا لا تَضُرُّهُ». متفقٌ عَلَيْهِ[2].

الشرح:

(١) أخرجه البخاري (٦٩٩٣)، ومسلم (٢٢٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٨٥) ولم يروه مسلم عن أبي سعيد الخدري.

وفيه قصة: أن الراوي قال: كنت إذا رأيت الرؤية كأن جبلا يكون علي، لكن الإنسان إذا رأى رؤيا تسره فرح بها واستبشر، وإن رأى رؤيا شديدة لا تضره، الرؤيا تسر ولا تضر، قد تكون نذارة، ما هي خلاص ستقع، قد تكون نذارة تقصير، قد تؤول تأويل حسن.

وأيضا لا تحكم على الناس بمجرد الرؤيا، لا سيما إذا كان المؤول من أصحاب النيات السيئة، رأيت الشيخ فلان محلوق اللحية قال: هذا قليل دين، هذا قليل ورع، وهو هو قليل الدين وقليل الورع، وإلا حلق اللحية في حق الصالح لها وجه حسن، قد يكون عنده هم، عنده غم، عنده دين، عنده مرض، عنده وعنده، أشياء كثيرة، وهكذا.

فالرؤيا أحيانا تختلف باختلاف الرائي، مع أنها رؤيا واحدة، قال: رأيت أني أؤذن، وهو رجل صالح، قال له: تحج هذا العام إن شاء الله، قال الثاني: رأيت بأني أؤذن، قال: تسرق وتُفضح، لأنه سارق، فهكذا تختلف.

مثلا يقول: رأيت وأنا آكل قاتا، قد يكون من الصالحين، لعل مرض يا أخي، مرض في فيه، أو مرض من كذا، أو كلام لغو، وذاك مباشرة: لعلك تغتاب، لعلك تنم، لعلك كذا.

أيضا كثير من الناس يتشككون في هذا الباب، يقول: رأيت أني آتي بعض محارمي، أو المرأة: تتشكك رأيت فلانا معي في المنام وهو من محارمي، إحسان، عطاء، إكرام.

وبعضهم ربما يقع شك في أخيه أو في أبيه أو في صاحبه بمجرد مثل هذه الرؤى، فالرؤى تسر ولا تضر، الرؤى لها تأويلات، والمؤول قد يصيب وقد يخطئ، ليس تأويله بنص وحي، إنما قد يصيب وقد يخطئ.

٨٤١ - وعن أَبي قَتَادَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ» - وفي رواية: «الرُّؤْيَا الحَسَنَةُ - مِنَ اللهِ، وَالحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفُثْ عَن شِمَالِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ مِنَ الشَّيْطَانِ، فإنَّهَا لا تَضُرُّهُ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

(النَّفْثُ): نَفْخٌ لَطِيفٌ لا رِيقَ مَعَهُ.

الشرح:

الحلم تهاويل، والرؤيا الحسنة جميلة، بشارات، لكن أيضا المؤول كما قلت لكم.

وإن ترى الطنبور وسط المسجدِ فأول المسجد واترك الردي

أين المؤول الذي يلحق لك كل كلمة؟ هذا ما هو صحيح، إذا رأيت رجلا في وسط مسجد ومعه الطنبور أول المسجد: إن شاء الله أنك في خير، وعلى صلاح، واترك الرديء من الرؤيا، أهمله، لا تنظر إليه، ولا تلتفت إليه.

لأن الرؤيا عبارة عن رموز، وقد يكون الحلم طويلًا والرمز شيئًا يسيرًا، قال النبي ﷺ: «رأيت كأن في سيفي ثلمة، ورأيت بقرا تُذبح»، ورأيت كذا وكذا، فسر بما وقع يوم أحد.

(وَلْيَتَعَوَّذْ مِنَ الشَّيْطَانِ، فإنَّهَا لا تَضُرُّهُ) وفي رواية: «فليصل».

وأيضا بعض الناس قد تُرافق الرؤيا تطير، فلذلك أول ما يجد رؤيا يتشاءم، فيقع عليه ما يتشاءم منه، يقول لك: أنا قد رأيت، أعرض عنها ولا تبال، والله ما يقع حاجة إن شاء الله.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٩٢)، ومسلم (٢٢٦١).

وأحيانا في زمن الفتن لكثرة الهموم والغموم قد الإنسان يرى رؤية ويقول لك: والله أني نمت وأنا ما أفكر في هذا الشيء، يعني يريد يؤكد لك أنها رؤيا من الله وأنها وحي، وهو مليء وسوسة من كثرة الفتن، فالإنسان يستبشر.

ومن باب البشارة: رأيت اليوم وما أدري قرأت أو قرئ علي أو كتبت: سعيد بن منصور، صاحب (السنن)، صاحب التأليفات والرواية، فرجوت سعادة ونصرا، ما أذكر ما قبلها وما بعدها، لكن هذا الذي قمت عليه، فقلت: إن شاء الله سعادة ونصر، من باب التعبير بالاسم.

٨٤٢ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَحَوَّل عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ». رواه مسلم[1].

الشرح:

(فَلْيَبْصُقْ) يعني ينفث كما تقدم.

(وَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثًا)؛ حتى ينساها، ولا يلتفت إليها ولا يبالي بها.

(وَلْيَتَحَوَّل عَنْ جَنْبِهِ) حتى إذا كان للشيطان وجود مع ذكر الله والتحول ما يكون للشيطان مشاركة بعد.

---

(١) حديث رقم: (٤٢٦٤).

٨٤٣ - وعن أَبي الأسقع واثِلةَ بن الأسقعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الفِرَى: أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إِلَى غَيرِ أَبِيهِ، أَوْ يُرِي عَيْنَهُ مَا لَمْ تَرَ، أَوْ يَقُولَ عَلَى رسول الله ﷺ مَا لَمْ يَقُلْ». رواه البخاري[1].

الشرح:

يعني (أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إِلَى غَيرِ أَبِيهِ) زهدا في أبيه.

(أَوْ يُرِي عَيْنَهُ مَا لَمْ تَرَ) أي يقول: تحلمت ورأيت، وهو كذاب، أو كذلك يكذب على النبي ﷺ، وهذا سيأتي خطره وضرره في كتاب العلم، والله أعلم.

(١) حديث رقم: (٣٥٠٩).

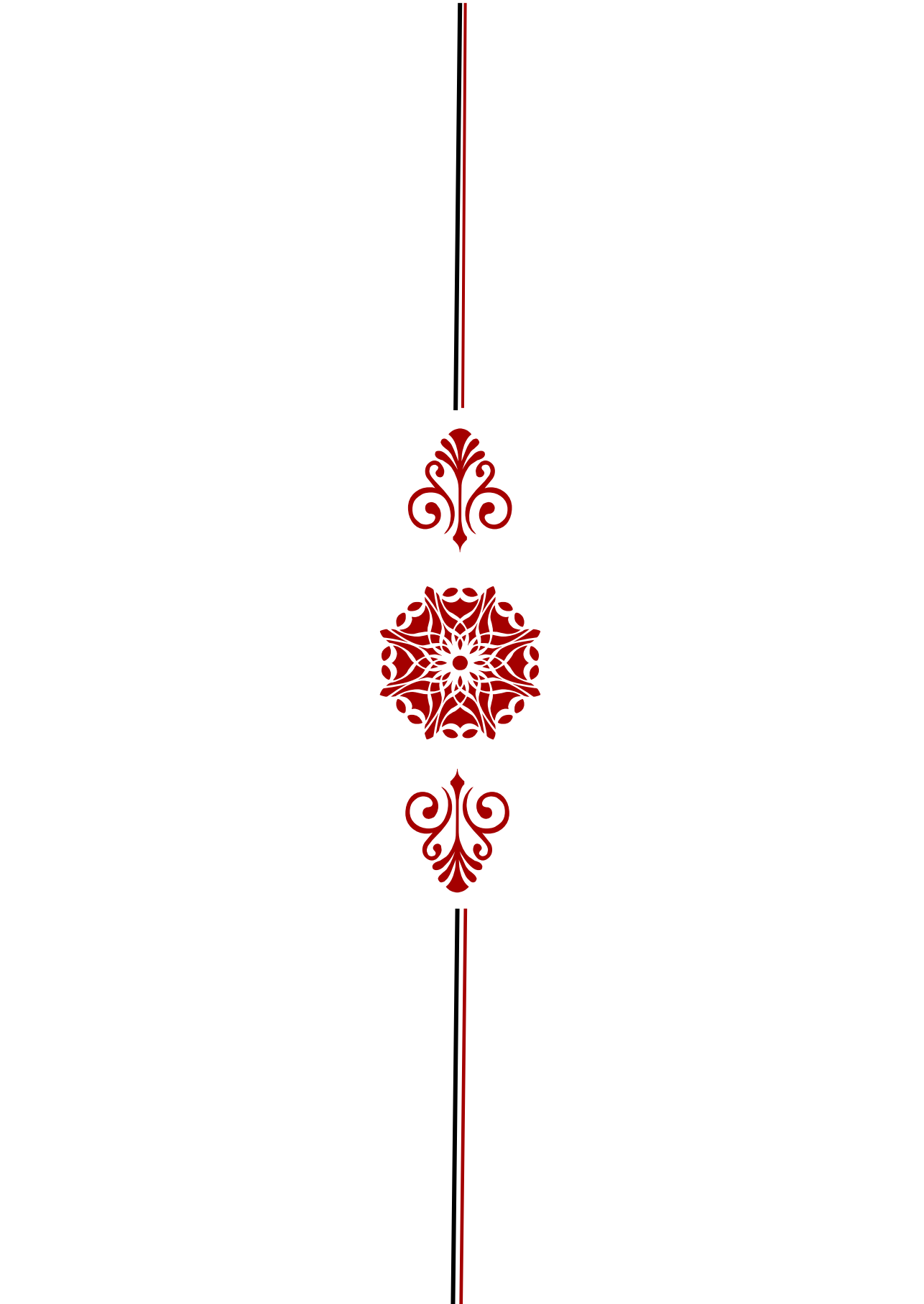

كتاب السلام

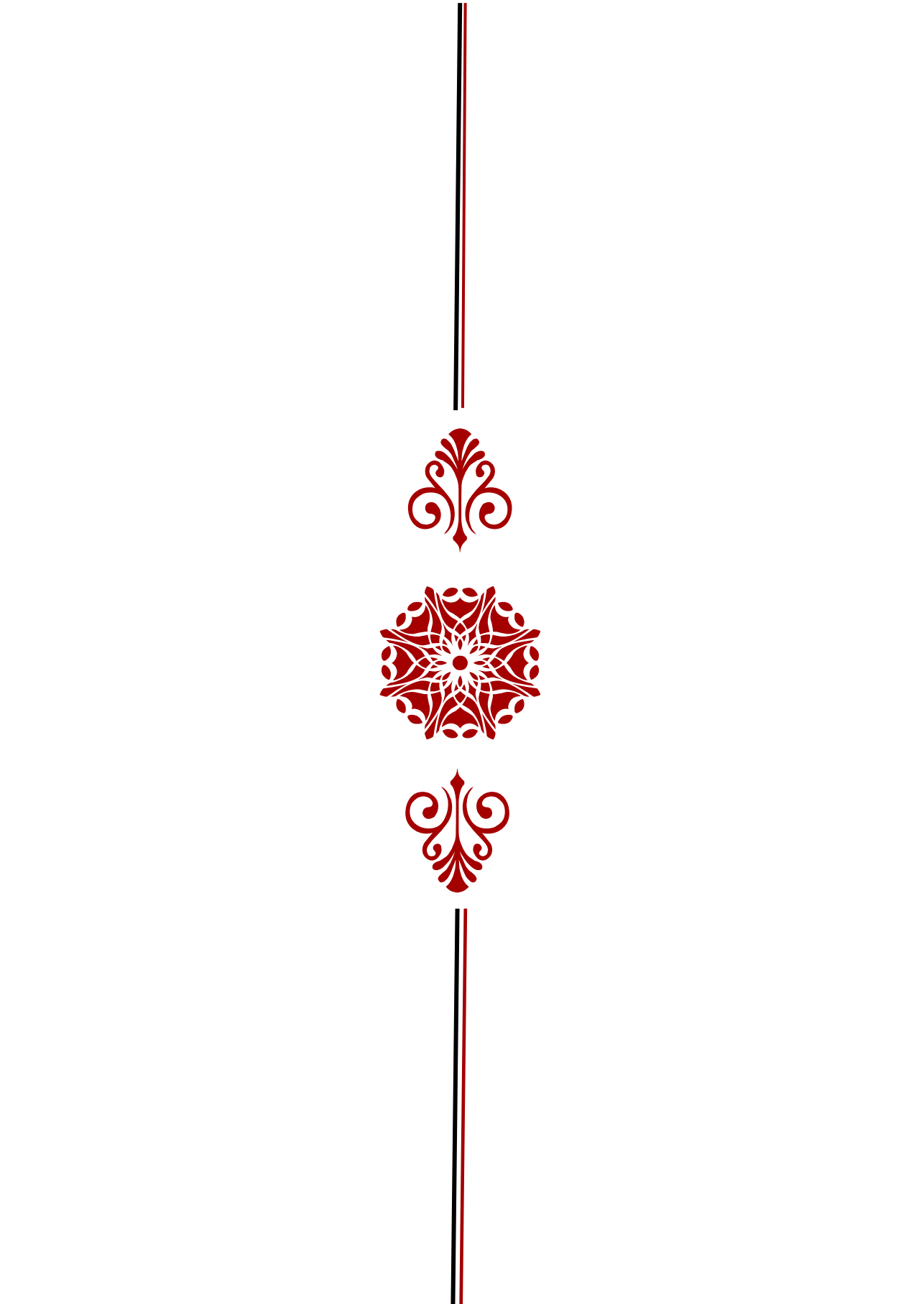

كتاب السلام

هذا الكتاب من مهمات العلم، وربما أدخله بعضهم في كتاب الاستئذان؛ لأن السلام من الاستئذان على ما يأتي بيانه.

وله أحكام، وله أجره، وله فضله، وهو أول عمل قام به الملائكة مع آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: «**اذهب إلى أولئك النفر من الملائكة فانظر بما يحيونك، فقال: السلام عليكم، قالوا: وعليكم السلام ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله**».

وهكذا خضر حين قال له موسى: السلام عليكم قال: وأنى بأرضك السلام، قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم.

وهكذا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء:٩٤]، فشأن السلام عظيم، فينبغي أن يشاع ويفشى، ويترك الناس صباح الخير مساء الخير، عِمْ صباحا عم مساء، وأسوأ منها (قدمورننج، قدنايت) ونحو ذلك من الكلمات العجمية.

ولكن السلام عليكم ورحمة الله، في الليل أو في النهار، في الصباح أو في المساء، وإن أضاف إليها: مساك الله بالخير والعافية، صبحك الله بالخير والعافية، لا حرج.

أما إطلاق صباح الخير ومساء الخير هكذا ما يصلح؛ لأن هذا مبني على عقيدة الثانوية الذين يقولون: بأن الخير في النور والشر في الظلمة، أما أهل الإسلام يعلمون أن الخير من الله والشر من الله، يبتلي به عباده.

وقد اختلفوا معنى السلام عليكم، هل المراد بالسلام هو الله أو دعاء بالسلامة؟ ويصلح هذا وهذا، دار السلام ودار السلامة، دار السلام من حيث أنها ملك لله عَزَّوَجَلَّ، ودار السلامة أيضا من حيث السلامة من الآفات.

١٣١ - باب فضل السلام والأمر بإفشائه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾ [النور:٢٧].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ﴾ [النور:٦١].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَاۗ﴾ [النساء:٨٦].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٢٥﴾ [الذاريات:٢٤-٢٥].

الشرح:

(﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾) فإن قالوا: وعليكم السلام ورحمة الله هذا إذن، على ما يأتي.

(﴿فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ﴾) هل معناه أنك إذا دخلت إلى بيتك ولم يكن فيه أحد أن تقول: السلام عليكم أم أنك إذا دخلت دارك تسلم على أهلك وعلى المسلمين؟ هذا المعنى لعله أقرب، ومن أخذ بظاهر القرآن ودخل الدار وقال: السلام عليكم ورحمة الله لا ينكر عليه.

(﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَاۗ﴾) التحية قد فسرتها السنة: السلام عليكم، والأحسن منها: السلام عليكم، وعليكم السلام ورحمة الله، السلام

عليكم ورحمة الله، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ما جاء أنه يزيد: ومغفرته لم تثبت عن النبي ﷺ.

(﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ﴾) قد اختلف العلماء: هل يكفي أن تقول: سلام؟ هل قولك: سلام سلام؟ فبعضهم يرى أن لها تقدير، يعني فقال: سلاما أي: سلم عليهم، قالوا سلام أي: سلموا عليه بما هو معهود، وقال بعضهم: يكفي، والصحيح أنه لو اكتفى بها تكفي، لكن الأولى أن يأتي بالسلام المعهود.

٨٤٤ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رجلًا سأل رسول الله ﷺ: أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

(تُطْعِمُ الطَّعَامَ) أي الصدقة، فيه إطعام الطعام، وهكذا بشرائه تفريجا على الناس ما هم فيه، وفيه أن الإسلام يتفاضل خير وأخيرا، وفاضل وأفضل.

(وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ) أي من المسلمين، أما الكفار فلا يُبدؤون بالسلام على ما يأتي؛ لأن في آخر الزمان يكون السلام على المعرفة، انزل السوق هذه الأيام، أو امش في الطرقات، تجد أن كل إنسان يمشي على حاله، فإذا لقي من يعرفه قال: السلام عليكم ورحمة الله، كيف حالك؟ وكيف أنت؟ ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩).

حتى الناس يتعجبون ممن يسلم عليهم، لو قُدِّر أن رجلا نزل إلى السوق: السلام عليكم، السلام عليكم، السلام عليكم، لعدوها من الأعجوبات، مع أن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يدخل السوق لا لقصد البيع والشراء ولكن لقصد السلام.

ومن أسباب المحبة إفشاء السلام، ومن أسباب الأمن إفشاء السلام، تجد الإنسان إذا سمع من يسلم عليه يطمئن، هذا الأصل، قد تجد هناك أناس يستغلون بعض الأمور على غير الوجه، لكن الأصل أن الإنسان إذا سلم عليك دعا لك بالسلامة وأمَّنك، هذا هو الأصل عند المسلمين.

٨٤٥ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ ﷺ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولئِكَ - نَفَرٍ مِنَ المَلَائِكَةِ جُلُوس - فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ؛ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيتِكَ. فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فقالوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللهِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

يعني دعاء بالسلامة ودعاء بالرحمة ودعاء بالبركة، والله لو استجاب الله لنا هذه الجملة كم فيها من البركات! حين تقول لأخيك: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تدعو له بالسلامة من الآفات، من البدع، من الشركيات، من الضلالات، من الهموم، من الغموم، من جميع المنغصات.

ورحمة الله: تدعو له برحمة الله الواسعة، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦] ، إذا رحمك الله هداك من الضلالة، وبصرك من العمى، ووفقك لكل خير، كساك، وأطعمك، وقضى دينك، وفرج همك، وسدد

(١) أخرجه البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١).

قولك وفعلك، ورزقك الزوجة الطيبة، والولد الطيب، شيء عجيب في الدعاء بالرحمة.

وهكذا ربما رحمة في القبر، سلامة في القبر، ورحمة في الآخرة وسلامة في الآخرة.

وبركاته: يدعو لك بالبركة، في مالك، في قولك، في علمك، في جميع شأنك، وإذا بارك الله لك فيما أعطاك هنيئا لك، ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم:٣١]، عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ جعله الله مباركا أينما كان، ولذلك كانت كثير من أفعاله على الخيرية، يحيي الموتى، ويبارك في مسحه، وفي دعائه.

٨٤٦ - وعن أَبي عُمَارة البراءِ بن عازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أمرنا رسول الله ﷺ بِسَبْعٍ: بِعِيَادَةِ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَنَصْرِ الضَّعِيفِ، وَعَوْنِ المَظْلُومِ، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ، وَإِبْرَارِ المُقْسِمِ. متفقٌ عَلَيْهِ، هَذَا لفظ إحدى روايات البخاري[1].

الشرح:

(أمرنا رسول الله ﷺ بِسَبْعٍ) هذا ليس على الحصر، إنما هذا في حديث واحد.

(بِعِيَادَةِ المَرِيضِ) المريض المسلم يعاد؛ لإدخال السرور عليه، وللدعاء له، وللنصيحة، والكافر يُعاد لدعوته إلى الإسلام، عاد النبي ﷺ يهوديا، وعاد عمه أبا طالب، يدعوهم إلى الإسلام.

(وَاتِّبَاعِ الجَنَائِزِ) إذا مات يُتبع الميت، يشيع، ويصلى عليه، هذا المسلم، أما الكافر إنما يُدفن؛ لإزالة نتنه، ولتغييب جيفته، ولما جعله الله لبني آدم من الكرامة على بقية الحيوان، وإلا فهم شر من الحيوان.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٣٥)، ومسلم (٢٠٦٦)، وانظر الحديث (٢٣٩).

(وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ) إذا حمد الله، بهذا القيد، إذا حمد الله فشمته، أما إذا لم يحمد الله لا تشمته، وهل تذكره؟ لا تذكره، لا يلزم التذكير.

(وَنَصْرِ الضَّعيفِ) «انصر أخاك ظالما ومظلوما»، تعينه على الخير، وتصد عنه الشر والضير، «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ولا يخذله».

(وَعَوْنِ المَظْلُومِ) في دفع الظلم النازل عليه ما استطعت إلى ذلك سبيلا، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

(وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ) على ما تقدم، للعالَم المسلم، والافشاء معناه: الإظهار والإشاعة للسلام، وفي البخاري: أن عبد الرحمن بن عوف سلم على عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم لم يسمع ردا، فذهب إلى عمر يشكوه، فقال: ما شأن أخوك سلم عليك ولم ترد عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ قال: ما سلم علي، فقال: بلى سلمت عليك، وهو لعله مشغول ببعض الشيء، وإلا الصحابة شأنهم الاستسلام والانقياد، فقال: رددت عليك في نفسي، قال: ما هكذا أمر الله.

يعني ما يكفي أن صاحبك يقول لك: السلام عليكم وأنت تقول: وعليكم السلام – بينك وبين نفسك- لا بد أن يُسمع؛ حتى ينشرح صدره، وإلا سيقول: ما لهذا علي؟ وربما يصاب بشيء بنفسه.

(وَإِبْرَارِ المُقسِمِ) إبرار القسم إذا حلف عليك: والله لتأكلن، أو: والله لتشربن، أو: والله لتدخلن، أو: والله لتخرجن، في شأن تستطيعه أبر قسمه، أما إذا كان في شيء لا تستطيعه أو شيء يشق عليك لا يلزم، فأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أقسم عليك يا رسول الله لتخبرني، قال: «لا تقسم».

٨٤٧ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ». رواه مسلم(١).

الشرح:

فيه فضيلة السلام.

(لَا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤمِنُوا) بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسول الله ﷺ نبيا، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف:٥٠].

(وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا) أي: لا يكتمل إيمانكم حتى يقع بينكم الحب في الله، والبغض في الله.

(أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟) شيء يسير في فعله عظيم في نتيجته.

(أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ) ولذلك في حق المتخاصمَين: «وخيرهما الذي يبدأ بالسلام».

٨٤٨ - وعن أَبي يوسف عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا والنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَام». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح(٢).

الشرح:

(أَفْشُوا السَّلَامَ) أي بينكم، (وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ) أي للمحتاجين.

---

(١) حديث رقم: (٥٤).

(٢) حديث رقم: (٢٤٨٥)، الحديث فيه ضعف من حيث الانقطاع، لكن قد أثبت سماعه البخاري، كما قال المحقق، فالحديث صحيح، وضعفه شيخنا الوادعي في (أحاديث معلة).

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ) أي: أشيعوه.

(وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ) على ما تقدم.

(وَصِلُوا الأَرْحَامَ) قد تقدم الكلام في صلة الأرحام.

(وَصَلُّوا والنَّاسُ نِيَامٌ) أي قيام الليل، الوتر ونحو ذلك.

(تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَام) أي أن هذه من أسباب دخول الجنة.

٨٤٩ - وعن الطُّفَيْل بن أُبَيٍّ بن كعبٍ: أنَّه كَانَ يأتي عبد الله بن عمر، فيغدو مَعَهُ إِلَى السُّوقِ، قَالَ: فإذَا غَدَوْنَا إِلَى السُّوقِ لَمْ يَمُرَّ عَبدُ الله عَلَى سَقَّاطٍ وَلَا صَاحِبِ بَيْعَةٍ وَلَا مِسْكِينٍ وَلَا أَحَدٍ إِلاَّ سَلَّمَ عَلَيْهِ، قَالَ الطُّفَيْلُ: فَجِئْتُ عبد الله بنَ عُمَرَ يَوْمًا، فَاسْتَتْبَعَنِي إِلَى السُّوقِ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا تَصْنَعُ بالسُّوقِ وَأَنْتَ لا تَقِفُ عَلَى البَيْعِ وَلَا تَسْأَلُ عَنِ السِّلَعِ وَلَا تَسُومُ بِهَا وَلَا تَجْلِسُ في مَجَالِسِ السُّوقِ؟ وَأَقُولُ: اجْلِسْ بِنَا هاهُنَا نَتَحَدَّث، فَقَالَ: يَا أَبَا بَطْنٍ - وَكَانَ الطفَيْلُ ذَا بَطْنٍ - إِنَّمَا نَغْدُو مِنْ أَجْلِ السَّلَامِ، فنُسَلِّمُ عَلَى مَنْ لَقِيْنَاهُ. رواه مالك في المُوطَّأ بإسنادٍ صحيح[1].

(١) حديث رقم: (٢٧٦٣).

١٣٢ - باب كيفية السلام

يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ الْمُبْتَدِئُ بالسَّلَامِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَيَأْتِ بِضَمِيرِ الجَمْعِ، وَإِنْ كَانَ الْمُسَلَّمُ عَلَيْهِ وَاحِدًا، وَيقُولُ الْمُجِيبُ: وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، فَيَأْتِي بِوَاوِ العَطْفِ في قَوْله: وَعَلَيْكُمْ.

٨٥٠ - عن عِمْرَان بن الحصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «عَشْرٌ»، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: «عِشْرُونَ»، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: «ثَلَاثُونَ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن[1].

الشرح:

أي أنه كلما أجاد في سلامه كان له أجر على سلامه أعظم.

٨٥١ - وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قَالَ لي رسولُ الله ﷺ: «هَذَا جِبريلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلَامَ» قالت: قُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

وهكذا وقع في بعض رواياتِ الصحيحين: «وَبَرَكَاتُهُ» وفي بعضها بحذفِها، وزِيادةُ الثقةِ مقبولة.

الشرح:

ويصلح أن تقول: وعليك وعَلَيْهِ السَّلَامُ ورحمة الله وبركاته، وإن قلت: وعَلَيْهِ السَّلَامُ ورحمة الله وبركاته فقط جاز.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥١٩٥)، والترمذي (٢٦٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢١٧)، ومسلم (٢٤٤٧).

وليس على إطلاقه زيادة الثقة مقبولة، ولكن إذا زادها الأكثر أو الأحفظ فهي مقبولة، وإذا زادها من دونه فهي مردوده، فالزيادة إما أن نحكم عليها بأنها مقبولة فتكون زيادة ثقة، وإما أن نحكم عليها بأنها مردودة فتكون شاذة.

٨٥٢ - وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا تكلم بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سلم عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا. رواه البخاري[1]. وهذا مَحْمُولٌ عَلَى مَا إِذَا كَانَ الجَمْعُ كَثِيرًا.

الشرح:

ولم يسمعوا أيضا، السلام عليكم ورحمة الله ما سمع ردا، السلام عليكم ورحمة الله ما سمع ردا، السلام عليكم ورحمة الله حتى يسمع الرد.

٨٥٣ - وعن المِقْدَادِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديثِهِ الطويل، قَالَ: كُنَّا نَرْفَعُ للنَّبِيِّ ﷺ نَصِيبَهُ مِنَ اللَّبَنِ، فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لَا يُوقِظُ نَائِمًا، وَيُسْمِعُ اليَقْظَانَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ. رواه مسلم[2].

الشرح:

مراعاة النائمين، ومراعاة المتحدثين، ومراعاة أحوال الناس عند رد السلام، أحيانا تدخل في درس، فإذا رفعت صوتك: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كل واحد يرفع إليك بصره، ويُشغلون عن الدرس، لكن سلم بتسليم يسمعه من أراد الله له السماع، صاحب الأذن السليمة سيسمع، والرد يكفي من الواحد، لا يلزم من الجميع، وإذا رد الجميع كل واحد في نفسه لا حرج.

---

(١) انظر الحديث (٦٩٥).

(٢) حديث رقم: (٢٠٥٥).

٨٥٤ - وعن أسماء بنتِ يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ في المَسْجِدِ يَوْمًا، وَعُصْبَةٌ مِنَ النِّسَاءِ قُعُودٌ، فَأَلْوَى بِيَدِهِ بالتسْلِيمِ. رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

وهذا محمول عَلَى أَنَّه ﷺ جَمَعَ بَيْنَ اللَّفْظِ وَالإِشَارَةِ، وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّ في رِوَايةِ أَبِي داود: فَسَلَّمَ عَلَيْنَا.

الشرح:

أي هكذا أشار بيده، لكن الحديث فيه شهر بن حوشب، والإشارة باليد في الصلاة ثابتة من حديث جابر في مسلم، وأيضا من حديث عمار - فيما أظن - خارج الصحيح: أن النبي ﷺ كان يصلي في قباء، والناس يمرون ويسلمون عليه، ويشير بيده.

(جَمَعَ بَيْنَ اللَّفْظِ وَالإِشَارَةِ) هذا إذا كان المسلم عليه بعيدا، تقول: السلام عليكم حتى يشعر أنك سلمت، لا حرج من ذلك، أما أن تسلم بالاشاره فقط بدون لفظ فهذا لا يصلح.

وهكذا بعضهم يُسَلِّم بالبوري أو ما يسمى، فإن كان يطلقه مع السلام بالصوت لا حرج، من باب التنبيه، إذا لم يكن مزعجا، أما إذا كان مزعجا ننصح بتركه.

والناس متفاوتون، في بعض الدول لا تكاد تسمع البوري هذا أبدا، إلا للحاجة الضرورية، كأن يخشى أن يدوس إنسانا، وفي بعض الدول هكذا يستخدمونه لغير حاجة، يبقى يضرب بوري حتى ولم يكن مريدا للتنبيه.

فينبغي للإنسان ألا يستخدم مثل هذا الشيء إلا الحاجة، لا يبقى يضغط لغير سبب، إنما وُضع للتنبيه، في بعض البلدان وقع قتل من أجل هذا البوري، رجل عنده

---

(١) حديث رقم: (٢٦٩٧).

هكذا شك أو نحو ذلك، وواحد كلما طلع من على الجبل يدق بذلك البوري، خصوصا حق السيارات الكبيرة، بعضهم يتلاعب به كأنه نغمة مزمار، المهم يحذر يحذر يوما بعد يوم، في الأخير فك البندق وقتله، ليش تستخدم هذا؟

فالإنسان لا يؤذي غيره، خصوصا البيوت التي على الشوارع، إذا كان الإنسان يستخدم هذا الشيء بدون حاجة يؤذي الناس، يوقظهم من منامهم، يوقظ الأطفال، يؤذي المريض، فلا يستخدم هذا الشيء إلا لحاجة.

بل إن بعض البلدان يعتبره مسبة، إذا ضربت عليه بوري ربما ينزل من السيارة غضبانا عليك، صحيح والله، ما يستخدمونه إلا للشيء الذي لا بد منه.

٨٥٥ - وعن أَبي أُمَامَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوْلى النَّاسِ بِاللهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بالسَّلَامِ». رواه أَبُو داود بإسنادٍ جيدٍ، ورواه الترمذي بنحوه وقال: حديثٌ حسن[(١)]. وَقَدْ ذُكر بعده[(٢)].

الشرح:

يعني أن الذي يبدأ بالسلام له أجر أعظم من الذي يستقبل.

٨٥٦ - وعن أَبي جُرَيٍّ الهُجَيْمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أتيت رسول الله ﷺ فقلتُ: عَلَيْكَ السَّلامُ يَا رسول الله. قَالَ: «لَا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلامُ؛ فإنَّ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ المَوتَى». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، وَقَدْ سبق بِطُولِهِ[(٣)].

الشرح:

(١) أخرجه أبو داود (٥١٩٧)، والترمذي (٢٦٩٤).

(٢) انظر الحديث (٨٥٨).

(٣) انظر الحديث (٧٩٥).

أبو جري الهجيمي جابر بن سليم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يعني قل: السلام عليكم، عليك السلام تحية الموتى، وهذا على الكمال، وإلا لو قالها صحت منه، لكن هذا على الكمال، أن الإنسان يأتي بأفضل وأكمل الهيئات التي أذن فيها رسول الله ﷺ.

١٣٣ - باب آداب السلام

آدابه كثيرة، ولكن سيذكر هنا بعضا منها.

٨٥٧ - عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي، وَالمَاشِي عَلَى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي رواية للبخاري: «والصغيرُ عَلَى الكَبيرِ».

الشرح:

(يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي) واحد في سيارة والثاني يمشي، يسلم الذي في السيارة.

هذا من باب الأفضل، وإلا لو سلَّم الماشي على الراكب جاز، ولو سلم القاعد على الماشي جاز، ولو سلم الكثير على القليل جاز، لكن خالفوا الأفضل.

(والصغيرُ عَلَى الكَبيرِ) والنبي ﷺ مر بأطفال وسلم عليهم، لم يُذكر أنهم سلموا عليه.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا أَدَبٌ مِنْ آدَابِ السَّلَامِ، وَاعْلَمْ أَنَّ ابْتِدَاءَ السَّلَامِ سُنَّةٌ، وَرَدُّهُ وَاجِبٌ، فَإِنْ كَانَ الْمُسَلِّمُ جَمَاعَةً فَهُوَ سُنَّةٌ كِفَايَةٍ فِي حَقِّهِمْ، إِذَا سَلَّمَ بَعْضُهُمْ حَصَلَتْ سُنَّةُ السَّلَامِ فِي حَقِّ جَمِيعِهِمْ، فَإِنْ كَانَ الْمُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَاحِدًا تَعَيَّنَ عَلَيْهِ الرَّدُّ، وَإِنْ كَانُوا جَمَاعَةً كَانَ الرَّدُّ فَرْضَ كِفَايَةٍ فِي حَقِّهِمْ، فَإِذَا رَدَّ وَاحِدٌ مِنْهُمْ سَقَطَ الْحَرَجُ عَنِ الْبَاقِينَ، وَالْأَفْضَلُ أَنْ يَبْتَدِئَ الْجَمِيعُ بِالسَّلَامِ، وَأَنْ يَرُدَّ الْجَمِيعُ، وَعَنْ أَبِي يُوسُفَ: أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَرُدَّ الْجَمِيعُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٣٢)، ومسلم (٢١٦٠).

وَنَقَلَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَغَيْرُهُ إِجْمَاعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ ابْتِدَاءَ السَّلَامِ سُنَّةٌ، وَأَنَّ رَدَّهُ فَرْضٌ، وَأَقَلُّ السَّلَامِ أَنْ يَقُولَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَإِنْ كَانَ الْمُسَلَّمُ عَلَيْهِ وَاحِدًا فَأَقَلُّهُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ، وَالْأَفْضَلُ أَنْ يَقُولَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ؛ لِيَتَنَاوَلَهُ وَمَلَكَيْهِ، وَأَكْمَلُ مِنْهُ أَنْ يَزِيدَ وَرَحْمَةَ اللهِ، وَأَيْضًا وَبَرَكَاتُهُ، وَلَوْ قَالَ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَجْزَأَهُ [١].

وَاسْتَدَلَّ الْعُلَمَاءُ لِزِيَادَةِ: وَرَحْمَةَ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ سَلَامِ الْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذِكْرِ السَّلَامِ ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [هود:٧٣] وَبِقَوْلِ الْمُسْلِمِينَ كُلِّهِمْ فِي التَّشَهُّدِ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وَيُكْرَهُ أَنْ يَقُولَ الْمُبْتَدِي: عَلَيْكُمُ السَّلَامُ، فَإِنْ قَالَهُ اسْتَحَقَّ الْجَوَابَ عَلَى الصَّحِيحِ الْمَشْهُورِ، وَقِيلَ: لَا يَسْتَحِقُّهُ، وَقَدْ صَحَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلَامُ؛ فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَوْتَى**»، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا صِفَةُ الرَّدِّ فَالْأَفْضَلُ وَالْأَكْمَلُ أَنْ يَقُولَ: وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَيَأْتِي بِالْوَاوِ، فَلَوْ حَذَفَهَا جَازَ، وَكَانَ تَارِكًا لِلْأَفْضَلِ، وَلَوِ اقْتَصَرَ عَلَى: وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ، أَوْ عَلَى: عَلَيْكُمُ السَّلَامُ أَجْزَأَهُ، وَلَوِ اقْتَصَرَ عَلَى: عَلَيْكُمْ لَمْ يَجْزِهِ، بِلَا خِلَافٍ، وَلَوْ قَالَ: وَعَلَيْكُمْ بِالْوَاوِ فَفِي إِجْزَائِهِ وَجْهَانِ لِأَصْحَابِنَا. قَالُوا: وَإِذَا قَالَ الْمُبْتَدِي: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، أَوِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ الْمُجِيبُ مِثْلُهُ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، أَوِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، كَانَ جَوَابًا وَأَجْزَأَهُ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ﴾ [هود:٦٩] وَلَكِنْ بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ أَفْضَلُ.

وَأَقَلُّ السَّلَامِ ابْتِدَاءً وَرَدًّا أَنْ يُسْمِعَ صَاحِبَهُ، وَلَا يُجْزِئُهُ دُونَ ذَلِكَ، وَيُشْتَرَطُ كَوْنُ الرَّدِّ عَلَى الْفَوْرِ، وَلَوْ أَتَاهُ سَلَامٌ مِنْ غَائِبٍ مَعَ رَسُولٍ أَوْ فِي وَرَقَةٍ وَجَبَ الرَّدُّ عَلَى الْفَوْرِ، وَقَدْ جَمَعْتُ فِي كِتَابِ (الْأَذْكَارِ) نَحْوَ كُرَّاسَتَيْنِ فِي الْفَوَائِدِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالسَّلَامِ.

---

(١) حتى (السلام) بعض العلماء أجازه.

وَهَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ الْحَدِيثُ مِنْ تَسْلِيمِ الرَّاكِبِ عَلَى الْمَاشِي، وَالْقَائِمِ عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلِ عَلَى الْكَثِيرِ، وَفِي كِتَابِ الْبُخَارِيِّ: «**وَالصَّغِيرِ عَلَى الْكَبِيرِ**» كُلُّهُ لِلِاسْتِحْبَابِ، فَلَوْ عَكَسُوا جَازَ، وَكَانَ خِلَافَ الْأَفْضَلِ.

وَأَمَّا مَعْنَى السَّلَامِ فَقِيلَ: هُوَ اسْمُ اللهِ تَعَالَى، فَقَوْلِهِ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيِ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكَ، وَمَعْنَاهُ اسْمُ اللهِ عَلَيْكَ أَيْ أَنْتَ فِي حِفْظِهِ كَمَا يُقَالُ: اللهُ مَعَكَ، وَاللهُ يَصْحَبُكَ، وَقِيلَ: السَّلَامُ بِمَعْنَى السَّلَامَةِ، أَيِ السَّلَامَةُ مُلَازِمَةٌ لَكَ. اهـ

٨٥٨ - وعن أَبي أُمَامَة صُدَيِّ بن عجلان الباهِلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ أَوْلى النَّاسِ بِاللهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلامِ». رواه أَبُو داود بإسنادٍ جيدٍ[1].

ورواه الترمذي عن أَبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قِيلَ: يَا رسول الله، الرَّجُلانِ يَلْتَقِيَانِ أَيُّهُمَا يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ؟ قَالَ: «أَوْلَاهُمَا بِاللهِ تَعَالَى» قَالَ الترمذي: «هَذَا حديث حسن».

الشرح:

فيه البدء بالسلام، وأنها أفضل من الانتظار.

(١) انظر الحديث (٨٥٥).

١٣٤ - باب استحباب إعادة السلام عَلَى من تكررلقاؤه عَلَى قرب بأن دخل ثم خرج ثُمَّ دخل في الحال، أَو حال بينهما شجرة ونحوهما

٨٥٩ - عن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديثِ المسِيءِ صلاته: أنّه جَاءَ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبيِّ ﷺ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» فَرَجَعَ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبيِّ ﷺ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ. متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

الشرح:

(حديثِ المسِيءِ صلاته) بعض أهل العلم يقول: لا يقال: حديث المسيء صلاته، ولكن يقول: حديث الذي لم يحسن صلاته.

٨٦٠ - وعنه، عن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ حَالَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ، أَوْ جِدَارٌ، أَوْ حَجَرٌ، ثُمَّ لَقِيَهُ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ». رواه أَبُو داود[(٢)].

الشرح:

فضيلة السلام، وشأن السلام عظيم، وأنت إذا سلمت على أخيك تساقطت خطاياك، كما سيأتي معنا: «إلا تحاط خطاياه كما تحط الشجرة ورقها».

(١) أخرجه البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧).

(٢) حديث رقم: (٥٢٠٠).

١٣٥ - باب استحباب السلام إذَا دخل بيته

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور:٦١].

٨٦١ - وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: «يَا بُنَيَّ، إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ، فَسَلِّمْ، يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ، وعلى أَهْلِ بَيْتِكَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[(١)].

الشرح:

ومعناه يدل عليه الآية: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ [النور:٦١] سواء بيوتكم أو بيوت غيركم.

﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور:٦١] : أي على من كان فيها من المسلمين، هذا المعنى الأول، والمعنى الثاني: على أنفسكم إن لم يكن فيها أحد، السلام عليكم ورحمة الله، ولا يضرك كانت مسكونة أو غير مسكونة.

﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النور:٦١] أي: هذا السلام تحية لكم من عند الله، دعاء بالسلامة.

﴿مُبَٰرَكَةً﴾؛ لما فيها من الأجر، ولما تضمنته من الدعاء بالرحمة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، دعاء بالسلامة، دعاء بالرحمة، دعاء بالبركة، هذه اللفظة تضمنتها.

فإذا سلمك الله واستجاب هذه الدعوة سلمك في بدنك، وسلمك في علمك، وسلمك في دينك، وإن رحمك الله يسر لك أسباب الرحمات، ومن أعظمها الهداية

---

(١) حديث رقم: (٢٦٩٨)، في سنده علي بن زيد، ضعيف، ولا يثبت، كما قاله المتحقق.

إلى السنة، وحفظ القرآن، والاستقامة على الدين، وأعظم رحمة الجنة، ودار السلام الجنة.

وبركاته: أن ينزل عليك بركاته العظيمات، فالقليل يكثره، والضعيف يقويه، وهكذا بركات الدنيا والآخرة.

١٣٦ - باب السلام عَلَى الصبيان

حتى الصغار سلم عليهم:

أولًا: دعاء لهم.

ثانيًا: تعليم لهم.

ثالثًا: تأسيا بالنبي ﷺ.

رابعًا: دليل على التواضع، خامسا: إشاعة السلام.

سادسًا: الأمان والاطمئنان، فإن الإنسان إذا ألقي عَلَيْهِ السَّلَامُ شعر بالأنس وأطفال اطمئنان، بخلاف ما إذا مررت من عنده وأنت عابس الوجه مكفهر.

٨٦٢ - عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وقال: كَانَ رسول الله ﷺ يَفْعَلُهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

تأسى بالسلف.

(١) انظر الحديث (٦٠٣).

١٣٧ - باب سلام الرجل على زوجته والمرأة من محارمه، وعلى أجنبية وأجنبيات لا يخاف الفتنة بهن وسلامهن بهذا الشرط

يعني بشرط أن المرأة الأجنبية إذا سلم عليها تأمن الفتنة، وهي أيضا تأمن الفتنة من ردها.

٨٦٣ - عن سهل بن سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَانَتْ فِينَا امْرَأَةٌ - وفي رواية: كَانَتْ لَنَا عَجُوزٌ - تَأْخُذُ مِنْ أُصُولِ السِّلْقِ فَتَطْرَحُهُ فِي القِدْرِ، وَتُكَرْكِرُ حَبَّاتٍ مِنْ شَعِيرٍ، فَإِذَا صَلَّيْنَا الْجُمُعَةَ وَانْصَرَفْنَا نُسَلِّمُ عَلَيْهَا، فَتُقَدِّمُهُ إِلَيْنَا. رواه البخاري[1].

قَوْله: (تُكَرْكِرُ) أَيْ: تَطْحَنُ.

الشرح:

استدل به المصنف على جواز السلام على المرأة الأجنبية إذا أمنت الفتنة عليها ومنها، والسلام على الرجال والنساء أيضا المحارم، الرجال من باب أولى والنساء المحارم من باب أولى.

٨٦٤ - وعن أُم هَانِئٍ فاخِتَةَ بنتِ أَبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: أتيت النبيَّ ﷺ يَوْمَ الفَتْحِ وَهُوَ يَغْتَسِلُ، وَفَاطِمَةُ تَسْتُرُهُ بِثَوْبٍ، فَسَلَّمْتُ ... وَذَكَرَتِ الحديث. رواه مسلم[2].

الشرح:

فاختة ويقال: فاطمة، والله أعلم.

انظر سلمت وهي امرأة أجنبية، بل إن النبي ﷺ خطبها وردت عليه: أنها كبيرة السن.

---

(١) حديث رقم: (٦٢٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧)، ومسلم (٣٣٦).

والحديث متفق عليه، وتمامه: أنها قالت: يا رسول الله زعم ابن أمي علي بن أبي طالب أنه قاتل رجلا أجرتُه، قال: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ».

٨٦٥ - وعن أسماءَ بنتِ يزيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: مَرّ عَلَيْنَا النّبيُّ ﷺ في نِسوَةٍ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا. رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن، وهذا لفظ أَبي داود[1].

ولفظ الترمذي: أنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ في المَسْجِدِ يَوْمًا، وَعُصْبَةٌ مِنَ النِّسَاءِ قُعُودٌ، فَأَلْوَى بِيَدِهِ بالتَّسْلِيمِ.

الشرح:

أي: أشار بيده بالتسليم، والإشارة قد جاءت في حديث جابر في الصحيح: أنهم مروا على النبي ﷺ وهو يصلي، فقالوا: السلام عليكم، فأشار بيده: السلام عليكم.

(١) انظر الحديث (٨٥٤)، فيه شهر بن حوشب، ضعيف، وسويد بن سعيد ضعيف.

وأسماء بنت يزيد ما شاء الله يروي عنها شهر كثيرا، وكان شيخنا الأثيوبي رَحِمَهُ اللَّهُ يحسن حديثه، بل كان يرد على شعبة: لماذا ضعفه؟ والصحيح أن شهر ضعيف؛ لأننا نجد في أحاديث شهر كثيرا من النكارات، فإذا لم يكن النكارة من شهر سيتحملها غير شهر؛ لأن العلماء كيف يعرفون الضعيف الآن؟ ينظرون إلى موافقته للثقات وإلى مخالفته للثقات، فإن كثرت موافقته فهو ثقة، وإن كثرت مخالفته فهو ضعف.

١٣٨ - باب تحريم ابتدائنا الكافر بالسلام، وكيفية الرد عليهم، واستحباب السلام عَلَى أهل مجلسٍ فيهم مسلمون وكفار

هذا الباب لا يتأتى على دعاة وحدة الأديان؛ لأنه ما عندهم كفار أصلا، أصحاب وحدة الأديان ما عندهم كفار، وإن زعموا أنهم على غير ذلك، فلما يقول: وحدة الأديان وهو يرى أن اليهودي على دين سواء، والنصراني على دين سواء، كما أن المسلم على دين سواء، يعني ما في كفار، ولا يلزم هناك نساء أهل كتاب، ولا كذلك: ﴿وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ﴾ [البقرة:٢٢١] ولا «**لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم**».

بل ذكرت في كتابي (الزجر والبيان لدعاة الحوار والتقارب بين الأديان): أكثر من مائة وعشرين مسألة تلزم القائلين بوحدة الأديان، حتى نبذ التوحيد، نبذ السنة، الإيمان بالتوراة وما فيها من الباطل، الإيمان بالإنجيل وما فيه من الباطل، مساواة القرآن بالإنجيل والتوراة، وهكذا أحكام كثيرة، فكل قول باطل يُرَد من أوجه كثيرة.

٨٦٦ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «لَا تَبْدَأُوا اليَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بالسَّلامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ في طَرِيق فَاضطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ». رواه مسلم[1].

الشرح:

تضمن هذا الحديث مسألتين:

المسألة الأولى: أن اليهود والنصارى لا يُبدؤون بالسلام، وغيرهم من باب أولى من الكفار، فإذا سلموا هم: السلام عليكم ورحمة الله قل: وعليكم، فإن كانوا دعوا

(١) حديث رقم: (٤١٦٧).

على المسلمين كما كان اليهود يقولون: السام عليك يا محمد الدعوة ترجع إليهم، وإن كان دعوا بالسلامة وعليكم لعل الله يهديهم إلى السلامة بدخولهم في الإسلام.

(فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ) إهانة لهم، وتحقير، والآن إذا مر اليهودي والنصراني يفسحون له الطرقات، وتكون عليهم المهابات، ويبادلونهم الضحكات والابتسامات، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

صدق النبي ﷺ إذ يقول: **«لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس لُكَع بن لكع»**، السفيه بن السفيه هو السعيد، أي سعادة دنيوية، وأما السعادة الأخروية فما هي إلا لأهل الإيمان والإسلام.

انظروا الآن أين وصل الرافضة، أين وصل الباطنية، أين وصل عباد القبور من الصوفية، أين وصل التعامل مع اليهودية والنصرانية، هؤلاء كانوا في عهد النبي ﷺ وما بعده أي الزنادقة ككل والمنافقين ككل، حتى لا يقول قائل: جاءت الرافضة بعد النبي ﷺ، نحن نتكلم عن النفاق ومن دخل تحته، كانوا أذلة حقراء، وهكذا في زمن السلف كانوا أذلة حقراء.

ولو تأملت ما ورد في الوثيقة العُمَرية التي كتبها في صلحه مع نصارى بيت المقدس، لرأيت ما تضمّنته من الذلة بالشروط التي أُقِرّت عليهم في الوثيقة؛ حيث نصّت على جملةٍ من الشروط التي أُلزِم بها أهل الذمّة، كألا يُظهروا الصلبان، ولا يضربوا بالنواقيس، وغير ذلك مما ورد في الوثيقة؛ وحتى ما جاء بعدها من شروط وضعها أئمة الإسلام، وجرى عليها العمل في عصور قوة المسلمين.

والآن تَبني مسجدا يبني جنبك كنيسة، والله في مصر إذا بنى المسلمون مسجدا بنى النصارى بجانبهم كنيسة، لا يجوز أصلا أن يبني اليهود والنصارى بيعا وكنائس وإن كانوا أهل ذمه غير التي أقرهم الإسلام، أما الآن القاهرة مليئة بالكنائس.

بل الله المستعان قد بُنيت كنائس في بعض بلدان جزيرة العرب، أين نحن من قوة وعظمة الإسلام والعقيدة الصحيحة؟

(فَاضطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ) والمسلم يمشي بأبهته في تلك الطريق، متوسعا مرتاحا.

٨٦٧ - وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الكِتَابِ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ». متفقٌ عَلَيْهِ[١].

٨٦٨ - وعن أُسَامَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَى مَجْلِسٍ فِيهِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ - عَبَدَة الأَوْثَانِ - واليَهُودِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِم النبيُّ ﷺ. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

الشرح:

يعني إذا كان المجلس فيه أخلاط من الجميع قل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأنت تريد المسلمين، وأولئك يدخلون تحتهم، لا يكون لهم سلام يعلي من شأنهم.

(١) أخرجه البخاري (٦٢٥٨)، ومسلم (٢١٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٦٣)، ومسلم (١٧٩٨).

١٣٩ - باب استحباب السلام إذَا قام من المجلس وفارق جلساءه أَوْ جليسه

٨٦٩ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا انْتَهى أَحَدُكُمْ إِلَى المَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ، فَلَيْسَتِ الأُولَى بِأَحَقّ مِنَ الآخِرَةِ».

رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن[1].

الشرح:

يعني تسلم عند مجيئك وتسلم عند انصرافك، وأيضا إذا حانت بينكم شجرة أو بناء تسلم، هذه سنة عظيمة، إفشاء السلام.

قالوا: واحد كان يبني بيتا، والأخوة قالوا: نريد نطبق هذه السنة، يصعد ويقول: السلام عليكم، وينزل ويقول: السلام عليكم، المهم المرأة سمعت كثرة السلام فأقامت وأعدت كثيرا من الطعام، فلما كان وقت الغداء وإذا بهم مجموعة خمسة أو ستة، فقالت لهم: أنا صلحت طعام على قدر السلام، ظننت أنكم كثير.

فإشاعة هذه الشعيرة أمر طيب والله، بين الرجال، بين النساء، بين الأطفال، عند الدخول، عند الخروج، بالليل، بالنهار، أما: اصبحتوا امسيتوا، هذه كانت قديما مشهورة عند القبائل، ما حتى يقول: صباح الخير ولا مساء الخير، مع أن صباح الخير ومساء الخير مذمومة؛ لأنها موافقة لاعتقاد المجوس الذين يعتقدون في إله النور والظلمة، وأن النور هو رب الخير، والظلمة هي إله الشر.

لكن يقول بعض أهل العلم: إذا أردت أن تصبح بها وتمسي بها: صبحكم الله بالخير، مساكم الله بالخير، فالخير من الله، والشر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد:١٦].

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٢٠٨)، والترمذي (٢٧٠٦).

لكن إذا أردت أن تأتي بها بعد السلامة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصبحكم الله بالخير والعافية، لا حرج، أما أن تستبدل السلام بصباح الخير ومساء الخير أو بنحو ذلك فلا.

فعلى المسلمين أن يشيعوا هذه الشعيرة، إذا نزل السوق: السلام عليكم، يخلي صاحب الدكان يبهرر فيه يقول: ما لهذا السلام عليكم في منتصف الليل؟ فإذا انتقد عليه يقول لك: أيش السلام عليكم الآن؟ قل له: يا أخي تحية الإسلام: السلام عليكم، في الصباح، في المساء، في الظهر، في العصر، في أي وقت، استدل عليه بحديث المقداد: كان النبي ﷺ يسلم سلاما يسمع اليقظان، ولا يوقظ النائم.

١٤٠ - باب الاستئذان وآدابه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾ [النور:٢٧].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ [النور:٥٩].

الشرح:

الاستئذان أيضا مطلوب، لا تدخل بيت غيرك بدون إذن، بل لا تدخل على أمك في أوقات يمكن أن تكون على حال تحتاج فيه إلى ستر إلا بإذن، بل حتى أهلك استأذن ودق لهم، لا تتبع العورات، ولا تلتمس العثرات، يحتاج الإنسان إلى الاستئذان، ويتعلم هذه الآداب.

وسورة النور سورة آداب، انظر كم فيها من الآداب، آداب الاستئذان، آداب غض البصر، آداب المؤاكلة، آداب المجالسة.

وقوله: (﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ﴾) مضمونه أن الذي هو بالغ من أصله يستأذن، أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما رجع من عند النبي ﷺ استأذن على أمه، وسمع خضخضة الماء.

٨٧٠ - عن أَبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «الاسْتِئْذَانُ ثَلاثٌ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلاَّ فَارْجِعْ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو عبد الله بن قيس.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٥)، ومسلم (٢١٥٣).

أي تقول: السلام عليكم، السلام عليكم، السلام عليكم، ثلاثا، أو تدق في الباب ثلاثا، إن أذن لك وإلا فارجع.

حتى التلفون يا أخي إذا اتصلت ثلاث مرات وما أجابك اترك، قد يكون نائما، قد يكون مشغولا، أما بعضهم الله يهديه يرسل لك رسالة ويأتي بعدها اتصال، وما يدري لعلك مشغول مع غيره.

فعلينا أن نتأدب بهذه الآداب، وبهذه الأخلاق، الاستئذان ثلاثا، سواء في باب البيت، أو بالتلفون، أو في مجلس، أو في أي مكان.

٨٧١ - وعن سهلِ بنِ سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا جُعِلَ الاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ البَصَرِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

يعني ما تقف أمام الباب وهو مفتوح وبصرك داخل البيت، استأذن، لا، خذ جانبا؛ لأن الاستئذان إنما جُعل من أجل البصر؛ حتى لا تنظر عينك ما لا يجوز النظر إليه، والنبي ﷺ لما رأى رجلا ينظر من شقص الباب قام إليه بمدري يكاد أن يفقأ عينه.

٨٧٢ - وعن رِبْعِيٍّ بن حِرَاشٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي بيتٍ، فَقَالَ: أَأَلِجُ؟ فَقَالَ رسول الله ﷺ لِخَادِمِهِ: «اخْرُجْ إِلَى هَذَا فَعَلِّمْهُ الاسْتِئْذَانَ، فَقُلْ لَهُ: قُلِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ؟» فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ؟ فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فدخلَ. رواه أَبُو داود بإسناد صحيح[2].

الشرح:

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤١)، ومسلم (٢١٥٦).

(٢) حديث رقم: (٥١٧٧)، وهو في (الصحيح المسند).

مع أن كلمة (أألج) مثل كلمة (أأدخل)، لكن الإنسان يتحلى بالآداب الشرعية؛ لأن كلمة (أأدخل) أصرح في الاستئذان، مثله: خبثت نفسي، «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: لَقِسَتْ نَفْسِي»، والمعنى واحد.

فهذا أدب علمه النبي ﷺ هذا الرجل، فإذا جاء من لا يحسن علمه إن استطعت، لكن بالتي هي أحسن؛ حتى لا ينفر ويقول: أنت ما تريدني أزورك، ولا أنت متواضع، ونحو ذلك، ربما ينفر من السنة.

وفيه أن السلام قبل الكلام.

٨٧٣ - عن كِلْدَةَ بن الحَنْبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النبيَّ ﷺ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَلَمْ أُسَلِّمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْجِعْ فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُل؟». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن[1].

الشرح:

انظر إلى هذا الأدب العظيم، ارجع واستأذن، فإذا أذنت لك فادخل، وإن منعتك فارجع، وإنما وُضع الاستئذان من أجل هذا، الآن بعض الناس إذا قلت له: عفوا ربما يقع في نفسه، وهو لا بأس من مراعاة المشاعر، لكن علينا أيضا أن نلتمس الأعذار لبعضنا، ربما تقول: أريد أزورك وهو يريد ينام، أو يكون في وضع لا يسمح بزيارة.

(١) أخرجه أبو داود (٥١٧٦)، والترمذي (٢٧١٠).

١٤١ - باب بيان أنَّ السنة إذَا قيل للمستأذن: من أنت؟ أن يقول: فلان، فيسمي نفسه بما يعرف به من اسم أَوْ كنية وكراهة قوله: أنا ونحوها

٨٧٤ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديثه المشهور في الإسراءِ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «ثُمَّ صَعَدَ بي جِبْرِيلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فقِيلَ: مَنْ هذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، ثُمَّ صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيل، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ»، وَالثَّالِثَةِ وَالرَّابِعَةِ وَسَائِرِهنَّ وَيُقَالُ فِي بَابِ كُلِّ سَمَاءٍ: «مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: جِبْرِيلُ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

يعني ما يقول: أنا.

والإسراء كان قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل غير ذلك، والمعراج كان في ليلة الإسراء، إنما الإسراء من مكة إلى بيت المقدس، والمعراج من بيت المقدس إلى حيث شاء الله من العلا.

٨٧٥ - وعن أَبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي، فَإِذَا رسول الله ﷺ يَمْشِي وَحْدَهُ، فَجَعَلْتُ أَمْشِي فِي ظلِّ القمَرِ، فَالْتَفَتَ فَرَآنِي، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» فقلتُ: أَبُو ذَرٍّ. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

الشرح:

أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو جندب بن جنادة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٠٧)، ومسلم (١٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٤٣)، ومسلم (٩٩٤).

ما تقول له: أنا، ما يدريك من أنا، أحيانا يستعجم الإنسان، أحيانا يأتيه مثل التبلد، ما يدري من أنت، لكن: أنا فلان، يرتاح، ويشعر بالأنس، وربما دعاك وقال لك: هيا نمشي سويا.

هذه سنة ميتة في الغيضة، بعد صلاة العشاء كل واحد في بيته، إذا واحد أراد يتمشى قليلا ما يجد من يمشي معه.

وفيه أن الإنسان إذا شعر بضيق من البيت يخرج يمشي قليلا، يشم هواء كما يقولون، وقد يكون فيها مصلحة دينية، ينظر إلى السماء، ويتفكر في خلق الله، أو على مذهب من يقول: تعش وتمش، أصحاب الحمية لو هم يستخدمون هذا المذهب أنه أحسن لهم من الجوع، أحسن من أن تجوع تعش وتمش، املأ بطنك، وامش ما شاء الله، وارجع نم.

والأطباء يقولون: امش ولو مائة خطوة، لكن المشكلة التي بسببها كبرت البطون أننا نشبع من العشاء ونلقي بأنفسنا على الفراش، صارت البطنة مشكله عصرية، يقولون ما أدري كم مليون في السعودية الذين قد عملوا هذه العملية، عملية البتر حق البطن بالمليون.

ولو أننا نحافظ على أنفسنا، مرة دعوت مجموعة من الإندونيسيين في مكة، وكان يأكلون ويعمل هكذا - يعني يقايس-، إذا المعدة ستزيد قليلا من على مستوى الجسم يتوقف، والله أني كنت أقول لواحد: كل هذه، قال: أبدا، ويؤشر إلى بطنه؛ لأن المعدة إذا قد انفتحت ما تُغلق.

فعودوا أنفسكم هكذا، الذي ما قد ابتلي بانتفاخة البطن يأكل على مستواها؛ لأنك حين تزيد تتوسع، اليوم الثاني هي متوسعة تزيد تتوسع، وما أسوأ البطن إذا كبرت!

يكون الإنسان مثل الحبلى، ما يريد إلا حماما فرنجيا، وإلا هذه الحمامات ما تعجبه، فنسأل الله السلامة والعافية.

٨٧٦ - وعن أُمِّ هانىءٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: أتيتُ النَّبيَّ ﷺ وَهُوَ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ تَسْتُرُهُ، فَقَالَ: «مَنْ هذِهِ؟» فقلتُ: أنا أُمُّ هَانِىءٍ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

٨٧٧ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النبيَّ ﷺ فَدَقَقْتُ البَابَ، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» فَقُلتُ: أَنَا، فَقَالَ: «أنَا، أنَا!» كَأَنَّهُ كَرِهَهَا. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

(١) انظر الحديث (٨٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٥٠)، ومسلم (٢١٥٥).

١٤٢ - باب استحباب تشميت العاطس إذَا حمد الله تَعَالَى وكراهة تشميته إذا لَمْ يحمد الله تَعَالَى وبيان آداب التشميت والعطاس والتثاؤب

وأيضا لا يلزم أن تذكره تقول له: قل الحمد لله، ما يلزم، إذا حمد الله قل: يرحمك الله، إذا ما حمد الله اسكت.

٨٧٨ - عن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الله يُحِبُّ العُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ الله تَعَالَى كَانَ حَقًّا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَثَاءبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ». رواه البخاري[1].

وفي رواية: «فإن الشيطان يدخل».

الشرح:

(إِنَّ الله يُحِبُّ العُطَاسَ)؛ لأن العطاس يعطي نشاطا في الجسم.

(وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ)؛ لأنه علامة موتان الجسم.

(فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ الله تَعَالَى كَانَ حَقًّا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ) وجوبا، بخلاف السلام، السلام لو رد واحد من الحاضرين يكفي، أما العطاس يجب على كل واحد أن يرد عليه إذا حمد الله.

(فإن الشيطان يدخل) نسأل الله السلامة، ولا سيما في الصلاة.

٨٧٩ - وعنه، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ للهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ الله، فإذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ». رواه البخاري[2].

---

(١) حديث رقم: (٦٢٢٦).

(٢) حديث رقم: (٦٢٢٤).

الشرح:

انظر إلى هذه الدعوات، **(الحَمْدُ للهِ)** كم له من الأجور عليها! **«إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها»**.

(يَرْحَمُكَ الله) يرحمك بالجنة، يرحمك بمغفرة الذنوب، يرحمك بستر العيوب، يرحمك بالعافية.

(يَهْدِيكُمُ اللهُ): يوفقكم، يسددكم لكل خير.

(وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ): حالكم، ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد:٢] أي: حالهم.

ويذكرون: أن أبا داوود أو غيره سمع رجلا عطس من الساحل فحمد الله، فقرب إليه وقال: يرحمك الله، فرأى في المنام أن الله استجاب دعوته، وبُشر بخير عظيم.

٨٨٠ - وعن أَبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ الله فَلَا تُشَمِّتُوهُ». رواه مسلم[(١)].

الشرح:

ما تقول: أذكره، أتعاون على البر والتقوى، ما فعله النبي ﷺ.

وأيضا أن الطفل إذا عطس تقول: يرحمك الله، أو إذا عطست أنت وقلت: الحمد لله تقول: يرحمك الله يا نفسي، هذا كله لا دليل عليه.

٨٨١ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: عَطَسَ رَجُلانِ عِنْدَ النبيِّ ﷺ فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الآخَرَ، فَقَالَ الَّذِي لَمْ يُشَمِّتْهُ: عَطَسَ فُلانٌ فَشَمَّتَّهُ، وَعَطَسْتُ فَلَمْ تُشَمِّتْنِي؟ فَقَالَ: «هَذَا حَمِدَ الله، وَإِنَّكَ لَمْ تَحْمَدِ الله». متفقٌ عَلَيْهِ[(٢)].

الشرح:

---

(١) حديث رقم: (٢٩٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٢٥)، ومسلم (٢٩٩١).

فتُحيا هذه السنة، ويعلم الإنسان أنه يُؤدب إذا ترك السنة، فيُحرم من هذا الدعاء بسبب تركه للسنة، وأما حديث أبي موسى فيه قصة: أن العاطس كان ولد له، فعطس ولم يشمته، والثاني ولد آخر، فعطس فشمته، فلما رجع إلى امرأته قالت: هاه، عطس ابن فلانة فشمته وعطس ابني فلم تشمته؟

هذه مساكين النساء، الغيرة هذه عندهن مثل إِمْبِير الحرارة إذا طلعت حرارة السيارة، فجأة، قال لها: ابن فلانة حمد الله فشمته، وابنك عطس ولم يحمد الله، فلم أشمته، وقد سمعت النبي ﷺ قال كذا.

٨٨٢ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا عَطَسَ وَضَعَ يَدَهُ أَوْ ثَوْبَهُ عَلَى فِيهِ، وَخَفَضَ - أَوْ غَضَّ - بِهَا صَوْتَهُ. شك الراوي. رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[(١)].

الشرح:

الإنسان لا يترك المخاط يتناثر على أصحابه وعلى إخوانه، ويشمِّت.

وسبحان الله كم في العطاس من بركات! والله أحيانا يكون عندك مثل الانتفاخ هنا بسبب الاحتقان، فإذا عطست سُري عنك، ويذكرون أن أحدهم أُصيب بجلطة بسبب أنه كتم العطسة، فإياك أن تكتم العطسة، خلها تخرج، هي نعمة من الله، انظر كيف شرع الله حمده عليها، نعمة من الله، تكون عندك جراثيم قد تجمعت هنا، وعملت لك هذا الاحتقان، فإذا عطست فرج الله عنه.

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٢٩)، والترمذي (٢٧٤٥).

٨٨٣ - وعن أَبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ اليَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ رسول اللهِ ﷺ يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَرْحَمُكُم الله، فَيَقُولُ: «يَهْدِيكُم اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[(١)].

الشرح:

يعني لا يقل: يرحمكم الله؛ لأنه لا يجوز الدعاء للكافر بالرحمة، لكن الدعاء له بالهداية جائز، الله يهديكم ويصلح بالكم وحالكم، أي بالإسلام.

٨٨٤ - وعن أَبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا تَثَاءبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ». رواه مسلم[(٢)].

الشرح:

ونحن نؤمن بهذا الحديث وبدلالته، سواء فهمنا أو لم نفهم، رأينا أو لم نر، إنما هم العقلانيون الذين يردون مثل هذه الأحاديث.

❁❁❁❁

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٣٨)، والترمذي (٢٧٣٩).

(٢) حديث رقم: (٢٩٩٥).

١٤٣ - باب استحباب المصافحة عِنْدَ اللقاء وبشاشة الوجه وتقبيل يد الرجل الصالح وتقبيل ولده شفقة ومعانقة القادم من سفر وكراهية الانحناء

٨٨٥ - عن أَبي الخطاب قتادة، قَالَ: قُلْتُ لأَنَسٍ: أَكَانَتِ المُصَافَحَةُ في أَصْحَابِ رسولِ الله ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ. رواه البخاري[(١)].

فأشيعوها بارك الله فيكم.

٨٨٦ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا جَاءَ أَهْلُ اليَمَنِ، قَالَ رسولُ الله ﷺ: «قَدْ جَاءكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ» وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ جَاءَ بِالمُصَافَحَةِ. رواه أَبُو داود بإسناد صحيح[(٢)].

الشرح:

الله يبارك في أهل اليمن الصلحاء، انظروا إليهم، وإلى أخلاقهم وأفعالهم، «اقبلوا البشرى يا أهل اليمن» قالوا: قبلنا، جئنا لنتفقه في هذا الأمر، وجاءوا بالمصافحة، ولما جاء أهل اليمن جاء نصر الله والفتح، ولا يدخل في هذه الفضائل أهل البدع، يدخل فيها أهل السنة.

٨٨٧ - وعن البراءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمَينِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلاَّ غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا». رواه أَبُو داود[(٣)].

الشرح:

انظر إلى هذا الفضل العظيم، (مَا مِنْ مُسْلِمَينِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ) بشرط الإسلام، لو تصافح الكافران ما يغفر لهما.

---

(١) حديث رقم: (٦٢٦٣).

(٢) حديث رقم: (٥٢١٣).

(٣) حديث رقم: (٥٢١٤)، له شواهد يثبت بها كما أشار إلى ذلك المحقق.

(إِلاَّ غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا) فضل الله واسع.

٨٨٨ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رسولَ اللهِ، الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقَى أَخَاهُ، أَوْ صَدِيقَهُ، أينحَنِي لَهُ؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: أَفَيَلْتَزِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ؟ قَالَ: «لَا» قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

الشرح:

فالانحناء مكروه؛ لأنه ليس من فعل أهل الإسلام، ربما يتلقاه من غيرهم، لكن أن يقال بأنه كفر مطلقا كما يقول بعضهم هداه الله ليس بصحيح، لا يكون كفرا إلا إذا أراد السجود أو الركوع لغير الله.

ثم أيضا المعانقة تكون مع الانحناء، ثم مصافحة الجالس يحتاج إلى انحناء، فالانحناء منه الواجب، ومنه المستحب، ومنه المكروه، ومنه المحرم، ومنه المباح، كما بيننا، ذلك في ردنا على بعضهم.

٨٨٩ - وعن صَفْوَانَ بن عَسَّالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ يَهُودِيٌّ لِصَاحِبِهِ: اذْهَبْ بِنَا إِلَى هَذَا النَّبِيِّ، فَأَتَيَا رسولَ الله ﷺ فَسَأَلاهُ عَنْ تِسْعِ آياتٍ بَيِّنَاتٍ ... فَذَكَرَ الْحَدِيث إِلَى قَوْلِهِ: فقَبَّلا يَدَهُ وَرِجْلَهُ، وقالا: نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ. رواه الترمذي وغيره بأسانيد صحيحةٍ[2].

الشرح:

وصفوان بن عسال مرادي.

---

(١) حديث رقم: (٢٧٢٨)، والحديث ضعيف، في سنده حنظلة السدوسي، ضعيف.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٧٠٥)، والترمذي (٢٧٣٣)، والنسائي في (الكبرى) (٣٥٤١)، حديث ضعيف، في سنده عبد الله بن سلمة المرادي.

لكن هل معنى ذلك أنهما آمنا وصدقا؟ لا، فكم من اليهود الذين صدقوا النبي ﷺ ولم يؤمنوا.

٨٩٠ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قِصَّة، قَالَ فِيهَا: فَدَنَوْنَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَبَّلْنَا يَدَه. رواه أَبُو داود[(١)].

٨٩١ - وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ المَدِينَةَ وَرسولُ الله ﷺ في بَيتِي، فَأَتَاهُ فَقَرَعَ البَابَ، فَقَامَ إِلَيْهِ النبيُّ ﷺ يَجُرُّ ثَوْبَهُ، فَاعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ. رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[(٢)].

الشرح:

فالتقبيل لم يثبت فيه شيء، فتركه أولى، وإن فعله مع إنسان يقبل من باب تألفه لا حرج، أو تقبيل الأم، أو تقبيل الأب، لكن ليس تقبيل الركب، أو تقبيل الأقدام كما يفعل بعضهم، وإنما تُقبل الأم في رأسها أو في يدها.

٨٩٢ - وعن أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: «لا تَحقِرَنَّ من الْمَعرُوف شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ». رواه مسلم[(٣)].

الشرح:

في حديث أبي جُرَي: «كل ذلك من المعروف، ابتسامتك في وجه أخيك صدقة»، فهذه آداب نبوية كريمة.

---

(١) حديث رقم: (٥٢٢٣)، في سنده يزيد بن أبي زياد الهاشمي، ضعيف.

(٢) حديث رقم: (٢٧٣٤)، في سنده ثلاث علل: إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عباس ضعيف، وأبوه ضعيف، وابن إسحاق مدلس وقد عنعن، وقد ضعفه الألباني. أفاده المحقق.

(٣) انظر الحديث (١٤١).

٨٩٣ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَبَّلَ النبيُّ ﷺ الحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ الأَقْرَعُ بن حَابِسٍ: إِنَّ لِي عَشْرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

فيه: تقبيل الأبناء، وتقبيل الصغار، يدخل عليهم الأنس، ما تدري أنك لما تقبل الصغير يلتفت إلى أمه ويضحك، يدخل عليه الأنس، وربما يذهب إلى أخيه الثاني ويقول: أبي قبلني، فالإنسان يهتم بمثل هذا بارك الله فيكم، ولو من باب التأسي بالنبي ﷺ.

بهذا نكون قد انتهينا من كتاب الاستئذان ونحوه، والحمد لله رب العالمين، ويليه كتاب عيادة المريض.

(١) انظر الحديث (٢٢٥).

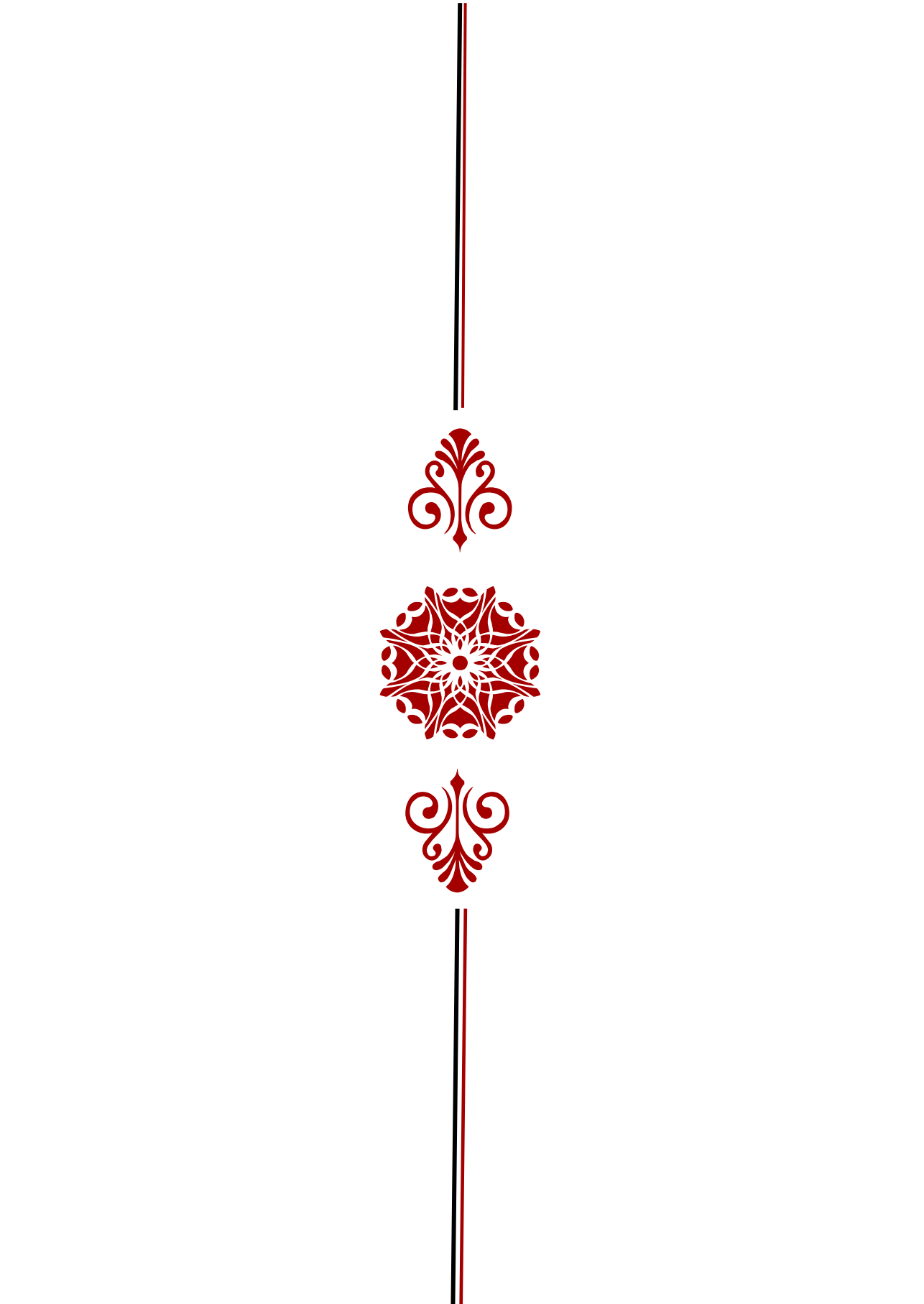

كتاب عيادة المريض وتشييع الميت والصلاة عليه وحضور دفنه والمكث عند قبره بعد دفنه

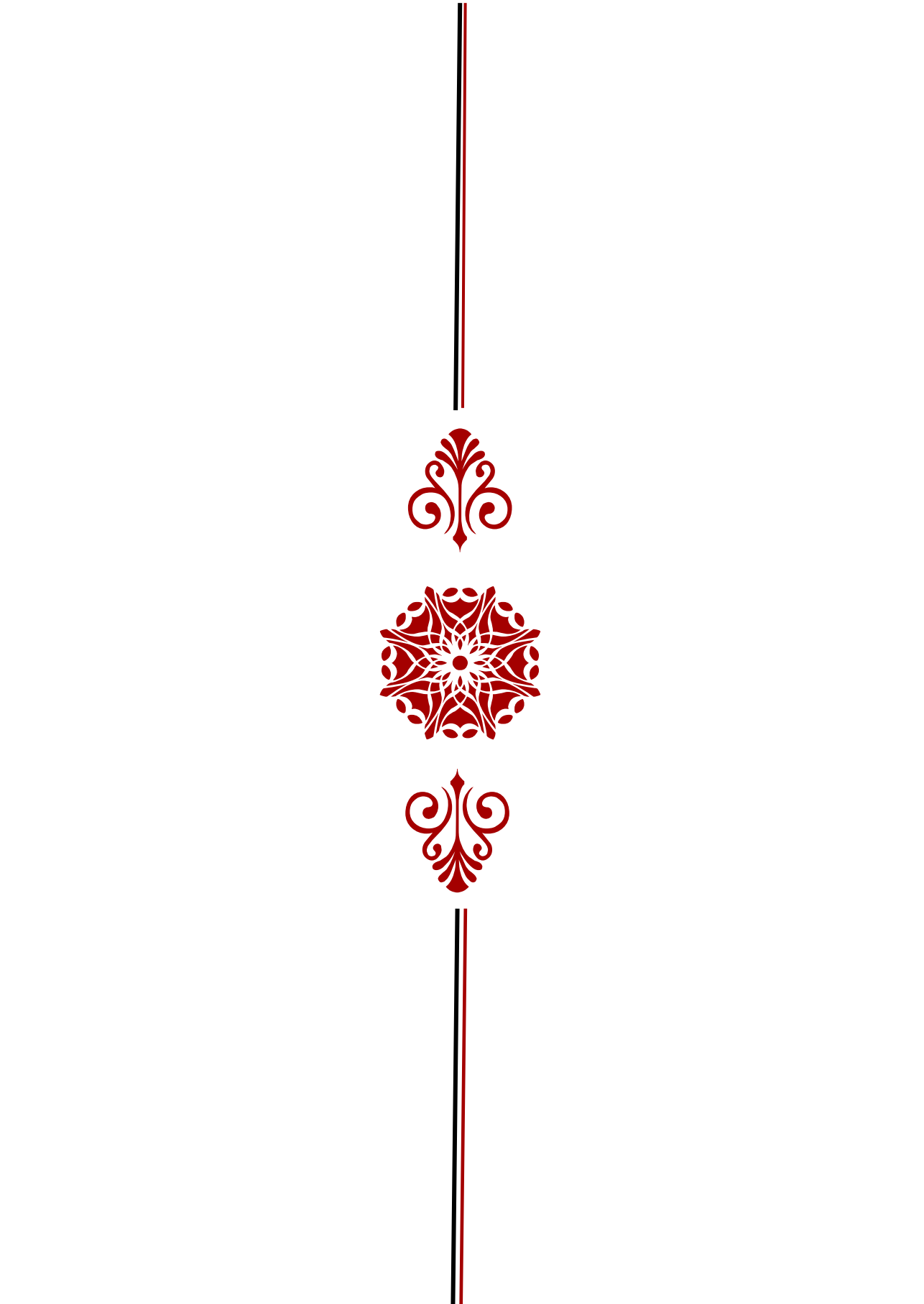

كتاب عيادة المريض وتشييع الميت والصلاة عليه وحضور دفنه والمكث عند قبره بعد دفنه.

كثير من الآداب سيتضمنها هذا الباب وهذا الكتاب.

١٤٤ - باب عيادة المريض

وهي من المستحبات، والمتعينات، وقد تجب في بعض الحالات، إذا كان يقوم بالعيادة واجب أو أمر لا بد منه، لكن ينبغي أن لا يطيل عنده الجلوس، وألا يقنطه من رحمة الله، وأن يكون مبشرًا لا منفرًا.

٨٩٤ - عن البَرَاءِ بن عازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَمَرَنَا رسولُ الله ﷺ بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الجَنَازَةِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ، وَنَصْرِ المَظْلُومِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

سبع: (عِيَادَةِ الْمَرِيضِ) المسلم، والكافر يجوز أن يعاد لدعوته إلى الإسلام، كما فعل النبي ﷺ مع عمه أبي طالب، ومع ذلك اليهودي الذي أسلم.

(وَاتِّبَاعِ الجَنَازَةِ) أي بعد موته، تُتَّبع، إلا إذا كانت جنازة واحد من أهل البدع الذين قد آذوا الإسلام والمسلمين، فيجوز لأهل الفضل أن يتنحوا عنها، وقد يتعين؛ حتى لا يغتر به، حتى قيل: بيننا وبينكم الجنائز.

(وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ) إذا حمد الله، وقد تقدم.

---

(١) انظر الحديث (٢٣٩).

(وَإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ) أي إذا كان فيما يُبَر فيه، أما إذا أقسم تعطيه كتابك وأنت بحاجة إلى الكتاب، أو أقسم أنك تذهب معه وأنت لا تستطيع، فأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أقسم على النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «لا تقسم»، ولم يبر قسمه، وإذا أقسم ولم يُبَرّ في قسمه يتعين عليه الكفارة، على قول لبعض أهل العلم، وإن أبره صاحبه فهو أفضل، فيما يستطيعه.

(وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ) سواء النصر الحسي أو النصر المعنوي، بدفع الظالم عن بغيه وعن شره.

ومن أعظم النصرة ما قامت به دول التحالف العربي لقيادة المملكة العربية السعودية حرسها الله وسائر بلاد المسلمين بنصرة المظلومين في هذا البلد على الرافضة البغاة، وإلا والله لكان الشعب الآن قد وصل إلى أدنى المراحل من فساد العقيدة، ويلحقه فساد القيم والمبادئ، فنسأل الله أن يجزيهم خير الجزاء.

(وَإِجَابَةِ الدَّاعِي) إذا كانت دعوة غير الوليمة والعقيقة فلك أن تحضر ولك أن تعتذر، أما الوليمة بالذات فمن تخلف عنه إذا دُعي فقد عصى أبا القاسم.

(وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ): رد السلام على من عرفت ومن لم تعرف.

٨٩٥ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

(خمس) وفي رواية: «ست».

والحديث تقدم.

(١) انظر الحديث (٢٣٨).

٨٩٦ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ يومَ القِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ! يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي». رواه مسلم[1].

الشرح:

ساق المصنف الحديث؛ لبيان عيادة المريض، وكذلك يلحقه هذه الأفعال التي يحتاجها المسلم، فلا يجوز أن يمنعها المسلم عن إخوانه المسلمين، ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ [الحاقة:١٩-٧]: القدر وما في بابه.

هذا الحديث من الأحاديث القدسية، بمعنى: أن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي تكلم به.

(إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ) فيه إثبات صفة الكلام لله عَزَّوَجَلَّ، وهي من الصفات الذاتية الفعلية، الذاتية من حيث أنه متصف بها أزلا وأبدا، والفعلية من حيث أنه يتكلم متى شاء بما شاء كيف شاء.

قوله: (مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي) هذا الحديث قد احتج به المبتدعة على أن أهل السنة وقعوا في التأويل، قالوا: يا أهل السنة إما أن تقولوا بظاهر هذا الحديث فتكفرون إذا

(١) حديث رقم: (٢٥٦٩).

قلتم بأن الله جاع، وأن الله مرض، وأن الله استسقي، وإما أن تؤولوا هذا الحديث فأنتم مؤولة، لماذا تنكرون علينا التأويل؟ لماذا تنكرون علينا إذا قلنا: يد الله هي القدرة أو القوة أو النعمة؟ وإذا قلنا: الوجه هو الثواب؟

وأنتم الآن الله يقول: مرض وأنتم تقولون: مرض العبد، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: جعت وأنت تقول: جاع العبد.

نقول: نحن لم نؤول، إنما هذا الحديث قد فُسِّر في موطنه: أما علمت أن عبدي فلان مرض؟ أما علمت أن عبدي فلان استطعمك؟ أما علمت أن عبدي فلان استسقاك؟ فالحديث مفسر.

ثم لو سلمنا جدلا أن هذا التفسير لا يكون هناك قرائن متصلة منفصلة، المتصلة ما في هذا الحديث: أما علمت أما علمت، والمنفصلة: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨] ، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، يقوم بنفسه ومقيم لغيره، وإنما يحتاج إلى الأكل والشرب المخلوق الضعيف.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥] ، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك:١] ، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة:٢]، كل هذه تدل على أن الله عَزَّوَجَلَّ متصف بصفات الجلال والكمال والعظمة، وأن هذه الصفات المذكورة في هذا الحديث صفات نقص، لا تليق بالله عَزَّوَجَلَّ.

وأيضا يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام:١٤] ، وأيضا الله عَزَّوَجَلَّ على عرشه استوى، كيف تجده عند المريض بذاته؟ ما يكون، فالله على عرشه.

فالحديث لا بد أن يؤول، ومن زعم أن ظاهره هو المراد من أن الله جاع أو استطعم أو استسقى هذا هو الاعتقاد الكفري.

٨٩٧ - وعن أَبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «عُودُوا المَرِيضَ، وَأَطْعِمُوا الجَائِعَ، وَفُكُّوا العَانِي». رواه البخاري[1].

(العَانِي): الأسيرُ.

الشرح:

(أَطْعِمُوا الجَائِعَ) يعني الذي يحتاج إلى طعام وشراب، ويحتاج كذلك إلى ما يقوم به، حتى ولو كان يحتاج إلى مغذيات، ويدخل فيه الصغير والكبير، حتى لو احتاج الطفل إلى حليب.

(وَفُكُّوا العَانِي): الأسير، يجب على المسلمين أن يسعوا في فكاك الأسير، وفي حديث أبي جحيفة وفيه: وفكاك الأسير، في قصة علي بن أبي طالب.

٨٩٨ - وعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قَالَ: «إِنَّ المُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ المُسْلِمَ لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ»، قِيلَ: يَا رَسولَ الله، وَمَا خُرْفَةُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: «جَنَاهَا». رواه مسلم[2].

الشرح:

فيه فضيلة عيادة المريض، وأنه من أسباب نيل هذا النعيم العظيم، في خرفة الجنة وجناها من الفواكه، وملذات المطاعم والمشارب، مع أنه إنما يذهب خطوات يسيرات.

---

(١) حديث رقم: (٥٦٤٩).

(٢) حديث رقم: (٢٥٦٨).

٨٩٩ - وعن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

(الخَرِيفُ): الثَّمرُ المُخْرُوفُ، أيْ: المُجْتَنَى.

الشرح:

انظر الى هذا الوعد العظيم، يصلي عليه سبعون ألف ملك، أي يدعون لك: أن الله عَزَّوَجَلَّ يوفقك ويصلك بالخير العظيم.

٩٠٠ - وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ» فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ». رواه البخاري[2].

الشرح:

فيه: جواز عيادة الكافر.

وفيه: الدعوة إلى الإسلام وإلى السنة.

وفيه: أن من تاب وأناب وأسلم قبل الغرغرة صحت توبته وحسن إسلامه.

وفيه: أن الجليس قد يؤثر على جليسه، فانظر كيف نظر إلى أبيه؛ لأنه متأثر به، وربما يجامله، فلما أذن له في الإسلام أسلم.

---

(١) حديث رقم: (٩٦٩)، رجح الدارقطني وقفه على علي بن أبي طالب، وله حكم الرفع؛ لأن مثل هذا لا يقال من قبيل الرأي.

(٢) حديث رقم: (١٣٥٦).

وفيه: دليل على أن اليهود يعرفون أن النبي ﷺ على الحق والهدى، وإلا لو كان لا يعلم ذلك كيف سيجعله يسلم إذا كان يعتقد أن الإسلام دين الكفر؟ لكن هو يعرف أن الإسلام دين الله الحق، فقال: (أطع أبا القاسم) أي: محمد ﷺ.

(فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ) فرح الداعي إلى الله إذا هدى الله عَزَّوَجَلَّ على يده من شاء من عباده، والله أنها فرحة عظيمة، «لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم».

١٤٥ - باب مَا يُدعى به للمريض

٩٠١ - عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتكى الإِنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِأُصْبُعِهِ هكَذا - وَوَضَعَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَة الرَّاوي سَبَّابَتَهُ بِالأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَها - وقال: «بِسمِ اللهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا، بإِذْنِ رَبِّنَا». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

(مَا يُدعى به للمريض) أي عند العيادة.

(قَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِأُصْبُعِهِ هكَذا) يضع فيها شيء من الريق حتى يلصق فيها التراب.

(بِسمِ اللهِ) فضيلة ذكر الله عَزَّوَجَلَّ حال الدواء.

(تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا، بإِذْنِ رَبِّنَا) لعله والله أعلم فيها خاصية في قتل الجراثيم ونحو ذلك، والله المستعان.

٩٠٢ - وعنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعُودُ بَعْضَ أَهْلِهِ يَمْسَحُ بِيدِهِ اليُمْنَى، ويقولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ البَأْسَ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلاَّ شِفاؤكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا». متفقٌ عَلَيْهِ[2].

الشرح:

(اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ) توسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بربوبيته للناس، وهكذا ينبغي إذا أردت أن تدعو الله أن تجعل بين يديك ما تتوسل به من أسمائه وصفاته.

(أَذْهِبِ البَأْسَ) أي: المرض ونحوه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٤٥)، ومسلم (٢١٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٤٣)، ومسلم (٢١٩١).

(اشْفِ) اشف في هذا المريض، (أَنْتَ الشَّافِي) اسمه الشافي.

(لَا شِفَاءَ إِلاَّ شِفاؤكَ)؛ لأنه شفاء يأتي على المرض من آخره، وكم من إنسان يتداوى يتداوى ولا يريد الله عَزَّوَجَلَّ له العافية، فلا ينتفع بذلك الدواء؛ لأن الشافي هو الله.

(شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقمًا): لا يترك شيئا من المرض.

٩٠٣ - وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قَالَ لِثابِتٍ رَحِمَهُٱللَّهُ: أَلَا أَرْقِيكَ بِرُقْيَةِ رسول الله ﷺ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، مُذْهِبَ البَأسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شَافِيَ إِلاَّ أَنْتَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقمًا». رواه البخاري[1].

الشرح:

فيه أن النبي ﷺ رَقى ورُقي، رقاه جبريل، لكن لم يسأل الرقية، ومن سألها ليس بحرام، لكن لا يدخل في السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

(شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقمًا) وهذا أعظم النعيم، أن يشفيك الله حتى لا يبقى فيك لمم، كثير من الناس إذا شُفي من المرض يبقى فيه آثار المرض، لكن إذا شفاك الله شفاء لم يبق سقما عندك كان هذا هو الراحة البدنية والراحة الإيمانية لمن كان من المؤمنين.

٩٠٤ - وعن سعدِ بن أَبي وقاصٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: عَادَنِي رسول الله ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا». رواه مسلم[2].

الشرح:

(١) حديث رقم: (٥٧٤٣).

(٢) حديث رقم: (١٦٢٨)، بل ورواه البخاري.

وشفاه الله، وكان قد أيس من الحياة، وأراد أن يوصي بماله كله؛ لأنه لم يكن له إلا ابنة واحدة، ثم قال له النبي ﷺ: «لعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون»، فنفع الله به من شاء من عباده.

٩٠٥ - وعن أَبي عبدِ الله عثمان بنِ أَبي العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنّه شَكَا إِلَى رسول الله ﷺ وَجَعًا يَجِدُهُ في جَسَدِهِ، فَقَالَ لَهُ رسول الله ﷺ: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي يَأْلَمُ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بسم اللهِ ثَلاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ الله وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ». رواه مسلم[1].

الشرح:

(وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ): ألم يجده في جنبه.

فيه: الاستعاذة بصفة العزة لله عَزَّوَجَلَّ، دليل على أنها صفة، وليست بمخلوقة، فلو كانت مخلوقة ما جاز الاستعاذة بمخلوقة فيما لا يقدر عليه إلا الله.

وبعضهم يروي الحديث بلفظ: «أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»، والصحيح أنها بإضافة: «بعزة الله».

وفيه تكرار الدعاء، وأن يكرر وترا، فإن النبي ﷺ كان يفعل ذلك، وذهب من عثمان بن أبي العاص ما كان يجد، كأن لم يكن به لمم.

لكن المثل الشعبي يقول: السيف بضرابه، كم من إنسان معه دعاء ولا يستفيد من دعائه! وكم الإنسان يدعو ولا يستجاب له! كما أن بعض الناس له سيف ولا يستطيع أن يفعل به شيئا، فهكذا الدعاء.

إذا كنت من المؤمنين المتقين المنيبين الخاضعين الخاشعين لله عَزَّوَجَلَّ عسى أن تدعو ويستجاب لك، وإن كنت من الغافلين قد تدعو وتدعو ولا يستجاب لك، كما

---

(١) حديث رقم: (٢٢٠٢).

هو معلوم أسباب عدم استجابة الدعاء، وأسباب استجابة الدعاء، ولعله يأتي في موطنه إن شاء الله.

٩٠٦ - وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْهُ أَجَلُهُ، فقالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ، رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، أَنْ يَشْفِيَكَ، إِلاَّ عَافَاهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ المَرَضِ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن، وقال الحاكم: حديث صحيح عَلَى شرط البخاري[(١)].

الشرح:

يعني أن الدعاء من أنجع الأدوية إذا كان قد استجابه الله عَزَّوَجَلَّ.

وفيه استحباب تكرار الدعاء، ولك أن تُسمعه، ليس بشرط أن تقرأه سرا، لك أن تُسمعه.

٩٠٧ - وعنه: أَنَّ النبي ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَنْ يَعُودُهُ قَالَ: «لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ». رواه البخاري[(٢)].

الشرح:

لكن هذا الأعرابي قال: بل حمى تفور، على شيخ كبير، تُزيره القبور، قال النبي ﷺ: «فنعم إذًا»، فمات وكان حتفه.

فالنبي ﷺ يدعو له بالعافية، لكن هذا من باب الاستبشار أن هذا المرض قد يكون طهورا للذنوب والمعاصي، ورفعة للدرجات، ليس معناه أنه استثنى في الدعاء، الاستثناء في الدعاء لا يجوز.

---

(١) أخرجه: أبو داود (٣١٠٦)، والترمذي (٢٠٨٣)، والحاكم (١/ ٣٤٢)، والحديث في (الصحيحة) للألباني، و(الصحيح المسند) لشيخنا مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) حديث رقم: (٥٦٥٦).

٩٠٨ - وعن أَبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن جِبريلَ أَتَى النَّبيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: بِسْمِ الله أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ، بِسمِ اللهِ أُرقِيكَ. رواه مسلم(١).

الشرح:

لا بأس إذا اشتكيت ورقاك بدون أن تسأله، لا حرج في ذلك، فهذا النبي ﷺ قد رَقى ورُقي، رقاه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ من كل يؤذيه.

وما يؤذي الإنسان كثير، آلام حسية، وآلام معنوية.

(مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ)؛ لأن الإنسان قد يكون مرضه بسبب شرور الناس، وأعين الحاسدين، ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:٥].

(اللهُ يَشْفِيكَ) يعني: يعافيك، وأما يُشفيك يعني: يهلكك.

قالوا: امرأة دخلت على الشافعي فكانت تقول: الله يُشفيك، فقال: اللهم بقلبها لا بلسانها، والله أعلم.

٩٠٩ - وعن أَبي سعيد الخدري وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رسول الله ﷺ أنّه قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وأَنَا أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ: يقول: لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وَحْدِي لا شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا لِيَ المُلْكُ وَلِيَ الحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إله إِلاَّ اللهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلاَّ باللهِ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلاَّ بِي»، وَكَانَ يقُولُ: «مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمْهُ النَّارُ». رواه الترمذي وقال: حديث حسن(٢).

---

(١) حديث رقم: (٢١٨٦).

(٢) حديث رقم: (٣٤٣٠)، وهو في (الصحيح المستند) لشيخنا مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

الشرح:

وفيه فضيلة هذه الأذكار، من تهليل وتحميد وتكبير، ونحو ذلك.

وفيه أن الله عَزَّوَجَلَّ قد يرد كلام العبد، أو يتكلم بكلام العبد؛ لتقريره، لا إله إلا الله والله أكبر، صدقه ربه فقال: لا إله إلا أنا، وأنا أكبر.

فمثل هذا الحديث ينبغي الحفظ له، والمحافظة عليه، والإتيان به، انظر إذا قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار، سلامة من النار، ورفعة إلى دار القرار، والله المستعان.

١٤٦ - باب استحباب سؤال أهل المريض عن حاله

٩١٠ - عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ عليَّ بْنَ أَبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رسولِ الله ﷺ في وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فقالَ النَّاسُ: يَا أَبَا الحَسَنِ، كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللهِ بَارِئًا. رواه البخاري[1].

الشرح:

الإنسان يحمد الله على كل حال، تُبشر الناس، وهو أيضا يستبشر لما يرجع إليه ويقول: فلان سأل عنك، وفلان سأل عنك، يستبشر بهذا السؤال.

(١) حديث رقم: (٤٤٤٧).

١٤٧ - باب مَا يقوله مَن أيس من حياته

٩١١ - عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَيَّ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وارْحَمْنِي، وأَلْحِقْنِي بالرَّفِيقِ الأَعْلَى». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

الشرح:

وهذا متضمن لمعنى لا إله إلا الله، دعا الله عَزَّوَجَلَّ بمغفرة الذنوب، وستر العيوب، والرحمة والتجاوز.

(وأَلْحِقْنِي بالرَّفِيقِ الأَعْلَى) دليل على أن الله عَزَّوَجَلَّ على عرشه استوى، وأنه بائن من خلقه.

٩١٢ - وعنها، قالت: رَأَيتُ رسولَ الله ﷺ وَهُوَ بِالْمَوْتِ، عِنْدَهُ قَدَحٌ فِيهِ مَاءٌ، وَهُوَ يُدْخِلُ يَدَهُ في القَدَحِ، ثُمَّ يَمْسَحُ وَجْهَهُ بالماءِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى غَمَرَاتِ المَوْتِ أَوْ سَكَرَاتِ المَوْتِ». رواه الترمذي(٢).

الشرح:

لكن كونه كان يقول: «لا إله إلا الله، إن الموت لسكرات» هذا ثابت، أما أن يدعو الله أن يعينه على سكرات الموت هذا لم يثبت.

وسكرات الموت شديدة، قد يقول قائل: لماذا لا يقوم الإنسان؟ لا يستطيع القيام؛ لأن أصلا أعصابه تنهار من شدة الآلام، وأعضاؤه ما عاد يستطيع يتنحنح، ربما يبقى ليله: اهه، هكذا والله حتى يصبح، ربما أياما، ما يستطيع أن يدفع نخامة من

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٤٠)، ومسلم (٢٤٤٤).

(٢) حديث رقم: (٩٧٨)، في سنده موسى بن سرجس المدني، مجهول حال، وضعفه الترمذي بقوله: غريب، وقد ضعفه الألباني في (ضعيف السنن). أفاده المحقق.

فيه، ويموت البدن إلى أن يبقى في الصدر مثلا الحياة، إلى أن تبلغ الحلقوم، ما تخرج إلا بمشقة، نسأل الله أن يعيننا على سكرات الموت، وأن يثبتنا في تلك المواقف.

وإلا والله لو كان الإنسان يستطيع أن يهرب من الموت لشردوا في الشعاب والأودية يهرب من الموت، ومن سيستسلم؟ لكن ما يستطيع، انظر أغلب الناس يبدأ يأتيه مرض، فيهد من قوته، ثم يهد من قوته مرة بعد مرة حتى يموت على فراشه، وهو لا يستطيع الحركة.

والله أذكر ليلة ماتت جدتي الله يرحمها كنت عندها من بعد العشاء إلى الفجر، وهي هكذا ما تستطيع تخرج النفس، ولا يستطيع الذي بجانبها أن يفعل لها شيئا، ﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الواقعة:٨٣-٨٧]، أرجعها، لكن ما تستطيع لها نزعا ولا تستطيع لها إرجاعا، وربما ما يحس بمن حوله، ولا شيء من ذلك، الله المستعان.

١٤٨ - باب استحباب وصية أهل المريض ومن يخدمه بالإحسان إليه واحتماله والصبر عَلَى مَا يشق من أمره وكذا الوصية بمن قرب سببه موته بحد أَوْ قصاص ونحوهما

يُوصى كذلك المرافقُ بحسن معاملة المريض، وألّا يكون شديدًا عليه، فلا يقول له بلهجةٍ قاسية: اشرب، اصبر، أنت كذا؛ بل يرفق به ويُحسن خطابه، فإذا أراد أن يسقيه شيئًا من الماء، قدّمه له بلطفٍ ولين، فيقول: اشرب هذا القليل، هذا الصُّمار فقط ينفع الله به، أو اشرب من هذا العصير شيئًا يسيرًا، ولا يلزمك أن تُتمَّه كلَّه.

أما بعضهم يكون على المريض كالعسكري: اشرب، أأكل، أما بعض العوام ربما يقول: اشرب هذا وإلا لا شربت.

والله هذه أشياء تقع، فينبغي للإنسان أن يخدمه ويصبر عليه، ويحتسب الأجر، ويترفق به، المرض يؤدي إلى ضيقة الصدور، انظر نفسك الآن عند أن تمرض أي مرض يضيق صدرك، ربما ما تحب تسمع أحدا، ولا تكلم أحدا، فكيف إذا كان من حولك شديدا عليك؟ فتزداد ضيقة صدر إلى ضيقة صدرك، تتحمل المرض أو تتحمل سوء المعاملة؟

وهكذا كثير من النساء مع أزواجهن، إذا مرض الزوج ربما تستخدم هذه الطريقة المعنفة، فلا، لا بد من الإحسان.

٩١٣ - عن عِمْران بن الحُصَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أَتَت النَّبِيَّ ﷺ وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزِّنَا، فَقَالَتْ: يَا رسول الله، أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَدَعَا رسولُ الله ﷺ وَلِيَّهَا، فَقَالَ: «أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعَتْ فَأْتِنِي بِهَا» فَفَعَلَ، فَأَمَرَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ فَشُدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُجِمَت، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا. رواه مسلم[1].

الشرح:

عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هو أبو نجيد.

أمره بالإحسان إليها، وهو يعلم أنها ميتة، فهكذا إنسان قد حكم عليه بحد أو كذلك إنسان في سياقة الموت تلطف به، وارفق به، وأعنه، واحتسب الأجر من الله عَزَّوَجَلَّ، ربما يحتاج إلى أن تغير ملابسه، ربما يحتاج بعضهم أن يُلَبَّس حفاظات، ربما تخرج منه رائحة كريهة، لا سيما من طال مرضه، ربما تخرج منه رائحة كريهة، وهكذا يحتاج أن يُقلب إذا طال مرضه؛ لأنه إذا بقي على جانب واحد ربما ينتن، ولا سيما في المناطق الحارة.

بل إن بعض المرضى خرج فيه دود، يعني أهملوه مطروحا هناك، وخرج فيه دود، بل إن بعضهم يأكله الفئران، ينبغي للإنسان أن ينتبه للمريض، يخرج الفأر وهو مريض أو شبه مشلول يأكله، ما يستطيع أن يدفعه عن نفسه.

فأمور كثيرة ينبغي للإنسان أن يحتسب هذه المسألة، ولا يمكن من مرافقة المريض إلا من كان من أهل الصبر، النبي ﷺ في مرض موته استأذن أن يُمرض عند عائشة:

أولًا: لمحبته لها.

---

(١) انظر الحديث (٢٢).

ثانيًا: لأن المكان الواحد للمريض أرفق به من أن يبقى يتنقل كل يوم في بيت، هو في ضيقة صدر.

ثالثًا: لصبرها، انظر كيف مات بين حاقنتها وذاقنتها، وكذلك انظر كيف فهمت لما أراد السواك أخذته وقضمته وطيبته وناولته، أيضا لصبرها يموت بين يديها، هل عُلم أنها ناحت؟ هل علم أنها فعلت شيئا من مخالفة الشرع؟

مع أن الذي مات خير البرية وأزكى البشرية، الزوج الحنون الرحيم بها، المحب لا أكثر من غيرها، مع حداثة سنها، ومع ذلك لم يقع منها، فهكذا الإنسان لا بأس أن يُنظر لمن يقوم به ويعتني به من هو أحسنهم حالا، في جسمه، في كذلك طبعه، كذلك في سياسته.

بعضه سبحان الله يسُوس المريض ويجعله يأكل وهو لا يأكل من غيره، مثلا يعطيه شيئا يسيرا: كل هذه، أنت ما تأتي إلى المريض تعطيه خبزة، إذا هو يستطيع أن يأكل خبزة ما هو في حاجتك، لكن تعطيه شيئا يسيرا، أو شيئا من الشربة، أو شيئا من العصير، ولو بضعة ملي لترات، ليس ضروريا أن يشربها كاملة، يستعين بها.

وبعض الأشياء يحتاج إلى أن تمضغها له، أو يحتاج إلى أن تطحنها له، يشتد عليه أن يحرك أسنانه بها، ويحتاج أحيانا أن تصب الماء صبا يسيرا، وربما يحتاج إلى أن تسوكه بيدك، أو تسوكه بسواك حتى تطيب فمه، أشياء كثيرة، يحتاج أن تنفض الذباب من على رأسه، يحتاج أن تعتني به من النامس، إذا كنت أنت ستتدفأ أيضا ينظر إلى شأن المكيفات والمراوح، المريض قد لا يتحمل مكيفات ومراوح كما يتحملها الصحيح، أشياء نحتاج والله أن نتعلمها، وأن نقوم بها.

وأيضا عدم التَّيْئِيس، بعض الأطباء حتى الأطباء بعضهم فاشل في طبة، مرة من المرات كان والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حمى شديدة، واتصل لي وأنا في دماج، وطلعت

صنعاء نعالجه سويا، المهم عملنا فحوصات ذاك اليوم بمبلغ كبير، ربما قبل أكثر من عشرين سنة أو ثلاثة وعشرين سنة، كانت هذه الكشافات بمائة ألف ريال والفحوصات، وإذا بالطبيب يسحبني أمامه ويقول: أبوك فيه مرض خطير، وخلاص ما عاد سيُشفى، لكن كذا.

المهم أنّ الوالد تنبّه، فقال له: أقول لك، أنا لستُ خائفًا من الموت، ولكن أعطنِ حبوبًا تُخفّف عني هذه الحُمّى، والموت يأتي الآن، وإنما الذي أرهقني هو شدّة الحُمّى، ولم آتِ إليكم لتدفعوا عني الموت، فأخرجناه من ذلك المستشفى وعاد إلى البيت، ولم ينتفع بالعلاجات التي أعطيت له مع كثرتها.

ثم رجعنا مرة ثانية إلى صنعاء، ذهبنا به مستشفى الكويت، وفي أوله كان المستشفى الألماني الحديث الذي في شارع تعز، المهم وصلنا عند مستشفى الكويت عند دكتورة لكن دكتورة فاهمة، قالت: اعمل فحص دم، عملنا فحص دم، أعطته ثلاث حبات فانسدر، ما جاءته الحمى حتى مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعافاه الله.

فبعض الأطباء فاشل أصلا، وهكذا يعاملون المرضى بشدة، والله ربما يخلي المريض يموت بسبب المروحة هذه مفتوحة على أقوى ما يكون، والمكيف على أقوى ما يكون، وإذا قربت منه البطانية قال لك: انزعها، أطباء عندهم فشل.

وكذلك ما يُعطى للصغار من المغذّيات؛ فقد ذهبتُ مرّة بابنةٍ لي إلى المستشفى، فصاروا يُكثرون لها من المغذّيات، حتى إنّي أدخلتُها على حالٍ، ولم نخرج إلا وقد توفّيت داخل المستشفى من كثرة ما أُعطيت من السوائل، نسأل الله السلامة والعافية.

١٤٩ - باب جواز قول المريض: أنا وجع، أو: شديد الوجع، أو: موعوك، أو: وارأساه، ونحو ذلك، وبيان أنه لا كراهة في ذلك إذا لم يكن على سبيل التسخط وإظهار الجزع

٩١٤ - عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَمَسَسْتُهُ، فَقلتُ: إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعكًا شَديدًا، فَقَالَ: «أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلانِ مِنكُمْ». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

الشرح:

في رواية أنه قال: يا رسول الله ذلك أن لك أجرين؟ قال: «ذلك كذلك»، يبتلى المرء على قدر دينه، فأعظمهم درجة أعظمهم بلاء.

والشاهد من الحديث: أن النبي ﷺ شكا إلى ابن مسعود ما يجد من الحرارة وشدة المرض، لا على سبيل التسخط.

٩١٥ - وعن سعدِ بن أَبي وقاصٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءني رسولُ الله ﷺ يَعُودُنِي مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي، فقلتُ: بَلَغَ بِي مَا تَرَى، وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلَا يَرِثُنِي إِلاَّ ابْنَتِي. وذكر الحديث. متفقٌ عَلَيْهِ(٢).

الشرح:

تقدم الحديث في أول الكتاب، والشاهد: أنه قال: يا رسول الله بلغ بي ما ترى من الوجع، فالإنسان قد يقول: وارأساه، أو يقول: آح، أو يقول: إيه، أو يقول غير ذلك من الألفاظ، وقد يجد فيها نوع تخفيف للألم؛ لأنه إذا كتم يجد شدة في الألم، وما يجده الإنسان قد يؤدي إلى تألمه وتأوهه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٦٧)، ومسلم (٢٥٧١).

(٢) انظر الحديث (٦).

٩١٦ - وعن القاسم بن محمد، قَالَ: قالت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَارَأْسَاهُ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «بَلْ أَنَا، وَارَأْسَاهُ». وذكر الحديث. رواه البخاري[1].

الشرح:

يعني شكت من رأسها فشكى النبي ﷺ من رأسه؛ لأن النبي ﷺ كان يأتيه صداع شديد، كانت تأتيه ما تسمى بالشقيقة، وصداعها أشد أنواع الصداع، ربما أدى إلى الصداع النصفي، وحين يسجد الإنسان وفي رأسه الشقيقة يشعر كأن رأسه يقطع بالفأس، لا سيما عند السجود، والنبي ﷺ احتجم في يافوخة رأسه من الشقيقة.

وهو ألم لا أراكم الله إياه، يتمنى الإنسان أن يضرب برأسه في جدر حتى يسيل الدم؛ لشدته، وربما يمتخط مع الدم، ولا ينفع معه الحبوب المهدئة، وإن نفع الله بها قليل جدًّا، ثم يزول أثرها، فيحتاج هذا المريض إلى الإبر.

وفي الحجامة نفع من هذا المرض، جاءني وأنا في دماج فترة من الفترات حتى لربما جعلت من يعضني في رأسي، وكنت أتألم ألما شديدا، ولا أجد له دواء.

وفي يوم من الأيام خرجت من المسجد وإذا بالحجام بجانب السدرة التي كانت خلف المسجد، فشكوت عليه، قال: عندي علاجك، فحجمني، فسبحان الله من ذلك الزمان، وإن جاء الصداع يأتي خفيفا، فجعل الله في تلك الحجامة بركة عظيمة، وله الحمد والمنة.

الشاهد أن النبي ﷺ قال: (وَارَأْسَاهُ)، وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول: (وَارَأْسَاهُ)، وهذا النوع من التشكي ليس بمذموم؛ لأنه ليس على التسخط وإنما هو على الإخبار، أو على التألم والتأوه.

(١) حديث رقم: (٥٦٦٦).

١٥٠ - باب تلقين المحتضر: لا إله إلاَّ اللهُ

٩١٧ - عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلامِهِ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ». رواه أَبُو داود والحاكم، وقال: صحيح الإسناد[(١)].

٩١٨ - وعن أَبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٢)] قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ». رواه مسلم[(٣)].

الشرح:

يعني على دلالته تقول له: قل: لا إله إلا الله، من غير تثقيل، من غير تكرار، إذا قالها تسكت عنه، حتى إذا تكلم بكلام غيرها قل له: قل: لا إله إلا الله، أو قل عنده: لا إله إلا الله.

ويذكرون: أن أبا زرعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورحمه حين حضرت الوفاة تهيبوا أن يقولوا له: قل: لا إله إلا الله، فقرأوا هذا الحديث عنده بسنده على وجه الغلط، فقال لهم: ما هكذا الحديث، ولكن حدثنا فلان، قال: حدثنا فلان، إلى أن ذكر عن معاذ بن جبل، قال رسول الله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله» وقبض فيها، والله أعلم.

١٥١ - باب مَا يقوله بعد تغميض الميت

---

(١) أخرجه أبو داود (٣١١٨)، والحاكم (١/ ٣٥١)، في سنده ضعف، ولكنه في الباب، في سنده صالح بن عريب، وله شواهد.

(٢) وعن أبي هريرة أيضا.

(٣) حديث رقم: (٩١٦).

٩١٩ - عن أُم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: دَخَلَ رسولُ الله ﷺ عَلَى أَبي سَلَمة وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ البَصَرُ»، فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ بِخَيْرٍ؛ فَإِنَّ المَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ»، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَة، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي المَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ».

رواه مسلم[1].

الشرح:

(وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ) لأن الإنسان إذا مات بصره ينظر إلى الأمام، ويشخص، ويبقى مفتوحا.

(إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ البَصَرُ) هذا دليل على أن الروح لها ذات، ولها صفات، وأنها ترى، ولا يجوز أن تُعطل، فتعطيلها هو سبيل المعتزلة، وأما أهل السنة فيثبتون مالها من الصفات، تدخل، وتخرج، وتُرى.

(فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ) بالبكاء.

(لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ بِخَيْرٍ، فَإِنَّ المَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ) وهذا عام، سواء عند الموت أو غير الموت، لا تدع إلا بخير.

(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَة): تجاوز عن ذنوبه وسيئاته، واستره.

(وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي المَهْدِيِّينَ) أي: مع المهديين، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩].

(وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الغَابِرِينَ) دعاء لذريته أن يخلف الله لهم بخير منه، من يقوم عليهم، من يوجههم، من يحسن إليهم.

---

(١) حديث رقم: (٩٢٠).

(وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ العَالَمِينَ) تدعو لنفسك ولغيرك من المسلمين، وتبدأ بالدعاء لنفسك.

(وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ) وقد جاء في مرسل قتادة: أنه يُفسح للمؤمن في سبعين ذراعا.

(وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ): اجعل له نورا، بخلاف قبر الكافر فهو مظلم.

١٥٢ - باب ما يقال عند الميت وَمَا يقوله من مات له ميت

٩٢٠ - عن أُم سَلَمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا حَضَرتُمُ المَرِيضَ أَو المَيِّتَ فَقُولُوا خَيْرًا؛ فَإِنَّ المَلائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ».

قالت: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سلَمة، أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فقلت: يَا رسولَ الله، إِنَّ أَبَا سَلَمَة قَدْ مَاتَ، قَالَ: «قُولِي: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ، وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبَى حَسَنَةً» فقلتُ، فَأَعْقَبَنِي اللهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْهُ: مُحَمَّدًا ﷺ. رواه مسلم هكَذا: «إِذَا حَضَرتُمُ المَرِيضَ، أَو المَيِّتَ»، عَلَى الشَّكِّ، ورواه أَبُو داود وغيره: «الميت» بلا شَكّ[1].

الشرح:

(إِذَا حَضَرتُمُ المَرِيضَ أَو المَيِّتَ فَقُولُوا خَيْرًا) لا تتسخط، انظر إلى ذلك الرجل الذي قال: بل حمى تفور جاءه الحمى الشديدة وجاءه الموت.

(فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سلَمة) اسمه عبد الله بن عبد الأسد.

نعم، هو في سياقة الميت، وأيضا المريض لا تقل إلا خيرا.

٩٢١ - وعنها، قالت: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيرًا مِنْهَا، إِلاَّ أَجَرَهُ اللهُ تَعَالَى فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا».

قالت: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَة قلتُ كَمَا أَمَرَني رسولُ الله ﷺ فَأَخْلَفَ اللهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ رسولَ الله ﷺ. رواه مسلم[2].

الشرح:

(١) أخرجه مسلم (٩١٩)، وأبو داود (٣١١٥).

(٢) حديث رقم: (٩١٨).

(إِلاَّ أَجَرَهُ اللهُ تَعَالَى فِي مُصِيبَتِهِ) يعني رزقه أجرا وحسنات وثوابا على هذه المصيبة بسبب صبره، بل وبدون صبره، الصحيح أن الإنسان يؤجر على المصائب مع الصبر ومع غير الصبر، إلا أنه مع الصبر أكثر أجرا، وإلا فالنبي ﷺ يقول: «ما يصيب المؤمن من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من سيئاته»، لم يقيدها بصبر، إلا أنه لو صبر كان أجره أكثر، إلا أنه متى يأثم؟ إذا تسخط، واعترض على القدر.

(إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) (إنا لله) ملكا، وخلقا، وإيجادا، وتصرفا، (وإنا إليه راجعون): إخبار عن أنفسنا أننا راجعون إليه، ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة:٢٨١].

(اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي) يعني بالأجر العظيم، حتى العامة يقولون: أجر ومغفرة، أو نحو ذلك.

(وَاخْلُفْ لِي خَيرًا مِنْهَا) سواء كانت المصيبة مرضا، أو قطع عضو، أو موت شخص، أو فقد مال، أو غير ذلك.

(فَأَخْلَفَ اللهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ رسولَ الله ﷺ) بل في رواية أنها قالت: أي بيت أكرم من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم أخلف الله لها بمحمد ﷺ.

٩٢٢ - وعن أَبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِمَلائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فيقولونَ: نَعَمْ، فيقولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَة فُؤَادِهِ؟ فيقولونَ: نَعَمْ، فيقولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فيقولونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فيقول اللهُ تَعَالَى: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا في الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[(١)].

الشرح:

وهذا حديث معناه عظيم.

(إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى لِمَلائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟) إثبات صفة الكلام لله عَزَّوَجَلَّ، وسألهم وهو أعلم، وفيه أن الملائكة هي التي تتولى قبض أرواح العباد، والمراد بهم ملك الموت ومن معه من الأتباع.

(قَبَضْتُمْ ثَمَرَة فُؤَادِهِ؟) لأن الولد بالنسبة لأبيه ثمرة الفؤاد، وربما يبقى في حسرة عليه لولا أنه يُصَبِّر نفسه.

(فيقولونَ: حَمِدَكَ) قال: الحمد لله، اللهم أْجُرني في مصيبتي، إنا لله وإنا إليه راجعون، ونحو ذلك من الأدعية.

(وَاسْتَرْجَعَ) ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة:١٥٦-١٥٧].

---

(١) حديث رقم: (١٠٢١)، حسنه أيضا الشيخ الألباني، وقال المحقق: وأبو سنان عيسى بن سنان ضعيف، وأبو طلحة الخولاني مجهول.

٩٢٣ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «يقولُ اللهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي المُؤمِن عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْل الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلاَّ الجَنَّةَ». رواه البخاري[1].

الشرح:

وهذا عام، (مَا لِعَبْدِي المُؤمِن) سواء من الرجال أو النساء.

(عِنْدِي جَزَاءٌ) أي: في الآخرة.

(إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْل الدُّنْيَا) سواء قبض زوجتك وصبرت، أو قبض الزوج وصبرت، أو قبض الولد وصبر الأب، أو قبض الأب وصبر الولد، أو قبض الأخ وصبر الأخ، إلى غير ذلك، كله داخل.

(ثُمَّ احْتَسَبَهُ) بهذا القيد قيد الاحتساب.

٩٢٤ - وعن أُسَامَة بن زَيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَرْسَلَتْ إِحْدى بَنَاتِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ تَدْعُوهُ وَتُخْبِرُهُ أَنَّ صَبِيًّا لَهَا - أَوْ ابْنًا - فِي المَوْتِ فَقَالَ للرسول: «ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَأَخْبِرْهَا: أَنَّ للهِ تَعَالَى مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمّى، فَمُرْهَا: فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ»، وذكر تمام الحديث. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

الشرح:

هذا حديث عظيم، مع قصر بنيانه إلا أنه عظيم البيان والمعنى.

(أَنَّ للهِ تَعَالَى مَا أَخَذَ) من الأبناء، من الأموال، من الأزواج، من الإخوان، من غير ذلك، (وَلَهُ مَا أَعْطَى) من ذلك.

---

(١) انظر الحديث (٣٢).

(٢) انظر الحديث (٢٩).

(وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمّى) ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد:٣٨] .

(فَمُرْهَا، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ) تصبر على قدر الله، وتحتسب الثواب من الله.

تتمة الحديث: فأرسلت إليه ليأتينها، فجاءها رسول الله ﷺ، ثم بكى على الصبي، وقد تقدم الحديث.

١٥٣ - باب جواز البكاء عَلَى الميت بغير ندب وَلا نياحة

أَمَّا النِّيَاحَةُ فَحَرَامٌ، وَسَيَأْتِي فِيهَا بَابٌ فِي كِتَابِ النَّهْيِ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، وَأَمَّا الْبُكَاءُ فَجَاءتْ أَحَادِيثُ بِالنَّهْيِ عَنْهُ، وَأَنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ، وَهِيَ مُتَأَوَّلَةٌ وَمَحْمُولَةٌ عَلَى مَنْ أَوْصَى بِهِ، وَالنَّهْيُ إِنَّمَا هُوَ عَنِ الْبُكَاءِ الَّذِي فِيهِ نَدْبٌ، أَوْ نِيَاحَةٌ، والدَّلِيلُ عَلَى جَوَازِ الْبُكَاءِ بِغَيْرِ نَدْبٍ وَلَا نِيَاحَةٍ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا:

٩٢٥ - عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسول الله ﷺ عاد سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، وَمَعَهُ عَبدُ الرَّحْمانِ بْنُ عَوفٍ، وَسَعدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَبَكَى رسولُ الله ﷺ فَلَمَّا رَأى القَوْمُ بُكَاءَ رسولِ الله ﷺ بَكَوْا، فَقَالَ: «أَلَا تَسْمَعُونَ؟ إِنَّ الله لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَينِ، وَلَا بِحُزنِ القَلبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهذَا أَوْ يَرْحَمُ» وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ. متفقٌ عَلَيْهِ.

الشرح:

النذب كأن تقول: يا جبلاه، من لنا غيرك؟ والنياحة: كأن تضرب الخدود، وتشق الجيوب، وتدعو بدعوى الجاهلية.

(وَأَمَّا الْبُكَاءُ فَجَاءتْ أَحَادِيثُ بِالنَّهْيِ عَنْهُ، وَأَنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ) الصحيح أن هذا البكاء بكاء النوح، وكالاعتراض، أما مجرد البكاء فقد قال النبي ﷺ: «إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون».

(وَهِيَ مُتَأَوَّلَةٌ وَمَحْمُولَةٌ عَلَى مَنْ أَوْصَى بِهِ) كما كانت العرب تفعل، قال:

إذا مت فانعيني بما أنا أهله ... وصبي علي الدمع يا ابنة معبدِ

كانوا يوصون بالنياحة، وكانت النساء تسعد الأخريات على شرط الإسعاد، حتى قالت أم سلمة لما مات أبو سلمة: هممت أن أبكيه بكاء يتحدث عنه الأجيال، فجاءت امرأة تريد أن تُسعدني، يسموه إسعادا، مع أنها يشتد بكاؤها.

فالنائحة المستأجرة بكاؤها أشد من النائحة الثُّكلى، لكن النائحة الثكلى مسكونة في فؤادها، وحرارة في دموعها، أما تلك تصيح طول اليوم بدون دموع، وما أن تنتهي من الصياح ربما من عندك إلا وخرجت ترقص في عرس آخر، نسأل الله السلامة والعافية.

ولهذا جاء وعيد عظيم على النائحات، وأي أسلوب؟ أدركنا في أيام الصبا وأيام أهل الناس كانت النائحة من أول ما تدخل من باب القرية تصيح النساء جميعا ببكائها، وربما قد نسوا الهم والحزن وتأتي تشعل البيت إشعالا، حتى كان بعضهم يقول: معزية بعد شهرين مجددة طول الأحزان، أو كذا، فربما تكون النساء قد بكين وتأتي هذه النائحة تقلقل البيت والأسر، وتصيح، وربما يبكي معها حتى الرجال، نسأل الله السلامة والعافية.

وكان ربما إحداها تطلع فوق البيت تصيح، كما فعلت تلك المرأة كما في البخاري: قالت: واتاجر الحجاز، وتبكيه من فوق البيت، بحيث يسمعها الناس من بعيد، ويأتون للإسعاد، والنبي ﷺ أخذ البيعة على عدم النوح، ما وفت إلا سبع نسوة من نساء الأنصار أو ست نسوة؛ لشدة هذا الأمر على الناس.

فربما تجد المرأة من ذوات الجأش والصبر، فإذا نزلت المصيبة ما تعرف صبرا ولا رباط جأش، ولا تقبل نصيحة، ولا شيء من ذلك، إلا أن يكون الإنسان من داخله قد جاهد نفسه على الصبر على الأقدار.

فمسألة المصائب ليست بمسألة سهله، أن يموت قريبك، يموت حبيبك، يموت صديقك، يموت ابنك، والمرأة يموت زوجها، يموت ابنها، يموت أبوها، يموت أخوها.

(وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهذَا أَوْ يَرْحَمُ) أي على التسخط، يعذب ويرحم بسبب التسخط، وسعد بن عبادة بعد ذلك قد عاش إلى بعض خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، وإنما كان قد نزل به مرض حتى ظُن أنه سيموت في ذلك المرض، حتى أن النبي ﷺ لما دخل قال: «أَقُضي على أخي سعد بن عبادة؟».

٩٢٦ - وعن أُسَامَة بن زَيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسول الله ﷺ رُفِعَ إِلَيْهِ ابنُ ابْنَتِهِ وَهُوَ فِي المَوتِ، فَفَاضَتْ عَيْنَا رسولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ سَعدٌ: مَا هَذَا يَا رسولَ الله؟ قَالَ: «هذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ تَعَالَى فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

يعني: الدمعة رحمة، وأيضا سبب لذهاب الحزن، وتخفيف الحزن، الآن الذي ما يبكي في مصيبة تتجمع عليه الهموم، وربما يشتد به الحال، بينما إذا بكى خف همه، وخف حزنه، وربما يجد من يؤنسه ويصبره، إلى غير ذلك.

٩٢٧ - وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ دَخَلَ عَلَى ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رسولِ الله ﷺ تَذْرِفَان. فَقَالَ لَهُ عبدُ الرحمانِ بن عَوف: وأنت يَا رسولَ الله؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ»، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى

(١) انظر الحديث (٢٩).

فَقَالَ: «إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ والقَلب يَحْزنُ، وَلَا نَقُولُ إِلاَّ مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَإِنَّا لِفِرَاقِكَ يَا إِبرَاهِيمُ لَمَحزُونُونَ». رواه البخاري، وروى مسلم بعضه[1].

والأحاديث في الباب كثيرة في الصحيح مشهورة، والله أعلم.

الشرح:

(وأنت يَا رسولَ الله؟) أي: وأنت أيضا تبكي يا رسول الله؟

البكاء على الميت سواء كان قريبا أو بعيدا، فالإنسان قد يبكي، عبد الرحمن بن عوف بكى على مصعب بن عمير بعد فترة من الزمن، ربما تذكر صاحبك وتبكي، تذكر ما كان بينكم من الألفة والمحبة، والدخول والخروج، ونحو ذلك، وربما الإنسان يلقى شدة بعد موت أخيه، فيذكر ويبكي، وربما جاء فرح فيذكر ويبكي، وربما جاء حزن فيذكر ويبكي.

تجد الميت سبحان الله يذكره صاحبه وقريبه وحبيبه في حال الرخاء وفي حال الشدة! في حال الرخاء يقول: رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مات ولم ير هذا الخير الذي نحن فيه الآن، وفي حال الشدة يقول: رَحِمَهُ ٱللَّهُ ارتاح من هذا العناء الذي نحن فيه الآن.

الشاهد أن الناس يحزن بعضهم على بعض، ويتألم بعضهم على بعض، لكن المنهي عنه هو النوح، أما مجرد الحزن وعدم الاعتراض على قدر الله هذا لا يضر، قالت فاطمة: أطابت أنفسكم أن تضعوا التراب على رسول الله ﷺ؟

(١) أخرجه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥).

١٥٤ - باب الكف عن مَا يرى من الميت من مكروه

يعني في جسمه، أو في لونه، أو في غير ذلك، أو في رائحته.

٩٢٨ - وعن أَبي رافع أسلم مولى رسول الله ﷺ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ غَسَّلَ مَيتًا فَكَتَمَ عَلَيْهِ، غَفَرَ اللهُ لَهُ أربَعِينَ مَرَّة». رواه الحاكم، وقال: صحيح عَلَى شرط مسلم[(١)].

الشرح:

وهذا أجر عظيم، أجر في تغسيل الأموات، وأجر في كتم أسرار الأموات، الأنسان إذا مات مات، الشيء الذي في بطنه يخرج بدون تحكم، وهكذا قد تجد فيه رائحة، وهكذا قد تظهر له عورة، وهكذا قد يتغير له وجه، لا سيما أصحاب الحوادث، هكذا قد يكون عنده أشياء ما أظهرها للناس من أمراض ونحو ذلك.

فهذا شيء سيء أن الإنسان يقوم بغسل الميت الذي قد أفضى إلى ما قدم ثم يصبح ويتحدث عما رآه، بينما إذا كتم عليه، ودعا له، واستغفر له، وأحسن كفنه، وأحسن غسله، كم له من الأجور العظيمة؟ يغفر الله له أربعين مرة، يتجاوز عن سيئاته، ويستر عيوبه، وييسر له الخير العظيم.

إذا كان «من ستر مسلما ستره الله» هذا في الدنيا فكيف بمن ستر مسلما ميتا؟ قد أفضى إلى ما قدم، ما يحتاج إلى أن تبحث، وتنقب، وما هذا الجرح ما سببه؟ وما هذا التغير ما سببه؟ الله أعلم ما كان يعمل، اترك هذا إلى الله.

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٣٥٤).

١٥٥ - باب الصلاة عَلَى الميت وتشييعه وحضوردفنه، وكراهة اتباع النساء الجنائز

وَقَدْ سَبَقَ فَضْلُ التَّشْيِيعِ.

٩٢٩ - عن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ شَهِدَ الجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيراطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ»، قِيلَ: وَمَا القِيرَاطانِ؟ قَالَ: «مِثْلُ الجَبَلَيْنِ العَظِيمَيْنِ». متفقٌ عَلَيْهِ[١].

الشرح:

أجر عظيم، قال ابن عمر: كم من قراريط ضيعناها.

٩٣٠ - وعنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيُفْرَغَ مِنْ دَفْنِهَا فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ[٢]، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ». رواه البخاري[٣].

٩٣١ - وعن أم عطية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: نُهِينَا عَنِ اتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا. متفقٌ عَلَيْهِ[٤].

ومعناه: وَلَمْ يُشَدَّدْ فِي النَّهْيِ كَمَا يُشَدَّدُ فِي المُحَرَّمَاتِ.

الشرح:

(١) أخرجه البخاري (١٣٢٥)، ومسلم (٩٤٥).

(٢) وأحد جبل عظيم.

(٣) حديث رقم: (٤٧).

(٤) أخرجه البخاري (١٢٧٨)، ومسلم (٩٣٨).

بعض أهل العلم اتخذ من هذا الحديث النهي عن اتباع الجنائز مطلقا، وبعضهم ذهب إلى أنه ليس بمحرم عليها أن تحضر الجنازة، لكن الأولى عدم حضورها؛ لأن النساء من عادتهن التسخط، ومن عادتهن النياحة والنحيب، ونحو ذلك، وربما وصل الأمر إلى التكشف، لا سيما حين تراه يدفن في القبر ربما تصيح وتضج عليه بالبكاء، بخلاف الرجال فإنهم أعظم صبرا، وأشد تحملا.

١٥٦ - باب استحباب تكثير المصلين عَلَى الجنازة وجعل صفوفهم ثلاثة فأكثر

٩٣٢ - عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ مَيتٍ يُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ المُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِئَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إِلاَّ شُفِّعُوا فِيهِ». رواه مسلم[١].

الشرح:

فيه: أن الإنسان يحرص على تكثير المصلين على الميت، لا سيما تكثير الصالحين الذين يرجى استجابة دعائهم، وكذلك يرجى أنهم على التوحيد الخالص، ومن أولى الناس بهذا الوصف طلاب العلم، حتى وإن وقع عندهم ما يقع، ربما الإنسان قد لا يسلم من الشرك الأصغر في بعض أحيانه، لكن تجد هناك توبة نصوحة، تكون سببا لرفع الدرجات، والتجاوز عن السيئات.

٩٣٣ - وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيقومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا إِلاَّ شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ». رواه مسلم[٢].

الشرح:

لا تعارض بين الحديثين، الأقل يدخل تحت الأكثر.

---

(١) حديث رقم: (٩٤٧).

(٢) انظر الحديث (٤٣٠).

٩٣٤ - وعن مرثدِ بن عبدِ الله اليَزَنِيِّ، قَالَ: كَانَ مَالِكُ بن هُبَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا صَلَّى عَلَى الجَنَازَةِ، فَتَقَالَّ النَّاس عَلَيْهَا جَزَّأَهُمْ عَلَيْهَا ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ صُفُوفٍ فَقَدْ أَوْجَبَ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن[1].

الشرح:

يعني: يرجى له الجنة، ويرجى له الخير.

وقد جاء تقسيم الصفوف من فعل النبي ﷺ، كما في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قسمنا صفين أو ثلاثة.

(١) أخرجه أبو داود (٣١٦٦)، وابن ماجه (١٤٩٠)، والترمذي (١٠٢٨)، والمحقق يحسن الحديث، والشيخ الألباني يضعفه.

١٥٧ - باب مَا يقرأ في صلاة الجنازة

يُكَبِّرُ أَرْبَعَ تَكبِيرَاتٍ، يَتَعوَّذُ بَعْدَ الأُولَى، ثُمَّ يَقْرَأُ فَاتِحَةَ الكِتَابِ، ثُمَّ يُكَبِّرُ الثَّانِيَةَ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فيقول: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَالأَفْضَلُ أَنْ يُتَمِّمَهُ بقوله: كَمَا صَلَّيتَ عَلَى إبرَاهِيمَ - إِلَى قَوْله - إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

وَلَا يَقُولُ مَا يَفْعَلهُ كَثِيرٌ مِنَ العَوامِّ مِنْ قراءتِهِمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب:٥٦] الآية، فَإِنَّهُ لَا تَصحُّ صَلَاتُهُ إِذَا اقْتَصَرَ عَلَيْهِ.

ثُمَّ يُكَبِّرُ الثَّالِثَةَ، وَيَدعُو للمَيِّتِ وَللمُسْلِمِينَ بِمَا سَنَذكُرُهُ مِنَ الأحاديث إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، ثُمَّ يُكَبِّرُ الرَّابِعَةَ وَيَدْعُو، وَمِنْ أَحْسَنِهِ: «اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تَفْتِنَّا بَعدَهُ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ».

وَالمُخْتَارُ أنه يُطَوِّلُ الدُّعاء في الرَّابِعَة خلافَ مَا يَعْتَادُهُ أَكْثَرُ النَّاس، لحديث ابن أَبي أَوْفى الذي سَنَذْكُرُهُ إِنْ شَاء اللهُ تَعَالَى.

الشرح:

(اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ...) هذا جاء عن أبي أمامة بن سهل وجاء عن غيره هذا الوصف، جاء عن ابن عباس: أنه يقرأ بالفاتحة، في البخاري، وجاء عدد التكبيرات في الصحيحين، وجاء أيضا خمس تكبيرات، كما في حديث زيد بن أرقم، وجاء ست وسبع، والأكثر الأربع، جمعهم عمر على الأربع، ومن كبر خمسا صحت صلاته.

(وَالمُخْتَارُ أنه يُطَوِّلُ الدُّعاء في الرَّابِعَة) يطول الدعاء بين الثالثة والرابعة، ثم يسلم بعد الرابعة، تكبيرة والفاتحة، ثم تكبيرة والصلاة على النبي ﷺ، ثم تكبيرة ودعاء، يدعو للميت، ويدعو للمسلمين ويسلم بعد التكبير الرابعة.

وَأَمَّا الأَدْعِيَةُ المَأْثُورَةُ بَعْدَ التَّكبِيرَةِ الثالثة، فمنها:

٩٣٥ - عن أَبي عبد الرحمان عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى رسول الله ﷺ عَلَى جَنازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ، وَهُوَ يقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الجَنَّةَ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ» حَتَّى تَمَنَّيتُ أن أكُون أنَا ذَلِكَ المَيِّت. رواه مسلم[1].

الشرح:

وهذا أصح حديث في الباب.

حديث عظيم، دعا الله عَزَّوَجَلَّ بالتجاوز عند ذنوبه وسيئاته، ودعا الله عَزَّوَجَلَّ برحمته فيما يقدم عليه، وكذلك دعا الله عَزَّوَجَلَّ بالعافية له، السلامة من العذاب عافية، السلامة من الشر عافية، «اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي».

(وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ) أي: بعد أن يُدفن يوسع له في قبره.

(وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ) جمع بينهما؛ حتى تذهب جميع سيئاته وخطاياه.

(وَنَقِّهِ مِنَ الخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ) لأن غير الثوب الأبيض وإن طُهر ما تدري هو بقي فيه شيء أو لا، أما الأبيض ينقى تماما.

(وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ) الجنة.

(وَأَهْلًا خَيرًا مِنْ أَهْلِهِ) أهل الجنة.

(وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ) حتى زوجته الدنيوية تكون معه في الجنة على أحسن حال.

---

(١) حديث رقم: (٩٦٣).

(وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ) فيه إثبات عذاب القبر، وأنه حق.

٩٣٦ - وعن أَبي هريرة وأبي قتادة وَأبي إبراهيم الأشهلي، عن أبيه - وأبوه صَحَابِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبيِّ ﷺ: أَنَّهُ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا، وشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الإِسْلَامِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوفَّهُ عَلَى الإِيمَانِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تَفْتِنَّا بَعدَهُ».

رواه الترمذي من رواية أَبي هريرة والأشهلي[1].

ورواه أَبُو داود من رواية[2] أَبي هريرة وأبي قتادة.

قَالَ الحاكم: حديث أَبي هريرة صحيح عَلَى شرط البخاري ومسلم.

قَالَ الترمذي: قَالَ البخاري: أَصَحُّ رواياتِ هَذَا الحديث رواية الأَشْهَلِيِّ.

قَالَ البخاري: وأصح شيء في هَذَا الباب حديث عَوْفِ ابن مَالِكٍ.

الشرح:

وهذا الحديث ثابت بشواهده، ويدعى لجميع المسلمين، الأحياء والأموات، والصغار والكبار، والذكور والإناث.

وفيه: الدعاء بالثبات على الإسلام حتى الممات.

وفيه: سؤال الأجر والمثوبة، وهذا يحتاج إلى الإخلاص؛ لما يأتي.

---

(١) عقب (١٠٢٤).

(٢) حديث رقم: (٣٢٠١).

٩٣٧ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الميِّتِ، فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعاء». رواه أَبُو داود[١].

٩٣٨ - وعنه، عن النبيِّ ﷺ في الصَّلَاةِ عَلَى الجَنَازَةِ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّهَا، وَأَنْتَ خَلَقْتَهَا، وَأَنتَ هَدَيْتَهَا للإِسْلَامِ، وَأَنتَ قَبَضْتَ رُوحَهَا، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِسِرِّهَا وَعَلَانِيَتِهَا، وَقَدْ جِئنَاكَ شُفَعَاءَ لَهُ، فَاغْفِرْ لَهُ». رواه أَبُو داود[٢].

٩٣٩ - وعن وَاثِلَة بنِ الأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى بِنَا رسول الله ﷺ عَلَى رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّ فُلانَ ابْنَ فُلانٍ في ذِمَّتِكَ وَحَبْلِ جِوَارِكَ، فَقِهِ فِتْنَةَ القَبْرِ، وَعذَابَ النَّارِ، وَأَنْتَ أَهْلُ الوَفَاءِ وَالحَمْدِ، اللَّهُمَّ فَاغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ». رواه أَبُو داود[٣].

الشرح:

هذا ثابت، إذًا الآن معنا أحاديث ثابتة، وهي: حديث عوف بن مالك: «اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه».

وحديث أبي هريرة وأبي إبراهيم الأشهلي: «اللهم اغفر لحينا وميتنا، وصغيرنا وكبيرنا».

وحديث: «اللهم إن فلان ابن فلان في ذمتك، وحبل جواره، فقه فتنة القبر، وعذاب النار، وأنت أهل الوفاء والحمد». الحديث.

وإذا لم تحسن هذا زد الدعاء له بالخير العظيم، بالسلامة من عذاب القبر، والسلامة من عذاب النار، بمغفرة الذنوب، وغير ذلك.

---

(١) حديث رقم: (٣١٩٩)، وهو ثابت.

(٢) حديث رقم: (٣٢٠٠)، وهو حديث ضعيف، في سنده علي بن شماخ، مجهول.

(٣) حديث رقم: (٣٢٠٢).

٩٤٠ - وعن عبدِ الله بنِ أبي أَوْفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ كَبَّرَ عَلَى جَنَازَةِ ابْنَةٍ لَهُ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ، فَقَامَ بَعْدَ الرَّابِعَةِ كَقَدْرِ مَا بَيْنَ التَّكْبِيرَتَيْنِ يَسْتَغْفِرُ لَهَا وَيَدْعُو، ثُمَّ قَالَ: كَانَ رسول اللهِ ﷺ يَصْنَعُ هكَذَا[١].

وفي رواية: كَبَّرَ أَرْبَعًا فَمَكَثَ سَاعَةً حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُكَبِّرُ خَمْسًا، ثُمَّ سَلَّمَ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ. فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْنَا لَهُ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَزِيدُكُمْ عَلَى مَا رأيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَصْنَعُ، أَوْ: هكَذَا صَنَعَ رسول الله ﷺ. رواه الحاكم، وقال: حديث صحيح[٢].

(١) وهو حديث حسن.

(٢) رواه الحاكم (١/ ٣٦٠)، من طريق إبراهيم الهجري، وهو ضعيف، ويحسنه الشيخ الألباني.

١٥٨ - باب الإسراع بالجنازة

الإسراع بها إلى الدفن والمواراة.

٩٤١ - عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «أَسْرِعُوا بالجَنَازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً، فَخَيرٌ تُقَدِّمُونَهَا إِلَيْهِ، وَإِنْ تَكُ سِوَى ذَلِكَ، فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي روايةٍ لمسلمٍ: «فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا عَلَيْهِ».

الشرح:

الأفضل أن يُعجل بدفن الميت، ما في بقائه خير ومصلحة، بل ربما يبقى الناس في قلق ونحو ذلك، مشغولون، فإذا دُفن ارتاحوا، وأقبلوا على شأنهم.

ومع ذلك إن كانت صالحة قُدمت إلى الجنة بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، وإن كانت غير صالحة ارتحنا من شرها.

والإسراع بالجنازة على معنيين: **المعنى الأول**: الإسراع بدفنها، **والمعنى الثاني**: الإسراع بالمشي بها، إلا أنه لا يكون جريا، إنما هو مقارب الرمل، كما قال ابن عباس: لا تزلزلوا، وفي حديث أبي بكرة: لقد رأيت أن نرمل بها رملا.

٩٤٢ - وعن أَبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النبي ﷺ يقُولُ: «إِذَا وُضِعَت الجَنَازَةُ فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أعنَاقِهِمْ فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قالتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ لأَهْلِهَا: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلاَّ الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَ الإِنسَانُ لَصَعِقَ». رواه البخاري[2].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣١٥)، ومسلم (٩٤٤).

(٢) انظر الحديث (٤٤٤).

الشرح:

يعني: يصعق ولا يستطيع أن يدفن غيره، لكن ربي رحيم بعباده، إذ غَيَّب شأن البرزخ عن الناس، والله المستعان.

والمصيبة أن كل منا سائر إلى هذا الحال، ولا ندري ما يكون من شأننا، هل نحن ممن يقول: قدموها أم نحن ممن يقول: يا ويلها؟ ما أحد يستطيع يجزم لنفسه؛ لأن هذه أمور غيبية، والأمور بخواتيمها، ربما تكون على استقامة وقبل مماتك تنحرف، وربما تكون على الانحراف ويوفقك الله عَزَّوَجَلَّ للتوبة قبل مماتك، ومع ذلك نرجو الله، ولا يخيب ربي من رجاه.

وفي هذا دليل للحياة البرزخية، هو الآن في حكم الأموات أمام الناس، ولكنه يقول: قدموني، وذاك يقول: يا ويلها، ويسمع صوته كل شيء إلا الإنسان، تسمعه الحيوانات، وتسمعه الملائكة، وأما الإنسان وربما كذلك الجان إذا سمعوه وقع عليهم الصعق، وامتنعوا من التدافن.

١٥٩ - باب تعجيل قضاء الدَّين عن الميت والمبادرة إِلَى تجهيزه إلا أن يموت فجأة فيترك حَتَّى يُتَيَقَّنَ مَوْتُه

لأن بعض الناس لا سيما في الزمن الماضي ربما يسقط سقطة قلبية، فيظن أنه مات، ثم يدفنونه، ويكون قد دفنوا حيا، وهذه قصص واقعة، ذكر منها أهل التاريخ: أن بعض العلماء مات، فعاجل أهله بدفنه، ثم بعد ذلك جاء الرجل الذي يسرق الأكفان بالليل، حفر القبر، وقال: صبرت نفسي حتى لا أهوله فيدفن علي القبر وأموت، قال: حتى رفع الحجرة، فناولته يدي ليخرجني، ففزع الرجل وجعل يهرب.

وصاحبنا لبس الكفن، ورجع إلى بيته، دق لهم في الباب، قالوا: من؟ قال: فلان؟ قل بغيرها، فلان في القبر، قال: أنا والله فلان، فتحوا له، وإذا به حي يرزق، ومكث فترة بعد ذلك، وسُمي بصاحب الكفن.

وآخر مات وجاؤوا بالمغسل يغسله، ثم إنه عطس عطسة أفاق من موته بعدها، والمغسل من شدة الفزعة مات، سبحان الله! فصار الميت حيا، وصار المغسل ميتا.

٩٤٣ - عن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قَالَ: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضى عَنْهُ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[(١)].

الشرح:

ويجب على أولياء الأمور أن يقضوا ديون الناس، من الزكوات، ومن الأرزاق التي يرزقهم الله إياها، هذا إذا عجز أولياء الميت.

عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين حضرته الوفاة قال لعبد الله بن عمر: انظر يا بني إن وفى مالنا، وإلا فسل في بني عدي، فإن وفى وإلا فسل في بني كذا، فإن وفى وإلا فسل في قريش ولا تعدهم، يعني يجب على العاقلة، ليس على فقط الأقارب الذين يرثون، قضاء الدين يجب على العاقلة أجمع.

---

(١) حديث رقم: (١٠٧٨).

فإن عجزوا وجب على ولي أمر المسلمين لا سيما في حال السعة أن يقضي الدين عن المدينين؛ لأن هذا فعل النبي ﷺ، حيث قال: «**من ترك مالا فلورثته، ومن ترك ضياعا أو دينا فإلي وعلي**».

وقوله: (نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ) هل يلزم منها العذاب؟ لا يلزم أنها تعذب، لا سيما إذا لم يكن متعمدا لتأخير الدين، لكن معنى الحديث: أنه قد يُحبس عن دخول الجنة حتى يقضى عنه الدين.

وهذا الحديث حُمل أيضا على من كان مستطيعا لقضاء الدين ولم يقض، أما من جهد في قضاء الدين وعجز فلا تلحقه تبعات، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦] ، وهذا الذي رجحه الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما في (الفتح الرباني)، ونقلناه عنه في كتابنا (الدر المكنون في أحكام الديون).

وأما حديث: «**الآن بردت عليه جلدته**» فهذه الزيادة الصحيح أنها منكرة، من رواية عبد الله بن محمد بن عقيل، وهو ضعيف على القول الراجح من أقوال أهل العلم، وعلى القول بأنه حسن الحديث ستكون رواية شاذة.

٩٤٤ - وعن حُصَيْنِ بن وَحْوَحٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ طَلْحَةَ بْنَ البَرَاءِ بن عَازِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَالَ: «إِنِّي لَا أرى طَلْحَةَ إِلاَّ قَدْ حَدَثَ فِيهِ المَوْتُ، فآذِنُوني بِهِ وَعَجِّلُوا بِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِجِيفَةِ مُسْلِمٍ أَنْ تُحْبَسَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَهْلِهِ». رواه أَبُو داود[1].

---

(١) حديث رقم: (٣١٥٩)، من طريق سعيد بن عثمان البلَوَي عن عزْرة ويقال: عروة بن سعيد الأنصاري، عن أبيه الحسين بن وحوح به، وسعيد بن عثمان مجهول، وشيخ عروة بن سعيد مجهول أيضا، ووالده عروة وهو سعيد الأنصاري مجهول. هكذا يقول محقق، فهو حديث ضعيف جدًّا، مسلسل بالمجاهيل.

١٦٠ - باب الموعظة عند القبر

جواز ذلك، لا سيما أحيانا، بدون استمرار، للحاجة.

٩٤٥ - عن عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ، فَأَتَانَا رسولُ الله ﷺ فَقَعَدَ، وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فَنَكَّسَ وَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ»، فقالوا: يَا رسولَ الله، أَفَلا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا؛ فكلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»، وذكر تَمَامَ الحديث. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

بقيع الغرقد سمي بهذا الاسم؛ لأن فيه شجرة الغرقد، وهو عن يسار المسجد في مقدمة المسجد عن اليسار، بعيد منه قليلا.

(فَقَعَدَ، وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ) هذا دليل على أن حديث: «فلا يجلس حتى تخلفكم أو توضع» أي: توضع من على الأكتاف، ليس معنى ذلك أن توضع في القبر؛ لأنه قد يشتد ذلك ويتأخر.

(مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ) هذا فيه الإيمان بالقدر، وفيه أن الجنة والنار موجودة الآن.

بقية الحديث: «أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ»، ثم تلا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧).

(اعْمَلُوا) ما قال: اتركوا العمل واتكلوا على الكتاب، (اعْمَلُوا)، صل، وصم، وحج واعتمر، وأد الفرائض والواجبات، وأكثر من المستحبات، وكن بعيدا عن المحرمات، واجتنب المكروهات.

(فكلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ) في آخر المطاف إن كان من أهل الشقارة سيرجع إلى الشقاوة بردته أو بانحرافه، وإن كان من أهل السعادة سيُكتب له الخير العظيم، الأعمال بالخواتيم.

وهذا باب شائك، كثير من الناس في باب القدر عنده انحراف، يقول: كيف يقدر الله علي الشر ثم يعذبني عليه؟ نقول: القدر علم الله وسره الذي لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا، هذا هو القدر، ولكن نقول: مراتب القدر أربع: علمها الله وكتبها، وشائها، وخلقها؛ لحكم أرادها، ولأمور علمها.

ثم إن العبد حين يفعل هذه المعصية أو هذه الطاعة هو لا يعلم أنها مقدرة عليه، لا يعلم ما في اللوح المحفوظ، لكن يعلم: أقيموا الصلاة، آتوا الزكاة، صلوا الأرحام، أحسنوا إلى الجيران، هذا يعلمه، إذًا عليك أن تعمل بالعلم الموجود، وترك التنقيب عن العلم المفقود.

ثم أيضًا من الأحاديث الدالة على الموعظة عند القبر حديث البراء، ولا أدري لماذا النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يذكره في (رياض الصالحين)، مع أنه حديث عظيم القدر والمنزلة، فيه وصف لحال الإنسان من عند خروجه من جسده إلا أن تُرد الروح إلى الجسد في قبره، وما يكون بعد ذلك من حياة سعيدة للمؤمن، أو حياة تعيسة للكافر والمنافق، نسأل الله السلامة والعافية.

١٦١ - باب الدعاء للميت بعد دفنه والقعود عند قبره ساعة للدعاء لَهُ والاستغفار والقراءة

٩٤٦ - وعن أَبي عمرو - وقيل: أَبُو عبد الله، وقيل: أَبُو ليلى - عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النبيُّ ﷺ إِذَا فُرِغَ مِن دَفْنِ المَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، وقال: «اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسأَلُ». رواه أَبُو داود[1].

الشرح:

وفيه قصة: أن عثمان بن عفان كان إذا ذُكر له القبر بكى، وإذا ذكر له الجنة والنار لم يبكي، فقيل له في ذلك، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**القبر أول منازل الآخرة، فمن سلم منه فما بعده أيسر، ومن لم يسلم منه فما بعده أشد**».

وهذا حديث آخر: (**اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسأَلُ**) لكن لا يلزم من ذلك أن يقوم الإنسان واحد يدعو والبقية يؤمنون، فهذا من المحدثات، ولكن كل يسأل له الثبات، وهو يمشي، وهو جالس، وهو قائم، لا حرج في ذلك.

وفيه أن الميت تُعاد روحه إلى جسده، ويفتن في قبره: من ربك وما دينك ومن نبيك؟.

---

(١) حديث رقم: (٣٢٢١).

٩٤٧ - وعن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِذَا دَفَنْتُمُونِي، فَأَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ، وَيُقَسَّمُ لَحْمُهَا حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَعْلَمَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي. رواه مسلم. وَقَدْ سبق بطوله[1].

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُقْرَأَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ القُرآنِ، وَإِنْ خَتَمُوا القُرآنَ عِنْدَهُ كَانَ حَسَنًا[2].

الشرح:

هذه من البدع، حتى فعل عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يوافقه عليه بقية الصحابة، فيترك هذا الفعل، والله أعلم.

(١) انظر الحديث (٧١٠).

(٢) وقد نفى العلماء الألباني صحة نسبة هذا القول للشافعي، وروى الخلال في (كتاب القراءة عند القبور): عن الحسن الزعفراني، قال: سألت الشافعي عن القراءة عند القبور، فقال: لا بأس به، وسنده صحيح، ولا شك أن هذا الفعل بدعة، قال به الشافعي أو لم يقل به؛ لأن خير الهدي هدي رسول الله ﷺ. أفاده المحقق.

١٦٢ - باب الصدقة عن الميت والدعاء لَهُ

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر:١٠] .

الشرح:

وليس الدعاء له فقط في ذلك اليوم، بل ادع لأمواتك وأموات المسلمين أبدا، فإن الدعاء لهم من أسباب تكفير السيئات، ورفع الدرجات، وهي شفاعة من الشفاعات، فإذا قلت: اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، كم لك من الأجر العظيم في دعائك للأموات من المسلمين، الذين قد غُيِّبوا تحت اللحود، وأكلهم الدود، وصاروا في وحدة، لولا أن يكرمهم الله بجنة ورحمة.

فإياك أن تنسى أباك أو أمك، أو أخاك، أو خالك، أو قريبك، أو صاحبك، فإن عجزت عن التخصيص فعلى العموم.

قال بعضهم: والله أني كنت أعد كذا وكذا من الأموات في دعائي.

يعدهم عدا، اغفر لأبي وأمي، وخالي فلان، وخالي فلان، وفلان، وفلان وفلان، هم بحاجة إلى دعائك، وسيكون جزاؤك بقدر ذلك، «**الجزاء من جنس العمل**».

وأيضا عود نفسك المسامحة، سامح من مات من المسلمين وأنت تشعر أنه قد أساء إليك سامحه، لا تبق مليئا بالحقد، وتقول: لا، نقف أنا وهو بين يدي الله، نعم، لكن المسامحة أولى، والمسامحة أفضل، والمسامحة أجرها عظيم، كيف إذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: تجاوزوا عن عبدي فإنه كان متجاوزا عن عباد الله، أو قال: «**نحن أحق بذلك منه**».

لما مات المغيرة بن شعبة قام جرير وقال: استغفروا لأخيكم فإنه كان يحب العفو.

فإن كانت لك مظلمة وما تريد أن تعفو عنه طالب بها، طالب أهله، أما أن يبقى مسكين في قبره حالته حالة وأنت ساكت عنده لك دين، عنده لك حق، لا، ارجع إلى أهله وقل: عند ميتكم لي كذا وكذا، ارحمه يرحمك الله، أعنه يعنك الله، فرج عنه يفرج الله عنك.

٩٤٨ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رجلًا قَالَ للنبيِّ ﷺ: إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا وَأُرَاهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ». متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

الشرح:

تصدق عنها بصدقة، ولو بتمرة، ولو بكتاب، ولو بمصحف، ولو ببناء صدقة جارية، كل على حسب قدرته.

٩٤٩ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ». رواه مسلم[(٢)].

الشرح:

أعظمها العلم، فهو صدقة جارية، وهو علم ينتفع به، وهو الولد المخلد، علم الرجل ولده المخلد.

(إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ) ابن آدم.

(انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ) وقد ذكروا غيرها، ونظمها السيوطي، ذكروا عشرا أو أكثر.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٨)، ومسلم (١٠٠٤).

(٢) حديث رقم: (١٦٣١).

(صَدَقةٍ جَارِيَةٍ) كحفر الآبار، وإجراء القناطر، وبناء المساجد، ونحو ذلك.

(أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ) كأن يكون مؤلفا مدرسا، أو يشتري كتبا ويوزعها على أهل علم.

(أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) حتى الولد الطالح ينبغي أن يدعو لأبيه، لكن ذكر الصالح؛ لأن دعاء الصالح أجوب.

١٦٣ - باب ثناء الناس عَلَى الميت

وأن ذلك نافعه بإذن الله إن كان المثني عليه من الموحدين، من الطائعين لرب العالمين، أما ما يفعله الكفار يثني بعضهم على بعض كما قال أخونا عبد الحكيم الأمريكي قال: يعطون للقسيس مالا ويقوم يثني عليه، ما يجد ما يثني عليه به يقول: وقد كان يوم الأحد يكره شرب الخمر، ما قال: يترك شرب الخمر، كافر زنديق.

فالشاهد: أنهم قد يشترون الثناء شراء، لا، ينبغي أن يثنى عليه بالخير؛ لأنه مستحق له.

٩٥٠ - عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرُّوا بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «وَجَبَتْ»، ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ النبي ﷺ: «وَجَبَتْ»، فَقَالَ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا وَجَبَتْ؟ فَقَالَ: «هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّار، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرضِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

بهذا الحديث احتج بعضهم على جواز الشهادة لمن أُثني عليه بالخير بالجنة، والصحيح أنه لا تثبت الجنة إلا لمن أخبر عنه الله بذلك، أو أخبر رسول الله ﷺ بذلك، مع أننا نرجو للمحسنين ونخاف على المسيئين.

وابن عثيمين وكذلك رأيته للذهبي ولغير واحد يقولون: عمر بن عبد العزيز ممن تطمئن النفس للشهادة له بالجنة، وذكروا كذلك بعضهم ذكر الإمام أحمد، وذكروا غير ذلك، فنحن نرجو لأهل الإسلام جميعا الجنة، لكن الجزم نتركه.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩).

٩٥١ - وعن أَبي الأسْوَدِ، قَالَ: قَدِمْتُ المَدِينَةَ، فَجَلَسْتُ إِلَى عُمَرَ بنِ الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَمَرَّتْ بِهِمْ جَنَازَةٌ، فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا خَيْرًا، فَقَالَ عُمَرُ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِأُخْرَى فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا خَيْرًا، فَقَالَ عُمرُ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِالثَّالِثَةِ، فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا شَرًّا، فَقَالَ عُمر: وَجَبَتْ.

قَالَ أَبُو الأسودِ: فقلتُ: وَمَا وَجَبَتْ يَا أَمْيرَ المُؤمِنينَ؟ قَالَ: قُلْتُ كما قَالَ النبي ﷺ: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيرٍ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ»، فقُلْنَا: وَثَلاثَةٌ؟ قَالَ: «وَثَلاثَةٌ»، فقلنا: وَاثْنَانِ؟ قَالَ: «وَاثْنَانِ»، ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَن الواحِدِ. رواه البخاري[1].

الشرح:

فضل الله واسع عظيم، يصدق عبده المؤمن إذا أثنى على أخيه المؤمن، ويقبل شفاعته، مع علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأعمال هذا العبد، وربما عنده الكثير من الأعمال غير الصالحة، سترها وتجاوز عنها.

فهذا من باب الشفاعة، الثناء على المسلم والدعاء له من الشفاعة له.

(١) حديث رقم: (١٣٦٨).

١٦٤ - باب فضل من مات لَهُ أولاد صغار

٩٥٢ - وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلَاثَةٌ لَمْ يَبْلُغوا الحِنْثَ إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

٩٥٣ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا يَمُوتُ لأَحَدٍ مِنَ المُسْلِمينَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الوَلَدِ لَا تَمَسُّهُ النَّارُ إِلاَّ تَحِلَّةَ القَسَمِ». متفقٌ عَلَيْهِ(٢).

وَ(تَحِلَّةُ القَسَمِ) قول الله تَعَالَى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم:٧١] وَالوُرُودُ: هُوَ العُبُورُ عَلَى الصِّرَاطِ، وَهُوَ جِسْرٌ مَنْصُوبٌ عَلَى ظَهْرِ جَهَنَّمَ، عَافَانَا اللهُ مِنْهَا.

الشرح:

(أولاد صغار) أفراط.

فانظر الى هذا الفضل الواسع، إذا مات لك أولاد واحتسبتهم لا تمسك النار إلا تحلة القسم.

موت الأفراد، جاء رجل إلى أبي هريرة قال: هل سمعت النبي ﷺ يقول في ذلك شيئا؟ مات لي ولد، قال: نعم، وحدث بالحديث.

فهنئا لمن احتسب ولده الميت، وهنيئا لمن مات له ولد بدون تفريط منه، يعني نعمة، يموت لك اثنان من الأولاد ما تمسك النار إلا تحلة القسم، أجر عظيم.

عمر بن عبد العزيز قال لولده عبد الملك: يا بني ما من شيء من خير إلا وقد رأيته منك، إلا شيئا واحد، قال: ما هو يا أبي؟ قال: أسأل الله أن يجعلك في ميزاني، قال: جعلني الله في ميزانك، فمات قبل أبيه، حتى ذكر العلماء: أنه هو السبب في هداية أبيه.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨١) ولم يخرجه مسلم عن أنس.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٥١)، ومسلم (٢٦٣٢).

وانظر إلى رسول الله ﷺ كل بنيه ماتوا قبله، إلا ما كان من فاطمة، وهذا لرفع درجته، يصبر على فقدهم.

٩٥٤ - وعن أَبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءتِ امْرأَةٌ إِلَى رسولِ الله ﷺ فَقَالَتْ: يَا رسولَ الله، ذَهبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ، قَالَ: «اجْتَمِعْنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا»، فَاجْتَمَعْنَ، فَأَتَاهُنَّ النبيُّ ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُنَّ مِنِ امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنَ الوَلَدِ إِلاَّ كَانُوا لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ»، فقالتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ؟ فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «وَاثْنَيْنِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

فيه: جواز تعليم النساء، لكن من وراء حجاب، والنبي ﷺ لهن بمنزلة الوالد، أما غير النبي ﷺ لا بد من حجاب؛ لأن المرأة عورة، «إذا خرجت استشرفها الشيطان».

وأصحاب الجمعيات وأصحاب الحزبيات لا يبالون بهذا الأمر، الله يهديهم، فتنوا المسلمين والمسلمات بالمحاضرات التي يعاين فيها الرجال النساء والنساء الرجال، أو حتى ربما ألقى المحاضر محاضرة للنساء وهن أمامه، هذا من الأمور الحادثة.

وبعضهم يحتج يقول: مسجد النبي ﷺ ما كان هناك فاصل بين النساء والرجال، النبي ﷺ قد قال: «يا معشر الرجال، لا ينصرف أحد حتى تنصرف النساء»، والصحابة يلتزمون، أما الآن سيدخل ويتلفت، ربما وهو في الصلاة.

وأيضًا قال: «يا معشر النساء لا ترفعن رؤوسكن حتى يرفع الرجال»؛ لمزيد ستر، والتزمن هذا، زد على ذلك: كن يخرجن مُتَلَفِّعَات بمروطهن.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠١)، ومسلم (٢٦٣٣).

مرة من المرات وصلت في أول رحلة إلى تنزانيا، وكانت لي محاضرة، أطلع فوق الكرسي إلا وعلى الجدار ما شاء الله التي مادة رجلها، ومنسدحة كأنها بين أبنائها، فقلت: اعملوا ستارة، قالوا: يا شيخ، قلت: ولا كلمة حتى تعملوا الستارة، أخذوا الماسات، وعملوا ستارة.

تعجبوا من هذا الصنيع، وذكرنا لهم في ذلك اليوم قريبًا من ست حُجج أو سبع حُجج من السنة النبوية في تعين ذلك.

وهكذا لما وصلنا الى ترينداد دخلنا نصلي معهم المغرب وإذا بهم نفس الخبر، جالسات في مؤخر المسجد، اختلاط، مساكين، أهل الإسلام، يحبون الإسلام، لكن تأثروا بالجمعيات، وما وجدوا من ينبههم، فبينا لهم ذلك، ونسأل الله أن يكونوا أخذوا بالفتوى والتوجيه؛ لأني تركتهم، فقط مررنا بهم مرورًا، كانت الكلمة عندهم بين المغرب والعشاء.

(فَأَتَاهُنَّ النبيُّ ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ) فيه جواز المحاضرة في يوم مخصوص، وفيه الإخبار من أجل اجتماع أهل الخير والصلاح.

(فقالتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَينِ؟ فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: وَاثْنَيْنِ) ما قالوا: واحد، لو قالوا: واحد كان لعل الله يأتي بالخير، لكن لله الحمد.

١٦٥ - باب البكاء والخوف عِنْدَ المرور بقبور الظالمين ومصارعهم وإظهار الافتقار إِلَى الله تَعَالَى، والتحذير من الغفلة عن ذلك

٩٥٥ - عن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ لأَصْحَابِهِ - يعْني لَمَّا وَصَلُوا الحِجْرَ - دِيَارَ ثَمُودَ -: «لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ المُعَذَّبِينَ إِلاَّ أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، لَا يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي روايةٍ قَالَ: لَمَّا مَرَّ رسولُ الله ﷺ بِالحِجْرِ قَالَ: «لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ، إِلاَّ أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ»، ثُمَّ قَنَّعَ رسولُ الله ﷺ رَأْسَهُ وأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أَجَازَ الوَادِي.

الشرح:

الآن أكثر المسلمين اتخذوا مثل هذه الأماكن التي وقع فيها الخسف على أنها آثار ومتاحف، وأماكن للسياحة، إلى غير ذلك، نسأل الله السلامة والعافية، كثير من الناس يذهبون إلى أماكن الفراعنة، وكثير من الناس يذهبون إلى أماكن الحِجْر، وكثير من الناس يذهبون إلى أماكن العذاب، مع أن السنة البعد عنها.

انظر (إِلاَّ أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ) بل إن النبي ﷺ منعهم أن يعجنوا العجين منها، فلما عجنوا العجين من بئرهم قال: ناولوه الدواب، أنهم بحاجة إلى الدقيق، بحاجة إلى الذرة، بحاجة إلى الحب، ومع ذلك أمرهم أن يناولوه الدواب.

فتعظيم ما يسمى بالتراث وما تدعو إليه منظمة اليونسكو من تعظيم التراث في كثير من أحيانه تعظيم للأصنام، هم ما يستطيع يقول للمسلم: عظم الأصنام، لكن يقول:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٩) و (٤٤٢٠)، ومسلم (٢٩٨٠).

هذا تراث، هؤلاء حضارة، هؤلاء كذا، وتدخل للشعب أموالا من السواح ونحو ذلك.

وإلا فبلادهم فيها من الخضرة أكثر من بلادنا، وشوارعهم متطورة أكثر من شوارعنا، لكن يأتون إلينا لإفسادنا، لهم طرق عجيبة لإفساد المسلمين، الاحتلال لإفساد المسلمين، حتى ما يسمى بالاستعمار هو كان لإفساد المسلمين عن دينهم.

يذكرون: أن قائد الحملة الفرنسية في الجزائر كان قد أصاب الناس جوع، فكان يقول لهم: من أراد الخبزة يأخذ الإنجيل، فكانوا يتركونه ويمضون للموت، يموتون على الإسلام، وهكذا هم، إنما خيبهم الله، فلما عجزوا عن إدخال الناس في دينهم الآن أفسدونا بالديمقراطيات، وأفسدونا بما يسمى بالتنمية.

إذا سمعت في الراديو يقولون: التنمية، التنمية، التنمية، فاعلم أن التنمية: جرجرة المجتمع إلى اختلاط الرجال بالنساء، وإلى الفساد والإفساد، هذا هو معنى التنمية، لا تصدقون معنى التنمية أنهم يبنون مصانع، أو ينشئون أماكن يستفيد منها الناس، ما ينشئون.

أغلب أعطيات الكفار للمسلمين تذهب في أمور ما من ورائها مصلحة كبيرة للإسلام والمسلمين، ليست بإنتاجية، قد يبنون بعض الأشياء التي ليست بإنتاجية، كم الآن تستلم الأمم المتحدة في كل شهر في كل سنة ربما عشرة مليار، خمسة مليار، ستة مليار، سبعة مليار، لتنمية اليمن، وفي الأخير يجمعون لنا مائتين واحد مع النسوان في تعز، ويقولون: طالب بالجواز الحر.

هذه الأيام معهم مظاهرة في تعز: نطالب بالجواز الحر، لا وصاية على الجواز، يعني يريدون المرأة تقطع جوازا لا يعلم زوجها، ولا يعلم أبوها، ولا يعلم أحد من

شأنها، وتأخذ الجواز وعلى المطار، أين تريد؟ سيفتحون لها، ما تحتاج إلى تأشيرة مثلنا، المستقيم لو أراد تأشيرة يتعب تعبا لا يعلمه إلا الله.

مرة كنت أريد أن أذهب إلى بلجيكا دعوة، قالوا: أول طلب: هذا ناقص كذا، ثاني طلب: هذا ما أدري أيش، في آخر المطاف الأخ الذي يريد أن يستقبلني أرسل لي بملزمة هكذا، ملزمة، فيها كل شي، أين سأسكن؟ وأين سأذهب؟ أين سأفعل؟ وكم المصروف؟ وكم كم؟ والفندق والطائرة، وكل شي، ملزمة ربما أربعين صفحة أو أكثر.

المهم: قالوا في الأخير: لا بد أن نرى هذا الرجل، ذهبت إلى السفارة، وصلوا: أين كذا؟ موجود، أين كذا؟ موجود، أين كذا؟ موجود، قالوا: خلاص نرد لك خبرا.

المهم خرجت من عندهم أنتظر الاتصال، أنتظر الاتصال، في الأخير اتصلت بهم قالوا: عفوا ما نستطيع.

قالوا: إذًا - الأخوة كانوا حريصين - نعمل لك تأشيرة عن طريق السفارة البلجيكية في الرياض، قلنا: أما هذه السفارة ربما يراني في المملكة يقول: هذا مبون، وأمره أحسن من أهل اليمن، المهم ذهبنا قدمنا الأوراق وإذا به: تيتي تيتي، مثلما رحتي جيتي، والله.

ما يريدون أهل الاستقامة أصلا، بينما لو في امرأة يرسلون له طائرة، هذاك رهف القانون لما هربت من السعودية إلى تايلاند أرسلوا لها طائرة خاصة من كندا، وجاء مبعوث أممي خاص لنقل هذه المرأة، وصلت عندهم، أكلت لها خنزيرا، وحملت لها بعض البنين في بطنها، وظنت أنها تهدم الإسلام، وظنوا أنها تهدم الإسلام.

والله ما هو إلا كما قال الله: ﴿ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٦] ، فالحمد لله الذي يخيبهم دائما.

بهذا نكون قد انتهينا مما يتعلق بكتاب عيادة المريض، والحمد لله رب العالمين، ويليه: كتاب آداب السفر من (رياض الصالحين).

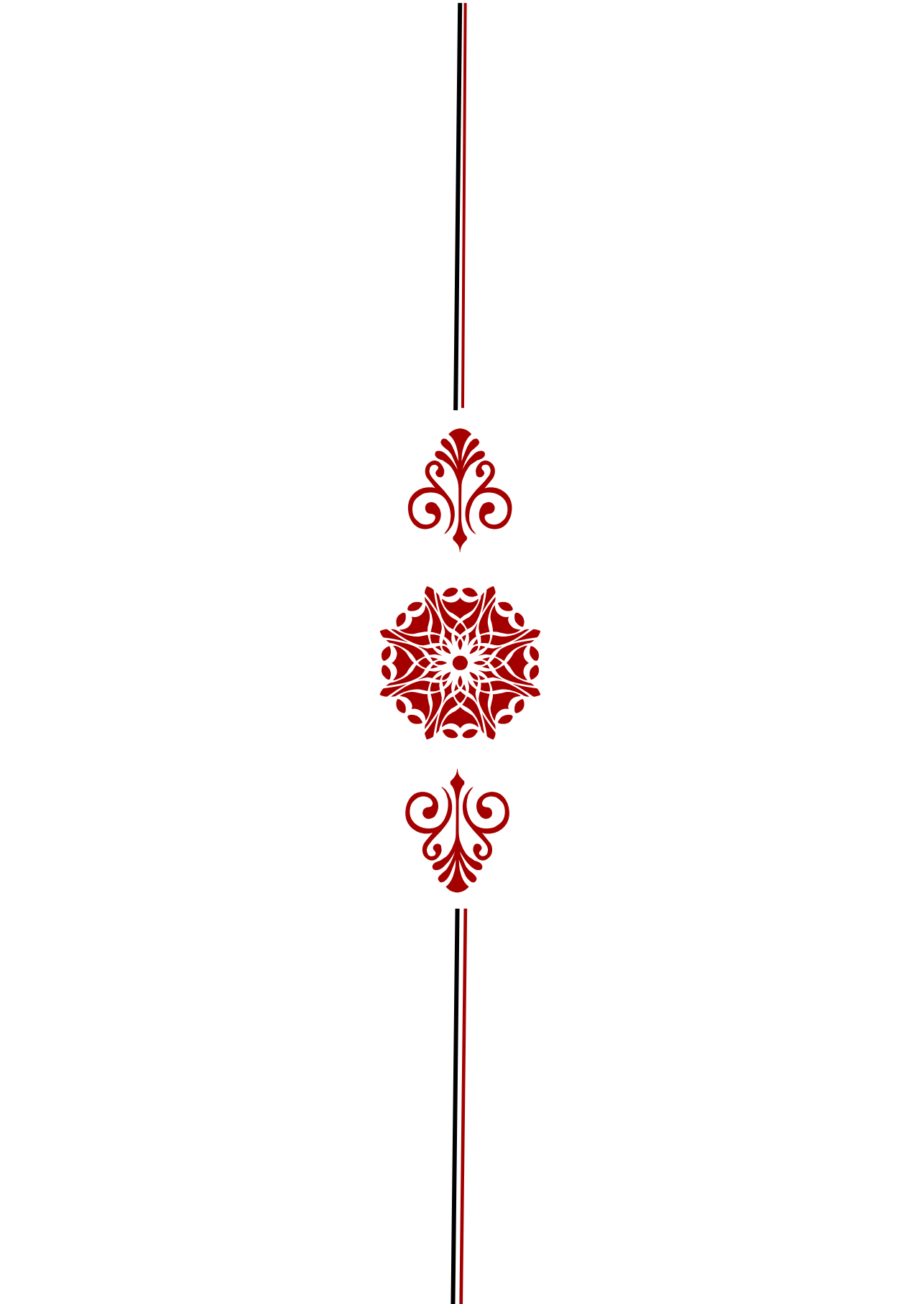

كتاب آداب السفر

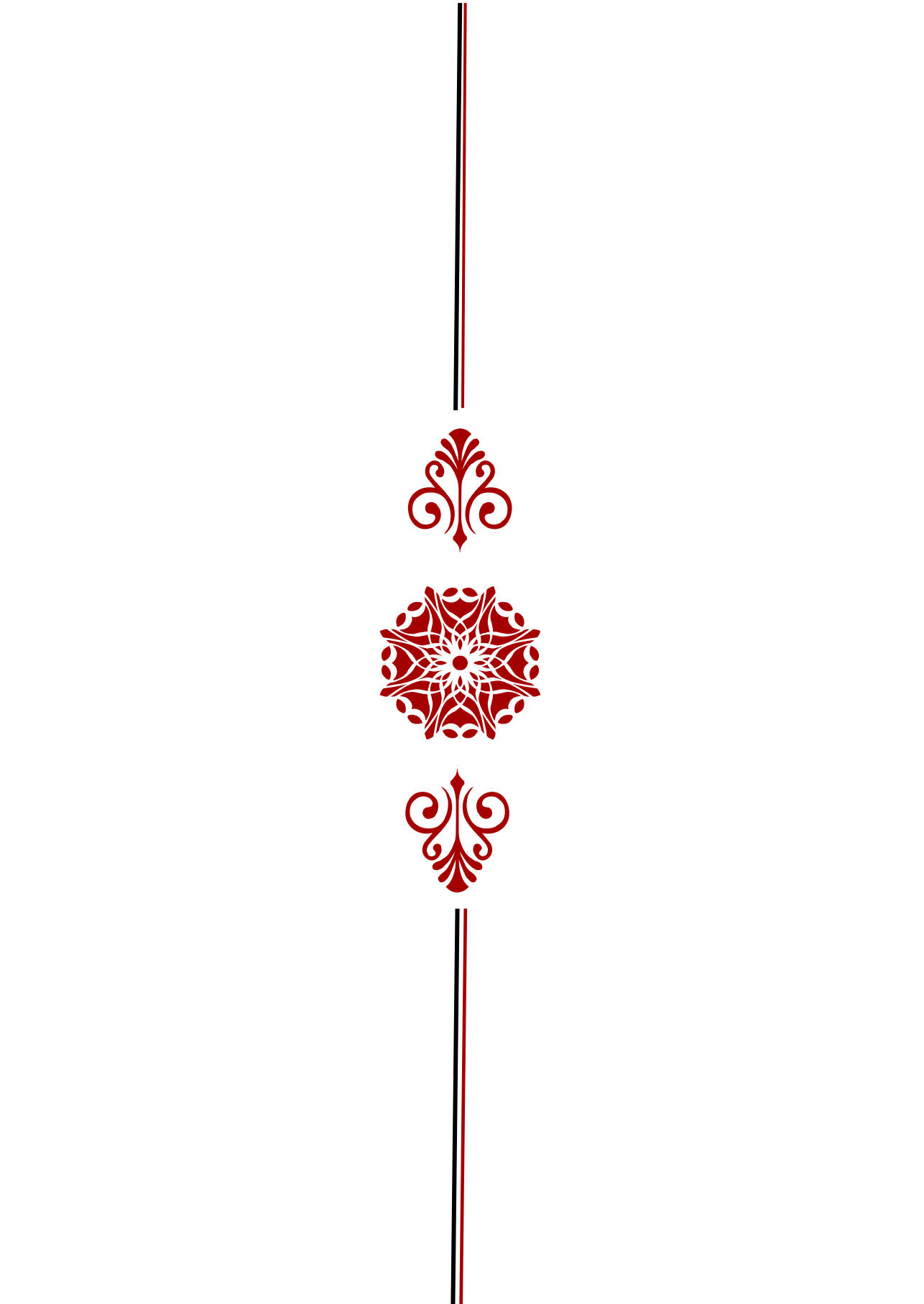

كتاب آداب السفر

وهو الكتاب الثامن من هذا السفر المبارك، وقد ألف شيخنا هنا المبارك أبو عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله كتابا قيما ماتعا في آداب السفر، أسماه: (ضياء السالكين في أحكام السفر والمسافرين)، قدم له شيخنا مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد رتب ذلك الكتاب على الأبواب الفقهية، بدءًا بالتوحيد وغير ذلك.

والسفر له أحكامه، سواء في باب العبادات، أو في باب المعاملات، أو في باب الآداب، وما سُمي السفر سفرا؛ إلا أنه يُسفر عن الرجال، كم من إنسان يكون على أحسن حال فإذا سافرت معه عرفته! ربما تجد ما عنده صبر، ما عنده سكينة، ما عنده ورع، ما عنده أمانة، ما عنده رجولة وشجاعة وشهامة، السفر يسفر عن الرجال.

والسفر فيه شدة، شدة في المركب، شدة في المطعم، شدة في المشرب، شدة في النوم، كثير من الأحكام تلحقه.

ولذلك جعل الله عَزَّوَجَلَّ فيه من الرخص ما ليس في الحضر، وأيم الله حين تنظر إلى عظيم هذه الرخص تعلم الحكمة العظيمة للرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الصلاة الرباعية تصليها ركعتين، الصلاة النافلة ليس عليك، التطوع المطلق مثل قيام الليل تصلي ولو على الراحلة، وهكذا كثير من الأمور، وهذا من رحمة الله بعباده، الصيام تفطر، تريد دينا تعطي رهنا إذا لم يكن ثمت كاتب.

١٦٦ - باب استحباب الخروج يوم الخميس، واستحبابه أول النهار

أي ليس على الوجوب وإنما على الاستحباب.

٩٥٦ - عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ خَرَجَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ يَوْمَ الخَمِيس، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الْخَميسِ. متفقٌ عَلَيْهِ(١).

وفي رواية في الصحيحين: لقَلَّمَا كَانَ رسولُ الله ﷺ يَخْرُجُ إِلاَّ فِي يَوْمِ الخَمِيسِ.

الشرح:

يعني ليس الخروج يوم الخميس عفوي، بل كان يحبه، والحديث قد تقدم بطوله في باب التوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

٩٥٧ - وعن صخر بن وَداعَةَ الغامِدِيِّ الصحابِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا»، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ. وَكَانَ صَخْرٌ تَاجِرًا، وَكَانَ يَبْعَثُ تِجَارَتَهُ أَوَّلَ النَّهَار، فَأَثْرَى وَكَثُرَ مَالُهُ. رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن(٢).

الشرح:

قوله: (اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا) فيه فضل البكور في كل شيء، ليس فقط في السفر، بارك لأمتي في بكورها في العلم، بارك لأمتي في بكورها في العمل، بارك لأمتي في بكورها في السفر، بارك لأمتي في بكورها في الحفظ، في كل شيء، وقت السحر وقت مبارك.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٩)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٠٦)، والترمذي (١٢١٢)، والحديث ثابت بشواهده، وهو مخرج في كتاب (المفاريد) لشيخنا يحيى حفظه الله.

وانظر إلى نفسك سافر الساعة التاسعة صباحا وسافر بعد صلاة الفجر، كم تجد من الفوارق! مع أن السيارة هي سيارة، والخط هو الخط، والحقيبة قد جُهزت من الليل، ما هناك فارق إلا أنك تأخرت ثلاث ساعات، تجد فرقا وشدة في التأخير.

وستجد يسرية وسهولة في التبكير؛ لقول النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا**»، الجو لطيف، والطريق سلس، والجسم نشيط، ويفتح الإنسان يومه بذكر الله.

المهم أنه وقت مبارك، حتى ذكروا عن بعض الصحابة: أنه كان يرقب الشمس، يخرج من المسجد يجلس يرقب الشمس، إذا طلعت دخل ينام، ما ينام قبل طلوع الشمس، وشاهده أيضا في الصحيح عن ابن مسعود أنه كان يقول للجارية: هل طلعت الشمس؟ قالت: لا، هل طلعت الشمس؟ قالت: له، والناس عندها ما حادثهم حتى طلعت الشمس، بعد أن طلعت الشمس قال: الحمد لله الذي أقالنا يومنا هذا، وأقبل عليهم، وقت مبارك.

ومما ذكره ابن القيم: أن الكلاب لماذا لا تتكاثر مثل ما تتكاثرة الغنم مع أن الكلاب تنتج أكثر ولا يُذبح منها؟ السبب أن الكلاب تسمر بالليل تنبح، وإذا كان الصباح نامت، فتعدم البركة، والغنم بالليل هادئة، وإذا كان جاء الصباح خرجت لطلب الرزق، فيبارك فيها.

(وَكَانَ صَخْرٌ تَاجِرًا، وَكَانَ يَبْعَثُ تِجَارَتَهُ أَوَّلَ النَّهَارِ) العمل بالعلم، إلا أن هناك سنة أخرى ستأتي: وأن الأرض تطوى بليل، إذا كنت ضاربا في السفر امش بالليل، أعمل لك ساعة، أعمل لك ساعتين، ستجد بركة في هذا الوقت.

خالد بن الوليد حين وجهه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أظن أو عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجهه أن يسير من العراق إلى الشام؛ لنصرة أبا عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في معركة اليرموك، سار في

خمس ليال، الآن بالسيارة من العراق إلى الأردن تحتاج أكثر من هذا الوقت، أو ربما تحتاج إلى هذا الوقت، وهذا سارها في خمس ليالي.

وقالوا: هو أول من قال: عند الصباح يحمد القوم السُّرى، وذلك أن رجلا قال له: إذا أصبحت وأنت عند شجرة كذا سلمت وسلم جيشك، وإذا أصبحت ولم تصل إلى الشجرة الله أعلم ما يكون من شأنك، فوصل إلى الشجرة مع الصباح.

فإذا كنت في سفر لا سيما مع الدعوة إذا كانت الارض أمانا بدل أن تُحدث الصباح سفرا وتصل وأنت متعب مرهق لا، اعمل لك بالليل، فإذا أردت الصباح أن تستريح، ويستريح جسمك، ويستريح مرافقوك، أمر حسن.

١٦٧ - باب استحباب طلب الرفقة وتأميرهم عَلَى أنفسهم واحدًا يطيعونه

٩٥٨ - عن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لَوْ أَنَّ النَّاسَ يَعْلَمُونَ مِنَ الوَحدَةِ مَا أَعْلَمُ مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ». رواه البخاري[١].

الشرح:

وفعلا الوحدة متعبة، حتى هذا الزمان لو انفجر بك كفر السيارة تحتاج إلى من يساعدك ويعينك، مع عدم الأمن تحتاج إلى من يؤنسك، والوحدة متعبة، ربما يستجري الإنسان مع الوساوس، والظنون والأوهام، وأشياء كثيرة، بينما الرفقة طيبة، الرفقة يعين بعضهم بعضا، ويؤنس بعضهم بعضا.

٩٥٩ - وعن عمرِو بن شُعَيْبٍ، عن أبيه، عن جَدِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ، وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ، وَالثَّلَاثَةُ رَكْبٌ». رواه أَبُو داود والترمذي والنسائي بأسانيد صحيحةٍ، وقال الترمذي: حديث حسن[٢].

الشرح:

(الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ) يعني: لما تسافر وحدك ربما يتسلط عليك الشيطان.

(وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ) يعني: ربما يقع بينهما سوء الظنون، وربما يتمالآن على المعصية، وربما يكثران من غير ذلك.

(وَالثَّلَاثَةُ رَكْبٌ) يقوم بعضهم بعضا، ويتعاون بعضهم مع بعض، ويصلح شأنهم.

---

(١) حديث رقم: (٢٩٩٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٠٧)، والترمذي (١٦٧٤)، والنسائي (٨٨٤٩).

٩٦٠ - وعن أَبي سعيد وأبي هُريرة رضي اللهُ تَعَالَى عنهما، قالا: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ» حديث حسن، رواه أَبُو داود بإسنادٍ حسن[1].

الشرح:

وبعضهم يطعن في هذا الحديث، وهو دليل على الإمارة في السفر، وليست بإمارة حضر بحيث يقال: خرج على الأمير، وإنما هي إمارة مقيدة، يعني تنضبط معها الأمور.

لكن لا يؤمروا امرأة؛ «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة».

ولا يؤمروا من كان شديدا في طبعه، يُتعب، يُضيق الصدر، مرة من المرات سافرنا مع واحد عمرة، الله يغفر لنا وله، قلنا: أنت أميرنا يا فلان، دخلنا من حرض قال: نوم، وصلنا نوم، قمنا قريب الظهر، مشينا إلى قريب القنفدة قال: نوم، يا أخي اتق الله نحن ذهبنا عمرة، ما ذهبنا ننام في الطرقات، قال: نوم بالأمر، رجعت أستشفع قلنا: خلاص قل لي: اجلس بدون نوم، أنا ما أريد أرقد، يعني أبات تحت البطانية من بعد العشاء إلى الفجر.

المهم ثلاثة أيام في الطريق، فقلنا: إن شاء الله إن جمعنا به سفر آخر ما يكون لنا أميرا.

الشاهد: أن الإنسان ينظر إلى أخاه، بعضهم يشدد، بعضهم يغضب، يعني يريد الطاعة العمياء، يا أخي «الطاعة في المعروف»، فانظروا إذا سافر أحدكم ينظر أخف الناس، أرق الناس، أخف الناس، ألين الناس؛ حتى يكون الشأن على سعة الصدر والسلامة، والله المستعان.

---

(١) حديث رقم: (٢٦٠٨).

٩٦١ - وعن ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ، وَخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعُمِائَةٍ، وَخَيْرُ الجُيُوشِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ، وَلَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلةٍ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن[1].

الشرح:

(خَيْرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ) يعني إذا كانوا أربعة يتعاونون على الخير، ويتذاكرون في الخير، أمر طيب.

(وَخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعُمِائَةٍ) يعني عدد جيش طيب.

(وَخَيْرُ الجُيُوشِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ) عدد لا بأس به، تُنصر بإذن الله.

(وَلَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلةٍ) ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة:٢٥] ، كانوا اثني عشر ألفا، ما غُلبوا عن قلة، وإنما غلبوا بسبب العجب، ﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة:٢٥] .

وإلا فالقادسية فتحها سعد بن أبي وقاص بسبعة آلاف، معركة القادسية من أعظم المعارك التي كانت بين الفرس وبين أهل الإسلام، فتحوها في سبعة آلاف نفر، ونزل رستم بأكثر من ستين ألف، معه الفيلة، آذت المسلمين، ونفرت الخيل، حتى قدم لها شجعان الصحابة، فسملوا أعينها، وهزموها.

الصحابة رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وأصحاب الفتوحات كم فتحوا من البلدان بأعداد أقل من هذا العدد! اليرموك قدم الروم بمائتين وأربعين ألف، قُتل منهم في يوم المعركة مائة وأربعون ألفا، مائة وأربعون ألفا في يوم واحد، هذا في أرض المعركة، وبعد ذلك لاحقوهم لاحقوهم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦١١)، والترمذي (١٥٥٥)، معل بالإرسال، وهو في (أحاديث معلة) لشيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ.

لماذا اغتاض النصارى واغتاظ الكفار من المسلمين؟ لأن المسلمين إذا اتحدوا قوة لا تقهر، والله لا عاد يخافوا لا من طائرات ولا دبابات، ولا نووي ولا هدروجيني، ولا مغناطيسي، المسلم إذا تمسك بالدين الحق والله ما عاد يتهيب من أحد إلا من الله.

لكن الآن تعلقت قلوبنا بالدنيا، فأصبحنا نتهيب من الوساوس، نسأل الله السلامة والعافية، الحق حين تقرأ سيرة القوم وتقرأ تاريخ القوم تجد العجب العجاب، من نصرة الله لهم، من شجاعتهم، من بسالتهم، من محبتهم للخير، من تفانيهم، من صبرهم.

أنت الآن تضعف عن نصرة الدين بصبر داخل مسجد، بصبر خروج دعوة إلى منطقة فلان في سيارة مكيفة، بصبر في تأليف كتاب وتحقيق كتاب، وأولئك يسافرون من بلد إلى بلد على الأقدام والسيوف، وتطاير الرؤوس، تصور لو واحد يمزح معك بجنبية كيف تكون؟ يمزح هكذا أمامك وأنت تهرب منها هربا.

وذاك يدخل المعركة والسيوف تتطاير، في يوم مؤتة خالد بن الوليد يكسر تسعة سيوف، يعني من شدة الضربة ينكسر السيف، سواء من ضربته أو من ضربة الرومي، ينكسر السيف، ولم يبق في يده إلا صحيفة يمانية، لكن صحيفة في يد صاحبها.

قال بعض الأخوة: ماذا تفعل الصحيفة؟ قلنا: تهد رأس الكافر، وإن لم تكن ذات حد لكن تهد رأس الكافر، ربما تكسر ظهره، والعمود الفقري، وإذا وقعت في الرأس تخرج الدماء، والمثل العربي يقول: السيف بضرابه، السيف بالذي يضرب به.

ولذلك قال النبي ﷺ: «**كفى ببارقة السيوف على رؤوسهم فتنة**»، مصيبة عند أن ترى السيف يلمع أمام عينك، وربما خرق بطنك، لكن سبحان الله! قوم من ذوي الجلد، كان تهابهم الملوك، بعض الملوك عنده عنجهية، إذا رأى العربي المسلم

يتصاغره ويسخر منه، لكن الذين قد جربوهم في الميدان يقولون له: ليس الأمر كما تقول أيها الملك.

يقولون: بأن رستم طلب من كسرى ألا يقاتل العرب، بل عرض الإسلام قال لهم: ادخلوا في الإسلام، ثم قاتل حتى قُتل مع ما معه من الجيش، لأنه قال لهم: هؤلاء قوم ما ستنتصرون عليهم، كانوا يعتبرون إهانة الملك الكافر لهم بداية نصر، لما حملهم كسرى التراب قال: من أميركم؟ أو: من أعلاكم منزلة؟ قال واحد: أنا، فأخذ التراب فوق ظهره وجري.

دخل رستم على كسرى، وقال له كسرى: لقد فعلت بهم كذا وكذا، وجئت بالتراب، فقام أميرهم وحمله، قال: ما هو بأمير لهم، ولكنهم قوم يفدي بعضهم بعضا، وهذا التراب الذي أعطيتهم تسليم الملك لهم، فإن استطعت أن تستنقذه منهم فاستنقذه، هم جعلوه فألا حسنا، الصحابة جعلوه فألا حسنا: أن الملك سُلِّم إليهم، فانطلق يجري به، والملك أرسل بعده الجنود يأتوا به، ولكن انطلاقة الأسد الضرغام وراء فريسته.

فوصل وفرش البساط لسعد بن أبي وقاص، وقال: أتيتك بالفرس، وفعلا ما هي إلا مصاولة ومجاولة وذهبت الليالي والأيام وفتحت فارس.

لماذا الآن إيران قائمة على البلاد الإسلامية؟ من شدة ما قد وقع لهم من المسلمين، هم يقرؤون القادسية، ونهاوند، فتح تستر، فتح كذا، فتح كذا، هذا كله عندهم، كما أن الكفار في أوروبا أنت لا تظن أنهم في غفلة، مَكْرُون وفلان وفلان تظن أنهم أصحاب غفلة، هم يعلمونهم أن هناك وقائع قد حصلت.

لماذا فرنسا وألمانيا وإنجلترا من أشد البلاد بغضا للمسلمين؟ لأن الذي قد فعله المسلمون فيهم ليس باليسير، الجيش الألماني حين دخل إلى الشام لم يرجع بشيء،

لا ملك ولا أحد، قلب الأسد رجع من الشام بلا شيء، ضاع في الطريق، حتى رجع من فِينَّا، وتنقل وتنقل حتى وصل.

وهكذا فرنسا قد أتاها ما لم يأتِ أحد، فلذلكم يمكرون بالإسلام؛ للتاريخ الذي قد جاءهم من قبل، فهم يعلمون أن المسلمين إذا توحدوا أهانوهم وأذلوهم، ولم يقبلوا منهم إلا ثلاثة، اثنتان فيهما سلامة، وواحدة فيهم العطب، الأولى: الإسلام، الثاني: الجزية، الثالث: القتال.

وسيأتي اليوم الذي يُنصر فيه أهل الإسلام، سيأتي اليوم، والله سيأتي اليوم الذي يشفي الله عَزَّوَجَلَّ صدور قوم مؤمنين، لكن علينا الآن نحن أن نقبل على العلم، ونقبل على إصلاح شأننا مع ربنا، ومع سنة نبينا ﷺ، ومع المسلمين بدعوتهم إلى الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومع الدعاء أن يكفينا الله شر الكافرين والملحدين، والزنادقة والمنافقين، والله عَزَّوَجَلَّ غيور على دينه.

والله ما عندنا شك ولا مخالجة أن الإسلام سيُنصر ويعلى كما أننا نعلم أن قبل الليلة البارحة، ما عندنا شك، لكن نحتاج نصبر، التقصير حاصل فينا، وإلا فقد ملك المسلمون بلاد الشرق والغرب، وما لحقتهم من هزيمة إلا بسبب ضعف الطاعة، ضعف المتابعة، ضعف الاستجابة، المعاصي ما تأتي بخير أبدا، المعاصي لا تأتي بخير، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة:٢٠] .

١٦٨ - باب آداب السيروالنزول والمبيت والنوم في السفر، واستحباب السُّرى، والرفق بالدواب، ومراعاة مصلحتها، وأمر من قصّر في حقها بالقيام بحقها، وجواز الإرداف عَلَى الدابة إِذَا كانت تطيق ذلك

(السُّرَى): المشي بالليل، عند الصباح يحمد القوم السرى، يقولون: أول من قالها خالد بن الوليد عندما ذهب لغزوة اليرموك؛ لأنه قطع ما بين العراق إلى الأردن في خمسة أيام، بدون سيارات، بدون طائرات، بدون شيء.

وقال له بعض الناس: إذا أصبحت الصباح وأنت عند شجرة كذا نجوت ونجا جيشك، وإذا لم تكن عندها هلكت وهلك جيشك؛ لأنه سلك طريقا غير مسلوكة، فأصبح عند الشجرة، فقال تلك الكلمة: عند الصباح يحمد القوم السرى.

(والرفق بالدواب) وهكذا السيارات لا بد أن تنتبه لها وتنتبه لما يصلحها.

(وجواز الإرداف عَلَى الدابة إِذَا كانت تطيق ذلك) بهذا القيد.

٩٦٢ - عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا سَافَرْتُمْ فِي الخِصْبِ فَأَعْطُوا الإِبلَ حَظَّهَا مِنَ الأَرْضِ، وَإِذَا سَافَرْتُمْ فِي الجَدْبِ فَأَسْرِعُوا عَلَيْهَا السَّيْرَ، وَبَادِرُوا بِهَا نِقْيَهَا، وَإِذَا عَرَّسْتُمْ فَاجْتَنِبُوا الطَّرِيقَ؛ فَإِنَّهَا طُرُقُ الدَّوَابِّ، وَمَأْوَى الهَوَامِّ بِاللَّيْلِ». رواه مسلم[1].

مَعنَى (أَعْطُوا الإِبِلَ حَظَّهَا مِنَ الأَرْضِ) أَيْ: ارْفُقُوا بِهَا فِي السَّيْرِ لِتَرْعَى فِي حَالِ سَيرِهَا.

وَقوله: (نِقْيَهَا) هُوَ بكسر النون وإسكان القاف وبالياءِ المثناة من تَحْت وَهُوَ: المُخُّ، معناه: أَسْرِعُوا بِهَا حَتَّى تَصِلُوا المَقصِدَ قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ مُخُّهَا مِنْ ضَنْك السَّيْرِ.

وَ(التَّعْرِيسُ): النُزولُ فِي اللَّيلِ.

---

(١) حديث رقم: (١٩٢٦).

الشرح:

يعني: إذا سافرتم في الأرض الخصبة الأرض التي فيها مرعى اجعل دابتك ترعى فيها، تأخذ حظها؛ لأنها ستفيدك في الطريق، وإذا سافرتم في الجدب فأسرع؛ حتى لا تبقى الدابة مع الجوع، ومع مشقة السفر، ربما يطول عليها.

(وَبَادِرُوا بِهَا نِقْيَهَا) يعني: المخ قبل أن يذهب من أرجلها، بادروا بالوصول.

(وَإِذَا عَرَّسْتُمْ) أي: بالليل **(فَاجْتَنِبُوا الطَّرِيقَ)**: لا تنم في الطريق.

(فَإِنَّهَا طُرُقُ الدَّوَابِّ، وَمَأْوَى الهَوَامِّ بِاللَّيْلِ) ربما تأتيك سيارة تأخذك، أو ربما ثعبان يمشي في الطريق المسلوكة يأتي عليك، وهكذا.

ومن هذا يؤخذ حتى السيارات الآن، إذا مررت بمحطة عب بترول، لا تقل: قدام، ربما تصل منطقة ما فيها بترول، لا سيما في هذا البلد المسكين، هذا البلد الذي يُتفنن في تعذيبه والتضييق عليه، نسأل الله أن يُفرج عنا في الدنيا والآخرة.

٩٦٣ - وعن أَبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ، فَعَرَّسَ بِلَيْلٍ اضْطَجَعَ عَلَى يَمِينِهِ، وَإِذَا عَرَّسَ قُبَيلَ الصُّبْحِ نَصَبَ ذِرَاعَهُ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى كَفِّهِ. رواه مسلم[1].

قَالَ العلماءُ: إِنَّمَا نَصَبَ ذِرَاعَهُ لِئَلاَّ يَسْتَغْرِقَ فِي النَّومِ، فَتَفُوتَ صَلَاةُ الصُّبْحِ عَنْ وَقْتِهَا أَوْ عَنْ أَوَّلِ وَقْتِهَا.

الشرح:

لأنه في أول الليل ينام ويرتاح، وفي آخر الليل يخشى فوات الفجر، فلذلك ينام نومة خفيفة، وهذا فقه دقيق إذا كان الوقت طويلا لنومك وسع لنفسك، وهيئ

(١) حديث رقم: (٦٨٣).

الفراش الوافر، وقرب الدفاء؛ لأن الليل طويل، أما إذا كان الوقت يسيرا ربما تفوتك صلاة الفجر نم حتى مكشوفا، أو ارفع الوسادة، أو نم جالسا، أو نحو ذلك.

٩٦٤ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ، فَإِنَّ الأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ». رواه أَبُو داود بإسناد حسن[1].

(الدُّلْجَةُ): السَّيْرُ فِي اللَّيْلِ.

الشرح:

وفعلًا، لا سيما لمن يكثر سفره، ربما ينزل في منطقة ويحتاج اليوم الثاني إلى الذهاب إلى منطقة، يقضي حاجته، لا سيما الدعاة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ثم يتحرك إن كانت الدنيا أمن وأمان يتحرك إلى المنطقة التي يكون فيها، فيوفر على نفسه، ويرتاح الصباح، ويهيئ نفسه، أما إذا انتظر إلى الصباح يحدث سفرا ما سيصل إلا الظهر ما يجد له راحة.

٩٦٥ - وعن أَبِي ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلًا تَفَرَّقُوا فِي الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ. فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هذِهِ الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ»، فَلَمْ يَنْزِلُوا بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلًا إِلاَّ انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ. رواه أَبُو داود بإسناد حسن[2].

الشرح:

أبو ثعلبة الخشني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: جرثوم.

---

(١) حديث رقم: (٢٥٧١)، وهو صحيح.

(٢) حديث رقم: (٢٦٢٨).

هذا من آداب السير، أنك لا تتفرق عن إخوانك وعن أصحابك، كونوا مجتمعين، حتى في أكلكم، في شربكم، في نومكم، في جميع شأنكم، وما يبقى يبحث عنك وأنت تبحث عنه.

٩٦٦ - وعن سهل بن عمرو - وقيل: سهل بن الربيع بن عمرو الأنصاري المعروف بابن الحنظليَّة، وَهُوَ من أهل بيعة الرِّضْوَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ رسولُ الله ﷺ بِبَعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ، فَقَالَ: «اتَّقُوا الله في هذِهِ البَهَائِمِ المُعجَمَةِ، فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً، وَكُلُوهَا صَالِحَةً». رواه أَبُو داود بإسناد صحيح[1].

الشرح:

فيه: الرفق بالحيوان، وهذا دليل على عظمة دين الإسلام، إذا كان يرفق بالحيوان فمن باب أولى أنه يرفق بالإنسان.

٩٦٧ - وعن أَبي جعفر عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أردفني رسولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ، وَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لا أُحَدِّثُ بِهِ أحدًا مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رسولُ الله ﷺ لِحاجَتِهِ هَدَفٌ أَوْ حَائِشُ نَخْلٍ. يَعنِي: حَائِطَ نَخْلٍ. رواه مسلم هكَذَا مُختصرًا[2].

وزادَ فِيهِ البَرْقاني بإسناد مسلم - بعد قَوْله: حَائِشُ نَخْلٍ -: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الأنْصَارِ، فَإذا فِيهِ جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأى رَسولَ الله ﷺ جَرْجَرَ وذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبيُّ ﷺ فَمَسَحَ سَرَاتَهُ - أيْ: سِنَامَهُ - وَذِفْرَاهُ فَسَكَنَ، فَقَالَ: «مَنْ رَبُّ هَذَا الجَمَلِ؟ لِمَنْ هَذَا الجَمَلُ؟» فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأنْصَارِ، فَقَالَ: هَذَا لِي يَا رسولَ الله. قَالَ:

---

(١) حديث رقم: (٢٥٤٨).

(٢) حديث رقم: (٣٤٢).

«أَفَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هذِهِ البَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا؟ فَإِنَّهُ يَشْكُو إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وتُدْئِبُهُ». رواه أَبُو داود[1] كرواية البرقاني.

قَوْله (ذِفْرَاهُ): هُوَ بكسر الذال المعجمة وإسكان الفاءِ، وَهُوَ لفظ مفرد مؤنث.

قَالَ أهل اللغة: الذِّفْرى: الموضع الَّذِي يَعْرَقُ مِن البَعِيرِ خَلف الأُذُنِ.

وَقوله: (تُدْئِبهُ) أيْ: تتعِبه.

الشرح:

الشاهد: منه الإرداف خلف النبي ﷺ على الدابة إذا كانت تطيق ذلك.

وفيه: أن الإنسان إذا قضى حاجته ينظر مكانا مستترا؛ حتى لا يراه الناس، فإن هذا من المذموم، «**كان لا يستتر من بوله**»، وهذا من أسباب عذاب القبر، وينظر المكان الأشد سترا، كان النبي ﷺ يستتر بحائش نخل؛ لأن الأشجار تكون متجمعة، فلا يراه أحد.

(مَنْ رَبُّ هَذَا الجَمَلِ؟ لِمَنْ هَذَا الجَمَلُ؟) دليل على أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب إلا ما علمه الله وأطلعه عليه.

الشاهد من الحديث: الرفق بالحيوان في مأكلها ومطعمها ومشربها، وركوبها.

وفيه: رحمة النبي ﷺ.

وفيه: دلائل من دلائل نبوته ﷺ، حتى البعير جاء إليه يشكو.

---

(١) حديث رقم: (٢٥٤٩).

٩٦٨ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا إِذَا نَزَلْنَا مَنْزِلًا، لَا نُسَبِّحُ حَتَّى نَحُلَّ الرِّحَال. رواه أَبُو داود بإسناد عَلَى شرط مسلم[1].

وَقَوْلُه: (لا نُسَبِّحُ): أيْ لَا نُصَلِّي النَّافِلَةَ، ومعناه: أنَّا - مَعَ حِرْصِنَا عَلَى الصَّلَاةِ - لا نُقَدِّمُهَا عَلَى حَطِّ الرِّحَالِ وَإِرَاحَةِ الدَّوَابِّ.

الشرح:

أي لا يصلون الضحى حتى يحلون الرحال، أي: يُنزلون الأحمال من على الأبعرة؛ حتى لا يشق عليها الحمل مع الوقوف.

(١) حديث رقم: (٢٥٥١).

١٦٩ - باب إعانة الرفيق

في الباب أحاديث كثيرة تقدمت كحديث:

«وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»[١].

وحديث: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَة»[٢] وأشْبَاهِهِما.

الشرح:

(وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ) حديث أبي هريرة، تقدم، وهو لفظ عام، سواء في السفر أو في غير السفر.

(كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَة) حديث أبي هريرة أيضا، صحيح، وجاء عن جابر وجاء عن حذيفة.

٩٦٩ - وعن أَبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلُ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ»، فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ مَا ذَكَرَهُ، حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ. رواه مسلم[٣].

الشرح:

الإعانة تجب في كل المواطن، إعانة المسلم، «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله»، لكن في السفر يتعين أكثر؛ لأن المسافر قد يحتاج إلى إعانة؛ لقلة ماله، لإرهاقه، لمرضه، لنحو ذلك.

---

(١) انظر الحديث (٢٤٥).

(٢) انظر الحديث (١٣٤).

(٣) انظر الحديث (٥٦٥).

فهنا يأمر النبي ﷺ: (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ): أي: زيادة، (ظَهْرٍ): مركب (فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ).

(وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلُ زَادٍ): زيادة في الطعام على حاجته.

(حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ) يعني أن الزيادة تصرف في أوجه الخير، ولا تبقى مدخرة في غير ذلك.

٩٧٠ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ: أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَغْزُوَ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، إِنَّ مِنْ إِخْوَانِكُمْ قَوْمًا لَيْسَ لَهُمْ مَالٌ وَلَا عَشِيرَةٌ، فَلْيَضُمَّ أَحَدُكُمْ إِلَيْهِ الرَّجُلَيْنِ أَوِ الثَّلَاثَةَ، فَمَا لأَحَدِنَا مِنْ ظَهْرٍ يَحْمِلُهُ إِلاَّ عُقْبَةٌ كَعُقْبَتِهِ»، يَعْنِي أَحَدَهُمْ، قَالَ: فَضَمَمْتُ إِلَيَّ اثْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً مَا لِي إِلاَّ عُقْبَةٌ كَعقبة أَحَدِهِمْ مِنْ جَمَلِي. رواه أَبُو داود[1].

الشرح:

(يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ) ونادى المهاجرين والأنصار؛ لشدة اتباعهم وطاعتهم لرسول الله ﷺ، وبدأ بالمهاجرين؛ لأنهم قد ذاقوا القلة، والذي قد ذاق القلة ربما يكون أرحم من غيره.

(فَلْيَضُمَّ أَحَدُكُمْ إِلَيْهِ الرَّجُلَيْنِ أَوِ الثَّلَاثَةَ) يحسن إليهم، ويطعمهم، ويرفق بهم، ويؤنسهم، ويحملهم في سيارته إن كان له سيارة، أو بعيره، أو نحو ذلك.

(فَمَا لأَحَدِنَا مِنْ ظَهْرٍ يَحْمِلُهُ إِلاَّ عُقْبَةٌ كَعُقْبَتِهِ) يعني: النبي ﷺ يقول: لهم حظ في مركوبنا كما لنا حظ، ولذلك كان النبي ﷺ في غزوة يعتقب مع أبي لبابة ومع علي بن أبي طالب، يركبون تارة ويركب تارة، فقالوا: يا رسول الله اركب أنت ونحن نمشي، قال: «ما أنتما بأقوى مني، وما أنا بأزهد في الخير منكما».

---

(١) حديث رقم: (٢٥٣٤).

٩٧١ - وعنه، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ يَتَخَلَّفُ في المَسير، فَيُزْجِي الضَّعِيف، وَيُرْدِفُ وَيَدْعُو لَهُ. رواه أَبُو داود بإسناد حسن[1].

الشرح:

وهذا خلق حسن أن الأمير يكون في أخريات القوم؛ حتى ينتبه للضعيف وللمسكين، ولا يفوتهم ويتركهم.

(١) حديث رقم: (٢٦٣٩).

١٧٠ - باب مَا يقول إذا ركب دَابَّة للسفر

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الزخرف:١٢-١٤].

الشرح:

أدعية السفر من المهمات، قد يصرف الله عَزَّوَجَلَّ عنك كثيرا من الشرور بسبب هذه الأدعية.

(﴿لِتَسْتَوُۥا﴾) أي: تعلوا.

فظاهر القرآن يدل على تعيين هذا الذكر، وأيضا سنة النبي ﷺ دالة عليه.

٩٧٢ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسول الله ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ كَبَّرَ ثَلاثًا، ثُمَّ قَالَ: «﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الزخرف:١٣-١٤]، **اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالأَهْلِ وَالوَلَدِ».**

وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ، وَزَادَ فِيهِنَّ: «آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ». رواه مسلم[1].

---

(١) حديث رقم: (١٣٤٢).

مَعْنَى (مُقْرِنِينَ): مُطِيقِينَ، وَ(الوَعْثَاءُ) بفتحِ الواوِ وَإسكان العين المهملة وبالثاء المثلثة وبالمد وَهِيَ: الشِّدَّةُ، وَ(الكَآبَةُ) بِالمَدِّ، وَهِيَ: تَغَيُّرُ النَّفْسِ مِنْ حُزْنٍ وَنَحْوِهِ، وَ(المُنْقَلَبُ): المَرْجِعُ.

الشرح:

(كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ) أي لا يلزم قول هذا الدعاء في السفر القريب للمكان القريب، وإذا قاله أمر حسن، يكبر، ويقول: سبحان الذي سخر لنا هذا، الحديث، لكن هذا يتعين في السفر الذي هو سفر في العرف.

(كَبَّرَ ثَلاثًا): الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

(ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا) في حديث علي: «الحمد لله»، واللفظ متقارب.

(وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) أي: لم نكن حاصلين عليه إلا بتسخير الله عَزَّوَجَلَّ له، وتوفيق الله لذلك.

(وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) أي بالموت.

(اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى) البر: أعمال الخير، والتقوى: البعد عن أعمال الشر، هذا إذا اجتمعا، أما إذا افترقا فكل يدل على معنى الآخر.

(وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى) أي في هذا السفر وفي غيره.

(اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا) أي: خفف أتعابه، وقرب بعيده.

(وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ) فإذا أراد الله عَزَّوَجَلَّ وخفف قد لا تشعر بطول السفر.

(اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ) ليس من أسماء الله الصاحب؛ لأنه مقيد بالسفر.

(وَالْخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ) أيضا ليس من أسمائه الخليفة؛ لأنه مقيد بالسفر، فأسماء الله الحسنى مطلقة لا مقيدة.

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ): شدة السفر، وما يلحق الإنسان فيه من نحو ذلك.

(وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ) تغير النفس من حزن ونحوه.

(وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ): المرجع.

(فِي الْمَالِ وَالأَهْلِ وَالوَلَدِ) أي: لا يلحقه نقص في هذا السفر فيرجع وأهله على أحسن حال.

(آيِبُونَ) أي: راجعون إلى ديارنا، وإلى ربنا.

(تَائِبُونَ) من ذنوبنا، (عَابِدُونَ) لربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(لِرَبِّنَا حَامِدُونَ): شاكرون، مثنون عليه بنعمه الكثيرة، وآلائه الغزيرة.

٩٧٣ - وعن عبد الله بن سَرجِسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الكَوْنِ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الأَهْلِ وَالمَالِ. رواه مسلم[1].

هكذا هُوَ في صحيح مسلم: (الحَوْر بَعْدَ الكَوْنِ) بالنون، وكذا رواه الترمذي والنسائي، قَالَ الترمذي: وَيُرْوَى (الكَوْرُ) بالراءِ، وَكِلاهما لَهُ وجه.

قَالَ العلماءُ: ومعناه بالنون والراءِ جَميعًا: الرُّجُوعُ مِنَ الاسْتِقَامَةِ أَوِ الزِّيَادَةِ إِلَى النَّقْصِ، قالوا: ورِوايةُ الرَّاءِ مَأْخُوذَةٌ مِنْ تَكْوِيرِ العِمَامَة وَهُوَ لَفُّهَا وَجَمْعُهَا، ورواية النون، مِنَ الكَوْنِ، مَصْدَرُ كَانَ يَكُونُ كَونًا: إِذَا وُجِدَ وَاسْتَقَرَّ.

الشرح:

(وَالْحَوْرِ بَعْدَ الكَوْنِ) في نسخة: «الكور»، وهي بمعنى واحد، يعني: الرجوع إلى الوراء بعد الاستقامة، يعني: الانحراف بعد الاستقامة.

---

(١) حديث رقم: (١٣٤٣).

(وَدَعْوَةِ المَظْلُومِ)؛ لأن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، كما في حديث معاذ.

(وَسُوءِ المَنْظَرِ فِي الأَهْلِ وَالمَالِ) بسبب الحوادث، وما يلحق ذلك يدعو، بسلامة الأهل، وبسلامة النفس، وبسلامة المال.

٩٧٤ - وعن عَلِي بن ربيعة، قَالَ: شهدت عليَّ بن أَبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُتِيَ بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ، قَالَ: بِسْمِ اللهِ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهَا، قَالَ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، ثُمَّ قَالَ: الحمْدُ للهِ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، ثُمَّ ضَحِكَ، فَقِيلَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟ قَالَ: رَأَيتُ النبيَّ ﷺ فَعَلَ كَمَا فَعَلْتُ ثُمَّ ضَحِكَ، فقُلْتُ: يَا رسول اللهِ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟ قَالَ: «إِنَّ رَبَّكَ تَعَالَى يَعْجَبُ مِنْ عَبدِهِ إِذَا قَالَ: اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن، وفي بعض النسخ: حسن صحيح. وهذا لفظ أَبي داود[1].

الشرح:

(شهدت عليَّ بن أَبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُتِيَ بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا) وكان أميرا.

(فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ) أي: ليصعد على الدابة، وهذا يكون مربوطا بالسرج، بحيث يسهل عليك الصعود.

(ثُمَّ قَالَ: الحمْدُ للهِ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ) أي كررها.

(ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ) كررها.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٠٢)، والترمذي (٣٤٤٦).

(مِنْ أيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟) هذا من التسلسل في الحديث، الحديث مسلسل بالضحك.

(إنَّ رَبَّكَ تَعَالَى يَعْجَبُ) فيه إثبات صفة العجب لله عَزَّوَجَلَّ، على ما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه.

(يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي) هذا دليل على أنه لا يجوز طلب المغفرة من أحد غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا من ولي، ولا من نبي، ولا من رسول، والله المستعان.

١٧١ - باب تكبير المسافر إذَا صعد الثنايا وشبهها، وتسبيحه إذَا هبط الأودية ونحوها، والنهي عن المبالغة برفع الصوتِ بالتكبير ونحوه

قيل في معنى ذلك: لأن الهبوط يدل على السفل، والله منزه عن السفل، فتقول: سبحان الله.

وقيل: لأن المكان الهابط ربما يكون فيه شدة وضيقة، وذو النون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما وقع في الشدة والضيقة قال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧] ، هذا الوجه الأخير ذكر الحافظ ابن حجر، وذلك الوجه مشهور.

(والنهي عن المبالغة برفع الصوتِ)؛ لأن رفع الصوت سيؤدي إلى ذهابه، وسيؤدي إلى الملال.

٩٧٥ - عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا. رواه البخاري[1].

الشرح:

قيل في التكبير: حتى أن الإنسان مهما علا يشعر أنه ليس بشيء، إنما الله عَزَّوَجَلَّ هو الكبير العظيم الواسع، وإذا نزل كذلك ينزه الله عَزَّوَجَلَّ عن السفل، وعن المعنى الذي ذكرته عن الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) حديث رقم: (٢٩٩٣).

٩٧٦ - وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبيُّ ﷺ وجيُوشُهُ إِذَا عَلَوا الثَّنَايَا كَبَّرُوا، وَإِذَا هَبَطُوا سَبَّحُوا. رواه أَبُو داود بإسناد صحيح[(١)].

٩٧٧ - وعنه، قَالَ: كَانَ النَّبي ﷺ إِذَا قَفَلَ مِنَ الحَجِّ أَوْ العُمْرَةِ كُلَّمَا أَوْفَى عَلَى ثَنِيَّةٍ أَوْ فَدْفَدٍ كَبَّرَ ثَلاثًا، ثُمَّ قَالَ: «لَا إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، سَاجِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ». متفقٌ عَلَيْهِ[(٢)].

وفي رواية لمسلم: إِذَا قَفَلَ مِنَ الجيُوشِ أَو السَّرَايَا أَو الحَجِّ أَو العُمْرَةِ.

قَوْلهُ: (أَوْفَى) أَيْ: ارْتَفَعَ، وَقَوْلُه: (فَدْفَدٍ) هُوَ بفتح الفائَينِ بينهما دال مهملة ساكِنة، وَآخِره دال أخرى وَهُوَ: الغَليظُ المُرْتَفِعُ مِنَ الأرضِ.

الشرح:

الثنية: المكان المرتفع، والفدفد: الغليظ المرتفع.

هذا النوع من التهليل كان يقوله أيضا ﷺ في حجه وعمرته؛ لعظيم فضله وبركته، إذ أنه يُشعر بالتوبة، ويشعر بالعبادة، والمحافظة على السجود، والحمد، وهكذا الإخبار بصدق الله عَزَّوَجَلَّ لوعده، وبنصر الله لعبده، وبهزيمة الله للأحزاب جميعها، وهذا يُشعر بأن المسلم قوي بتقوية الله له، معان بعون الله له، منصور بنصر الله له، مخذول بخذلان الله له، ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٢٦].

---

(١) حديث رقم: (٢٥٩٩)، يقول المحقق: هذه الرواية شاذة؛ لأن الثابت عن ابن عمر: أن النبي ﷺ كان يقول إذا صعد على بعيره: «الله أكبر، سبحان الذي سخر لنا هذا» الحديث.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٨٥)، ومسلم (١٣٤٤).

٩٧٨ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رجلًا قَالَ: يَا رسول الله، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُسَافِرَ فَأَوْصِنِي، قَالَ: «عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ، وَالتَّكْبِيرِ عَلَى كلِّ شَرَفٍ»، فَلَمَّا وَلَّى الرَّجُلُ قَالَ: «اللَّهُمَّ اطْوِ لَهُ البُعْدَ، وَهَوِّنْ عَلَيْهِ السَّفَرَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

الشرح:

(عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ) وصية بتقوى الله جماع الخير، مراقبة الله في السر والعلن.

(وَالتَّكْبِيرِ عَلَى كلِّ شَرَفٍ): على كل مكان مرتفع؛ لفضيلة ذلك.

فيه الدعاء للغير حتى بعد ذهابه؛ لأن دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، يستجيبها الله، ويفرج بها الكرب، وتُقضى بها الحاجات، ولا يضرك ولا ينقص شيء إذا دعوت لأخيك المسلم، أنت تنفع نفسك أكثر من غيرك.

٩٧٩ - وعن أَبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كنّا مَعَ النبيِّ ﷺ في سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا وَارتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ». متفقٌ عَلَيْهِ[2].

(ارْبَعُوا) بفتحِ الباءِ الموحدةِ أيْ: ارْفُقُوا بِأَنْفُسِكُمْ.

الشرح:

(هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا وَارتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا) طريقة الصحابة رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ في التهليل والتكبير والذكر، إلى غير ذلك، كانوا يشغلون أنفسهم به، ولذلك تنشرح صدورهم، أما الآن

---

(١) حديث رقم: (٣٤٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٨٤)، ومسلم (٢٧٠٤).

كثير من الناس ربما ما يذكر الله عَزَّوَجَلَّ في سفره، فيضيق صدره، ويسوء حاله، والله المستعان.

(ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ) أي: ارفقوا بأنفسكم، **«إن لنفسك عليك حقا»**.

(فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا)؛ لكمال سمعه، ولكمال اطلاعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو على عرشه.

(إِنَّهُ مَعَكُمْ) معية حفظ وكلاءة ونصر للمسلمين، ومعية اطلاع وسماع وعلم لجميع المسافرين، بل جميع العالمين، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤].

فالمعية منقسمة إلى قسمين: معية خاصة ومعية عامة، المعية الخاصة تقتضي الحفظ والكلاءة مع بقية المعاني، والمعية العامة هي: الاطلاع، وكذلك المعية بالسمع والبصر، وغير ذلك من خصائص الربوبية.

(إِنَّهُ سَمِيعٌ) لدعائكم، لكلامكم.

(قَرِيبٌ) منكم، وهو على عرشه، لا يلزم من ذلك أن يكون متحدًا، أو مختلطًا، أو محايثًا للمخلوق، بل هو منفصل على عرشه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١]؛ لأن مثل هذه الأحاديث يستخدمها المبتدعة في دعوى الحلول والاتحاد، فيكون المسلم على عناية ببيانها، لا سيما طالب العلم، وهكذا المؤلف والمصنف.

١٧٢ - باب استحباب الدعاء في السفر

لأن الدعاء في السفر من أسباب استجابة الدعاء.

٩٨٠ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «ثلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَات لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ المَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ المُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن. وليس في رواية أَبي داود: «عَلَى وَلَدِهِ»[1].

الشرح:

(دَعْوَةُ المَظْلُومِ) تقدم حديثه عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(وَدَعْوَةُ المُسَافِرِ) لهذا الحديث ولغيره.

(وَدَعْوَةُ الوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ) لهذا الحديث ولغيره.

زد على ذلك: من أسباب استجابة الدعاء: الدعاء في دبر الصلاة، والدعاء في آخر الليل، والدعاء في الساعة الأخيرة يوم الجمعة، والدعاء في السجود، والدعاء في أواخر التشهد، وهكذا دعوة المضطر، إلى غير ذلك، الدعاء على الصفا والمروة، والدعاء في عرفات، والدعاء عند الجمرات.

(١) أخرجه أبو داود (١٥٣٦)، وابن ماجه (٣٨٦٢)، والترمذي (١٩٠٥).

١٧٣ - باب مَا يدعو بِهِ إِذَا خاف ناسًا أَوْ غيرهم

٩٨١ - عن أَبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا خَافَ قَوْمًا قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ». رواه أَبُو داود والنسائي بإسنادٍ صحيحٍ[(١)].

الشرح:

لكن يغني عنه حديث: «أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته»، وكذلك حديث صهيب: «اللهم اكفنيهم بما شئت»، وهكذا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الفلق:١-٢].

فادع الله عَزَّوَجَلَّ أن يعيذك الشرور والآثام، وأهلها، فإن نواصيهم بيده، لا يعجزه ولا يُكرثه أن يدفع عنك مكر الماكرين، وأن يبور مكرهم، ولو اجتمع من بأقطارها.

وانظروا كيف دفع الله عَزَّوَجَلَّ عن ذلك الغلام مكر الملك ومن إليه بقوله: اللهم اكفنيهم بما شئت، اللهم اكفنيهم بما شئت، وتكون صادقا في صدق الاعتماد على الله عَزَّوَجَلَّ.

❁❁❁

(١) أخرجه أبو داود (١٥٣٧)، والنسائي (٨٦٣١)، وهو ضعيف؛ للانقطاع بين قتادة وبين أبي بردة.

١٧٤ - باب مَا يقول إِذَا نزل منْزلا

أي: من على دابته، ولو نزل لفرجة، لو نزل للسكنى، لو نزل للطعام، يأتي بهذا الدعاء الطيب.

٩٨٢ - عن خولة بنتِ حَكِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ». رواه مسلم[1].

الشرح:

وهذا لفظ عام، (أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) من شر كل مخلوق خلقه الله، من شر الجن، ومن شر الإنس، ومن شر الدواب، ومن شر الأشرار.

(لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ) حتى وإن مُكر به، حتى وإن أُصيب بشيء لم يضره حتى يرحل من ذلك المنزل.

وأيضا جاء هذا الدعاء في أذكار المساء، كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسيأتي.

٩٨٣ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا سَافَرَ فَأَقْبَلَ اللَّيْلُ قَالَ: «يَا أَرْضُ، رَبِّي وَرَبُّكِ اللهُ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّكِ وَشَرِّ مَا فِيكِ، وَشَرِّ مَا خُلِقَ فِيكِ، وَشَرِّ مَا يَدِبُّ عَلَيْكِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ أَسَدٍ وَأَسْوَدٍ، وَمِنَ الحَيَّةِ وَالعَقْرَبِ، وَمِنْ سَاكِنِ البَلَدِ، وَمِنْ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ». رواه أَبُو داود[2].

وَ(الأَسْوَدُ): الشَّخْصُ.

---

(١) حديث رقم: (٢٧٠٨).

(٢) حديث رقم: (٢٦٠٣)، وهو حديث ضعيف، في سنده الزبير بن الوليد، مجهول، وقد ضعفه الألباني في (ضعيف أبي داود). أفاده المحقق.

قَالَ الخَطَّابِيُّ: وَ(سَاكِنُ البَلَدِ): هُمُ الجِنُّ الَّذِينَ هُمْ سُكَّانُ الأَرْضِ.
قَالَ: وَالبَلَد مِنَ الأَرْضِ: مَا كَانَ مَأْوَى الحَيَوانِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ بِنَاءٌ وَمَنَازِلُ.
قَالَ: وَيَحْتَمِلُ أَنَّ المُرَادَ: (بِالوَالِدِ): إبليسُ، (وَمَا وَلَدَ): الشَّيَاطِينُ[1].

الشرح:

(وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ أَسَدٍ وَأَسْوَدٍ) الأسد معروف، الحيوان المعروف، والأسود.: الحية والثعبان.

(وَمِنْ سَاكِنِ البَلَدِ) من الجان.

(وَمِنْ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) أي من جميع الشرور المتوالدين.

(وَيَحْتَمِلُ أَنَّ المُرَادَ: (بِالوَالِدِ) إبليسُ، (وَمَا وَلَدَ): الشَّيَاطِينُ) هو لفظ عام، لكن الحديث ضعيف كما ترى.

(١) معالم السنن (٢/ ٢٢٤).

١٧٥ - باب استحباب تعجيل المسافر الرجوع إِلَى أهله إِذَا قضى حاجته

وسبحان الله! يجد ذلك العُمَّار والحجاج، يكون مستريحا في المسجد الحرام، منشرح الصدر، هادئ البال، فإذا قضى نهمته ما أسرع ما يتعلق قلبه بالبلد، وبالرجوع، وهكذا إذا سافرت بمجرد ما تنتهي من حاجتك ارجع، لو أردت أن تُحدث محاضرة زيادة على الموعد المقرر تجد ثقلها وشدتها، وهكذا، والله المستعان.

٩٨٤ - عن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ العَذَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَنَوْمَهُ، فَإِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ مِنْ سَفَرِهِ فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

(نَهْمَتَهُ): مَقْصُودهُ.

الشرح:

(السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ العَذَابِ) الزنداني قال: قطعة من نار جهنم، في فرق بين العذاب وفي فرق بين نار جهنم، نار جهنم نعوذ بالله من شرها وحرها، والعذاب قد تتعذب بجوع، تتعذب بعطش، تتعذب بإرهاق، وهكذا.

(فَإِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ مِنْ سَفَرِهِ فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ) ليرجع يرتاح، ويهدأ باله، وينتبه لأبنائه وأهله.

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠١)، ومسلم (١٩٢٧).

١٧٦ - باب استحباب القدوم عَلَى أهله نهارًا وكراهته في الليل لغير حاجة

أما إذا كان قد أخبرها بالتلفون أو أخبرهم أنه سيرجع لا حرج، المحظور الرجوع في حالين:

في حال طول الغيبة قد تصل، وهي على حال غير مرضي، فتشمئز منها.

الأمر الثاني: قد تأتي متخونا لها، تقول: أصل وأنظر إذا كان معها خبر أو علم، قدني أصل في وقته، هذا هو المحظور في الطروق ليلا.

أما إذا كنت اتصلت بها أنك ستصل في هذه الليلة أو كان السفر قصيرا في يوم يومين أو نحو ذلك فلا حرج.

٩٨٥ - عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا أطال أَحَدُكُمُ الغَيْبَةَ فَلَا يَطْرُقَنَّ أَهْلَهُ لَيْلًا».

وفي روايةٍ: أَنَّ رسول الله ﷺ نَهَى أَنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ لَيْلًا. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

٩٨٦ - وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ لا يَطْرُقُ أَهْلَهُ لَيْلًا، وَكَانَ يَأْتِيهِمْ غُدْوَةً أَوْ عَشِيَّةً. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

(الطُّرُوقُ): المَجيءُ فِي اللَّيْلِ.

الشرح:

جاء مفسرا في بعض روايات حديث جابر: «**حتى تستحد المُغَيِّبة، وتمتشط الشَّعِثَة**»، أي: تمشط شعرها، وتجمل نفسها، وتستحد: تحلق ما فيها من الأشعار.

وبهذا يدل على جواز الحلق للمرأة، لا النتف كما يقوله بعضهم: أنه يتعين عليها النتف.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٤٤)، ومسلم (٧١٥).

(٢) أخرجه: البخاري (١٨٠٠)، ومسلم (١٩٢٨).

١٧٧ - باب مَا يقول إِذَا رجع وإذا رأى بلدته

فِيهِ حَدِيثُ ابنِ عمرَ السَّابِقُ[١] في باب تكبيرِ المسافِرِ إِذَا صَعِدَ الثَّنَايَا.

الشرح:

أي يقول: «آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون».

٩٨٧ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِظَهْرِ الْمَدِينَةِ، قَالَ: «آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ» فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ. رواه مسلم[٢].

الشرح:

يعني ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في حال الدخول والخروج، والذهاب والإياب، ما أعظم هذه الحياة التي كان عليها رسول الله ﷺ! كان يذكر الله على كل أحيانه، وهكذا صحابته الكرام، والأئمة الأعلام، في كل زمن وحين، نسأل الله أن يجعلنا ذاكرين له، شاكرين له راجعين إليه، إنه ولي ذلك.

(١) انظر الحديث (٩٧٦).

(٢) حديث رقم: (١٣٤٥).

١٧٨ - باب استحباب ابتداء القادم بالمسجد الذي في جواره وصلاته فيه ركعتين

٩٨٨ - عن كعب بن مالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

يعني إما ضحى، أو نحو ذلك.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ (٥/ ٢٢٨): وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ الْقُدُومِ أَوَائِلَ النَّهَارِ وَفِيهِ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِلرَّجُلِ الْكَبِيرِ فِي الْمَرْتَبَةِ وَمَنْ يَقْصِدُهُ النَّاسُ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ أَنْ يَقْعُدَ أَوَّلَ قُدُومِهِ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِ فِي مَوْضِعٍ بَارِزٍ سَهْلٍ عَلَى زَائِرِيهِ إِمَّا الْمَسْجِدُ وَإِمَّا غَيْرُهُ. اهـ

❁❁❁❁

(١) أخرجه البخاري (٣٠٨٨)، ومسلم (٧١٦).

١٧٩ - باب تحريم سفر المرأة وحدها

أي: بغير محرم.

٩٨٩ - عن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لَا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ عَلَيْهَا». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

الشرح:

من زوجها، أو من ابنها، أو من أخيها، أو نحو ذلك، وذلك أن سفر النساء بدون محارم يعرضهن للامتهان، ويعرضهن للفتنة، والله المستعان.

والمرأة ضعيفة، حتى لا تقل: تركب من مطار إلى مطار، كم يتعرض لها في المطار من بلاء؟ نسأل الله السلامة والعافية، إن لم يعصم الله ويثبت ويصرف الأشرار، والله المستعان.

٩٩٠ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ سَمِعَ النبيَّ ﷺ يقول: «لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلَا تُسَافِرُ الْمَرْأَةُ إِلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رسولَ الله، إِنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً، وَإِنِّي اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: «انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ». متفقٌ عَلَيْهِ(٢).

الشرح:

مع أنه سيخرج للجهاد في سبيل الله، ومع ذلك قدم النبي ﷺ الخروج مع المرأة على الخروج للجهاد في سبيل الله، وهذا؛ لأهمية العناية بالنساء، والحرص عليهن،

(١) أخرجه البخاري (١٠٨٨)، ومسلم (١٣٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٦)، ومسلم (١٣٤١).

والقيام بشأنهن؛ لأنهن ضعيفات في بنيتهن، وضعيفات في عقولهن، وضعيفات في طبائعهن.

خدعوها بقولهم: حسناءُ والغواني يغرهن الثناءُ

والله المستعان.

الفهرس

٥٨ - باب جواز الأخذ من غير مسألة وَلا تطلع إليه.....٥

٥٩ - باب الحث عَلَى الأكل من عمل يده والتعفف به عن السؤال والتعرض للإعطاء ٩

٦٠ - باب الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقةً بالله تعالى ١٧

٦١ - باب النهي عن البخل والشح ٤٢

٦٢ - باب الإيثار والمواساة.....٤٥

٦٣ - باب التنافس في أمور الآخرة والاستكثار مما يتبرك بِهِ ٥٦

٦٤ - باب فضل الغَنِيّ الشاكر وهو من أخذ المال من وجهه وصرفه في وجوهه المأمور بِهَا ٦٠

٦٥ - باب ذكر الموت وقصر الأمل ٦٥

٦٦ - باب استحباب زيارة القبور للرجال وما يقوله الزائر.....٧٨

٦٧ - بابُ كراهة تمنّي الموت بسبب ضُرّ نزل بِهِ وَلا بأس بِهِ لخوف الفتنة في الدين.....٨٤

٦٨ - باب الورع وترك الشبهات.....٨٨

٦٩ - باب استحباب العزلة عند فساد الناس والزمان أَو الخوف من فتنة في الدين ووقوع في حرام وشبهات ونحوها.....١٠٤

٧٠ - باب فضل الاختلاط بالناس وحضور جُمَعِهم وجماعاتهم، ومشاهد الخير، ومجالس الذكر معهم، وعيادة مريضهم، وحضور جنائزهم، ومواساة محتاجهم، وإرشاد جاهلهم، وغير ذلك من مصالحهم لمن قدر عَلَى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقمع نفسه عن الإيذاء، وصبر عَلَى الأذى .. ١١١

٧١ - باب التواضع وخفض الجناح للمؤمنين ١١٢

٧٢ - باب تحريم الكبر والإعجاب..... ١٢٢

٧٣ - باب حسن الخلق ١٣٧

٧٤ - باب الحلم والأناة والرفق..... ١٥٢

٧٥ - باب العفو والإعراض عن الجاهلين..... ١٧٠

٧٦ - باب احتمال الأذى..... ١٨٥

٧٧ - باب الغضب إِذَا انتهكت حرمات الشّرع والانتصار لدين الله تعالى ١٨٧

٧٨ - باب أمر وُلاة الأمور بالرفق برعاياهم ونصيحتهم والشفقة عليهم والنهي عن غشهم والتشديد عليهم وإهمال مصالحهم والغفلة عنهم وعن حوائجهم..... ١٩٤

٧٩ - باب الوالي العادل ٢٠١

٨٠ - باب وجوب طاعة ولاة الأمر في غير معصية وتحريم طاعتهم في المعصية..... ٢٠٦

٨١ - باب النهي عن سؤال الإمارة واختيار ترك الولايات إذا لَمْ يتعين عليه أَوْ تَدْعُ حاجة إِلَيْهِ ٢١٧

٨٢ - باب حث السلطان والقاضي وغيرهما من ولاة الأمور عَلَى اتخاذ وزير صالح وتحذيرهم من قرناء السوء والقبول منهم..... ٢٢٥

٨٣ - باب النهي عن تولية الإمارة والقضاء وغيرهما من الولايات لمن سألها أَوْ حرص عليها فعرَّض بها..... ٢٢٨

كتاب الأدب..... ٢٣٣

٨٤ - باب الحياء وفضله والحث على التخلق به ٢٣٣

٨٥ - بابُ حفظ السِّر ٢٤١

٨٦ - باب الوفاء بالعهد وَإنجاز الوَعد..... ٢٤٧

٨٧ - باب المحافظة عَلَى مَا اعتاده من الخير ٢٥٤

٨٨ - باب استحباب طيب الكلام وطلاقة الوَجه عند اللقاء ٢٥٦

٨٩ - باب استحباب بيان الكلام وإيضاحه للمخاطب وتكريره ليفهم إذا لَمْ يفهم إِلا بذلك..... ٢٥٨

٩٠ - باب إصغاء الجليس لحديث جليسه الذي ليس بحرام واستنصات العالم والواعظ حاضري مجلسه..... ٢٥٩

٩١ - بابُ الوَعظ والاقتصاد فِيهِ..... ٢٦٠

٩٢ - باب الوقار والسكينة ٢٦٧

٩٣ - باب الندب إِلَى إتيان الصلاة والعلم ونحوهما من العبادات بالسكينة والوقار ٢٦٩

٩٤ - باب إكرام الضيف ٢٧٢

٩٥ - باب استحباب التبشير والتهنئة بالخير ٢٧٥

٩٦ - باب وداع الصاحب ووصيته عند فراقه للسفر وغيره والدعاء لَهُ وطلب الدعاء مِنْهُ ٢٩١

٩٧ - باب الاستِخارة والمشاورة ٢٩٦

٩٩ - باب استحباب تقديم اليمين في كل مَا هو من باب التكريم ٣٠٤

كتاب أدب الطعام ٣١٣

كتاب أدب الطعام ٣١٣

١٠٠ - باب التسمية في أوله والحمد في آخره ٣٢١

١٠١ - باب لا يَعيبُ الطّعام واستحباب مَدحه ٣٢٧

١٠٢ - باب مَا يقوله من حضر الطعام وهو صائم إِذَا لَمْ يفطر ٣٣١

١٠٣ - باب مَا يقوله من دُعي إِلَى طعام فتبعه غيره ٣٣٢

١٠٤ - باب الأكل مِمَّا يليه ووعظه وتأديبه من يسيء أكله ٣٣٣

١٠٥ - باب النّهي عن القِرَانِ بين تمرتين ونحوهما إِذَا أكل جماعة إِلاَّ بإذن رفقته ٣٣٥

١٠٦ - باب مَا يقوله ويفعله من يأكل وَلَا يشبع ٣٣٦

١٠٧ - باب الأمر بالأكل من جانب القصعة والنهي عن الأكل من وسطها ٣٣٧

١٠٨ - باب كراهية الأكل متكئًا ٣٣٩

١٠٩ - باب استحباب الأكل بثلاث أصابع، واستحباب لعق الأصابع، وكراهة مسحها قبل لعقها، واستحباب لعق القصعة، وأخذ اللقمة الَّتي تسقط منه وأكلها، ومسحها بعد اللعق بالساعد والقدم وغيرها ٣٤١

١١٠ - باب تكثير الأيدي عَلَى الطعام ٣٤٥

١١١ - باب أدب الشرب واستحباب التنفس ثلاثًا خارج الإناء وكراهة التَّنَفُّس في الإناء واستحباب إدارة الإناء عَلَى الأيمن فالأيمن بعد المبتدئ .. ٣٤٧

١١٢ - باب كراهة الشرب من فم القربة ونحوها وبيان أنه كراهة تنزيه لا تحريم ٣٤٩

١١٣ - باب كراهة النفخ في الشراب ٣٥٠

١١٤ - باب بيان جواز الشرب قائمًا وبيان أنَّ الأكمل والأفضل الشرب قاعدًا ٣٥١

١١٥ - باب استحباب كون ساقي القوم آخرهم شربًا ٣٥٣

١١٦ - باب جواز الشرب من جميع الأواني الطاهرة غير الذهب والفضة وجواز الكرع - وَهُوَ الشرب بالفم من النهر وغيره بغير إناء ولا يد - وتحريم استعمال إناء الذهب والفضة في الشرب والأكل والطهارة وسائر وجوه الاستعمال..... ٣٥٤

كتاب اللباس..... ٣٦١

١١٧ - باب استحباب الثوب الأبيض، وجواز الأحمر والأخضر والأصفر والأسود، وجوازه من قطن وكتان وشعر وصوف وغيرها، إلاَّ الحرير..... ٣٦٨

١١٨ - باب استحباب القميص ٣٧٧

١١٩ - باب صفة طول القميص والكُم والإزار وطرف العمامة وتحريم إسبال شيء من ذلك على سبيل الخيلاء، وكراهته من غير خيلاء..... ٣٧٨

١٢٠ - باب استحباب ترك الترفع في اللباس تواضعًا..... ٣٩٣

١٢١ - باب استحباب التوسط في اللباس وَلَا يقتصر عَلَى مَا يزري بِهِ لغير حاجة وَلَا مقصود شرعي..... ٣٩٤

١٢٢ - باب تحريم لباس الحرير عَلَى الرجال، وتحريم جلوسهم عَلَيْهِ واستنادهم إِلَيْهِ وجواز لبسه للنساء..... ٣٩٥

١٢٣ - باب جواز لبس الحرير لمن بِهِ حكة ٣٩٧

١٢٤ - باب النهي عن افتراش جلود النمور والركوب عَلَيْهَا ٣٩٨

١٢٥ - باب مَا يقول إِذَا لبس ثوبًا جديدًا أَوْ نعلا أَوْ نحوه..... ٣٩٩

١٢٦ - باب استحباب الابتداء باليمين في اللباس ٣٩٩

كتاب آداب النوم، والاضطجاع والقعود والمجلس والجليس والرؤيا.....٤٠٣

١٢٧ - باب مَا يقوله عِنْدَ النوم ٤٠٣

١٢٨ - باب جواز الاستلقاء عَلَى القفا، ووضع إحدى الرِّجلين عَلَى الأخرى إِذَا لم يخف انكشاف العورة، وجواز القعود متربعًا ومحتبيًا ٤٠٩

١٢٩ - باب في آداب المجلس والجليس ٤١٢

١٣٠ - باب الرؤيا وَمَا يتعلق بها ٤٢٤

كتاب السلام.....٤٣٣

كتاب السلام..... ٤٣٣

١٣١ - باب فضل السلام والأمر بإفشائه..... ٤٣٤

١٣٢ - باب كيفية السلام..... ٤٤١

١٣٣ - باب آداب السلام..... ٤٤٦

١٣٤ - باب استحباب إعادة السلام عَلَى من تكرر لقاؤه عَلَى قرب بأن دخل ثم خرج ثُمَّ دخل في الحال، أَو حال بينهما شجرة ونحوهما ٤٤٩

١٣٥ - باب استحباب السلام إِذَا دخل بيته ٤٥٠

١٣٦ - باب السلام عَلَى الصبيان..... ٤٥٢

١٣٧ - باب سلام الرجل على زوجته والمرأة من محارمه، وعلى أجنبية وأجنبيات لا يخاف الفتنة بهن وسلامهن بهذا الشرط ٤٥٣

١٣٨ - باب تحريم ابتدائنا الكافر بالسلام، وكيفية الرد عليهم، واستحباب السلام عَلَى أهل مجلسٍ فيهم مسلمون وكفار..... ٤٥٥

١٣٩ - باب استحباب السلام إِذَا قام من المجلس وفارق جلساءه أَوْ جليسه ٤٥٨

١٤٠ - باب الاستئذان وآدابه..... ٤٦٠

١٤١ - باب بيان أنَّ السنة إِذَا قيل للمستأذن: من أنت؟ أن يقول: فلان، فيسمي نفسه بما يعرف به من اسم أَوْ كنية وكراهة قوله: أنا ونحوها ٤٦٣

١٤٢ - باب استحباب تشميت العاطس إِذَا حمد الله تَعَالَى وكراهة تشميته إذا لَمْ يحمد الله تَعَالَى وبيان آداب التشميت والعطاس والتثاؤب..... ٤٦٦

١٤٣ - باب استحباب المصافحة عِنْدَ اللقاء وبشاشة الوجه وتقبيل يد الرجل الصالح وتقبيل ولده شفقة ومعانقة القادم من سفر وكراهية الانحناء..... ٤٧٠

كتاب عيادة المريض وتشييع الميت والصلاة عليه وحضوردفنه والمكث عند قبره بعد دفنه..... ٤٧٧

١٤٤ - باب عيادة المريض..... ٤٧٧

١٤٥ - باب مَا يُدعى به للمريض..... ٤٨٤

١٤٦ - باب استحباب سؤال أهل المريض عن حاله..... ٤٨٩

١٤٧ - باب مَا يقوله مَن أيس من حياته..... ٤٩٠

١٤٨ - باب استحباب وصية أهل المريض ومن يخدمه بالإحسان إليه واحتماله والصبر عَلَى مَا يشق من أمره وكذا الوصية بمن قرب سبب موته بحد أَوْ قصاص ونحوهما ٤٩٢

١٤٩ - باب جواز قول المريض: أنَا وجع، أَوْ: شديد الوجع، أَوْ: مَوْعُوكٌ، أَوْ: وارأساه، ونحو ذلك، وبيان أنَّه لا كراهة في ذلك إِذَا لَمْ يكن عَلَى سبيل التسخط وإظهار الجزع ٤٩٦

١٥٠ - باب تلقين المحتضر: لا إله إِلاَّ اللهُ..... ٤٩٨

١٥٢ - باب ما يقال عند الميت وَمَا يقوله من مات له ميت..... ٥٠١

١٥٣ - باب جواز البكاء عَلَى الميت بغير ندب وَلا نياحة..... ٥٠٦

١٥٤ - باب الكف عن مَا يرى من الميت من مكروه..... ٥١٠

١٥٥ - باب الصلاة عَلَى الميت وتشييعه وحضور دفنه، وكراهة اتباع النساء الجنائز ٥١١

١٥٦ - باب استحباب تكثير المصلين عَلَى الجنازة وجعل صفوفهم ثلاثة فأكثر ٥١٣

١٥٧ - باب مَا يقرأ في صلاة الجنازة..... ٥١٥

١٥٨ - باب الإسراع بالجنازة ٥٢٠

١٥٩ - باب تعجيل قضاء الدَّين عن الميت والمبادرة إِلَى تجهيزه إلا أن يموت فجأة فيترك حَتَّى يُتَيَقَّنَ مَوْتُه ٥٢٢

١٦٠ - باب الموعظة عند القبر ٥٢٤

١٦١ - باب الدعاء للميت بعد دفنه والقعود عند قبره ساعة للدعاء لَهُ والاستغفار والقراءة ٥٢٦

١٦٢ - باب الصدقة عن الميت والدعاء لَهُ ٥٢٨

١٦٣ - باب ثناء الناس عَلَى الميت ٥٣١

١٦٤ - باب فضل من مات لَهُ أولاد صغار ٥٣٣

١٦٥ - باب البكاء والخوف عِنْدَ المرور بقبور الظالمين ومصارعهم وإظهار الافتقار إِلَى الله تَعَالَى، والتحذير من الغفلة عن ذلك ٥٣٦

كتاب آداب السفر ٥٤٣

١٦٦ - باب استحباب الخروج يوم الخميس، واستحبابه أول النهار ٥٤٤

١٦٧ - باب استحباب طلب الرفقة وتأميرهم عَلَى أنفسهم واحدًا يطيعونه ٥٤٧

١٦٨ - باب آداب السير والنزول والمبيت والنوم في السفر، واستحباب السُّرَى، والرفق بالدواب، ومراعاة مصلحتها، وأمر من قصّر في حقها بالقيام بحقها، وجواز الإرداف عَلَى الدابة إِذَا كانت تطيق ذلك ٥٥٣

١٦٩ - باب إعانة الرفيق ٥٥٩

١٧٠ - باب مَا يقول إذا ركب دَابَّة للسفر ٥٦٢

١٧١ - باب تكبير المسافر إِذَا صعد الثنايا وشبهها، وتسبيحه إِذَا هبط الأودية ونحوها، والنهي عن المبالغة برفع الصوتِ بالتكبير ونحوه..... ٥٦٧

١٧٢ - باب استحباب الدعاء في السفر ٥٧١

١٧٣ - باب مَا يدعو بِهِ إِذَا خاف ناسًا أَوْ غيرهم..... ٥٧٢

١٧٤ - باب مَا يقول إِذَا نزل منْزلا ٥٧٣

١٧٥ - باب استحباب تعجيل المسافر الرجوع إِلَى أهله إِذَا قضى حاجته ٥٧٥

١٧٦ - باب استحباب القدوم عَلَى أهله نهارًا وكراهته في الليل لغير حاجة ٥٧٦

١٧٧ - باب مَا يقول إِذَا رجع وإذا رأى بلدته..... ٥٧٧

١٧٨ - باب استحباب ابتداء القادم بالمسجد الذي في جواره وصلاته فيه ركعتين..... ٥٧٨

١٧٩ - باب تحريم سفر المرأة وحدها ٥٧٩

الفهرس..... ٥٨١